

النهائية في الفتن والملامح

للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن
أبي عمير بن كثير القرشي إلى مشيخته

٧٧٤-٧٠١ هـ

فبطنصره وخرج أمارته
حامى بن إسماعيل الرشيدى

رجمت تخرج أمارته الكتاب على كتاب العلامة
محمد ناصر الدين الألبانى

محمد عنتر راجعه محمود يس

دار الحقيقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٨ م - ١٤٢٨ هـ

النهاية في الفتن والملاحم
تأليف: الحافظ بن كثير
ط ١ - الإسكندرية، دار العقيدة، ٢٠٠٨
عدد الصفحات: ٤٣٢ صفحة
المقاس: ١٧ × ٢٤

رقم إيداع: 22121 / 2007

ترقيم دولي: 2 - 129 - 347 - 977



دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٢/٥٧٤٧٢٢١ ف: ٠٢/٥٧٦٥٦٢١
القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٢/٢٥١٤٣١٧٤

E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة الحافظ ابن كثير

• نسبه ومولده: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن شهاب الدين أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي - من بني حنيفة - البصري دمشقي، الحافظ المؤرخ المفسر المفتي الفقيه صاحب التصانيف.

ولد بـ «مجدل القرية» من أعمال بصرى سنة (٧٠٠هـ) أو نحوها^(١)، ثم انتقل إلى دمشق، وله نحو سبع سنين، سنة (٧٠٧هـ) مع أخيه كمال الدين عبد الوهاب.

• أسرته: ولد والده في قرية يقال لها «الشركوين» غربى بصرى في حدود سنة (٦٤٠هـ) واشتغل بالعلم عند أخواله بنى عقبة ببصرى، فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة، وعنى بالنحو والعربية والشعر، ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى، وتمذهب للشافعي، وأخذ عن النواوى والشيخ تقي الدين الفزارى، ثم تحول إلى الخطابة بـ «مجدل القرية»، وتزوج منها بالمرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله (مريم بنت فرج بن علي)^(٢)، وهى والدته الحافظ ابن كثير (صاحب الترجمة)، وأنجب منها: كمال الدين عبد الوهاب، وعبد العزيز، ومحمد، وبنات عدة، وأصغره إسماعيل (صاحب الترجمة). وله أولاد من امرأة أخرى قبلها وهم: إسماعيل (الأكبر)، ثم يونس، وإدريس.

ويقول ابن كثير في «البداية» عن والده: «فأكبر أولاده إسماعيل، وآخرهم وأصغره إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم بخير لمن بقى».

وكان إسماعيل الأكبر قد طلب العلم، وحفظ القرآن على والده، وحفظ بعض المتون، ثم إنه سقط من سطح الشامية، فمكث أياماً ومات، فوجد عليه الوالد وجداً كثيراً، ورثاه بأبيات كثيرة. فلما ولد له (الحافظ ابن كثير) سماه باسمه إسماعيل.

• زوجته وأولاده: تزوج ابن كثير بابتة شيخه أبي الحجاج المزني، وهى أمة الرحيم زينب بنت يوسف بن الزكى المزني، وكانت امرأة صالحة (حفظت كتاب الله على أمها)، وأمها المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله عائشة بنت إبراهيم بن صديق^(٣) (حفظت على الشبيخة أم زينب فاطمة بنت عباس).

(١) قال في «البداية» (٣٢/١٤) عند وفاة والده سنة (٧٠٣هـ): «وكنْتُ إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم».

(٢) «البداية» (١٤٣/١٤)، وقد توفيت سنة (٧٢٨هـ)، ودفنت شرقي قبر تقي الدين ابن تيمية رحمهما الله تعالى.

(٣) «البداية» (٧٢/١٤)، (١٩٢).

• نشأته العلمية: نشأ الحافظ ابن كثير في أسرة عريقة، عُرِفَت بالعلم والديانة، فقد كان والده -كما سبق- خطيباً، فختم القرآن على يد شيخه شمس الدين محمد بن غيلان البعلبكي^(١)، وعمره لم يتجاوز الحادية عشرة، ودرس علومه الأولى على يد أخيه عبد الوهاب، كما قال هو^(٢): «فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر»، ثم توجه لدراسة الحديث فسمع «صحيح مسلم» بقراءة محمد بن محمد بن سهل الأزدي^(٣) -في تسعة مجالس- على الشيخ نجم الدين ابن العسقلاني، قراءة صحيحة، كما أنه درس القراءات والتفسير والفقه، وعُني بالأصول، والتأريخ، والرجال، والنحو، والشعر، وآداب العرب، وغيرها من العلوم النافعة، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري، وكمال الدين ابن قاضي شهبة، ثم صاهر الحافظ المزى، ولازمه وأخذ عنه، وصنف في صغره «كتاب الأحكام على أبواب التنبيه»، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتأريخ، وبرع في ذلك. وقد تولى مشيخة العديد من المدارس، وانتهت إليه رئاسة العلم في التفسير والحديث والفقه والتأريخ، فهرع إليه طلاب العلم من كل مكان، يطلبون علمه ويحفظون عنه، ويسمعون منه.

• عقيدته: كان رحمه الله على عقيدة السلف، فيقول هو في «تفسيره»^(٢/٢٢١)، عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤): «وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه» ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (الشورى: ١١).

وقد كان رحمه الله شديداً على أعداء الإسلام، شديداً على أهل البدع، من الرافضة وغيرهم. • شيوخه: كان له الكثير من الشيوخ، قرأ عليهم، وحفظ وتلقى عنهم، وأولهم عبد الوهاب شقيقه، وسنذكر إن شاء الله تعالى نماذج من شيوخه:

■ الإمام الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزى. وقد لازمه ابن كثير وتزوج ابنته، وتوفي رحمه الله سنة (٧٤٢هـ).

■ الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي^(٤)، وقد توفي سنة (٧٤٨هـ).

(٢) «البداية» (١٤/٣٢).

(١) «البداية» (١٤/١٥٠).

(٣) «البداية» (١٤/١٤٩).

(٤) «الدرر الكامنة» (٣/٤٢٦)، «البداية» (١٤/٢٢٥)، «شذرات الذهب» (٦/١٥٣).

- أبو العباس أحمد بن أبي طالب ابن نعمة بن حسن بن علي الحجار^(١) المعروف بابن الشحنة، سمع منه ابن كثير «صحيح البخاري»، وتوفي سنة (٧٣٠هـ)، رحمه الله.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان^(٢) البعلبكي الحنبلي، ختم عليه ابن كثير القرآن، توفي سنة (٧٣٠هـ)، رحمه الله.
- الإمام العلامة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن سباع الفزاري^(٣) المعروف بابن الفرّاح، سمع عليه ابن كثير «صحيح مسلم» وغيره، توفي سنة (٧٢٩هـ)، رحمه الله.
- الشيخ محمد بن جعفر بن فرغوش^(٤)، يقال له اللباد، ويعرف بالمؤله، وقد قرأ عليه ابن كثير شيئاً من القراءات، توفي سنة (٧٢٩هـ).
- الشيخ العابد شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نعمة^(٥) المقدسي النابلسي الحنبلي، قرأ عليه ابن كثير كثيراً من الأجزاء والفوائد، وتوفي سنة (٧٣٧هـ).
- الشيخ الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي^(٦) الدمشقي، ولد في سنة (٦٦٥هـ)، وأخذ عنه ابن كثير، وذيل على تاريخه، وقد توفي سنة (٧٣٨هـ).
- الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن عبد الملك بن إسماعيل^(٧) ولد سنة (٦٥٣هـ)، وكان له سماع كثير، وسمع عليه ابن كثير، وتوفي سنة (٧٢٧هـ).
- الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الدمشقي ابن الزمלקاني^(٨) شيخ الشافعية بالشام، وكان له خبرة بالمتون، توفي سنة (٧٢٧هـ).
- الشيخ ضياء الدين عبد الله الزربندي^(٩)، اشتغل عليه ابن كثير في النحو، وكان قد اضطرب، وتوفي سنة (٧٢٣هـ).
- وله من الشيوخ غير هؤلاء وأجاز له من مصر الدبوسي، والواني، والختني . . . وغيرهم.

(١) «البداية» (١٤/١٥٠)، «الدرر الكامنة» (١/١٥٢).

(٢) «البداية» (١٤/١٥٠).

(٣) «البداية» (١٤/١٤٦)، «الدرر الكامنة» (١/٣٥).

(٤) «البداية» (١٤/١١٤).

(٥) «البداية» (١٤/١٧٩)، «الدرر الكامنة» (٢/٤١٠).

(٦) «البداية» (١٤/١٨٣)، «الدرر الكامنة» (٣/٣٢١).

(٧) «البداية» (١٤/١٣٠)، «الدرر الكامنة» (٤/١٥٠).

(٨) «البداية» (١٤/٣٢، ١٣١)، «الدرر الكامنة» (٤/١٩٢)، «طبقات الشافعية» (٩/١٩٠) للسبكي.

(٩) «البداية» (١٤/١٠٧)، و«الدرر الكامنة» (٢/٤١٨) وفيها «الزربندي» بدل «الزربندي».

• تلاميذه: لقد أخذ عن الحافظ ابن كثير طلاب كثيرون، منهم:

- بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، التركي الأصل المصري الزركشي^(١).
 - الشيخ أحمد بن حجّي بن موسى بن أحمد بن تركي الشهاب أبو العباس السعدي^(٢).
 - شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن رضوان الحريري الدمشقي^(٣) المعروف بالسلّوى.
- وله غير هؤلاء الكثير من الطلاب، وقد تعاصر مع الكثير من المحدثين والحفاظ، رحمهم الله جميعاً.

• ثناء العلماء عليه: تتجلى مكانة ابن كثير العلمية فيما خلفه من المصنفات والمؤلفات النافعة، وفي المدارس والمساجد التي كان يلقي محاضراته ودروسه فيها، وفي قوله الحق، لا يخاف في الله لومة لائم.

قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤/١٥٠٨): «الفقيه المفتي المحدث . . . وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وألف وناظر وصنّف وفسّر وتقدم»، وقال في «المعجم المختص» (رقم ٨٦): «الإمام الفقيه المحدث الأوحّد البار . . . فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقّال، وله تصانيف مفيدة، يدرى الفقه، ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم، سمع منى وله حفظ ومعرفة، يدمج قراءته».

وقال ابن حجّي: «ما اجتمعتُ به قط إلا استفدتُ منه، وقد لازمتُهُ ست سنين».

وقال ابن حبيب: «إمام ذوى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنّف، وأطرب الأسماع بقوله وشنّف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير».

وقال أبو المحاسن الدمشقي: «. . . أفتى ودرّس، وناظر وبرع فى الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر فى الرجال والعلل . . .».

■ مؤلفاته وكتبه: لقد ترك الحافظ ابن كثير تراثاً من مصنفاته النفيسة، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط موجود، ومنها ما لم يعثر عليه فهو مفقود، وإنما ذكره ابن كثير فى ثنايا كتبه، مثل التفسير والتاريخ وغيرهما.

(١) «الدرر الكامنة» (٤/١٦)، «شذرات الذهب» (٦/٣٣٥)، «إنباء الغمر» (٣/١٣٨-١٣٩)، و«النجوم الزاهرة» (١٢/١٣٤).
 (٢) «ذيل طبقات الحفاظ» (لحظ الألفاظ) لابن فهد المكي (ص ٢٤٧)، «إنباء الغمر» (٧/١٢١)، «الضوء اللامع» (١/٢٦٩)، «شذرات الذهب» (٧/١١٦).
 (٣) «إنباء الغمر» (٦/٢٤٤)، «الضوء اللامع» (٢/٨١)، «شذرات الذهب» (٧/١٠٠).

• فمن المطبوع:

«تفسير القرآن العظيم»، «البداية والنهاية»، «الفصول في سيرة الرسول»، «فضائل القرآن»، «اختصار علوم الحديث»، «الاجتهاد في طلب الجهاد»، «تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب»، «أحاديث التوحيد والرد على أهل الشرك»، «سيرة عمر بن عبد العزيز»، «مسند الفاروق عمر بن الخطاب»، «جامع المسانيد».

• ومن المخطوط:

«الأحكام الكبير» (ولم يتمه)، «إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه»، «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل»، «آداب الحمامات»، «شعب الإيمان»، «طبقات الفقهاء الشافعيين»، «رسالة في أحاديث الإشراف»، «الواضح النفيس في مناقب ابن إدريس»، «العقائد».

• وأما ما ذكره في غضون مصنفاته ولم يُعثر عليه فمنها:

«الأحكام الصغير»، «أحاديث الأصول»، «شرح قطعة من أول صحيح البخاري»، «سيرة الشيخين»، «مختصر المدخل إلى سنن البيهقي»، «مسألة سماع الأغاني بالألحان» (في بيان حكم الغناء)، وغير ذلك من الرسائل والأجزاء الحديثة، ولا مجال لاستقصائها الآن.

• وفاته: وبعد حياة عامرة بالكفاح والصبر والمصابرة، والجهاد بالقلم واللسان، انتهت رحلة الحافظ ابن كثير، وكان أضر في آخر عمره، فوافاه الأجل، وكانت وفاته في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة (٧٧٤هـ)، وشيعته دمشق في جنازة مهيبة.

عملنا في الكتاب:

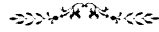
- ١- جمعت نسخ كثيرة لهذا الكتاب، ولم تخل منها نسخة إلا وهي محرقة، ومصحفة، فاستعنت بالله في تصحيح ما وقع من ذلك.
 - ٢- التزمت بتحقيق النصوص أولاً. ثم التحقيق الحديثي، ثم التعليق ما تيسر على الحديث الذي يحتاج إلى تعليق.
 - ٣- كما قمت بنقل بعض النصوص التي يحتاج إليها الكتاب وعزوت ذلك إلى المراجع المنقول منها.
 - ٤- كما راجعت الأسانيد والمتون من الأصول التي أخرج الحافظ ابن كثير منها الحديث، وما كان من سقط في الإسناد أو المتن جعلته بين معقوفين فقط دون الإشارة إلى ذلك، فلو أشرت إلى كل سقط، أو تصحيف لطال حجم الكتاب. ولله القارئ!
 - ٥- قمت بوضع ترجمة للحافظ ابن كثير -رحمه الله-.
- إلى غير ذلك مما يجده القارئ الكريم في هذا الكتاب العظيم.
- وأجدني في النهاية مقصراً، وهذه آفة بني جنس غير المعصومين، فما كان من فضل وخير فمن الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما كان من خطأ، أو سهو، فمني ومن الشيطان، وأسأل الله لي ولسائر المسلمين المغفرة والصفح، وأسأله أن يتقبل هذا العمل وأن يدخره لي يوم الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

وكتبه محققه

أبو أنس حلمي بن محمد بن إسماعيل

غفر الله له



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم يسروا عن

قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى: هذا كتاب «الفتن والملاحم» الواقعة في آخر الزمان مما أخبر به رسول الله ﷺ، وذكر أشرط الساعة، والأمور العظام التي تكون قبل يوم القيامة مما يجب الإيمان بها. الصادق المصدق قد أخبر بها، وهو لا ينطق عن الهوى. رَحِمَتهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِأَمَرِ مُحَمَّدٍ ﷺ

قال أبو داود، حَدَّثَنَا عثمان بن أبي شيبة، حَدَّثَنَا كثير بن هشام، حَدَّثَنَا المسعودي عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي هذه أمة مَرْحُومَةٌ ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ»^(١)

وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا إخباره ﷺ عن الغيوب الماضية، وبسطناه في بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وأيام الناس إلى زماننا، وأتبعنا ذلك بذكر سيرته ﷺ، وأيامه، وذكر شمائله ودلائل نبوته، وذكرنا فيها ما أخبر به من الغيوب التي وقعت بعده ﷺ، طبق إخباره، كما شوهد ذلك عياناً قبل زماننا هذا، وقد أوردنا جملة ذلك في آخر كتاب «دلائل النبوة» من سيرته.

وذكرنا عند كل زمان ما ورد فيه من الحديث الخاص به عند ذكر حوادث الزمان، ووفيات الأعيان، كما بسطنا في كل سنة ما حدث فيها من الأمور الغريبة، وترجمنا من توفى فيها من مشاهير الناس من الصحابة والخلفاء، والملوك والوزراء والأمراء، والفقهاء والصلحاء، والشعراء والنحاة والأدباء، والمتكلمين ذوى الآراء، وغيرهم من النبلاء.

ولو أعدنا الأحاديث المذكورة فيما تقدم لطلال ذلك، ولكن نُشير إلى ذلك إشارة لطيفة. ثم نعود إلى ما قصدنا له هاهنا، وبالله المستعان.

فمن ذلك قوله ﷺ لتلك المرأة التي قالت: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَجِدْكَ؟ كأنها تريد الموت، فقال: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَاتِي أَبَا بَكْرٍ». رواه البخاري^(٢)، فكان القائم بالأمر بعده أبو بكر. وقوله ﷺ حين أراد أن يكتب للصدیق كتاباً بالخلافة فتركه؛ لعلمه أن أصحابه لا يعدلون عن

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٧٨)، وإسناده ضعيف بسبب اختلاط المسعودي، وسماع كثير بن هشام منه بعد ما اختلط، ولكنه توبع. فرواه أحمد (٤١٠/٤)، وعبد بن حميد (٥٣٦)، والحاكم (٤٤٤/٤)، من طرق، وراجع «الصحيح» (٩٥٩).

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسي (٩٤٤)، وأحمد (٨٢/٤)، والبخاري (٣٦٥٩) (٧٢٢٠) (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦)، والترمذي (٣٦٧٦)، وابن حبان (٦٦٥٦) من طريق محمد بن جبير عن أبيه، به.

أبى بكر إلى غيره؛ لعلمهم بسابقتهم وأفضليته ﷺ فقال: «يا بى الله والمؤمنون إلا أبى بكر» (١) وهو فى الصحيح أيضاً.

وقوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي، أبى بكر وعمر» رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذى وحسنه، وصححه ابن حبان، وهو من رواية حذيفة بن اليمان. (٢) وقد روى من طريق ابن مسعود، وابن عمر، وأبى الدرداء ﷺ، وقد بسطنا القول فى هذا فى فضائل «الشيخين». والمقصود: أنه وقع الأمر كذلك، ولّى أبو بكر الصديق الخلافة بعد رسول الله ﷺ، ثم وليها بعده عمر، كما أخبر ﷺ سواء بسواء.

وروى مالك والليث عن الزهرى، عن ابن لكعب بن مالك، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاَسْتَوْصُوا بِالْقَيْطِ» وفى رواية: «فَاَسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا». (٣) وقد افتتحها عمرو بن العاص فى سنة عشرين، أيام عمر بن الخطاب ﷺ.

وفى «صحيح مسلم» عن أبى ذر، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يَذْكُرُ فِيهَا الْقَيْرَاطُ فَاَسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا». (٤)

وقد مُصِّرَ فى أيام عمر بن الخطاب المصران، البصرة والكوفة، فروى أبو داود، حدثنا عبد الله بن الصَّبَّاح، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، ثنا موسى الحناتى - لا أعلم إلا أنه ذكره عن موسى بن أنس، عن أنس بن مالك - أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يَمُصُّونَ أَمْصَارًا، وَإِنْ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ - أَوْ الْبَصِيرَةُ - فَإِنَّ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا فَبِأَيْكَ وَسَبَّاحَهَا وَكَلَامَهَا وَسُوقَهَا وَأَبْوَابَ أَمْرَاقِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَّاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَهَذَفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَمَسُخُونَ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ». (٥)

خبر الأبلّة

قال أبو داود: حدثنا ابن المشنى، إبراهيم بن صالح بن درهم، سمعتُ أبى يقول: انطلقنا حاجين، فإذا رجل، فقال لنا: من أين جئتم؟ فقلنا: من بلد كذا وكذا. فقال: إنَّ بجنبكم قرية يقال لها: الأبلّة؟ فقلنا: نعم. فقال: من يضمن أن يصلى لي فى مسجد العشار ركعتين أو أربعاً، ويقول: هذه لأبى هريرة؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ مَسْجِدِ الْعَشَّارِ شُهَدَاءَ لَا يَقُومُ مَعَ شُهَدَاءِ بَدْرٍ غَيْرُهُمْ». (٦)

- (١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٦٦٦) (٧٢١٧)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١٨٥/٢)، والبيهقى (١٤١١) من طريق القاسم عن عائشة. وأخرجه أحمد (١٤٤/٦)، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن حبان (٦٥٩٨)، من طريق عروة عن عائشة.
- (٢) حسن: أخرجه أحمد (٣٨٥/٥)، وابن سعد (٣٣٤/٢)، وابن ماجه (٩٧)، والترمذى (٣٧٩٩)، وابن أبى عاصم (١١٤٨)، والبيهقى (٢٨٢٩)، وإسناده ضعيف. لكن له شواهد من حديث ابن مسعود وابن عمر وعلى بن أبى طالب وغيرهم يتقوى به الحديث - راجع «الصحيح» (١٢٣٣).
- (٣) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٩٩٩٦) (٩٩٩٧) (٩٩٩٨)، والطحاوى فى «المشكّل» (١٢٤/٣)، والطبرانى (١٩) (١١١) (١١٢) (١١٣)، وإسناده صحيح - راجع «الصحيح» (١٣٧٤).
- (٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٤/٥)، ومسلم (٢٥٤٣)، والطحاوى (١٢٣/٣) (١٢٤)، وابن حبان (٦٦٧٦)، وله طرق.
- (٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٠٧)، وصححه الألبانى فى «الصحيح منه» برقم (٣٦١٩).
- (٦) ضعيف: رواه أبو داود (٤٣٠٨)، وضعفه الألبانى فى «الضعيف» برقم (٩٢٨).

وقال ﷺ فيما ثبت عنه في «الصحيحين»: «إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ كَسْرَى فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١)

وقد وقع ذلك كما أخبر سواء بسواء، في زمن أبي بكر، وعمر، وعثمان، انزاحت يد قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل - عن بلاد الشام والجزيرة، وثبت ملكه مقصوراً على بلاد الروم فقط، والعرب إنما كانوا يسمون (قيصر) لمن ملك بلاد الروم مع الشام والجزيرة. وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لأهل الشام، وهو أن يد ملك الروم لا تعود إليها أبد الأبد. وسنورد هذا الحديث قريباً بإسناده ومثته إن شاء الله تعالى. وأما كسرى فإنه سلب عامة ملكه في زمن عمر بن الخطاب، ثم استوصل باقيه في خلافة عثمان، وقتل في سنة ثنتين وثلاثين، والله الحمد والمنة، وقد بسطنا ذلك مطولاً فيما سلف. وقد دعا على كسرى رسول الله ﷺ حين بلغه أنه مرق كتبه، بأن يُمَرَّقَ ملكه كل مرق فوقع الأمر كذلك^(٢).

وثبت في «الصحيحين» من حديث الأعمش وجامع بن أبي راشد عن شقيق بن سلمة، عن حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا. قال: هات إنك لجرىء. فقلت: ذكر فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، يكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال: ليس هذا أعنى إنما أعنى التي تموج موج البحر. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. فقال: «وَيْحَكَ! أَيْفَتَحَ الْبَابُ أَمْ يَكْسِرُ؟ قلت: بل يكسر. قال: إذا لا يغلُقُ أبداً. قلت: أجل. فقلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، إنني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. قال: فهينا أن نسأل حذيفة: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله، فقال: هو عمر^(٣). وهكذا وقع الأمر سواء بعد مقتل عمر في سنة ثلاث وعشرين، وقعت الفتن بين الناس بعد مقتله، وكان ذلك سبب انتشارها بينهم.

وأخبر ﷺ عن عثمان بن عفان أنه من أهل الجنة، على بلوى تصيبه، فوقع الأمر كذلك حُصِرَ وقتل صابراً محتسباً شهيداً ﷺ، وقد ذكرنا عند مقتله الأحاديث التي وردت بالإنذار بذلك، والإعلام به قبل كونه، فوقع طبق ذلك سواء بسواء، وذكرنا ما ورد من الأحاديث في الجمل وصفين، فوقع الأمر كذلك. وكذلك الإخبار بمقتل عمّار. وما ورد في الأحاديث بمقتل الخوارج الذين قتلهم علي بن أبي طالب ﷺ، وصفتهم، ونعت ذى الثدية منهم. كل ذلك قد حررناه فيما سلف، والله الحمد والمنة. وذكرنا عند مقتل عليّ الحديث الوارد في ذلك بطرقه وألفاظه.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٨) (٦٦٣٠)، ومسلم (٢٩١٨)، والترمذي (٢٢١٦)، وأحمد (٧١٨٤) (٧٢٦٨)، عن سعيد عن أبي هريرة. وأخرجه أحمد (٨١٤٢)، والبخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨)، من طريق همام عن أبي هريرة، وله طرق. وراجع معناه في «الفتح» (٦٢٥-٦٢٦).

(٢) سيأتي الحديث بلفظه.
(٣) صحيح: أخرجه الطيالسي (٤٠٨)، والحميدي (٤٤٧)، والبخاري (١٤٣٥) (٣٥٨٦)، ومسلم (ص ٢٢١٨)، والترمذي (٢٢٥٨)، وابن ماجه (٣٩٥٥)، من حديث الأعمش. والبخاري (١٨٩٥)، ومسلم (ص ٢٢١٨)، من طريق جامع بن أبي راشد. والترمذي (٢٢٥٨)، من طريق حماد بن أبي سليمان، كلهم عن شقيق عن حذيفة، به.

وتقدم الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذى، وحسنه، من طريق سعيد بن جمهان عن سفينة، أن رسول الله ﷺ قال: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا» (١). وقد اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبى بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان الشهيد، وعلي بن أبى طالب الشهيد أيضاً، وكان تمامها وختامها بستة أشهر وليها الحسن بن على بعد أبيه، وعند تمام الثلاثين نزل عن الأمر لمعاوية بن أبى سفيان، وأصفت البيعة لمعاوية، وسمى ذلك عام الجماعة، وقد بسطنا ذلك فيما تقدم.

وروى البخارى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول -والحسن بن على إلى جانبه على المنبر-: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (٢). وهكذا وقع. وثبت فى «الصحيحين» عن أم حرام بنت ملحان أن ناساً من هذه الأمة يغزون البحر مرتين، وأنها تكون مع الأولين (٣)، فكان الأمر كذلك فى سنة سبع وعشرين، مع معاوية فى خلافة عثمان، حين استأذن عثمان فى غزو قبرس، فأذن له فركب المسلمون المراكب إليها وفتحوها قسراً، وتوفيت أم حرام فى هذه الغزوة، وكانت أم حرام مع زوجها عبادة بن الصامت، وكان مع معاوية فى هذه الغزوة زوجته فاختة بنت قرقطة، وأما غزوة البحر الثانية فكانت فى سنة ثنتين وخمسين فى أيام معاوية أيضاً، غزاها ابنه يزيد ومعه الجنود فدخلوا إلى القسطنطينية، وكان معه فى هذا الجيش جماعة من أعيان الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد رضى الله عنه، فمات هنالك وأوصى إلى يزيد بن معاوية، أن يدفنه تحت سنانك الخيل، وأن يوغل به إلى أقصى ما يمكن أن ينتهى به إلى نحو جهة العدو، ففعل ذلك.

وتفرد البخارى بما رواه من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عمير بن الأسود العنسى، عن أم حرام، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أُوجِبُوا». قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «أَنْتَ فِيهِمْ». ثم قال النبى ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ». قلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». (٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا البراء، عن الحسن، عن أبى هريرة، قال: حدثنى خليلى الصادق رسول الله ﷺ أنه قال: «يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْثٌ إِلَى السَّنْدِ وَالْهِنْدِ». فإن أن أدركته فاستشهدت فذاك، وإن أنا -فذكر كلمة- رجعت، فأنا أبو هريرة المحرر، قد أعتقنى من النار. (٥)

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٠/٥)، والبخارى (٣٨٢٨)، وابن أبى عاصم (١١٨١)، والطحاوى (٣٣٤٩)، وابن حبان (٦٩٤٣)، بإسناد حسن، وله طرق يتقوى به ويصح.

(٢) صحيح: أخرجه الحميدى (٧٩٣)، والبخارى (٢٧٠٤) (٣٧٤٦) (٧١٠٩)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذى (٣٧٧٣)، والنسائى (١٠٧/٣)، وأحمد (٢٠٣٩٢)، وله طرق.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٩٩) (٢٨٠٠) (٢٩٢٤)، ومسلم (١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩٣)، وابن ماجه (٢٧٧٦) وغيرهم عن أنس.

(٤) رواه البخارى (٢٩٢٤).

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٣٦٩/٢)، وإسناده ضعيف لعلتين لكن له طرق يتقوى بها.

ورواه أحمد أيضاً، عن هشيم، عن سيار، عن جبر بن عبيدة، عن أبي هريرة، قال: «وعدا رسول الله ﷺ غزوة الهند، فإن استشهدت، كنت من خير الشهداء، وإن رجعت فانا أبو هريرة المحرر». (١) ورواه النسائي من حديث هشيم وزيد بن أبي أنيسة، عن سيار عن جبر - ويقال: جبير - عن أبي هريرة فذكره. (٢)

وقد غزا المسلمون الهند في سنة أربع وأربعين، في إمارة معاوية أيضاً، فجرت هنالك أمورٌ قد ذكرناها مبسوطاً فيما تقدم، وقد غزاها الملك السعيد محمود محمود بن سبكتكين صاحب غزنة (٣) وما وآلاها في حدود أربعمائة، ففعل هنالك أفعالا مشهورة وأموراً مشكورة، كسر الصنم الأعظم المسمى بسومنت، وأخذ قللته وجواهره وذهبته وشئوفه، وأخذ من الأموال ما لا يحصى، ورجع إلى بلاده سالماً مؤيداً منصوراً.

وقد كان ثواب بني أمية يقاتلون الأتراك، في أقصى بلاد السند والصين، وقهروا ملكهم القان الأعظم، ومزقوا عساكره، واستحوذوا على أمواله وحواصله، وقد وردت الأحاديث بذكر صفاتهم ونعتهم، ولنذكر شيئاً من ذلك على سبيل الإيجاز:

قال البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا أبو شعيب، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه ذلف الأنوف، كان وجوههم المجان المطرقة وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر، حتى يدخل فيه، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله». تفرد به البخاري. (٤)

ثم قال: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوفاً وكرباً من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف، كان وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر»، ورواه أحمد عن عبد الرزاق. (٥)

وقال أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كان وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر»، وأخرجه الجماعة سوى النسائي، من حديث سفيان بن عيينة به (٦)، ورواه البخاري عن علي ابن

(١) منكر: أخرجه أحمد (٢٢٩/٢)، والنسائي (٤٢/٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٦/٨)، والحاكم (٥١٤/٣)، وهو منكر.

(٢) أخرجه النسائي (٤٢/٦)، بهذا الإسناد، وله طريق أخرى رواها ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٩١)، بسند ضعيف. وله شاهد من حديث ثوبان أخرجه أحمد (٢٧٨/٥)، والنسائي (٤٢/٦)، وابن عدى (٥٨٣/٢)، وراجع «الصحيح» (١٩٣٤).

(٣) غزنة: مدينة عظيمة بين خراسان والهند.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٧) (٣٥٨٨) (٣٥٨٩)، والبيهقي (٤٢٤٢) عنه، وأحمد (٥٣٠/٢)، والبخاري (٢٩٢٩)، ومسلم (٢٩١٢)، وابن ماجه (٤٠٩٧) من طريق سفيان.

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٩٠) بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (٣١٩/٢)، وابن حبان (٦٧٤٣)، والبيهقي (١٧٦/٩)، والبيهقي (٤٢٤٤) من طرق.

(٦) «المسند» (٢٣٩/٢)، وإسناده على شرطهما. وأخرجه الحميدي (١١٠٠)، والبخاري (٢٩٢٩)، ومسلم (٢٩١٢)، وأبو داود (٤٣٠٤)، والترمذي (٢٢١٥)، وابن ماجه (٤٠٩٦)، وأبو يعلى (٥٨٧٨)، وابن حبان (٦٧٤٤)، عن سفيان، به.

المدني، عن سفيان بن عيينة. ورواه مسلم أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد، كلاهما عن قيس بن أبي حازم، عن أبي هريرة، فذكره نحوه. (١) قال سفيان بن عيينة: وهم أهل البازر. كذا قال سفيان، ولعله: البازر، وهو سوق الفسوق الذي لهم.

حديث عمرو بن تغلب: وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم، سمعت الحسن، حدثنا عمرو بن تغلب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ» أَوْ: «يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، وَإِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عَرَاضُ الْوُجُوهِ، كَانَ وَجُوهُهُمُ الْمَجَانُ الْمُطْرَفَةُ». (٢) ورواه البخاري من حديث جرير بن حازم.

وقد روى من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي. قال أحمد: ثنا أبو نعيم، ثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إِنَّ أُمَّتِي يَسُوقُهَا قَوْمٌ صِغَارُ الْأَعْيُنِ، كَانَ وَجُوهُهُمُ الْحَجَفُ، ثَلَاثَ مَرَارٍ حَتَّى يُلْحَقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، أَمَّا السِّيَاقَةُ الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَيَنْجُو بَعْضُ وَيَهْلِكُ بَعْضُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَيُضْطَلَمُونَ كُلُّهُمْ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ». قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «التُّرْكُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَرِيْطُنَّ خِيُولَهُمْ بِسَوَارِي مَسْجِدِ الْمُسْلِمِينَ». قال: فكان بريدة لا يفارقه بغيران أو ثلاثة ومتاع بعد ذلك للهرب، لما سمع من رسول الله ﷺ من البلاء في التُّرك. (٣) ورواه أبو داود في كتاب الملاحم من «سننه» عن جعفر بن مسافر، عن خلاد بن يحيى، عن بشير بن المهاجر. ورواه أبو يعلى عنه، به، وفيه: «قَوْمٌ صِغَارُ الْعُيُونِ، عَرَاضُ الْوُجُوهِ، كَانَ وَجُوهُهُمُ الْحَجَفُ، يُلْحَقُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ بِمَنَابِتِ الشَّيْخِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ، وَأَمَّا الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ فَيَنْجُو بَعْضُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَيَهْلِكُونَ جَمِيعًا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رِيْطُوا خِيُولَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هُمُ التُّرْكُ».

حديث أبي بكرة الثقفي في ذلك: قال الإمام أحمد: ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، ثنا الحشر بن ثباتة القيسي الكوفي، ثنا سعيد بن جهمان، ثنا عبد الله بن أبي بكرة، حدثني أبي في هذا المسجد -مسجد البصرة- قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَنْزِلَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي أَرْضًا يُقَالُ لَهَا: الْبَصْرَةُ. فَيَكْثُرُ بِهَا عَدَدُهُمْ وَتَخْلُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ بَنُو قَنْطُورَاءَ، عَرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى جِسْرِ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: دَجْلَةُ. فَيَفْتَرِقُ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ فَتَلْحَقُ بِالْبَادِيَةِ، فَهَلَكَتْ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا، فَكَفَرَتْ، فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَجْعَلُونَ

(١) صحيح: وهو في «الصحيح» (٢٩١٢) (٦٦).

(٢) إسناده صحيح على شرط البخاري - وهو في «المسند» (٧٠/٥)، وأخرجه البخاري (٢٩٢٧) (٣٥٩٢)، وابن قانع في «المعجم» (٢١٢/٢)، عن الحسن، به.

(٣) إسناده ضعيف: تفرد به بشير بن المهاجر ولم يتابعه عليه أحد وهو ضعيف عند التفرد. وهو في «المسند» (٣٤٨/٥)، وأخرجه البزار (٣٣٦٧) «كشف»، مختصراً من طريقه محمد بن فضيل عن بشير بن المهاجر، به. وأخرجه الحاكم أيضاً (٤٧٤/٤)، من طريق معاذ بن مجدة عن خلاد عن بشير بن مهاجر، به. وخالفه جعفر بن مسافر التميمي، فرواه أبو داود (٤٣٠٥) من طريقه عن خلاد، به. وقلب متنه، وجعفر نفسه لم يخل من كلام.

عِيَالَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيُقَاتِلُونَ، فَقَتَلَهُمْ شُهَدَاءُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ» (١) ورواه أبو داود في الملاحم، عن محمد بن يحيى بن فارس، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن سعيد ابن جهمان، ثنا مسلم بن أبي بكر، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يَسْمُوْنَهُ الْبَصْرَةَ عِنْدَ نَهْرِ يُقَالُ لَهُ: دَجْلَةٌ. يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُهَاجِرِينَ - وَفِي لَفْظٍ: الْمُسْلِمِينَ - فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ عِرَاضَ الْوُجُوهِ صَغَارُ الْأَعْيُنِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، فَيَتَفَرَّقُ الْمُهَاجِرُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ، فِرْقَةٌ تَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ وَالْبَرِيَّةِ وَهَلَكُوا، وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لَأَنفُسِهِمْ وَكَفَرُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذُرَارِيَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَهُمْ الشُّهَدَاءُ» (٢)

وتقدم حديث أنس في ذكر البصرة، التي مُصِّرَتْ في زمان عمر بن الخطاب (٣)

وروى مسلم وأبو داود والنسائي، عن قتيبة، عن يعقوب الإسكندراني، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَوْمًا كَانَ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةَ، يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ» (٤). وهذا لفظ أبي داود.

وقد روي من حديث أبي سعيد، فقال أحمد: ثنا عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صَغَارُ الْأَعْيُنِ، عِرَاضَ الْوُجُوهِ، كَانَ أَعْيُنُهُمْ حَذَقُ الْجِرَادِ، وَكَانَ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةَ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، وَيَتَّخِذُونَ الدَّرَقَ حَتَّى يَرِيضُوا خِيُولَهُمْ بِالنَّخْلِ، تَقَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ» (٥)

حديث معاوية بن أبي سفيان في قتال الترك: قال أبو يعلى: ثنا محمد بن يحيى البصري، ثنا محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني إسحاق بن إبراهيم بن الغمر، مولى سموك، ثنا أبي، عن جدي، سمعت معاوية بن حديج يقول: كنت عند معاوية بن أبي سفيان إذ جاءه كتاب عامله يُخْبِرُ أَنَّهُ أَوْقَعَ بِالْتُرْكِ وَهَزَمَهُمْ، وَبَكثَرَةً مِنْ قَتْلٍ مِنْهُمْ وَكَثْرَةً مَا غَنِمَ مِنْهُمْ، فغضب معاوية من ذلك، ثم أمر أن يكتب إليه: قد فهمت ما ذكرت مما قتلت وغنمت، فلا أعلمن أنك عدت إلى شيء من ذلك، ولا تُقاتلهم حتى يأتبك أمرى. فقلت له: ولم، أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ التُّرْكَ تَحَارِبُ الْعَرَبَ حَتَّى تُلْحِقَهَا بِمَنَايِبِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ، فَأَكْرَهُ قِتَالَهُمْ لَذَلِكَ» (٦)

طريق أخرى عن معاوية: قال الطبراني: ثنا يحيى بن أيوب العلاف، حدثنا أبو صالح الحراني، ثنا ابن لهيعة، عن كعب بن علقمة التتوخي، ثنا حسان بن كريب الحميري، سمعت ابن ذي الكلاع

(١) منكر: وهو في «المسند» (٤٥-٤٤/٥) وحشر بن نباتة ضعيف، وسعيد بن جهمان متكلم فيه ولا يحتمل تفرده. وأخرجه الطيالسي (٨٧٠)، وابن عدي في «الكامل» (٨٤٧/٢)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (٤٧٣) من طريق

حشر بن نباتة بهذا الإسناد. وقال أبو حاتم: منته منكر.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٣٠٦)، وحسنه الألباني في «الصحيح منه» (٣٦١٨).

(٣) تقدم التخریج لهذا الحديث.

(٤) رواه مسلم (٢٩١٢)، وأبو داود (٤٣٠٣)، والنسائي (٣١٧٧).

(٥) صحيح: وهو في «المسند» (٣١/٣) إسناده حسن من أجل عمار بن محمد. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٩٩) من طريق

عمار بن محمد، به. وله شواهد يصح بها.

(٦) إسناده ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٧٣٧٦) وإسناده مسلسل بالمجاهيل.

يقول: سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتركوا التُّرك ما تركوكم»^(١). وروى الطبراني، عن إبراهيم بن أبي حاتم، عن نعيم بن حماد في كتاب «الملاحم» ثنا يحيى بن سعيد العطَّار وأبو المغيرة، عن إسماعيل بن عيَّاش، عن عبد الله بن دينار، عن كعب الأحبار قال: ينزل التُّرك أمد ويشربون من نهر الدَّجَلَة والفُرات، سبعون ألفاً، ويسعون في الجزيرة وأهل الإسلام، في الحيرة، لا يستطيعون لهم شيئاً، فيبعث الله عليهم ثلجاً بغير كيل فيه صر من ريح شديدة وجليد، فإذا هم خامدون. فيرجعون فيقولون: إن الله قد أهلكهم وكفاكم العدو، ولم يبق منهم أحد، قد هلكوا من عند آخرهم.^(٢)

والمقصود: أن الترك قاتلهم الصحابة، فهزموهم، وغنموهم، وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هذه الأحاديث أن قاتلهم يكون من أشرط الساعة، وأشرطها لا تكون إلا بين يديها قريباً منها، فقد يكون هذا واقعاً مرة أخرى عظيمة بين المسلمين والترك، حتى يكون آخر ذلك قاتلهم مع الدجال، ويأجوج ومأجوج، كما سيأتي ذكر ذلك، وإن كان أشرط الساعة أعم من أن يكون بين يديها قريباً منها، أو يكون مما يقع في الجملة، حتى ولو تقدم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما يقع بعد زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب، كما ترى ذلك قريباً، إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرنا ما ورد في مقتل الحسين بن عليّ بكربلاء، في أيام يزيد بن معاوية كما سلف، وما ورد من الأحاديث في ذكر خلفاء بني أمية وأُغْلِمَة بني عبد المطلب.

قال أحمد، حدثنا روح، حدثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص، أخبرني جدِّي سعيد بن عمرو بن سعيد، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيِّ غُلَمَةٍ، فقال مروان، وهو معنا في الحلقة قبل أن يلي شيئاً: لعنة الله عليهم غُلَمَةٌ. قال أبو هريرة: أما والله لو أشاء أن أقول بني فلان، وبني فلان لفعلت. قال: فكنت أخرج مع أبي وجدِّي إلى بني مروان بعد ما ملكوا، فإذا هم يبايعون الصَّبيَّان، ومنهم من يبايع له وهو في خَرَقَةٍ. قال لنا: هل عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذين سمعت أبا هريرة يذكر أن هذه الملوك يُشَبِّه بعضها بعضاً.^(٣) ورواه البخاري بنحوه عن أبي هريرة^(٤)، والأحاديث في هذا كثيرة جداً، وقد حررناها في دلائل النبوة.

وتقدم الحديث في ذكر الكذاب والمبهر من ثقيف^(٥)، فالكذاب هو المختار بن أبي عبيد الذي

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨٢/٣٧٥/١٩)، وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (٢٦٧) من طريق ابن لهيعة، وإسناده ضعيف. وراجع «الضعيفة» (١٧٤٧).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٦١٢)، وإسناده ضعيف.

(٣) «المسند» (٣٢٤/٢)، وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٠٥) (٧٠٥٨) عن عمرو بن يحيى، به.

(٥) أخرجه الطيالسي (١٦٤١)، ومسلم (٢٥٤٥)، والطبراني (٢٣١/٢٣)، والحاكم (٥٥٣/٣)، عن أسماء بنت أبي بكر. وأخرجه أحمد (٤٧٩٠) (٥٦٠٧) (٥٦٤٤) (٥٦٦٥)، والترمذي (٢٢٢٠) عن ابن عمر.

ظهر بالكوفة أيام عبد الله بن الزبير، وكان رافضياً خبيثاً، بل كان ينسب إلى الزندقة، وادّعى أنه يوحى إليه، وقد قتله مصعب بن الزبير، وأما المير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي قتل عبد الله ابن الزبير، وكان ناصبياً جباراً عنيداً، عكس الأول في الرفض. وتقدم حديث الرايات السود التي جاء بها بنو العباس من خراسان لما استلبوا الملك من أيدي بني أمية، وذلك في سنة ثنتين وثلاثين ومائة، أخذوا الخلافة من مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص، ويعرف بمروان الحمار الجعدي لاشتغاله على الجعد بن درهم المعتزلي، وكان آخر خلفاء بني أمية، فصارت الخلافة إلي السفاح أول خلفاء بني العباس، وقد صرح باسمه في الحديث الذي رواه أحمد، وقد تقدم ذلك.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا جرير بن حازم، عن ليث، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي ثعلبة الخشني، عن أبي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، وَكَانَتْ خَلَافَةً وَرَحْمَةً، وَكَانَتْ مُلْكًا عَضُوضًا، وَكَانَتْ عِزَّةً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الضُّرُوجَ، وَالْخُمُورَ، وَالْحَرِيرَ، وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا، حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ». (١)

وروى البيهقي من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَعْدِلُونَ فِي عِبَادِ اللَّهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالثَّأْرِ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ، وَيَصْطَفُونَ الْأَمْوَالَ، فَمَغِيرُ بَيْدِهِ، وَمَغِيرُ بِلْسَانِهِ، وَمَغِيرُ بَقْلِيهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ». (٢)

وثبت في «صحيح البخاري» من حديث شعبة، عن فُرات القزّاز، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «هُوا بِيَعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». (٣)

وفى «صحيح مسلم» من حديث أبي رافع، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَ نَبِيٌّ إِلَّا كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنْتُونَ بِسُنَّتِهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَعْمَلُونَ مَا يَنْكَرُونَ». (٤)

وثبت في «الصحيحين» من رواية عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». (٥)

ورواه أبو داود من طريق أخرى، عن جابر بن سمرة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) ضعيف: رواه الطيالسي (٢٢٨)، والبخاري (١٢٨٣)، وأبو يعلى (٨٧٣)، والطبراني (٩١/٥٣/٢٠) من طريق الليث وهو ضعيف، بهذا الإسناد، وفيه انقطاع أو إرسال أيضاً.

(٢) إسناده حسن: رواه البيهقي في «الدلائل» (٣٤٠/٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من طريق شعبة، به.

(٤) أخرجه مسلم (٥٠)، وأحمد (٤٥٨/١)، وابن منده في «الإيمان» (١٨٣)، وأبو عوانة (٣٦/١)، وابن حبان (٦١٩٣) عن أبي رافع، به.

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٢٢) (٧٢٢٣)، ومسلم (١٨٢١)، وأحمد (٩٣/٥)، وغيرهم عن عبد الملك بن عمير، به.

«لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً». وفي رواية: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُسْتَقِيمًا أَمْرُهَا ظَاهِرَةً عَلَى عَدُوِّهَا حَتَّى يَمُضِيَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». قالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «يَكُونُ الْهَرَجُ»^(١).

فهؤلاء الخلفاء المبشرون بهم في هذا الحديث ليسوا بالاثني عشر الذين تزعمهم الروافض، فإن ذلك كذب وبهتان منهم، لأن أكثر أولئك لم يل أحد منهم شيئاً من أعمال هذه الأمة في خلافة، بل ولا في بلد من البلدان، وإنما ولي منهم عليّ وابنه الحسن، وليس المراد من هؤلاء الاثني عشر الذين تتابعت ولايتهم سرّاً إلى أثناء دولة بني أمية، لأن حديث سفيينة: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»^(٢). يمنع من هذا المسلك، وإن كان البيهقي قد رجحه، وقد بحثنا معه في كتاب (دلائل النبوة) من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته، والله الحمد، ولكن هؤلاء الأئمة الاثني عشر وجد منهم الأئمة الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، وابنه الحسن بن عليّ أيضاً، ومنهم عمر بن عبد العزيز، كما هو عند كثير من الأئمة، وجمهور الأمة، وكذلك وجد منهم طائفة من بني العباس، وسيوجد بقيتهم فيما يستقبل من الزمان حتى يكون منهم المهدي المبشرون به في الأحاديث الواردة فيه، كما سيأتي بيانها، وبالله المستعان، وعليه التكلان، وقد نصّ على هذا الذي قلناه غير واحد، كما قرّرنا ذلك.

حديث عبادة فيما يتعلق بما بعد المائة سنة: قال أحمد: ثنا الحكم بن نافع، ثنا إسماعيل بن عياش، عن يزيد بن سعيد، عن أبي عطاء يزيد بن عطاء السكسكي، عن معاذ بن شقراء، عن جنادة بن أبي أمية، أنه سمع عبادة بن الصامت يذكر أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما مدة أمتك في الرخاء؟ فلم يردّ عليه شيئاً، حتى سأله ثلاث مرار، كل ذلك لا يجيبه، ثم انصرف الرجل ثم إن النبي ﷺ قال: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فردوه عليه، فقال: «سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرِّخَاءِ مِائَةٌ سَنَةً». قالها مرتين أو ثلاثاً، فقال الرجل: يا رسول الله، فهل لذلك من أمانة أو علامة أو آية؟ فقال: «نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِبَةِ عَلَى النَّاسِ»^(٣).

وفي «مسند أبي يعلى» والبخاري من حديث مصعب بن مصعب، ولا أعرفه إلا عن الزهري، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرْفَعُ زِينَةُ الدُّنْيَا سَنَةً خَمْسَ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً». هذا حديث غريب جداً^(٤).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٩٢/٥)، وأبو داود (٤٢٨١)، وابن حبان (٦٦٦١)، والطبراني (٢٠٥٩) من طريق الأسود ابن سعيد عن جابر، وسنده حسن. ورواه أحمد (٩٣/٥)، ومسلم (١٨٢١)، وأبو داود (٤٢٨٠)، والطبراني (١٧٩٣) من طريق الشعبي عن جابر. ورواه أحمد (٩٩/٥)، والترمذي (٢٢٢٣)، والطبراني (٢٠٧٠) من طرق أخرى.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (٣٢٥/٥)، ومعاذ بن سعد السكسكي مجهول. وأخرجه الطبراني في «الشاميين» (٢٥٥٥)، والبخاري في «تاريخه الكبير» (٣٣٨/٨)، والحاكم (٤١٨/٤)، من طريق يزيد بن سعيد، بهذا الإسناد.

(٤) إسناده ضعيف: وهو في «مسند أبي يعلى» (٨٥١)، وأخرجه البخاري (١٠٢٧) «البحر»، من طريق ابن أبي فديك بهذا الإسناد. وقال ابن عدي (١٩٤٥/٥): عبد الملك بن زيد منكر الحديث.

حديث فيما بعد المائتين من الهجرة

قال ابن ماجه: حدثنا الحسن بن علي الخلال، حدثنا عون بن عمار، حدثني عبد الله بن المثنى ابن ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك، عن أبيه، عن جدّه، عن أنس، عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «الآياتُ بعدَ المائتين»^(١)، ثم أوردّه ابنُ ماجه من وجهين آخرين عن أنس، عن النبي ﷺ بنحوه. ولا يصح، ولو صح فهو محمول على ما وقع من الفتنة بسبب القول بخلق القرآن، ومحنة الإمام أحمد وأصحابه من أئمة الحديث، كما بسطنا ذلك هنالك.

وروى رواد بن الجراح -وهو منكر الرواية- عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة مرفوعاً: «خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ خَفِيفُ الْحَاذِ» قالوا: وما خفيف الحاذ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ لَا أَهْلَ لَهُ، وَلَا مَالٍ وَلَا وَلَدٍ» وهذا منكر^(٢).

وثبت في «الصحيحين» من حديث شعبة، عن أبي جمرّة، عن زهّد بن مُضَرَّب، عن عمران ابن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قال عمران: فلا أدرى ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة: «ثُمَّ إِنْ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يَسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدَرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ». لفظ البخاري^(٣).

ذكر سنة خمسمائة

قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رِيحِهَا أَنْ يُؤْخَرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ». قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة. تفرد به أبو داود^(٤).

وأخرج أحمد بن حنبل، عن أبي ثعلبة الخشني من قوله مثل ذلك. وهذا التحديد بهذه المدة لا ينفي ما يزيد عليها، إن صح رفع الحديث، والله أعلم.

فأمّا ما يورده كثير من العامة من أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْلَفُ تَحْتَ الْأَرْضِ». فهو من قولهم وكلامهم، وليس له أصل ولا ذكر في كتب الحديث المعتمدة، ولا سمعناه في شيء من المبسوطات، والأجزاء المختصرات، ولا ثبت في حديث عن رسول الله ﷺ أنه حدّد الساعة بمدة محصورة، وإنما ذكر شيئاً من أشراتها وأماراتها وعلاماتها، على ما سنذكره إن شاء الله.

(١) موضوع: أخرجه ابن ماجه (٤٠٥٧)، وراجع «الضعيفة» (١٩٦٦).

(٢) منكر: أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب» (٤٣٦٥)، وابن عدى (١٧٦/٣)، وابن المقرئ في «المعجم» (١١٢٤)، وابن الأعرابي في «المعجم» (١٨٣٠)، وأبو سليمان الخطابي في «العزلة» (٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٣٥٠)، والخطيب في «تاريخه» (١٩٨/٦) (٢٢٥/١١)، وفي «الجامع لأدب الشيخ» (٦٢)، وابن الجوزي في «العلل» (١٠٥١) (١٠٥٢) وقال: لا يصح.

(٣) أخرجه أحمد (٤٢٨-٤٣٦)، والبخاري (٢٦٥١) (٣٦٥٠) (٦٤٢٨) (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥)، والنسائي (١٧/٧)، وغيرهم من طريق شعبة بهذا الإسناد، وله طرق أخرى.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٣٥٠) وفيه انقطاع. لكن رواه أحمد (١٤٦٤)، والحاكم (٤٢٤/٤)، وقال: على شرطهما وتعقبه الذهبي فضعفه. لكن له شواهد يتحسن به. راجع «الصحيحة» (١٦٤٣).

ذكر الخبر الوارد في ظهور نار من أرض الحجاز أضاعت لها أعناق الإبل

ببصرى من أرض الشام وذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة

قال البخارى: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهرى قال: قال سعيد بن المسيب أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» (١).

ورواه مسلم من حديث الليث، عن عُقَيْلٍ، عن ابن شهاب، به (٢).

وقد رواه أبو نعيم الأصبهاني -ومن خطه نقلت- من طريق أبي عاصم النبيل، عن عبد الحميد بن جعفر، عن عيسى بن علي الأنصاري، عن رافع بن بشر السلمى، عن أبيه، قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ نَارٌ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى، تَسِيرُ سَيْرَ بَطِيئَةِ الْإِبِلِ، تَسِيرُ النَّهَارَ وَتَقِيمُ اللَّيْلَ، تَغْدُو وَتَرُوحُ، فَيَقَالُ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ غَدَتِ النَّارُ فَاعْدُوا. أَوْ: قَالَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَاقْبِلُوا. غَدَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا. مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ». هكذا رواه أبو نعيم.

وهو في «مسند أحمد» من رواية رافع بن بشر السلمى، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ بدون هذه الزيادة إلى: «تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» (٣) وهو الصواب، فإن هذه النار التي ذكر أبو نعيم هي النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر، كما سيأتي بيان ذلك قريباً.

وقال الإمام أحمد: ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، سمعت الأعمش يحدث عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن حبيب بن حماز، عن أبي ذر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا ذا الحليفة فتعجلت رجال منا إلى المدينة، وبات رسول الله، فلما أصبح سأل عنهم، فقيل: تعجلوا إلى المدينة. فقال: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ، أَمَّا إِنَّهُمْ سَيَدْعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ». ثم قال: «لَيْتَ شِعْرِي، مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ الْوَرَّاقِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِرُوكَا بِبُصْرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ» (٤) وهذا الإسناد لا بأس به، وكأنه مما اشتبه على بعض الرواة، فإن النار التي تخرج من قعر عدن من اليمن، هي التي تسوق الناس الموجودين في آخر الزمان إلى المحشر، وأما النار التي تضيء لها أعناق الإبل، فتلك تخرج من أرض المدينة النبوية، كما تقدّم بيان ذلك.

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة -وكان شيخ المحدثين في زمانه، وأستاذ المؤرخين في أوانه- أن في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة منها ظهرت نار بأرض الحجاز في أرض المدينة النبوية، في بعض تلك الأودية، طول أربعة فراسخ وعرض أربعة

(١) هو في «الصحيح» (٧١١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٠٢).

(٣) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (٤٤٣/٣)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد» (١٤١٤)، وأبو يعلى (٩٣٤)، وابن حبان (٦٨٤٠)، والحاكم (٤٤٢/٤-٤٤٣)، من طريق عثمان بن عمر، بهذا الإسناد.

وقال الذهبي في «التلخيص» (١٣١/٢): رافع مجهول وأبوه مختلف في صحبته.

(٤) إسناده ضعيف: أحمد (١٤٤/٥) وإسناده ضعيف، لجهالة حبيب بن حماز. وأخرجه البزار (٤٣٠)، وابن حبان (٦٨٤١)، من طريق وهب بن جرير، بهذا الإسناد. وللحديث شواهد لبعضه يتقوى بها بلفظ مقارب.

أميال، تسيل الصخر، حتى يبقى مثل الآتك^(١)، ثم يصير مثل الفحم الأسود، وأن الناس كانوا يسرون على ضوءها بالليل إلى تيماء، وأنها استمرت شهراً، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعاراً، وقد ذكرناها فيما تقدم. وأخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم الحنفى قاضيهم بدمشق عن والده الشيخ صفى الدين مدرس الحنفية ببصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب بصيحة تلك الليلة ممن كان بحاضرة بلد بصرى أنهم شاهدوا أعناق الإبل فى ضوء هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز، وقد تقدم بسط ذلك سنة أربع وخمسين وستمئة بما فيه كفاية عن إعادته هنا. (٢)

ذكر أخباره ﷺ بالقيوب المستقبلة بعد زماننا هذا

قال الإمام أحمد^(٣): حدثنا أبو عاصم، حدثنا عزة بن ثابت، حدثنا علياً بن أحمر الشكري، حدثنا أبو زيد الأنصارى قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى الظهر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلّى العصر، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غابت الشمس، فحدثنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا».

وقد رواه مسلم منفرداً به فى «كتاب الفتن» من «صحيحه» عن يعقوب بن إبراهيم الدورقى، وحجاج بن الشاعر عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن عزة عن علباء عن أبى زيد وهو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصارى به.

وقال البخارى فى (كتاب بدء الخلق) من «صحيحه»: روى عن عيسى بن موسى غنجار، عن رقية، عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قام فىنا رسول الله ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. (٤) هكذا ذكره البخارى معلقاً بصيغة التمرىض عن عيسى غنجار، عن رقية - وهو ابن مصقلة - قال أبو مسعود الدمشقى فى «الأطراف»: وإنما رواه عيسى غنجار عن أبى حمزة عن رقية. فالله أعلم.

وقال أبو داود فى أول «كتاب الفتن» من «سننه»: حدثنا عثمان بن أبى شيبه، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبى وائل، عن حذيفة قال: قام فىنا رسول الله ﷺ قائماً، فما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه. (٥) وهكذا رواه البخارى من حديث سفيان الثورى، ومسلم من حديث جرير كلاهما عن الأعمش به.

(١) الآتك: الرصاص المذاب.

(٢) انظر «الدلائل» للمؤلف - وقد سبق.

(٣) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٣٤١/٥)، ومسلم (٢٨٩٢)، وأبو يعلى (٦٨٤٥)، وابن حبان (٦٦٣٨)، والطبرانى (٤٦/١٧)، والحاكم (٤٨٧/٤) من طريق الضحاك بن مخلد، به.

(٤) «الصحيح» (٣١٩٢) بصيغة تمريض، وفيه انقطاع - راجع «الفتح» (٢٢٢/٦).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٤٠) وسنده صحيح. وأخرجه البخارى (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١)، وأحمد (٣٨٥/٥)، من طريق سفيان الثورى عن الأعمش، به. وله طرق أخرى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم بنهار، ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس، فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثناه، حفظ ذلك من حفظ، ونسى ذلك من نسي، فكان مما قال: «يا أيها الناس، إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء» وذكر تمامها إلى أن قال: «وقد دنت الشمس أن تغرب وإن ما بقي من الدنيا فيما مضى مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه» (١).

علي بن زيد بن جُدعان التيمي له غرائب ومنكرات، ولكن لهذا الحديث شواهد من وجوه آخر (٢). وفي «صحيح مسلم» (٣)، من طريق أبي نضرة، عن أبي سعيد بعضه، وفيه الدلالة على ما هو المقطوع به، أن ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جداً، ومع هذا لا يعلم مقدار ما بقي على التعيين والتحديد إلا الله تعالى.

كما لا يعلم مقدار ما مضى منها إلا الله عز وجل. والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومئين من السنين قد نص غير واحد من العلماء على تخطئهم فيه، وتغليطهم، وهم جديرون بذلك حقيقون به.

وقد ورد في حديث: «الدنيا جمعة من جمع الآخرة» (٤). ولا يصح إسناده. وكذا كل حديث ورد فيه تحديد بوقت: يوم القيامة على التعيين، لا يثبت إسناده، وقد قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٥) فيم أنت من ذكرها (٦) إلى ربك منتهاها ﴿إلى قوله: ﴿أَوْ ضَحَاها﴾ (النازعات: ٤٢-٤٦). وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، والآيات في هذا والأحاديث كثيرة، وقال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١).

وثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (٥). وفي رواية: «إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقَنِي» (٦) وهذا يدل على اقترابها بالنسبة إلى ما مضى من الدنيا، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ١). وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١). وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ (الشورى: ١٨).

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٦١/٣) على بن زيد ضعيف، وله طرق كثيرة كلها من طريقه.

(٢) صحيح: البخاري (٢١٠٨) (٢٢١٤)، ومسلم (١٥٣٢)، والترمذي (٢١٩١)، وابن ماجه (٤٠٠٠).

(٣) «صحيح مسلم» (١٧٣٨).

(٤) باطل: راجع «اللائي» (٤٤٣/٢)، و«الضعيفة» (٣٦١١).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٧٩٦)، والحميدي (٩٢٥)، والبخاري (٤٩٣٦) (٥٣٠١) (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠)، وأبو يعلى (٧٥٢٣) من حديث سهل بن سعد، وفي الباب حديث أبي هريرة، وأبي جحيفة، وجابر، وبريدة.

(٦) حسن: وهذه الزيادة وردت في حديث بريدة، أخرجه أحمد (٢٢٩٤٧)، وسنده حسن في الشواهد. وأخرجه أحمد (٢٠٨٧٠)، والطبراني (١٨٤٤) (١٨٤٧) من حديث جابر بن سمرة. وإسناده حسن.

وفى الصحيح أن رجلاً من الأعراب سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: «إِنَّهَا كَأَنَّهَا، فَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَعِدْ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَلَا عَمَلٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ» (١) فَمَا فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

وفى بعض الأحاديث أنه ﷺ سئل عن الساعة، فنظر إلى غلام فقال: «لَنْ يُدْرِكَ هَذَا الْهَرَمَ حَتَّى تَأْتِيَكُمْ سَاعَتُكُمْ» (٢) والمراد: انْخِرَامُ قَرْنِهِمْ، ودخولهم في عالم الآخرة، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي حَكَمِ الْآخِرَةِ، وبعض الناس يقول: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ (٣). وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح، وقد يقول هذا بعض الملاحدة، ويشيرون به إلى شيء من الزندقة والباطل. فأما الساعة العظمى وهو اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته. كما ثبت في الصحيح: «خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ (لقمان: ٣٤). (٤)

وقد سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام فأخبره به، ثم سأل عن الإيمان فأخبره به، ثم سأل عن الإحسان فأخبره به، فلما سأل عن الساعة قال له: «مَا الْمُسْتَوَلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» (٥). قال: فأخبرني عن أشراطها. فأخبره عن ذلك. كما سيأتي إيراد بسنده ومتمه، مع أمثاله وأشكاله من الأحاديث.

باب ذكر الفتن جملة ثم نفضل ذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى

إشارة نبوية إلى تعاقب الخير والشر

قال البخارى: حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي، حدثني أبو إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفریق كلها، ولو أن بعض باصل شجرة، حتى

(١) رواه أحمد (١٢٧٦٢) (١٣١٥٧)، والبخارى (٦١٧١)، ومسلم (١٦٣٩)، وأبو يعلى (٣٦٣١)، عن أنس وله طرق كثيرة.

(٢) أخرجه أحمد (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢) عن عائشة مرفوعاً. وله شاهد من حديث أنس عند البخارى (٦١٦٧)، ومسلم (٢٩٥٣).

(٣) جاء مرفوعاً ولكن لا يصح - انظر «تخريج الإحياء» (٥٦/٤)، و«كشف الخفاء» (٢٦١٨)، و«الضعيفة» للآلباني (١١٦٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣٥٣/٤)، والبخارى (١٠٣٩) (٤٦٢٧) (٤٦٩٧) (٤٧٧٨)، وابن حبان (٧٠) (٧١)، وأحمد (٤٧٦٦)، وآخر عند البخارى (٥٠) (٤٧٧٧)، ومسلم (١٠) (٧) عن أبي هريرة.

(٥) سيأتي بالفاظه وطرقه إن شاء الله.

يَدْرِكُكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١). ثم رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضاً وَمُسْلِمٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، عَنِ الْوَلِيدِ ابْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ بِهِ نَحْوُهُ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرَقٍ كَثِيرَةٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، فَرَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقِ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ الْيَشْكُرِيُّ الْكُوفِيُّ، عَنْهُ مَبْسُوطٌ، وَفِيهِ تَفْسِيرٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مُشْكِلٍ، وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْطٍ، عَنْهُ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: تَعَلَّمَ أَصْحَابِي الْخَيْرَ، وَتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ.

وُثِّبَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ.. قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»^(٢). وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةٍ عَنْ أَنَسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ^(٣).

وَقَالَ أَحْمَدُ: ثَنَا هَارُونَ بْنُ مَعْرُوفٍ، أَنبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، أَنَّ أَبَا حَازِمٍ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ لَسْعَدٍ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ، إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لِيَأْرِزَنَّ الْإِيمَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»^(٤).

وَقَالَ أَحْمَدُ، ثَنَا حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى، ثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، ثَنَا جَمِيلُ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا يَدْرِكُنِي زَمَانٌ - أَوْ قَالَ: لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا - لَا يَتَّبِعُ فِيهِ الْعِلْمُ وَلَا يُسْتَحْيَا فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ، وَالسِّنَّةُ الْعَرَبِيَّةُ تَفْرَدُ بِهِ أَحْمَدُ»^(٥).

باب افتراق الأمم

وَقَالَ ابْنُ مَاجَةٍ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»^(٦). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ وَهَبِ بْنِ بَقِيْعَةَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، بِهِ.

(١) هُوَ فِي «الصَّحِيحِ» (٣٦٠٦) (٣٦٠٧) (٧٠٨٤)، وَ«صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٨٤٧).

(٢) صَحِيحٌ: دُونَ قَوْلِهِ: «النُّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ». وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٧٨٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٢٩)، وَابْنُ مَاجَةٍ (٣٩٨٨)، وَالدَّارِمِيُّ (٣١١/٢)، وَالطَّحَاوِيُّ «مُشْكِلٌ» (٢٩٧/١)، وَالطَّبْرَانِيُّ (١٠٠٨)، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِوٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ (١٤٦) وَغَيْرِهِ.

(٣) رَاجِعِ الْحَدِيثِ السَّابِقِ.

(٤) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ: هُوَ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٨٤/١)، وَأَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى (٧٥٦)، وَابْنُ الْبَزَّازِ (١١١٩)، وَابْنُ مَنْدَةَ فِي «الْإِيمَانِ» (٤٢٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهَبٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَابْنُ... عَدَّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ جَهَالَةٌ فَلَيْسَ بِهَا تَضَرُّ كَمَا وَضَحْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ. وَلَهُ شَاهِدٌ بِنَحْوِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَمْرِوٍ وَغَيْرِهِمْ.

(٥) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ: هُوَ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٤٠/٥)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لَجَهَالَةِ جَمِيلِ الْأَسْلَمِيِّ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «فَتْوحِ مِصْرٍ» (ص ٢٧٥-٢٧٦) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهِيْعَةَ، بِهِ.

(٦) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةٍ (٣٩٩١) بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (٦٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٥٩٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٤٠)، وَأَبُو يَعْلَى (٥٩١) (٥٩٧٨)، وَابْنُ حِبَّانَ (٦٢٤٧) (٦٧٣١)، وَالْحَاكِمُ (١٢٨/١)، مِنْ طَرِيقِ آخَرٍ. وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وقال ابن ماجه: حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، حدثنا عباد بن يوسف، حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة»^(١). تفرد به، وإسناده لا بأس به.

وقال ابن ماجه أيضاً: حدثنا هشام، هو ابن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو عمرو، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»^(٢). وهذا إسناده قوى على شرط الصحيح، تفرد به ابن ماجه أيضاً.

وقد روى أبو داود، من حديث الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس وأبي سعيد، قالوا: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، وقوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل». الحديث^(٣).

وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى بن فارس، قالوا: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، هو ابن عمرو، حدثنا أزهر، هو ابن عبد الله الحرّازي (قال أحمد: عن أبي عامر الهوزني)^(٤)، عن معاوية بن أبي سفيان، أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة». تفرد به أبو داود، وإسناده حسن^(٥). وفي «مستدرك الحاكم» أن الصحابة لما سألوه عن الفرقة الناجية: من هم؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٦).

وقال الإمام أحمد: ثنا يحيى بن إسحاق، ثنا ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن سهل ابن سعد الأنصاري، عن رسول الله ﷺ، قال: «والذي نفسي بيده، لتركبن سنن من كان قبلكم مثلاً بمثل» تفرد به أحمد من هذا الوجه^(٧).

(١) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) بهذا الإسناد، وأخرجه ابن أبي عاصم (٦٣)، والطبراني (٩١/١٨)، (١٢٩)، واللالكائي (١٤٩) بسند جيد. وراجع «الصحيحة» (١٤٩٢).

(٢) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (٣٩٩٣) بهذا الإسناد، وأخرجه أحمد (١٢٠/٣)، وابن أبي عاصم (٦٤)، والمروزي في «السنة» (٥٣)، واللالكائي (١٤٨)، وأبو يعلى (٤١٢٧) من طرق. وله شواهد يصح بها.

(٣) وله زيادة راجعها في «سنن أبي داود» (٤٧٦٥)، وأبو يعلى (٣١/٧)، وأحمد (٢٢٤/٣)، والبيهقي (١٧١/٨)، من طرق عن أنس، وهو صحيح راجع «صحيح الجامع» (٣٦٦٨).

(٤) ما بين القوسين ليس في «سنن أبي داود» وإنما في «المسند» وقد أضافها المصنف للبيان.

(٥) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (١٠٢/٤)، وابن أبي عاصم (٢)، والدارمي (٢٤١/٢)، والطبراني (٨٨٤/١٩)، والآجزي في «الغريب» (٢٩)، والمروزي في «السنة» (ص ١٥) وإسناده حسن.

(٦) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والآجزي في «الشرعية» (٢٤)، والحاكم (١٢٨/١-١٢٩)، واللالكائي (١٤٦) بسند ضعيف.

(٧) إسناده ضعيف: أحمد (٣٤٠/٥) وإسناده فيه ابن لهيعة وهو ضعيف. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠١٧)، من طريق عثمان ويحيى بن بكير عن ابن لهيعة بهذا الإسناد - بنحوه. والحديث صحيح بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» من رواية أبي سعيد وغيره.

وقد تقدم في حديث حذيفة أن المخلص من الفتن عند وقوعها اتباع الجماعة ولزوم الإمام بالطاعة، إذا كانوا على حق واتباع الشرع، وإذا فسدوا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإنما الطاعة في المعروف. قال أبو بكر الصديق: أطيعوني ما أطعت الله عز وجل، فإذا خالفت فلا طاعة لي عليكم.

وقد قال ابن ماجه: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معان بن رفاعة السلمي، حدثنا أبو خلف الأعمى، أنه سمع أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم»^(١). ولكن هذا حديث ضعيف، لأن معان بن رفاعة السلمي قد ضعفه غير واحد من الأئمة. وفي بعض الروايات: «عليكم بالسواد الأعظم، الحق وأهله»^(٢).

وقد كان الإمام أحمد يقول: السواد الأعظم محمد بن أسلم الطوسي. وقد كان أهل الحق في الصدر الأول هم أكثر الأمة، فكان لا يوجد فيهم مبتدع لا في الأقوال ولا الأفعال، وفي الأعصار المتأخرة فقد يجتمع الجمل الغفير على بدعة، وقد يخلو الحق في بعض الأزمان المتأخرة عن عصاة يقومون به. كما قال في حديث حذيفة: فلن لم يكن لهم إمام ولا جماعة قال له: «فاعتزل تلك الفرق كلها، وتوأن تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك»^(٣). وتقدم الحديث الصحيح: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»^(٤). وسيأتي في الحديث: «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله»^(٥).

والمقصود: أنه إذا ظهرت الفتن، فإنه يسوغ اعتزال الناس حينئذ، كما ثبت عن النبي ﷺ: «إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليكم بخويصة نفسيك، ودع أمر العوام»^(٦). وفي رواية: «إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة فعليكم بخاصة نفسيك، فإن من بعدكم زمان الصبر، صبر فيهن كقبض على الجمر»^(٧). وقد اعتزل جماعة من السلف الناس والجمعة والجماعة وهم أئمة كبار، كآبي ذر وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وسلمة بن الأكوع في جماعة من الصحابة، حتى اعتزلوا مسجد النبي ﷺ الذي الصلاة فيه بألف صلاة. واعتزل مالك الجمعة والجماعة في مسجد النبي ﷺ مع معرفته الحديث في فضل الصلاة فيه، فكان لا يشهد جمعة ولا جماعة، وكان إذا ليم في ذلك يقول: ما كل ما يعلم يقال. وقصته معروفة، وكذلك اعتزل سفيان الثوري وخلق من التابعين وتابعيهم، لما شاهدوه من الظلم والشرور والفتن، خوفاً على إيمانهم أن يسلب منهم.

(١) إسناده ضعيف جداً: أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠)، وإسناده ضعيف جداً، معان بن رفاعة: لين الحديث، وأبو خلف الأعمى كذاب.

(٢) هذه الزيادة وردت بالسند الماضي عند ابن أبي عاصم. وقد صحح الألباني حديث «يد الله على الجماعة» رواه ابن أبي عاصم (٨١)، وحديث: «إن الله قد أجاز أمتي من أن تجتمع على ضلالة» حسنه الألباني في «السنة» (٨٢)، من حديث كعب بن عاصم الأشعري راجع «الصحيح» (١٣٣١).

(٣) (٤٠٣) سبق تخريجهما.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٧)، وعنه عبد بن حميد (١٢٤٧)، وأحمد (١٢٦٦٠)، ومسلم (١٤٨)، وابن حبان (٦٨٤٨) عن أنس.

(٦) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (١٨٥٠)، والطبراني (٢٢/٢٢٠/٥٨٧)، راجع «ضعيف أبي داود» (٩٣٤).

(٧) انظر التخریج السابق.

وقد ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» وكذلك ابن أبي الدنيا قبله من هذا جانباً كبيراً.
وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي
صَعْصَعَةَ، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ
يَتَّبَعُ بِهَا شَعَفُ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعُ الْقَطَرِ، يَصْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ». (١) لم يخرج مسلم، وقد رواه أبو
داود، والنسائي، وابن ماجه، من طريق ابن أبي صَعْصَعَةَ به، ويجوز حينئذ سؤال الموت وطلبه
من الله عند ظهور الفتن والظلم وإن كان قد نهى عنه لغير ذلك كما صح به الحديث. (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس، عن أبي هريرة، عن
رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَتِمُّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ
بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنُ عَمْرَهُ إِلَّا خَيْرًا». (٣)

والدليل على جواز سؤال الموت عند الفتن، الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» عن معاذ بن
جبل، وهو حديث المنام الطويل، وفيه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ
الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرِبُنِي إِلَى حُبِّكَ». (٤)

وهذه الأحاديث المتقدمة دالة على أنه يأتي على الناس زمان شديد لا يكون فيه للمسلمين
جماعة قائمة بالحق، إما في جميع الأرض أو في بعضها.

وقد ثبت في «الصحيح» عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ
الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ، اتَّخَذَ
النَّاسُ رُؤُوساً جَهَالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». (٥)

وفي الحديث الآخر: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَدَلَهُمْ وَلَا مَنْ
خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». (٦) وفي «صحيح البخاري»: «وَهُمْ بِإِلْشَامٍ». (٧)

(١) هو في «الصحيح» (٧٠٨٨)، وأخرجه أحمد (١١٠٣٢)، والحميدي (٧٣٣)، وأبو يعلى (٩٨٣)، وابن حبان
(٥٩٥٥) من طريق سفيان، به. وللحديث طرق كثيرة.

(٢) انظر «صحيح البخاري» (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠) عن أنس.

(٣) «المسند» (٨٦٠٧) وإسناده ضعيف لأجل ابن لهيعة، والحديث صحيح دون قوله: «إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ» فهي
زيادة منكورة لتفرد ابن لهيعة بها.

وقد أخرجه عبد الرزاق (٢٠٦٣٦)، وأحمد (٨١١٥)، ومسلم (٢٦٨٢)، وابن حبان (٣٠١٥)، والبيهقي (٣٧٧/٣)،
وفي «الزهد» (٦٢٤) من طريق همام عن أبي هريرة، به.

(٤) إسناده ضعيف للاضطراب: كما بينته في الأصل. وقد أخرجه أحمد (٢٤٣/٥)، والترمذي (٣٢٣٥)، وفي
«العلل» (٨٩٥/٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٤٢/١). والأحاديث الدالة على جواز تمنى الموت عند وقوع الفتن
كثيرة وليس بينها وبين النهي تعارض والحمد لله.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٤٨١)، والحميدي (٥٨)، وأحمد (٦٥١١)، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي
(٢٦٥٢)، والنسائي «كبرى» (٥٩٠٧)، وابن ماجه (٥٢)، وابن حبان (٤٥٧١) (٦٧١٩)، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو.

(٦) هذا حديث متواتر جاء عن ثلاثة عشر صحابياً، وراجع «الصحيحة» (٢٧٠) (١٩٥٦).

(٧) «صحيح البخاري» (٣٦٤١) عن معاذ موقوفاً.

قال عبد الله بن المبارك وغير واحد من الأئمة: وهم أهل الحديث.
وقال أبو داود: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ شَرَّاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ الْمَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي عُلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا». تفرد به أبو داود. ثم قال: عبد الرحمن ابن شريح لم يجز به شراحيل. يعنى أنه موقوف عليه^(١)، وقد ادعى كل قوم فى إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر، والله أعلم، أنه يعم حملة العلم العاملين به من كل طائفة، ممن عمله مأخوذ عن الشارع، أو ممن هو موافق من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء، من مفسرين، ومحدثين، وقراء، وفقهاء، ونحاة، ولغويين، إلى غير ذلك من أصناف العلوم النافعة، والله أعلم.
قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبهة من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبهة من النصارى.

وقوله فى حديث عبد الله بن عمرو: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ»^(٢). ظاهر فى أن العلم لا ينتزع من صدور العلماء بعد أن وهبهم الله إياه.
وقد ورد فى الحديث الآخر الذى رواه ابن ماجه عن بُنْدَارٍ، ومحمد بن المُثَنَّى، عن غندر، عن شُعْبَةَ سَمِعَتْ قَتَادَةَ يَحْدِثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَلَا أَحَدَثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْدِثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُهُ مِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَرْفَعَ الْعِلْمَ، وَيُظْهِرَ الْجَهْلَ، وَيَقْشُرَ الزُّنَى، وَيَشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَيَبْقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لْخَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمٌ وَاحِدٌ»^(٣) وأخرجه فى «الصحيحين» من حديث غندر به.

وقال ابن ماجه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي وَوَكَيْعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامٌ، يَرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرَجُ»^(٤) والهَرَجُ القتلُ وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش، به.
وقال ابن ماجه^(٥): حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو معاوية، عن أبي مالك الأشجعى، عن ربِيعِ بنِ جرَّاش، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامَ كَمَا يَذْرُسُ

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، وأبو عمرو الداني فى «الفتن» (٣٦٤)، والحاكم (٥٢٢/٤)، والخطيب فى «تاريخه» (٦١/٢)، والهروى فى «ذم الكلام» (١١١/٦/ب)، وقال السخاوى فى «المقاصد» (ص ١٢٢): إسناده صحيح وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٥٩٩).

(٢) سبق تخريجه.
(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٥) بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (١٢٨٠٦) (١٣٨٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، وأبو يعلى (٣١٧٨) من طريق محمد بن جعفر، به. وأخرجه أحمد (١١٩٤٤) (١٣٠٩٥)، والبخارى (٨١)، والترمذى (٢٢٠٥) من طرق عن شعبة، به. وله طرق.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٥) بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (٣٨٤١)، والبخارى (٧٠٦٢)، ومسلم (٢٦٧٢)، والترمذى (٢٢٠٠)، وابن ماجه (٤٠٥١) من طرق.

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وإسناده صحيح، وراجع «الصحيحة» (٨٧)، و«صحيح الجامع» (٨٠٧٧).

وشئ الثوب، حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نُسك ولا صدقة، ويسرى على الكتاب في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه أية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها.. فقال له صلة: ما تغني عنهم: «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام، ولا نُسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار. ثلاثاً.

وهذا دال على أن العلم قد يرفع من صدور الرجال في آخر الزمان، حتى إن القرآن يسرى عليه فيرفع من المصاحف والصدور، ويبقى الناس بلا علم ولا قرآن، وإنما الشيخ الكبير والعجوز المسنة يخبران أنهم أدركوا الناس وهم يقولون: لا إله إلا الله. فهم يقولونها أيضاً على وجه التقرب بها إلى الله عز وجل، فهي نافعة لهم، وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح، والعلم النافع غيرها، وقوله: تنجيهم من النار. يحتمل أن يكون المراد أنها تدفع عنهم دخول النار بالكلية، ويكون فرضهم في ذلك الزمان القول المجرد عن العمل، لعدم تكليفهم بالأعمال، التي لم يخاطبوا بها، والله أعلم، ويحتمل أن يكون أراد نجاتهم من النار بعد دخولهم إليها، وأن لا إله إلا الله تكون سبب نجاتهم من العذاب الدائم المستمر. وعلى هذا يحتمل أن يكونوا من المرادين بقوله تعالى في الحديث: «وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله» (١) كما سيأتي بيانه في أحاديث الشفاعة، ويحتمل أن يكون أولئك قوماً آخرين والله أعلم.

والمقصود: أن العلم يرفع في آخر الزمان ويكثر الجهل، في رواية، وفي رواية: وينزل الجهل. أي يلهم أهل ذلك الزمان الجهل، وذلك من قهر الله عليهم، وخذلانه إياهم، نعوذ بالله من ذلك، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة، إلى منتهى الآجال، كما في الحديث الآخر: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله»، و«لا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس» (٢).

وفي الطبراني من حديث مطر بن يزيد، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لهذا الدين إقبالا وإدبارا، وإن من إقباليه أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يبقى فيها إلا الفاسق أو الفاسقان، فهما ذليلان فيها مضطهدان، إن تكلما قهرا وذلا واضطهدا، وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة بأسرها فلا يبقى فيها إلا الفقيه أو الفقهاء، فهما ذليلان مضطهدان، إن تكلما قهرا واضطهدا، ويلعن آخر هذه الأمة أولها، ألا وعليهم حلت اللعنة، حتى يشرب الخمر علانية، وحتى تمر المرأة بالقوم، فيقوم إليها بعضهم، فيرفع بذيلها كما يرفع بذنب النعجة، فيقول بعضهم: ألا وأريتها وراء حائط. فهو يومئذ فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم، ومن أمر يومئذ بمعروف، ونهى عن منكر، فله أجر خمسين ممن رأيته وأمن بي وأطاعني وبأيعني» (٣).

(١) سيأتي بسنده ولفظه في كتاب «الشفاعة».

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٧)، وعبد بن حميد (١٢٤٧)، وأحمد (١٢٦٦٠)، ومسلم (١٤٨)، وأبو عوانة (١٠١/١)، وابن حبان (٦٨٤٨).

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني (٧٨٠٧)، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد.

ذكر شروط تحدث في هذه الأمة في آخر الزمان وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضاً

قال ابن ماجه في (كتاب الفتن) من «سننه»، حدثنا محمود بن خالد الدمشقي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر، قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بَيْنَهُنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاغُوتُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَآخَذُوا بَعْضُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ» (١). تفرد به ابن ماجه، وفيه غرابة.

وقال الترمذی: حدثنا صالح بن عبد الله، حدثنا الفرج بن فضالة أبو فضالة الشامي، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن عمر بن علي بن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَعَلْتَ أَمْتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خِصْلَةً حَلَّ فِيهَا الْبَلَاءُ» قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَ الْمُغْنَمُ دَوْلًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرَذْلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشَرِبَتِ الْخُمُرُ، وَلَيْسَ الْحَرِيرُ، وَاتَّخَذَتِ الْقَبَائِلُ وَالْمَعَارِضُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيُرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا» (٢). ثم قال الترمذی: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أحداً روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن الفرج بن فضالة، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وقد روى عنه وكيع وغير واحد من الأئمة.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن الحسين القيسي، حدثنا يونس بن أرقم، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن، عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما صلى صلاته ناداه رجل: متى الساعة؟ فزيره رسول الله ﷺ وانتهره، وقال: «اسْكُتْ». حتى إذا أسفر رفع طرفه إلى السماء فقال: «تَبَارَكَ رَافِعُهَا وَمُدْبِرُهَا». ثم رمى بيصره إلى الأرض، فقال: «تَبَارَكَ دَاحِيهَا وَخَالِقُهَا». ثم قال: «أَيُّنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» فجثا الرجل على ركبتيه، فقال: أنا بأبي وأمي سألتك. فقال: «ذَلِكَ عِنْدَ حَيْفِ الْأُتَمَةِ، وَتَصْدِيقِ النُّجُومِ، وَتَكْذِيبِ الْقَدَرِ، وَحَتَّى تَتَّخِذَ الْأَمَانَةُ

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، راجع «الصحيحة» (١٠٦).

(٢) منكر: أخرجه الترمذی (٢٢١٠)، وأبو عمرو في «الفتن» (٣٢٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٠٧/٢)، والخطيب في «تاريخه» (١٥٨/٣)، وابن الجوزي في «العلل» (٣٦٦/٢)، وراجع «الضعيفة» (١١٧٠).

مَغْنَمًا، وَالصَّدَقَةُ مَغْرَمًا، وَالْفَاحِشَةُ زِيَادَةٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ هَلَكَ قَوْمُكَ». (١) ثم قال البزار: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ويونس بن أرقم كان صادقاً، روى عنه الناس وفيه شيعية شديدة.

ثم قال الترمذی: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ الْمُسْتَلِمِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ رُمَيْحِ الْجَذَامِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اتَّخَذَ النَّصِيُّ دَوْلًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَتَعَلَّمَ لَغِيرِ الدِّينِ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ أَمْرَاتِهِ، وَحَقَّ أَمُهُ، وَادْتَنَى صَدِيقُهُ، وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَظَهَرَتِ الْأَصْنَواتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَسَادَ الْقَبِيلَةُ فَاسَقَهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَ لَهِمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَظَهَرَتِ الْقَبِيلَاتُ وَالْمَعَاذِفُ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرًا، وَخَسْفًا، وَمَسْخًا، وَقَذْفًا، وَأَيَّاتٍ تَتَابَعُ، كَنِظَامٍ بِالرُّقْطِ سَلَكَهُ فَتَتَابَعُ». (٢) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

حَدَّثَنَا عِبَادُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُوفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ». فقال رجل من المسلمين: ومتى ذلك يا سول الله؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَبِيلَاتُ وَالْمَعَاذِفُ وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ» (٣). ثم قال: هذا حديث غريب، ورؤي هذا الحديث عن الأعمش، عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ مرسلًا.

وقال الترمذی: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حَبَابٍ، أَخْبَرَنِي مُوسَى ابْنُ عُيَيْبَةَ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطِيطَاءُ، وَخَدَمَهَا أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سَلَّطَ شَرَارُهَا عَلَى خِيَارِهَا». (٤) وهذا حديث غريب، وقد رواه أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله ابن عمر، فذكره، ولا نعرف له أصلاً.

وقد رواه مالك، عن يحيى بن سعيد، مرسلًا.

ثم روى من حديث صالح المري، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَمْرًاؤُكُمْ خِيَارُكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سَمَحَاءُكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهَرَ الْأَرْضُ خَيْرَ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أَمْرًاؤُكُمْ شَرَارُكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بَخْلَاءُكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرَ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا». (٥). ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري، وله غرائب لا يتابع عليها، وهو رجل صالح.

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من طريق مبارك بن حسان، عن عمر بن عاصم بن عبيد الله ابن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ، وَفَتَقَ شَأْنُكُمْ؟» قالوا:

(١) رواه البزار في «البحر» (٥٠٧)، وإسناده ضعيف.

(٢) الترمذی (٢٢١١)، وهو ضعيف «الضعيفة» (١٧٢٧).

(٣) حسن: رواه الترمذی (٢٢١٢)، والحديث حسن بطرقه وشواهد.

(٤) صحيح: الترمذی (٢٢٦١)، وإسناده ضعيف. وأخرجه جماعة ذكرتهم في الأصل وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٦).

(٥) أخرجه الترمذی (٢٢٦٦)، وضعفه الشيخ برقم (٣٩٣) في «الضعيف».

يا رسول الله، وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: «وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، لَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ». قالوا: وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: «وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، تَرَوْنَ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا». قالوا: وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: «وَأَشَدُّ مِنْهُ، تَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ». قالوا: وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: «وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ». ثم قال رسول الله ﷺ: «يُنْسِ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ، وَيُنْسِ الْقَوْمَ قَوْمٌ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، وَيُنْسِ الْقَوْمَ قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَمَاتِ وَالشَّهَوَاتِ بِالشُّبُهَاتِ، وَيُنْسِ الْقَوْمَ قَوْمٌ يَمْشِي الْمُؤْمِنُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ بِالتَّقْيَةِ وَالْكِتْمَانِ» (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا عباد بن عباد، عن مجالد بن سعيد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَضُرَّيْنِ مُضْرُعِيَادَ اللَّهِ حَتَّى لَا يَعْبُدَ اللَّهُ اسْمًا، وَلَيَضُرَّيْنَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى لَا يَمْنَعُوا ذَنْبَ ثَلَاثَةٍ» (٢). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ» (٣).

ورواه أبو داود والنسائي، وابن ماجه، من حديث حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرهمي، زاد أبو داود: وعن قتادة، كلاهما عن أنس، عن النبي ﷺ، به (٤). وسيأتي في ذكر أشراف الساعة حديث ابن مسعود وفيه: «وَتَزْخَرُفُ الْمُحَارِبُ وَتَحْرَبُ الْقُلُوبُ».

وقال الإمام أحمد (٥): حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شريك بن عبد الله، عن عثمان بن عُمَيْرٍ، عن زاذان أبي عُمَيْرٍ، عن عَلِيٍّ، قال: كُنَّا جُلُوسًا عَلَى سَطْحٍ، مَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قال يزيد: لا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَبْسًا الْغَفَارِيَّ - وَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ فِي الطَّاعُونَ، فَقَالَ عَبْسٌ: يَا طَاعُونَ، خَذْنِي. ثَلَاثًا يَقُولُهَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتِمَّنِي أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ، فَإِنَّهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَلَا يَرُدُّ فَيُسْتَعْتَبُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْدُرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةً السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشَّرْطِ، وَبَيْعَ الْحَكَمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالْأَمِّ، وَقَطْلِيعةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَخَذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يَقْدُمُونَهُ يُغْنِيهِمْ وَإِنْ كَانَ أَقْلَ مِنْهُمْ فَقَهًا». تفرد به أحمد (٦).

وفي رواية أبي مُعَلَّى عن الحكم بن عمرو مثله أو نحوه، كما ذكرنا في الزيادات على «مسند أحمد»، والله سبحانه أحمد.

وقد قال الطبراني: حدثنا ابن إسحاق التُّسْتَرِيُّ، حدثنا عبد الله بن معاوية الجُمَحِيُّ، حدثنا جميل بن عبيد الطائي، حدثنا أبو مُعَلَّى، قال: قال الحكم الغفاري: يا طاعون، خذني إليك.

(١) معضل: إسناده ضعيف.

(٢) أحمد (٨٦/٣) وإسناده ضعيف.

(٣) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (١٣٤/٣)، وأبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٣٢/٢)، وابن ماجه (٧٣٩)، وأبو يعلى (٢٧٩٨)، وابن خزيمة (١٣٢٢) (١٣٢٣)، وابن حبان (١٦١٤) من طريق حماد بن سلمة، به.

(٤) أي أن أبا داود قرن بأبي قلابة، قتادة بن دعامة. قلت: وقرن أيضًا ابن خزيمة والطبراني (٧٥٢).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٤٩٤/٣) وإسناده ضعيف لكن له طرق وشواهد يصح بها.

(٦) راجع التخریج السابق.

فقال له رجلٌ من القوم: لَمْ تَقُولْ هذا، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ»؟ فقال: قد سمعتُ ما سمعتم، ولكني أبادرُ ستاً: بيعَ الحكم، وكثرة الشرط، وإمارة الصبيان، وسفك الدماء، وقطيعة الرحم، ونشواً يكونون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير. (١)

وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ». قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْقَيْنَاتُ، وَاسْتَحْلَتِ الْخُمُرُ» (٢). له شاهدٌ في «صحيح البخاري» (٣) من حديث أبي مالك أو أبي عامر، كما جزم به البخاري. (٤)

وقال الإمام أحمد: ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا عبيد الله بن إباد بن لقيط، سمعت أبي يذكر عن حذيفة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة، فقال: «عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجْلِيهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ وَلَكِنْ أَخْبَرَكُمْ بِمَشَارِيطِهَا، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا، إِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا فَتَنًا وَهَرَجًا». قالوا: يا رسول الله، الفتنة عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال: «هُوَ بِلِسَانِ الْحَبِشَةِ الْقَتْلُ». قال: «وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُفُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَدًا». تفرد به أحمد. (٥)

وقال أحمد أيضاً: ثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان، حدثني السَّفَرُ بن نسير الأزدي وغيره، عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: يا رسول الله، إنا كنا في شرٍّ، فذهب الله بذلك الشرِّ، وجاء بخير على يدك، فهل بعد الخير من شرٍّ؟ قال: «نَعَمْ». قلت: ما هو؟ قال: «فَتَنَ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، تَأْتِيكُمْ مُشْتَبِهَةٌ كَوُجُوهِ الْبَقَرِ لَا تَدْرُونَ أَيَا مِنْ أَى». (٦)

وقال أحمد: ثنا سليمان، ثنا إسماعيل، حدثني عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشْهَلِيِّ، عن حذيفة، أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرُبُّ دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ». (٧)

وبه: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ». (٨)

وقال الطبراني: ثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَرِيُّ، ثنا عمرو بن هشام أبو أمية الحرَّاني، ثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن صدقة، عن زيد بن واقد، عن العلاء بن الحارث، عن حزام بن حكيم بن حزام،

(١) راجع التخریج السابق.

(٢) أخرجه في «الكبير» (٣٧/٣) رقم ٣١٦٢، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٥).

(٣) صحيح البخاري (٥٥٩٠).

(٤) كما جزم في «التاريخ الكبير» (٣٠٥/١).

(٥) هو في «المسند» (٣٨٩/٥) وإسناده فيه انقطاع، إباد بن لقيط لم يدرك حذيفة ولكن الحديث صحيح بشواهد الكثرة.

(٦) هو في «المسند» (٣٩١/٥) وإسناده ضعيف لضعف السَّفَرُ بن نسير الأزدي ولم يدرك حذيفة.

(٧) هو في «المسند» (٣٨٩/٥) وإسناده ضعيف، الأشْهَلِيُّ مجهول - قال يحيى بن معين: لا أعرفه. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣٩٢١٦)، والبعثي (٤١٥٤) من طريق إسماعيل بن جعفر، بهذا الإسناد.

(٨) «المسند» (٣٨٩/٥) وإسناده ضعيف لأجل الأشْهَلِيِّ، وأخرجه الترمذی (٢٢٠٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣٩٢/٦)، والبعثي (٤١٥٤) من طريق إسماعيل، به. ولكن للحديث شواهد يتقوى بها ويصح.

عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فَقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطْبَاؤُهُ، كَثِيرٌ مُعْطَوْهُ، قَلِيلٌ سَأَلُولُهُ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ قَلِيلٌ فَقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ خُطْبَاؤُهُ، كَثِيرٌ سَوَالُهُ، قَلِيلٌ مُعْطَوْهُ، الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ» (١).

وقال أحمد: ثنا حماد بن أسامة، أخبرني مسعر، عن عبد الملك، عن هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد قال: ذكر رسول الله ﷺ فتناً كقطع الليل المظلم، أراه قال: «فَيَذْهَبُ النَّاسُ أَسْرَعَ ذَهَابٍ». قال: فقيل: يا رسول الله، كلهم هالكٌ أو بعضهم؟ قال: «حَسْبُهُمْ - أَوْ يَحْسِبُهُمْ - الْقَتْلُ». تفرد به (٢).

وقال أحمد أيضاً: ثنا عبد الرحمن، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان، عن خالد بن عرفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا خَالِدُ، إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ» (٣).

وروى الطبراني من حديث ثابت بن عجلان، حدثني أبو كثير المحاربي، سمعتُ خَرَشَةَ المحاربي، قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقِظَانِ، وَالْجَالِسُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، إِلَّا فَمَنْ آتَتْ عَلَيْهِ فَلَيْمَشَ بِسَيْفِهِ إِلَى الصَّفَا فَلْيَضْرِبْ بِهِ حَتَّى يَنْكَسِرَ، ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ حَتَّى تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ» (٤). وذكر الحديث.

فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان

وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس هو بالمنتظر الذي تزعم الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له، ولا عين ولا أثر، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب وعمره خمس سنين، وأما ما سنذكره فقد نطق به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، وأنه يكون في آخر الزمان، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم، فإن هذا يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وهكذا عيسى ابن مريم، كما دلت على ذلك الأحاديث.

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج وأبو نعيم، قالا: حدثنا فطر، عن القاسم بن أبي بزة، عن

(١) في «الكبير» (٣/٢٢١/٣١١) وإسناده ضعيف من أجل عثمان بن عبد الرحمن وهو الطرائفي وهو منكر الحديث واتهمه بعضهم.

(٢) «المسند» (١/١٨٩) وإسناده حسن. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (١٤٩٢)، والطبراني (٣٤٩) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، به. وأخرجه أبو داود (٤٢٧٧) من طريق هلال بن يساف عن سعيد، به. وأخرجه النسائي (٨٢٠٦)، وابن أبي عاصم (١٤٩١)، من طريق سفيان عن منصور عن هلال عن فلان بن حيان عن عبد الله بن ظالم، به.

(٣) «المسند» (٥/٢٩٢) وإسناده ضعيف. علي بن زيد ضعيف. وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦/١٥)، والبخاري في «الكبير» (٢/١٣٨)، وابن أبي عاصم في «الأحاد» (٦٤٦)، والطبراني (٤٠٩٦)، والحاكم (٣/٢٨١-٥١٧/٤) من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

(٤) الطبراني في «الكبير» (٤/٢٥٨/٤١٨٠) وإسناده ضعيف لجهالة أبي كثير المحاربي، وتفرد به منكر، وأخرجه أحمد (١٠٦/٤)، وابن أبي عاصم في «الأحاد» (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١)، وأبو يعلى (٩٢٤) (٦٨٥٤) من طريق ثابت ابن عجلان، بهذا الإسناد. وللحديث شواهد يتقوى بها منها حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما.

أبى الطفيل، قال حجاج: سمعتُ علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ نَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِّنَّا يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا». قال أبو نعيم: «رَجُلًا مِّنِّي». وقال: سَمِعْتُهُ مَرَّةً يَذْكُرُهُ عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. ورواه أبو داود، عن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي نعيم الفضل بن دكين. (١)

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا فَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا يَاسِينَ الْعَجَلِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِمَّنْ أَهْلُ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ». (٢) ورواه ابن ماجه، عن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي داود الحفري، عن ياسين العجلي، وليس هذا ياسين بن معاذ الزيات، الزيات ضعيف، والعجلي أوثق منه.

وقال أبو داود: حَدَّثْتُ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَسَيُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يَسْمَى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ ﷺ يُشَبِّهُهُ فِي الْخُلُقِ، وَلَا يَشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ - ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ - يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا. (٣)

وقد عَقَّدَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، (كتاب المهدي) مفرداً في «سننه» فأورد في صدره حديث جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ». (٤) وفي رواية: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، قَالَ: فَكَبَّرَ النَّاسُ وَضَجُّوا ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً خَفِيَّةً، قُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». (٥) وفي رواية قال: فلما رجع إلى بيته أتته قريش، فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «ثُمَّ يَكُونُ الْهَرَجُ». (٦)

ثم روى أبو داود من حديث سفيان الثوري، وأبي بكر ابن عيَّاش، وزائدة، وفطر، ومحمد ابن عبيد، كلهم عن عاصم بن أبي النجود، وهو ابن بهدلة، عن زر بن حبیش، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ». قال زائدة: «لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ» ثم اتَّفَقُوا: «حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِّنِّي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي» زاد في حديث فطر: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا». وقال في حديث سفيان: «لَا تَذْهَبُ - أَوْ: لَا تَنْقُضِي - الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي». وهكذا

(١) حسن: أخرجه أحمد (٧٧٣) وإسناده حسن. وأخرجه ابن أبي شيبة (١٩٨/١٥)، وأبو داود (٤٢٨٣)، والبخاري (٤٩٣) من طريق فطر، به.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٨٤/١) بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (٣١٧/١)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، والدارقطني في «الفتن» (٥٧٩)، وابن عدي (٢٦٤٣/٧) وغيرهم. وحسنه الألباني «صحيح الجامع» (٦٦١١).

(٣) إسناده ضعيف: هو في «السنن» (٤٢٩٠)، وإسناده ضعيف لأكثر من علة.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٧٩)، وإسناده ضعيف. وأخرجه أحمد (٨٦/٥)، ومسلم (١٨٢٢)، والطبراني (١٨٠٣) (١٨٠٥) (١٨٠٧) من طريق أخرى.

وأخرجه أحمد (٩٨/٥)، والبخاري (١٢٢٢)، والطبراني (١٨٧٦) من طريق أخرى أيضاً، وله طرق. (٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٠) وإسناده صحيح. وأخرجه أحمد (٩٣/٥)، ومسلم (١٨٢١) وغيرهما.

(٦) ضعيف بهذه الزيادة. أخرجه أبو داود (٤٢٨١) وإسناده ضعيف، وأخرجه أحمد (٢٠٨٦٠)، والبخاري (٣٣٢٩)، وابن حبان (٦٦٦١)، والطبراني (٢٠٥٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٥٢٠/٦).

رواه أحمد، عن عمر بن عبد، وعن سفيان بن عيينة، ومن حديث سفيان الثوري، كلهم عن عاصم، به. ورواه الترمذي من حديث السفيانيين، به، وقال: حسن صحيح. (١) قال الترمذي: وفي الباب عن علي، وأبي سعيد، وأم سلمة، وأبي هريرة. (٢)

ثم قال الترمذي: حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي».

قال عاصم: وأخبرنا أبو صالح، عن أبي هريرة، قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِي». ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. (٣)

وقال أبو داود: حدثنا سهل بن تمام بن بزيع، حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلَأَتْ ظُلُمًا وَجَوْرًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ». (٤)

وقال أبو داود (٥): حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْمُهْدِيُّ مِنْ عَثْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ».

قال عبد الله بن جعفر: سمعت أبا المليح يثنى على علي بن نفيل، ويذكر عنه صلاحاً. ورواه بن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن أحمد بن عبد الملك، عن أبي المليح الرقي، عن زياد بن بيان به.

فأما الحديث الذي رواه ابن عساكر في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو المهدي بن المنصور، من طريق الدارقطني، ثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي، ثنا محمد بن الوليد القرشي، ثنا أسباط بن محمد الضبي، وصلة بن سليمان الواسطي، عن سليمان التيمي، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عثمان بن عفان، سمعت النبي ﷺ يقول: «الْمُهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ عَمِّي» فإنه حديث غريب، كما قال الدارقطني، تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم، قال: ولم يُكْتَبْ إِلَّا عَنْ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ. (٦)

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وأخرجه أحمد (٣٥٧٣) (٤٠٩٨)، والترمذي (٢٢٣٠)، وابن حبان (٦٨٢٤)، والطبراني (١٠٢١٨) وغيرهم.

(٢) حديث أبي سعيد. أخرجه أحمد (٣٦/٣)، وأبو يعلى (٩٨٧)، وابن حبان (٦٨٢٣)، والحاكم (٥٥٧/٤) بسند صحيح. حديث أم سلمة. أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٦)، وسيأتي. وفي الباب حديث ابن عباس، وقرّة بن إياس، وثوبان. وذكر الكتاني في «النظم» (ص ١٤٤) أحاديث المهدي من عشرين صحابياً وقال السخاوي: متواترة.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٣١)، وإسناده حسن.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٥) بهذا الإسناد. وإسناده ضعيف، لكن له طرق يصح بها وراجع «صحيح الجامع» (٦٧٣٦).

(٥) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٨٤) وإسناده حسن. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٨٦)، والداني في «الفتن» (٥٩٥) (٥٧٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٧٦/٢)، وابن عدى (١٠٥٣/٣)، والحاكم (٥٥٧/٤) وغيرهم. وله شواهد كثيرة. انظر «صحيح الجامع» (٦٧٣٤).

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٠٨/٥٦)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤٣١) وقال الألباني في «الضعيفة» (٨٠/١٠٨/١) موضوع.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحب له عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَيَخْرُجُونَهُ وَهُوَ كَارِهِ، فَيَبَايَعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْتُ مِنَ الشَّامِ، فَيُخَسَفُ بِهِمْ بِالْبِيدَاءِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيَبَايَعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَخَوَالُهُ كُلُّهُمْ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْتُ، فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْتُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بَسْئَةً نَبِيهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامَ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَلْبِثُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يَتَوَقَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ» (١).

وقال أبو داود: قال هارون، يعني ابن المغيرة، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن مطرف بن طريف، عن أبي الحسن، عن هلال بن عمرو سمعتُ علياً يقول: قال النبي ﷺ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ، يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ. حَرَاثٌ، عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مَنْصُورٌ. يُوْطِئُ - أَوْ: يُمْكِنُ - لَالٍ مُحَمَّدٍ، كَمَا مَكَتَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَبَتْ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نُصْرَتُهُ» أَوْ قَالَ: «إِجَابَتُهُ» (٢).

وقال ابن ماجه: حدثنا حرمله بن يحيى المصري، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، قالوا: حدثنا أبو صالح عبد الغفار بن داود الحراني، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي زرعة عن عمرو بن جابر الحضرمي، عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيُوْطِئُونَ لِلْمُهْدِيِّ» يعني سُلْطَانَهُ (٣).

وقال ابن ماجه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا علي بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالَ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ أَهْلُ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سَوْدٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيَقَاتِلُونَ فَيَنْصُرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوها إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلُؤُهَا قِسْطاً، كَمَا مَلَأُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبَوًا عَلَى التَّلَجِّ» (٤).

ففي هذا الحديث إشارة إلى ملك بني العباس، كما تقدم التنبيه على ذلك عند ذكر ابتداء دولتهم في سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وفيه دلالة على أن المهدي يكون بعد دولة بني العباس، وأنه يكون من أهل البيت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم من ولد الحسن، لا الحسين، كما تقدم في حديث علي بن أبي طالب، والله سبحانه أعلم.

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٢٨٦) وإسناده ضعيف، وراجع «الضعيفة» (١٩٦٥).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود عقب الحديث رقم (٤٢٩٠) وفيه انقطاع وضعف.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٨)، وضعفه الشيخ في «ضعيف ابن ماجه» (٨٨٩).

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٩/١)، وابن أبي عاصم (١٤٩٩)، وأبو يعلى (٥٠٨٤)، والداني في «الفتن» (٥٤٦) (٥٤٧)، وإسناده ضعيف.

وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن يحيى، وأحمد بن يوسف، قالا: حدثنا عبد الرزاق، عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْتُلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةَ كُلِّهِمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ. ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَايَاتُ السُّودُ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ». ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ، فَبَايَعُوهُ، وَكُونُوا حَبِوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»^(١).

تفرد به ابن ماجه، وإسناده قوى صحيح، والظاهر أن المراد بهذا الكنز المذكور كنز الكعبة، يقتلون عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى إذا كان في آخر الزمان خرج المهدي من بلاد المشرق، وقيل: من مكة. لا من سرداب سامراء، كما تزعمه الرافضة من أنه محبوس فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، وهذا من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا بيان.

وقال الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين بن سعد، عن يونس عن ابن شهاب الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتُ سُودٍ، فَلَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تَنْصَبُ بِبَيْلِيَاءَ»^(٢). هذا حديث غريب.

وهذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني، فاستلب بها دولة بنى أمية في سنة ثنتين وثلاثين ومائة، بل هي رايات سود أخرى تأتي صحبة المهدي، وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني، والله أعلم، يُصَلِّحُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، أَى: يَتُوبُ عَلَيْهِ، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك، ويؤيده بناس من أهل المشرق، ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سوداً أيضاً، وهو زى عليه الوقار، لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء، يقال لها: الْعُقَابُ. وقد ركزها خالد بن الوليد على الثنية التي هي شرقى دمشق، حين أقبل من العراق، فعرفت بها الثنية، فهي إلى الآن يقال لها: ثنية العقاب. وقد كانت عقاباً على الكفار، من نصارى الشام والروم والعرب والفرس، وأطدت حسن العاقبة لعباد الله الذين وعدهم الله أن يرثوا الأرض، من المهاجرين والأنصار، ولمن كان معهم وبعدهم إلى يوم الدين. وكذلك دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح إلى مكة وعلى رأسه المغفر وكان أسود^(٣)، وجاء في رواية: «أَنَّهُ كَانَ مُعْتَمًا بِعِمَامَةِ سُودَاءَ، فَوْقَ الْبَيْضَةِ»^(٤).

والمقصود: أن المهدي الموعود به يكون في آخر الزمان، ويكون أصل خروجه من ناحية المشرق، ثم يأتي مكة، فيبايع له عند البيت الحرام، كما ذكر ذلك في الحديث، وقد أفردت في ذكر المهدي جزءاً على حدة.

(١) صحيح: دون قوله: «خليفة الله» أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٢٦٩)، وقال: غريب. وهو ضعيف.

(٣) رواه البخاري (١٨٤٦) (٣٠٤٤) (٤٢٨٦) (٥٨٠٨)، ومسلم (١٣٥٧)، وأبو داود (٢٦٨٥)، والترمذي (١٦٩٣)، والنسائي (٢٠٠/٥)، وابن ماجه (٢٨٠٥)، وأحمد (١٢٠٦٨) عن مالك عن الزهري عن أنس، به.

(٤) رواه مسلم (١٣٥٨) عن جابر أن رسول الله ﷺ: «دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام». وروى مسلم (١٣٥٩) عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ: «خطب الناس وعليه عمامة سوداء».

وقال ابن ماجه: حدثنا نصر بن على الجهضمي، حدثنا محمد بن مروان العقيلي، حدثنا عمارة ابن أبي حفصة، عن زيد العمي، عن أبي صديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي، إن قُصر فسبَّحَ وإلا فتسبَّحَ تنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي الأرض أكلها، ولا تدخر منه شيئاً، والمال يؤمّن كدوس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني. فيقول: خذ» (٢).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت زيد العمي، سمعت أبا الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري، قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ فقال: «إن في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمساً أو سبعا أو تسعاً.. زيد الشاذل، قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين. - قال: «فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني، أعطني». قال: «فيحسب ثوبه ما استطاع أن يحمله» (٣). هذا حديث حسن، وقد روى من غير وجه، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو، ويقال: بكر بن قيس. وهذا يدل على أن أكثر مدته تسع سنين، وأقلها خمس أو سبع، ولعله هو الخليفة الذي يحثو المال حثياً ولا يعدّه عدداً، والله أعلم.

وفي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم ظاهر، والعدو ملوم مخذول داخر، والبلاد آمنة، والأمر والنهي قائم، والرزق دار دائم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا عباد بن عباد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد: قال: قلت: والله ما يأتي علينا أمير إلا وهو شر من الماضي، ولا عام إلا وهو شر من الماضي. قال: لولا شيء سمعته من رسول الله ﷺ لقلت مثل ما يقول: ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أمرائكم أميراً يحثو المال حثوا ولا يعدّه عدداً، يأتيه الرجل فيسأله، فيقول: خذ. فيبسط ثوبه، فيحثو فيه». وبسط رسول الله ﷺ ملحقه عليظة كانت عليه، يحكي صنع الرجل، ثم جمع إليه أكتافها، قال: «فيأخذها، ثم ينطلق» (٤). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال ابن ماجه: حدثنا هديّة بن عبد الوهاب، حدثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن علي بن زياد اليمامي، عن عكرمة بن عمار، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن، وكند عبد المطلب، سادة أهل الجنة، أنا وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي» (٥). قال شيخنا أبو الحجاج المزي: كذا وقع في «سنن ابن ماجه»، وحسن في إسناده علي بن زياد اليمامي، والصواب: عبد الله بن زياد السحيمي.

(١) ما بين القوسين ليس في ابن ماجه وإن كان المعنى صحيحاً حسب السياق وهي ثابتة في رواية أحمد وغيره.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٠٨٣) وحسنه الألباني.

(٣) ضعيف الإسناد كما سبق وليس بحسن فمداره على زيد العمي وهو ضعيف، وهو في «سنن الترمذي» (٢٢٣٢) كما سبق.

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٩٨/٣) بسند ضعيف لضعف مجالد بن سعيد. وقد روى مسلم (٢٩١٤) عن

أبي سعيد مرفوعاً: «يكون في آخر الزمان خليفة يعطي المال ولا يعدّه عدداً».

(٥) موضوع: رواه ابن ماجه (٤٠٨٧)، وقال الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٨٨٨): موضوع.

قلت: وكذا أورده البخاري في «التاريخ»، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، وهو رجل مجهول، وهذا الحديث منكر.

وفي «الطبراني» من حديث حسين بن علي، عن الأوزاعي، عن قيس بن جابر الصدقي، عن أبيه، عن جده مرفوعاً: «سَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ، ثُمَّ مَلُوكٌ، ثُمَّ أُمَرَاءُ، ثُمَّ جَبَابِرَةٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْراً، ثُمَّ يُؤَمِّرُ الْقُحْطَانِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا هُوَ بِدُونِهِ»^(١).

فأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في «سننه»: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، حدثني محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شَحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»^(٢). فإنه حديث مشهورٌ بمحمد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذن، شيخ الشافعي، وروى عنه غير واحد أيضاً، وليس هو بمجهول كما زعمه الحاكم، بل قد روى عن ابن معين أنه وثقه، ولكن من الرواة من حدث به عنه، عن أبان ابن أبي عيَّاش عن الحسن البصري مرسلاً، وذكر شيخنا في «التهذيب» عن بعضهم، أنه رأى الشافعي في المنام وهو يقول: كذب علي يونس بن عبد الأعلى الصدفي، ليس هذا من حديثي.

قلت: يونس بن عبد الأعلى من الثقات، لا يطعن فيه بمجرد منام، وهذا الحديث فيما يظهر في بادئ الرأي مخالفٌ للأحاديث التي أوردناها في إثبات مهدي غير عيسى ابن مريم، إما قبل نزوله وهو الأظهر، والله أعلم، وإما بعد نزوله، وعند التأمل يكون هذا الحديث لا يتألفها، ويكون المراد من ذلك أن المهدي حق المهدي هو عيسى ابن مريم، ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهدياً أيضاً.

ذكر أنواع من الفتن وقعت، وستكثر وتتفاقم في آخر الزمان

قال البخاري: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا ابن عيينة أنه سمع الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش، أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه، يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبِئْسَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدَرٍ اقْتَرَبَ! فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلَ هَذِهِ» -وعقد سفيان تسعين أو مائة- قيل: أَنَهْلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»^(٣).

وهكذا رواه مسلم، عن عمرو الناقد، عن سفيان بن عيينة، به. قال: وعقد سفيان بيده عشرة^(٤)، وكذلك رواه عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري. وقال: وحلَّقَ بإصبعه الإبهام، والتي تليها^(٥).

(١) الطبراني (٩٣٧/٣٧٤/٢٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٩٠/٥): فهم جماعة لم أعرفهم. قلت: إسناده لا يصح.
(٢) منكر: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٩)، وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥٥/١)، والداني في «الفتن» (٢١٧) (٥٨٩)، والحاكم (٤٤١/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦١/٩)، وابن الجوزي في «العلل» (٣٧٩/٢)، وإسناده فيه ضعف وانقطاع. وقال الصنعاني: موضوع. وقال الألباني: منكر، ضعيف جداً «الضعيفة» (٧٧).

(٣) البخاري (٧٠٥٩).

(٤) مسلم (٢٨٨٠) (١).

(٥) مسلم (٢٨٨٠) (٢).

ثم رواه عن أبي بكر ابن أبي شيبة، وسعيد بن عمرو، وزهير بن حرب، وابن أبي عمر، عن سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب^(١)، عن حبيبة^(٢)، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش^(٣)، فاجتمع فيه تابعيان، وريبتان، وزوجتان أربع صحابيات رضي الله عنهن.

وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجٌ مِثْلَ هَذِهِ». وعقد وهيب تسعين. وهكذا رواه مسلم من حديث وهيب مثله^(٤).

وروى البخاري من حديث الزهري، عن هند بنت الحارث الفراسية، أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ ليلة فزعاً، يقول: «سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يَوْقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّيْنَ، رَبُّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ»^(٥).

ثم روى البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد، قال: أشرف النبي ﷺ على أطعم من أطام المدينة فقال: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» قالوا: لا، قال: «فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ، كَوَقْعِ الْقَطْرِ»^(٦).

وروى البخاري من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ وَيُلْقَى الشَّحُّ وَتُظْهِرُ الْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ». قالوا: يا رسول الله أيما هو؟ قال: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»^(٧). ورواه أيضاً، عن الزهري، عن حميد، عن أبي هريرة، ثم رواه من حديث الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود، وأبي موسى^(٨).

وقال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس ابن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»^(٩). سمعته من نبيكم ﷺ. ورواه الترمذي من حديث الثوري، وقال: حسن صحيح. وهذا الحديث يُعبرُ عنه العوام، فيما يوردونه، بلفظ آخر: كل عام تردُّلون. وروى البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، وعن أبي سلمة، عن

- (١) زينب بنت أم سلمة أم المؤمنين.
- (٢) حبيبة هذه هي بنت أم حبيبة أم المؤمنين.
- (٣) زينب بنت جحش أم المؤمنين. والحديث أخرجه البخاري (٣٣٤٦) (٣٥٩٨) (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠)، وابن حبان (٣٢٧) من طرق عن الزهري، به. وله طرق أخرى.
- (٤) البخاري (٧١٣٦)، وهو في مسلم (٢٨٨١)، من طريق أحمد بن إسحاق عن وهيب، بهذا الإسناد.
- (٥) البخاري (٧٠٦٩)، وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٤٨)، والبخاري (١١٢٦) (٥٨٤٤)، والترمذي (٢١٩٦)، وأبو يعلى (٦٩٨٨)، وأحمد (٢٩٧/٦) من طريق معمر، عن الزهري، به.
- (٦) أخرجه البخاري (٧٠٦٠)، ومسلم (٢٨٨٥). وله طرق.
- (٧) أخرجه البخاري (٧٠٦١).
- (٨) البخاري (٧٠٦٢) (٧٠٦٣) عنهما.
- (٩) البخاري (٧٠٦٨).

أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من يشرف لها تستشرفه فمن وجد فيها ملجأ أو معاداً فليعد به» (١). ولمسلم عن أبى بكره نحوه بأبسط منه. (٢)

وقال البخارى: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، حدثنا حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المجل كجمر حرجته على رجله فنقط، فتراه منتبها وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بنى فلان رجلا آمينا، ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلما رده على الإسلام، وإن كان نصرانيا رده على ساعيه، وأما اليوم فما كنت أباع إلا فلانا وفلانا». ورواه مسلم من حديث الأعمش به. (٣) ورواه البخارى من حديث الزهرى عن سالم عن أبيه.

ومن حديث الليث، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام إلى جنب المنبر وهو مستقبل المشرق، فقال: «إنا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال: «قرن الشمس» (٤). ورواه مسلم من حديث الزهرى وغيره، عن سالم به، ورواه أحمد من طريق عبد الله بن دينار، والطبرانى من رواية عطية، كلاهما عن عبد الله بن عمر، به.

وقال البخارى: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتنى مكانه» (٥). وقال الإمام أحمد: ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنا يونس، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ، قال: «توشكون أن يملأ الله أيديكم من العجم - وقال عفان مرة: من الأعاجم - يَكُونُونَ أَسَدًا لَا يَفْرُونَ، يَقْتُلُونَ مَقَاتِلَكُمْ، وَيَأْكُلُونَ فَيْتَكُمْ» (٦).

وقال البخارى: حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهرى، أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة». وذو الخلصة طاغية دوس، التى كانوا يعبدون فى الجاهلية. (٧)

- (١) أخرجه البخارى (٧٠٨١) (٧٠٨٢)، ومسلم (٢٨٨٦) وغيرهما.
- (٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٧)، وأبو داود (٤٢٥٩)، وأحمد (٣٩/٥ - ٤٠).
- (٣) البخارى (٧٠٨٦) بهذا الإسناد. وأخرجه البخارى (٦٤٩٧) (٧٢٧٦)، ومسلم (١٤٣) وغيرهما.
- (٤) أخرجه البخارى (٧٠٩٢)، ومسلم (٢٩٠٥) وغيرهما.
- (٥) أخرجه فى «الصحيح» (٧١١٥)، وأخرجه أحمد (٧٢٢٧)، ومسلم (ص ٢٢٣١) (٥٣)، وابن حبان (٦٧٠٧) من طريق مالك، به. وله طرق وألفاظ.
- (٦) هو فى «المسند» (١٧/٥)، (٢١).
- (٧) أخرجه البخارى (٧١١٦)، وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٩٥)، وعنه أحمد (٧٦٧٧)، ومسلم (٢٩٠٦)، وابن أبى عاصم (٧٧)، وابن حبان (٦٧٤٩) من طريق معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة، به.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي، عن عتبة بن خالد، حدثنا عبد الله، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن جده حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الضرات أن يحسرن عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً». قال عتبة: وحدثنا عبد الله، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال: «يحسرن عن جبل من ذهب»^(١) وكذلك رواه مسلم، من حديث عتبة بن خالد، من الوجهين.

ثم رواه عن قتيبة، عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسرن الضرات عن جبل من ذهب، فيقتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذي أنجو»^(٢).

ثم روى من حديث عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: كنت واقفاً مع أبي بن كعب في ظل أجمل حسان، فقال: لا يزال الناس مختلفاً أعناقهم في طلب الدنيا، قلت: أجل. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك الضرات أن يحسرن عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقولون من عنده: لن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله». قال: «فيقتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»^(٣).

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شبيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتل فتتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به. وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه. وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» (الأنعام: ١٥٨) ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل لبين لقحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو ليوط حوضه فلا يسقى فيه. ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»^(٤).

وقال الإمام أحمد: ثنا سريج بن النعمان، ثنا عبد العزيز، يعني الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بالسنتهم كما تأكل البقر بالسنتها». تفرد به أحمد^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٧١١٩)، وأخرجه مسلم (٢٨٩٤)، وأبو داود (٤٣١٣)، والترمذي (٢٥٦٩)، وابن حبان (٦٦٩٣) (٦٦٩٤)، والبيهقي (٤٢٣٩) من طريق حفص بن عاصم، به. وله طرق.

(٢) راجع التخریج السابق.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٥)، وأحمد (١٣٩/٥)، وابن حبان (٦٦٩٦)، والطبرانی (٥٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٢١)، وأخرجه أحمد (٨١٣٥) (٨١٣٦)، والبخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (ص ٢٢١٢) (١٧) (ص ٢٢٤٠) (٨٤)، والترمذي (٢٢١٨)، وابن حبان (٦٧٣٤) من طريق معمر عن همام عن أبي هريرة، به.

(٥) هو في «المسند» (٨٤/١).

وقال مسلم: حدثني حرملة بن يحيى التميمي، أنا ابن وهب، أنا يونس، عن ابن شهاب، أن أبا إدريس الخولاني، قال: قال حذيفة بن اليمان: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إلى في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: «منهن ثلاث لا يكدرن يدرن شيئاً، ومنهن فتن كريح الصيف منها صغار، ومنها كبار». قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري. (١)

وروى مسلم من حديث زهير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتكم من حيث بدأتكم، وعدتكم من حيث بدأتكم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه». (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا الجريزي، عن أبي نصر، قال: كنا عند جابر فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجبي إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبي إليهم دينار ولا مدي. قلنا: من أين ذاك. قال: من قبل الروم، يمنعون ذلك. قال: ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدا». قال الجريزي: فقلت لأبي نصر وأبي العلاء: أترى أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالوا: لا. (٣) ورواه مسلم من حديث الجريزي، بنحوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا أفلح بن سعيد الأنصاري، شيخ من أهل قباء من الأنصار، حدثني عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طالت بكم مدة أوشك أن ترى قوماً يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر» (٤). وأخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن زيد بن الحباب، عن أفلح بن سعيد، به.

ثم روى عن زهير بن حرب، عن جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». (٥)

- (١) صحيح مسلم (٢٨٩١) (٢٢).
- (٢) صحيح مسلم (٢٨٩٦) (٣٣)، وأخرجه أبو داود (٣٠٣٥)، وأحمد (٧٥٦٥)، والطحاوي «شرح» (١٢٠/٢)، من طريق زهير، بهذا الإسناد.
- (٣) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٣١٨/٣)، وأخرجه مسلم (٢٩١٣)، وابن حبان (٦٦٨٢)، والدارقطني «الفتن» (٦٠٣) (٦٠٤) من طريق إسماعيل، به.
- (٤) إسناده صحيح على شرط مسلم: وأخرجه أحمد (٣٠٨/٢)، وأخرجه مسلم (٢٨٥٧)، والبخاري (١٦٢٨)، والحاكم (٤٣٥/٤) من طريق أبي عامر، به.
- (٥) في «الصحيح» (٢١٢٨)، وأخرجه ابن حبان (٧٤٦٣)، والبيهقي (٢٣٤/٢)، وفي «الدلائل» (٥٣٢/٦)، والبخاري (٢٥٧٨) من طريق جرير، به.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن يحيى الدمشقي، حدثنا أبو معيد، حدثنا مكحول، عن أنس بن مالك، قال: قيل: يا رسول الله، متى ندع الأثمار بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم مثل ما ظهر في بني إسرائيل؟ إذا كانت الفاحشة في كباركم، والعلم في رذالكُم، والملك في صغاركم»^(١). ورواه ابن ماجه، عن العباس بن الوليد الدمشقي، عن زيد بن يحيى بن عبيد، عن الهيثم بن حميد، عن أبي معيد حفص بن غيلان، عن مكحول، عن أنس، فذكر نحوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، أنه حدثهم عن النبي ﷺ قال: «ضاف رجل رجلاً من بني إسرائيل، وفي داره كلبه مَجْحٌ، فقالت الكلبة: واللّه لا أنبَحُ ضيف أهلي. قال: فعوى جراًؤها في بطنها. قال: قيل: ما هذا؟ قال: فأوحى الله، عز وجل، إلى رجل منهم: هذا مثل أمة تكون من بعدكم، يقهرسهاؤها حلماءها»^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعي، حدثني أبو عمارة، حدثني جابر بن عبد الله، قال: قدمت من سفر، فجاءني جابر يسلم عليّ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس، عن أبي هريرة. وقال حسن: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب: فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقايض على الجمر». أو قال: «على الشوك». وقال حسن في حديثه: «بخبط الشوك»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو جعفر المدائني، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي، عن أبيه حبيب بن عبد الله، عن شبيل بن عوف، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان: «كيف أنت يا ثوبان، إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيهم إلى قصعة الطعام، يصبون منه؟» قال ثوبان: بأبي وأمّي يا رسول الله، أمن قلّة بنا؟ قال: «لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقي في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حبكم الدنيا، وكراهيتكم القتال»^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن رجل، عن عمرو بن إبيصة

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (١٨٧/٣)، وأخرجه ابن ماجه (٤٠١٥)، والطحاوي (٣٣٥٠)، وأبو نعيم (١٨٥/٥)، والبيهقي «شعب» (٧٥٥٥) من طرق عن حفص، به.

(٢) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (١٧٠/٢)، وأبو عوانة سمع من عطاء بعدما اختلط.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٣٣/٣)، وجابر مجهول.

(٤) صحيح دون قوله: «التمسك يومئذ بدينه... إلخ» - فحسن فقط. أخرجه أحمد (٣٩٠-٣٩١)، وإسناده ضعيف.

وأخرجه أحمد (٣٠٤/٢)، والترمذي (٢١٩٥)، وأبو عوانة (٥٠/١)، وابن حبان (٦٧٠٤) من طريق أخرى.

وأخرجه مسلم (١٨٦)، وأحمد (٣٧٢/٢) من طريق أخرى.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٨٧١٣) وإسناده ضعيف، لكن له طرق - و«الصحيحة» (٩٥٦).

الأسدي، عن أبيه، قال: إنني بالكوفة في دارى، إذ سمعت على باب الدار: السلام عليكم، أليج؟ فقلت: عليكم السلام، فليج. فلما دخل، فإذا هو عبد الله بن مسعود، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، أية ساعة زيارة هذه؟! وذلك في نحر الظهر، فقال: طال على النهار، فذكرت من أحدث إليه. قال: فجعل يحدثني عن رسول الله ﷺ وأحدثه، ثم أنشأ يحدثني، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فتنة، النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الركب، والركب خير من المجري، قتلها كلها في النار». قال: قلت: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: «ذلك أيام الهرج». قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال: «حين لا يأمن الرجل جليسه». قال: قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «أكف نفسك ويدك، وأدخل دارك». قال: قلت: يا رسول الله، أرايت إن دخل رجل على دارى؟ قال: «فأدخل بيتك». قال: قلت: أرايت إن دخل على بيتي؟ قال: «فأدخل مسجدك، وأصنع هكذا - وقبض يمينه على الكوع - وقُل: ربى الله. حتى تموت على ذلك»^(١).

وقال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبي، حدثنا شهاب بن خراش، عن القاسم بن غزوان، عن إسحاق بن راشد الجزري، عن سالم، حدثني عمرو بن وابصة، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكر بعض حديث أبي بكر، قال: «قتلها كلهم في النار». قال فيه: قلت: متى ذلك يا بن مسعود؟ قال: «تلك أيام الهرج، حيث لا يأمن الرجل جليسه». قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: «تكف لسانك ويدك، وتكون جليسا من أحلاس بيتك». قال - يعنى وابصة - : فلما قتل عثمان طار قلبي مطارة، فركبت حتى أتيت دمشق، فلقيت خريم بن فاتك الأسدي، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لسمعه من رسول الله ﷺ، كما حدثني ابن مسعود^(٢).

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن عثمان الشحام، حدثني مسلم بن أبي بكر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتنة، المضطجع فيها خير من الجالس، والجالس خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي». قال: يا رسول الله، ما تأمرني؟ قال: «من كانت له إبل فليحرق بإبله، ومن كانت له غنم فليحرق بغنمه، ومن كانت له أرض فليحرق بأرضه». قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك. قال: «فليعمد إلى سيفه فليضرب بحدوه على حرق، ثم لينج ما استطاع النجاء»^(٣). وقد رواه مسلم من حديث عثمان الشحام بنحوه. وقال أبو داود: حدثنا يزيد بن خالد الرملي، حدثنا الفضل، عن عياش، عن بكير، عن بسر ابن سعيد، عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعي، أنه سمع سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ،

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٤٤٨/١)، وإسناده ضعيف وفيه نكارة.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٢٥٨)، وراجع ضعيف أبي داود (٩١٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٥٦)، وأخرجه أحمد (٤٠-٣٩/٥)، ومسلم (٢٨٨٧)، وابن حبان (٥٩٦٥) من طرق عن وكيع، به.

في هذا الحديث قال: فقلت: يا رسول الله، أرايت إن دخل علي بيتي، وبسط يده ليقتلني؟ فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ كَابِنَ آدَمَ» وتلا يزيد: «لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي» (المائدة: ٢٨) الآية، انفرد به أبو داود من هذا الوجه. (١)

وقال أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث بن سعد، عن عياش بن عباس، عن بكير بن عبد الله، عن بسر بن سعيد، أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرُ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرُ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرُ مِنَ السَّاعِي». قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: «كُنْ كَابِنَ آدَمَ». (٢) وهكذا رواه الترمذي، عن قتيبة، عن الليث، عن عياش بن عباس القتباني، عن بكير بن عبد الله ابن الأشج، عن بسر بن سعيد الحضرمي، عن سعد بن أبي وقاص، فذكره، وقال: هذا حديث حسن، ورواه بعضهم عن الليث، وزاد في الإسناد رجلاً. يعني: الحسين -وقيل: الحسيل- ابن عبد الرحمن، ويقال: عبد الرحمن بن الحسين عن سعد، كما رواه أبو داود آتياً.

ثم قال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن محمد بن جحادة، عن عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرُ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرُ مِنَ السَّاعِي، فَكَسَرُوا قَسِيكُمْ، وَقَطَعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سِيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دَخَلَ -يعني: على أحد منكم- فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ». (٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا مرحوم، حدثني أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، قال: ركب رسول الله ﷺ حماراً، وأردفني خلفه، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسُ جُوعٌ شَدِيدٌ، حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «تَعَفَّفْ». قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ شَدِيدٌ، يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ -يعني: القبر- كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا -يعني: حَتَّى تَغْرُقَ حَجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ- كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ». قال: «فَإِنْ لَمْ أَتْرُكْ؟» قال: «فَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَكُنْ فِيهِمْ». قلت: فَأَخَذُ سِلَاحِي؟ قال: «إِذَا تَشَارَكْتُمْ فِيهِمْ هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرْدَعَكَ سَعَاةُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ كَي يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ» (٤). هكذا رواه الإمام أحمد، وقد رواه أبو داود عن مسدد وابن ماجه عن أحمد بن عبدة، كلاهما عن حماد بن زيد،

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٥٧).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١٦٠٩)، وإسناده صحيح، وأخرجه الترمذي (٢١٩٤)، وأبو يعلى (٧٥٠)، والشاشي (١٢٦) من طريق قتيبة، به.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)، وإسناده حسن. وأخرجه أحمد (٤١٦/٤)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وابن حبان (٥٩٦٢) من طريق عبد الوارث بهذا الإسناد.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٩/٥) وإسناده على شرط مسلم.

عن أبي عمران الجوني، عن المشعث بن طريف، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، بنحوه. ثم قال أبو داود: لم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، ثنا عفان بن مسلم، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا عاصم الأحول، عن أبي كبشة، قال: سمعت أبا موسى يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كُونُوا أَحْلَاسَ بَيُوتِكُمْ»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مَلِكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زَوَى لِيَ مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكُوا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنْ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَلَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَأَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونُ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَثَمَةَ الْمُضْلِينَ، وَإِذَا وَضَعَ فِي أُمَّتِي السَّيْفَ لَمْ يَرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قِبَائِلُ مَنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قِبَائِلُ مَنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ»^(٢). ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من طريق، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي، عن أبي أسماء عمرو بن مرثد، عن ثوبان بن جدد، بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أبو داود: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا أبو داود الحفري، عن بدر بن عثمان، عن عامر، عن رجل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «تَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَرْبَعُ فِتَنٍ، آخِرُهَا الضَّأ».

ثم قال أبو داود: حدثنا يحيى بن عثمان بن سعيد الحمصي، حدثنا أبو المغيرة، حدثني عبد الله بن سالم، حدثني العلاء بن عتبة، عن عمير بنى هانئ العنسي، سمعت عبد الله بن عمر يقول: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هِيَ حَرْبٌ وَهَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٦٢٦٢). وأخرجه أحمد (٤٠٨/٤) من طريق عفان، به.
(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٢٧٨/٥)، وأخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والدارني (٤) (٥٥) (٣٦١)، والقضاعي (١١١٣)، من طريق سليمان بن حرب، به. وأخرجه الطيالسي (٩٩١)، وابن أبي شيبة (٤٥٨/١١)، ومسلم (١٩٢٠) (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦) (٢٢٠٢) (٢٢١٩)، وابن حبان (٧٢٣٨) من طريق حماد، به.

تَحْتَ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسَ عَلَى رَجُلٍ كَوْرِكَ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتَهُ، حَتَّى إِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ. عَادَتْ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمُ، فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ، مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ^(١). تفرد به أبو داود، وقد رواه أحمد في «مسنده»، عن أبي المغيرة، بمثله.

وقال أبو داود: حدثنا القَعْنَبِيُّ، حدثنا عبد العزيز، يعني ابن أبي حازم، عن أبيه، عن عُمَارَةَ بْنِ عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «كَيْفَ يَكُمُ وَزِمَانٌ - أَوْ: أَوْشَكٌ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ - يَغْرِيلُ النَّاسَ فِيهِ غَرِيلَةٌ، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: كَيْفَ بَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدْعُونَ مَا تَنْكُرُونَ، تُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ». قال أبو داود: هكذا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ من غير وجه^(٢). وهكذا رواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار، ومحمد بن الصباح، عن عبد العزيز بن أبي حازم، به. ورواه أحمد في «مسنده»، عن سعيد بن منصور، عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، به. وقد رواه الإمام أحمد، عن حسين بن محمد، عن محمد بن مطرف، عن أبي حازم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، فذكر نحوه، أو مثله.

ثم قال أبو داود: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا يونس، يعني ابن أبي إسحاق، عن هلال بن خباب أبي العلاء، حدثنا عكرمة، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة، أو ذكرت عنده، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الزَّمْ بَيْتَكَ، وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تَنْكُرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»^(٣). وهكذا رواه أحمد، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، به، وأخرجه النسائي في اليوم والليلة، عن أحمد بن بكار، عن مخلد بن يزيد، عن يونس بن أبي إسحاق، فذكر بإسناده نحوه.

قال أحمد: ثنا عبد القدوس بن الحجاج، ثنا حريز، يعني ابن عثمان الرحبي، ثنا راشد بن سعد المقرائي، عن أبي حنيفة، عن ذى مخمر، أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حِمِيرٍ، فَتَزَعَهُ

(١) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٤٢)، وأخرجه أحمد (١٣٣/٢)، والحاكم (٤٦٦/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٨/٥)، والبيهقي (٤٢٢٦)، من طريق أبي المغيرة، به.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٤٢)، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٥٧)، وأحمد (٧٠٦٣) من طريق سعيد بن منصور، وإسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٤٣)، وأخرجه أحمد (٦٩٨٧)، والنسائي في «عمل اليوم» (٤٤١)، والحاكم (٢٨٢/٢) من طريق يونس بن أبي إسحاق، به.

اللَّهُ مِنْهُمْ، فَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ رَسَی عُودًا لِي هَرَمٌ^(١). قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمد: هكذا في كتاب أبي مُقَطَّعٍ، وحيث حدَّثنا به تكلم به على الاستواء.

وقال أبو داود: حدَّثنا محمد بنُ عُبَيْدٍ، حدَّثنا حماد بنُ زيد، حدَّثنا اللَّيْثُ، عن طاوس، عن رجلٍ يقال له: زياد. عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ، قَتْلَاهَا فِي النَّارِ، اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السِّيفِ». وقد رَوَاهُ أحمد، عن أسود بن عامر، عن حماد بنِ سلمة، والترمذی، وابنُ ماجه، من حديثه عن اللَّيْثِ، عن طاوس، عن زياد، وهو الأعجم، ويقال له: زيادُ سَمِينُ كُوشٍ^(٢). وقد حكى الترمذی عن البخاری أنه ليس لزياد هذا حديثٌ سواه، وأنَّ حماد بنَ زيدٍ رَوَاهُ عن اللَّيْثِ فوقه، وقد استدرک ابنُ عساکرٍ على البخاری هذا الحديث، فإنَّ أبا داودَ رَوَاهُ من طريق حماد بنِ زيدٍ مرفوعاً، فاللَّهُ أعلم.

وقال أبو داود: حدَّثنا عبدُ الملك بنُ شُعَيْبٍ، حدَّثني ابنُ وهب، حدَّثني اللَّيْثُ، عن يحيى بنِ سعيد، قال: قال خالد بنُ أبي عمران، عن عبدِ الرحمن بنِ البَیْهَقَانِي، عن عبدِ الرحمن بنِ هُرْمُزٍ، عن أبي هريرة، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَاءُ بِكَمَاءٍ عَمِيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَأَشْرَفَ اللِّسَانُ فِيهَا كَوْفُوعُ السِّيفِ»^(٣).

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا وكيعٌ -وقال: حدَّثنا أبو معاوية- حدَّثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبدِ الرحمن بنِ عبدِ ربِّ الكعبة، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو -وكنْتُ جالساً معه في ظلِّ الكعبة وهو يحدثُ الناسَ- قال: كنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في سفرٍ، فنزلنا منزلاً، فمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ خِيَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشْرِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُّ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: الصلاةُ جامعةٌ. قال: فانتهيتُ إليه وهو يخطبُ الناسَ، ويقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، أَلَا وَإِنْ عَافَيْتُ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَفِتْنٌ يَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ. ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ. ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفَقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيَطْعُهُ إِنْ اسْتَطَاعَ». وقال مرةً: «مَا اسْتَطَاعَ». قال عبدُ الرحمن: فلما سمعتها أدخلتُ رأسي بين رجلين، قلت: فإنَّ ابنَ عَمَلٍ معاويةَ يأمرنا أن نأكلَ أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتلَ أنفسنا، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ٢٩). ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩). قال: فجمعَ يدي، فوضعهما على جبهته، ثم نكسَ هُنيئةً، ثم رفعَ رأسه، فقال: أطعهُ في طاعةِ اللَّهِ، وأعصِهِ في معصيةِ اللَّهِ. قلتُ

(١) هو في «المسند» (٩١/٤).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٢٦٥). وأخرجه الترمذی (٢١٧٨)، وابنُ ماجه (٣٩٦٧) من طريق حماد، به. وراجع «ضعيف أبي داود» (٩١٨).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٢٦٤)، وانظر «الضعيف» (٩١٧).

له: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتَهُ أَذْنَايَ، وَوَعَاه قَلْبِي^(١). ورواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، من حديث الأعمش، به، وأخرجه مسلم أيضاً، من حديث الشَّعْبِيِّ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو، بنحوه. وقال أحمد: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ ظَالِمٌ. فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهُمْ».

وقال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْخٌ»^(٢).

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا أَبُو قَبِيلٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا؟ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ قَالَ: فِدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصَنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا؟ قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا». يعني القسطنطينية^(٣).

وقال القرطبي في «التذكرة»: ورؤي من حديث حذيفة بن اليمان، عن النبي ﷺ، أنه قال: «وَيَبْدَأُ الْخَرَابُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى تَخْرِبَ مِصْرُ، وَمِصْرُ أَمْنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرِبَ الْبَصْرَةُ، وَخَرَابُ الْبَصْرَةِ مِنَ الْفَرْقِ، وَخَرَابُ مِصْرٍ مِنْ جَفَافِ النَّيْلِ، وَخَرَابُ مَكَّةَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَخَرَابُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْجُوعِ، وَخَرَابُ الْيَمَنِ مِنَ الْجَرَادِ، وَخَرَابُ الْأَبْلَةِ مِنَ الْحَصَارِ، وَخَرَابُ فَارِسَ مِنَ الصَّعَالِيكِ، وَخَرَابُ التُّرْكِ مِنَ الدَّيْلَمِ، وَخَرَابُ الدَّيْلَمِ مِنَ الْأَرَمَنِ، وَخَرَابُ الْأَرَمَنِ مِنَ الْخَزَرِ، وَخَرَابُ الْخَزَرِ مِنَ التُّرْكِ، وَخَرَابُ التُّرْكِ مِنَ الصَّوْاعِقِ، وَخَرَابُ السُّنْدِ مِنَ الْهِنْدِ، وَخَرَابُ الْهِنْدِ مِنَ الصِّينِ، وَخَرَابُ الصِّينِ مِنَ الرَّمْلِ، وَخَرَابُ الْحَبَشَةِ مِنَ الرَّجْفَةِ، وَخَرَابُ الزُّرَّاءِ مِنَ السُّفْيَانِي، وَخَرَابُ الرُّوحَاءِ مِنَ الْخَسْفِ، وَخَرَابُ الْعِرَاقِ مِنَ الْقَحْطِ». ثم قال: ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَنَّ خَرَابَ الْأَنْدَلُسِ بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤).

وهذا الحديث لا يُعرف في شيء من الكتب المعتمدة، وأُخْلِقُ بِهِ أَنْ لَا يَكُونَ صَحِيحًا، بَلْ أُخْلِقُ بِهِ أَنْ يَكُونَ مُوَضَّوعًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ مُوقُوفًا عَلَى حَذِيفَةٍ، وَلَا يَصَحُّ عَنْهُ أَيْضًا، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه أحمد (٦٧٩٣)، ومسلم (١٨٤٤)، وابن ماجه (٣٩٥٦)، والبيهقي (١٦٩/٨) من طريق وكيع. وأخرجه

أحمد (٦٥٠٣)، ومسلم (١٨٤٤)، والنسائي (١٥٢/٧)، وابن ماجه (٣٩٥٦) من طريق أبي معاوية.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٦٥٢١)، وأخرجه أحمد (٦٧٧٦) (٦٧٨٤)، والحاكم (٩٦/٤)، والبيهقي «شعب» (٧٥٤٦) من طريقين عن أبي الزبير، به.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٦٦٤٥) وإسناده ضعيف.

(٤) «التذكرة» (ص ٥٨٥)، وعزاه القرطبي لكتاب «روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق» لابن الجوزي.

فصل في تعداد الآيات والأشراط الواقعة

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا خلف، يعني ابن خليفة، عن أبي جباب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ وضوءاً مكثاً، فرفع رأسه، فنظر إلي، فقال: «سِتْ فِيكُمْ أَيْتَهَا الْأُمَّةُ: مَوْتُ نَبِيِّكُمْ ﷺ». فكأنما انتزع قلبي من مكانه. قال رسول الله ﷺ: «واحدة». قال: «وَيُفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ لَيُعْطَى عَشْرَةَ آلَافٍ، فَيُظِلُّ يَسْخَطُهَا». قال رسول الله ﷺ: «ثنتين». قال: «وَفِتْنَةٌ تَدْخُلُ بَيْتَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ». قال رسول الله ﷺ: «ثلاث». قال: «وَمَوْتُ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ». قال رسول الله ﷺ: «أربع. وَهَدَنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، يَجْمَعُونَ لَكُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَقَدَرِ حَمْلِ الْمَرْأَةِ، ثُمَّ يَكُونُونَ أَوْلَى بِالْعَدْرِ مِنْكُمْ». قال رسول الله ﷺ: «خمس». قال: «وَفَتْحُ مَدِينَةٍ». قال رسول الله ﷺ: «ست». قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَى مَدِينَةٍ؟ قال: «قُسْطَنْطِينِيَّة» (١).

وهذا الإسناد فيه نظر من جهة رجاله، ولكن له شاهد من وجه آخر صحيح، فقال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر، قال: سمعت بسر بن عبيد الله، أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: «اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةً دِينَارٍ فَيُظِلُّ سَاحِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هَدَنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ رَايَةً، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» (٢). ورواه أبو داود وابن ماجه والطبراني، من حديث الوليد بن مسلم، ووقع في رواية الطبراني: عن الوليد، عن ابن زبر، عن زيد بن واقد، عن بسر بن عبيد الله، وقد صرح البخاري في روايته بسامع ابن زبر من بسر بن عبيد الله، فإله أعلم.

وعند أبي داود: فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: «نعم». قلت: كلّي؟ قال: «نعم». وإنما قلت ذلك؛ من صغر القبة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: أتيت النبي ﷺ، فسلمت عليه، فقال: «عوف؟»، فقلت: نعم. فقال: «أدخل». قال: قلت: كلّي أو بعضي؟ قال: «بَلْ كُلُّكَ». قال: «اعْدُدْ يَا عَوْفُ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي». قال: فاستبكت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني. قال: «قل: إحدى». قلت: إحدى. «وَالثَّانِيَةُ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قُل: اثنتين». فقلت: «وَالثَّالِثَةُ مَوْتَانِ يَكُونُ فِي أُمَّتِي يَأْخُذُهُمْ مِثْلُ قَعَاصِ الْغَنَمِ، قُل: ثلاثاً». قلت: «وَالرَّابِعَةُ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي أُمَّتِي -وَعَظَمَهَا-

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٧٤/٢) وإسناده ضعيف، وله شاهد من حديث عوف بن مالك الآتي، وأخرجه أحمد (٢٢٨/٥) عن معاذ بن جبل، وسياقي، وبها يحسن.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وأخرجه أبو داود (٥٠٠٠)، وابن ماجه (٤٠٩٥)، وابن حبان (٦٦٧٥)، والطبراني في الكبير (٧٠/١٨)، وابن منده في الإيمان (٩٩٨)، وغيرهم من طريق أبي إدريس، به.

قُلْ: أَرْبَعًا. وَالْخَامِسَةُ يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَيَسْخَطُهَا، قُلْ: خَمْسًا. وَالسَّادِسَةُ: هُدَّةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً. قُلْتُ: وَمَا الْغَايَةُ؟ قَالَ: «الرَّايَةُ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فَسَطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ، فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. (١)

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْطَاةَ، سَمِعْتُ جُبَيْرَ بْنَ نَفِيرٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فَسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ». (٢)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ النَّهَّاسِ بْنِ قَهْمٍ، حَدَّثَنَا شَدَّادُ أَبُو عَمَّارٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْتُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَمَوْتُ يَأْخُذُ فِي النَّاسِ كَقَاصِرِ الْغَنَمِ، وَفَتْنَةٌ يَدْخُلُ حَرِبُهَا بَيْتُ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَأَنْ يُعْطَى الرَّجُلُ أَلْفُ دِينَارٍ، فَيَسْخَطُهَا، وَأَنْ تَغْدِرَ الرُّومُ فَيَسِيرُونَ بِثَمَانِينَ بَنْدًا تَحْتَ كُلِّ بَنْدٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا». (٣)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَادْرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالْدُّجَالُ، وَالْدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَخَوِيسَةُ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرَاءُ الْعَامَةِ». وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ إِذَا قَالَ: «وَأَمْرُ الْعَامَةِ». قَالَ: أَيْ أَمْرُ السَّاعَةِ. (٤) وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ وَعَبْدِ الصَّمَدِ، كِلَاهُمَا عَنْ هَمَّامٍ، بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ أَحْمَدُ مُتَّفَرِّدًا بِهِ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ عِمْرَانَ الْقَطَّانِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَرْفُوعًا مِثْلَهُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَادْرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالْدُّجَالُ، وَالْدُّخَانُ، وَخَوِيسَةُ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرُ الْعَامَةِ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ، بِهِ. (٥)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ قُرَاتٍ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قَالَ: أَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ. فَقَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، وَالْدُّجَالُ، وَالْدَابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَزُولُ

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٢٥/٦)، وأخرجه البزار (٢٧٤٢)، وابن أبي عاصم في «الأنبا» (١٢٩٢)، والطبراني (٧٢/١٨)، وابن منده (١٠٠٠)، والداني في «الفتن» (٤٢٧) (٥٢٣) من طريق جبير بن نفير، به.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٩٨)، وأخرجه أحمد (١٩٧/٥)، ويعقوب في «المعرفة» (٢/٢٩٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٠٣/١-١٠٤)، من طريق يحيى بن حمزة، به.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٨/٥) بهذا الإسناد، وإسناده ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠٤/١٥-١٠٥)، وعنه الطبراني (٢٤٤/٢٠) من طريق وكيع، به. وراجع «الصحيح» (١٨٨٣).

(٤) إسناده صحيح على شرط مسلم: وأخرجه أحمد (٣٦٤/٢)، وأخرجه مسلم (٢٩٤٧)، وابن حبان (٦٧٩٠)، وابن منده (١٠٠٧) من طريق شعبة عن قتادة، به. وله طرق.

(٥) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٨٨٤٩) بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (٢٩٤٧) وغيره.

عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من جبل عدن، تطرد الناس إلى محشرهم». قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد. سقط كلمة. (١)

ثم رواه أحمد من حديث سفيان الثوري وشعبة، كلاهما عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد، أبي سريحة الغفاري، فذكره، وقال فيه: «وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ، تَسُوقُ - أَوْ: تَحْشُرُ - النَّاسَ، تَبَيَّتْ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا». قال شعبة: وحدثني بهذا الحديث رجل، عن أبي الطفيل، عن أبي سريحة، ولم يرفعه إلى النبي ﷺ، فقال أحد هذين الرجلين: نزول عيسى ابن مريم. وقال الآخر: ربح تلقى في البحر. (٢)

وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة وشعبة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد موقوفا. ورواه أهل السنن الأربعة من طرق، عن فرات القزاز، به (٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان، أبي عبد الرحمن القرشي المدني من طريقه، حدثني الزهري، حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ عَشْرُ آيَاتٍ كَالنَّظْمِ فِي الْخَيْطِ، إِذَا سَقَطَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ تَوَالَتْ: الدَّجَالُ، وَنَزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَفَتْحُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالْدَّابَّةُ، وَظُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا...» (٤). وذكر الحديث. هذا لفظه.

وقال أبو يعلى: ثنا عقبه بن مكرم، ثنا يونس، ثنا عبد الغفار بن القاسم، ثنا زياد بن لقيط، عن قرظة بن حسان، سمعت أبا موسى في يوم جمعة على منبر البصرة يقول: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد، فقال: «لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَجْلِيهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلَكِنْ سَأَحْدَثُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا؛ إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا رَدْمًا مِنَ الْفِتَنِ، وَهَرَجًا». فقيل له: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «هُوَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْقَتْلُ. وَأَنْ تَجِفَّ قُلُوبُ النَّاسِ، وَيَلْقَى بَيْنَهُمُ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَدًا، وَيَرْفَعُ ذُووُ الْحِجَا، وَتَبْقَى رَجْرَجَةٌ مِنَ النَّاسِ لَا تَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا تَنْكُرُ مُنْكَرًا». (٥)

- (١) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٦/٤) وإسناده ثلاثي. وأخرجه الحميدي (٨٢٧)، ومسلم (٢٩٠١)، وابن حبان (٦٨٤٣)، عن سفيان، وأخرجه الطيالسي (١٠٦٧)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، والنسائي (١١٣٨٠) (١١٤٨٢)، والطبراني (٣٠٢٩) (٣٠٣٠) من طرق عن فرات بن القزاز، به.
- (٢) أخرجه أحمد (٧/٤)، ومسلم (٢٩٠١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن حبان (٦٧٩١)، والطبراني (٣٠٢٨) من طرق عن شعبة عن فرات، به.
- (٣) الرجل الذي روى عنه شعبة هو عبد العزيز بن ربيع كما جاء مصرحاً به في رواية عند مسلم وابن حبان وقد رواه عنه موقوفاً.
- (٤) «تاريخ دمشق» (٢٠١/٣) وإسناده ضعيف عبد الله بن زياد ضعفه العلماء - راجع «الميزان» (٤٢٣/٢)، و«التهذيب» (١٤٤/٣).
- (٥) رواه أبو يعلى (٧١٩٣)، وعبد الغفار بن القاسم، قال ابن المديني: كان يضع الحديث - وكان من رؤوس الشيعة. وكان رافضياً. فالإسناد ضعيف جداً. وفيه نكارة في متنه. وقال أبو حاتم والنسائي: متروك الحديث - انظر «الميزان» (٦٤٠/٢).

ذكر قتال الملحمة مع الروم الذي يكون آخره فتح القسطنطينية

وعند ذلك يخرج الدجال، وينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض، على المنارة البيضاء الشقية بدمشق، وقت صلاة الفجر، كما سيأتي بيان ذلك كله، بالأحاديث الصحيحة.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مضع، هو القرقياني، حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن ذي مخمر، عن النبي ﷺ قال: «تصالحون الروم صلحا أمنا، وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول، فيقوم رجل من الروم، فيرفع الصليب، ويقول: ألا غلب الصليب. فيقوم إليه رجل من المسلمين، فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم، وتكون الملاحم، فيجمعون لكم، فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف» (١). ثم رواه أحمد، عن روح، عن الأوزاعي، به، وقال فيه: «فعند ذلك تغدر الروم، ويجمعون للملحمة» (٢). وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه، من حديث الأوزاعي، به.

وقد تقدم في حديث عوف بن مالك، في «صحيح البخاري»: «فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا» (٣). وهكذا في حديث شداد أبي عمار، عن معاذ: «فيسيرون إليكم بثمانين بندا، تحت كل بند اثنا عشر ألفا» (٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة، عن أسير بن جابر، قال: هاجت ریح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة. قال: وكان متكئا فجلس، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغيمة. قال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. ونحا بيده نحو الشام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة. قال: فيشترط المسلمون شرط للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرط للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرط للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتلة - إما قال: لا يرى مثلها - وإما قال: لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلقهم حتى يخر ميتا. قال: فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة، فلا

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٩١/٤) وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن أبي شبة (٣٢٥/٥) وأبو داود (٢٧٦٧) (٤٢٩٢)، وابن ماجه (٤٠٨٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٢٣٠) من طريق عيسى بن يونس، وأخرجه أبو داود (٤٢٩٣)، وابن ماجه (٤٠٨٩)، وابن حبان (٦٧٠٨) (٦٧٠٩)، والبيهقي (٢٢٣/٩)، من طريق الوليد بن مسلم، والحاكم (٤٢١/٤) من طريق بشر بن بكر، كلهم عن الأوزاعي، به.

(٢) إسناده صحيح: وهو في «المسند» (٩١/٤).

(٣، ٤) سبق تخريجهما قريبا.

يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلَ الْوَاحِدَ، فَبَأَى غَنِيمَةً يُفْرَحُ؟ أَوْ أَى مِيرَاثٍ يُقَاسِمُ؟ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بَبَاسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي دَرَارِيهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ فَيَسْعَتُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيْعَةٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ» (١).

تَفَرَّدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ، فَرَوَاهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلَى بْنِ حُجْرٍ، كِلَاهُمَا عَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عَلِيٍّ، وَمِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ أَيُّوبَ، وَمِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، كِلَاهُمَا عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هَلَالٍ الْعَدَوِيِّ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ، وَالْأَشْهُرُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَعِينٍ؛ أَنَّهُ تَمِيمُ بْنُ نَذِيرٍ، وَوَقَّعَهُ. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَةَ وَغَيْرُهُ: كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَتَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فِي تَعْدَادِ الْأَشْرَاطِ: «وَهَذِهِ تَكُونُ بَيْنَكُمْ، وَيَبْنِي الْأَصْفَرُ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ فِي ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَفُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغَوْطَةُ. فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. (٢)

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَيْضًا، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغَوْطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ» (٣). وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي حَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فِي فَتْحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي قَبِيلٍ فِي فَتْحِ رُومِيَّةَ بَعْدَهَا أَيْضًا. (٤)

وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ: حَدَّثَنِي بَنُ زُهَيْرٍ بَنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَايِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَاتَلَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نَقَاتِلَهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ، لَا نَخْلَى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيَقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَرُمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يَفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سِوْفَهُمْ بِالزُّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِيدُونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَكَئِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرِيَّتِهِ» (٥).

وَقَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ الدَّبَلِيِّ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَمِعْتُمُ يَمْدِينَةَ جَانِبَ مِنْهَا

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٣٦٤٣) (٤١٤٦)، وأخرجه مسلم (٢٨٩٩)، وأبو يعلى (٥٣٨١)، والحاكم (٤٧٦/٤) من طريق إسماعيل، به. وله طرق.

(٢) (٤٠٣، ٤٠٤) سبق تخريجهم.

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٩٧) بهذا الإسناد.

فِي الْبَرِّ وَجَانِبِ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا». قَالَ ثَوْرٌ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: «الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيُضْرَحُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيحُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرَكُونَ كُلُّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ» (١).

وقال ابن ماجه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ الرَّقِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ الْحَنْبَلِيُّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ أَدْنَى مَسَاحِلِ الْمُسْلِمِينَ بَيَوتَاءً». ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ». قَالَ: يَا أَبِي وَأُمِّي. قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَيُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوحَةُ الْإِسْلَامِ، أَهْلُ الْحِجَازِ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِهِمْ، فَيَفْتَحُونَ الْقُسْطَنطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالْأَثَرَسَةِ، وَيَأْتِيَ آتٍ، فَيَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَرَجَ فِي بِلَادِكُمْ، أَلَا وَهِيَ كَذِبَةٌ، فَلَا خِذَ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ» (٢).

وقال مسلم: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عَتَبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ» (٣).

وقد روى مسلمٌ من حديث الليث بن سعد، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ». فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: لَنْ قَلْتَ ذَلِكَ إِنْ فِيهِمْ لَخَصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ قَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمُسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً: وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ (٤). ثُمَّ قَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو شَرِيحٍ أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ أَنَّ الْمُسْتَوْدَ الْقُرَشِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ». قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُذَكِّرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْدُ: قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَقَالَ عَمْرٍو: لَنْ قَلْتَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَصْبَرُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وَخَيْرُ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٠) بهذا الإسناد.

(٢) موضوع: أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٠) بهذا الإسناد.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٩٨) (٣٥) بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (١٨٠٢٢)، والبخارى في «الكبير» (١٦/٨)، والطبراني (٧٣٧/٢٠) من طريق الليث بن سعد، به.

النَّاسِ لِمَسَاكِينِهِمْ وَضِعْفَاتِهِمْ. (١) وهذا يدلُّ على أَنَّ الرُّومَ يُسَلِّمُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَعَلَّ فَتْحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَكُونُ عَلَى يَدَيِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمَتَّقَدُّمُ أَنَّهُ يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، وَالرُّومُ مِنْ سُلَالَةِ الْعِيسَى بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَهُمْ أَوْلَادُ عَمِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ يَعْقُوبُ ابْنُ إِسْحَاقَ، فَالرُّومُ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَيْرًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ الدَّجَالَ يَتَّبِعُهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ يَهُودِ أَصْهَانَ، فَهُمْ أَنْصَارُ الدَّجَالِ، وَهَؤُلَاءِ، أَعْنَى الرُّومَ، قَدْ مَدَحُوا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَلَعَلَّهُمْ يُسَلِّمُونَ عَلَى يَدَيِّ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. عَلَى أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ. «مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ». وَقَوَّى ذَلِكَ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتَقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَيَقَاتِلُهُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الْحِجَازِ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَرُومِيَّةَ بِلَادِ السَّيْبِ وَالْكَبِيرِ، فَيَنْهَدِمُ حِصْنُهَا فَيَصِيبُونَ مَا لَا تَمُوتُ بِصِيبِهَا مِثْلُهُ قَطُّ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَفْتَتِسِمُونَ بِالْأَنْرَسَةِ، ثُمَّ يَصْرُخُ صَارِخٌ: يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، الْمَسِيحُ الدَّجَالُ فِي بِلَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ. فَيَنْفُضُ النَّاسُ عَنِ الْمَالِ مِنْهُمْ الْأَخَذَ، وَمِنْهُمْ التَّارِكُ، الْأَخَذَ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا الصَّارِخُ؟ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فَيَقُولُونَ: ابْعَثُوا طَلِيعَةً إِلَى إِبِلْيَاءَ، فَإِنْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ خَرَجَ فَسَيَاتُونَكُمْ بِعِلْمِهِ. فَيَأْتُونَ، فَيَنْظُرُونَ، فَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا، وَيَرَوْنَ النَّاسَ سَاكِنِينَ فَيَقُولُونَ: مَا صَرَخَ الصَّارِخُ إِلَّا لِنَبَأٍ عَظِيمٍ، فَأَعْتَزَمُوا، ثُمَّ ارْتَضُوا، فَيَعْتَزِمُونَ أَنْ تَخْرُجَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى إِبِلْيَاءَ، فَإِنْ يَكُنِ الدَّجَالُ خَرَجَ نَقَاتِلُهُ بِأَجْمَعِنَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّهَا بِلَادُكُمْ وَعِشَائِرُكُمْ إِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا». (٢)

وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ بِهِاءُ الدِّينِ بْنُ عَسَاكَرٍ فِي كِتَابِهِ «الْمُسْتَقْصَى فِي فَصَائِلِ الْأَقْصَى» بِسَدِّ لَهُ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مَدِينَةَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ شَمَّتْ بِخَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، يَعْنِي زَمَنَ بُخْتِ نَصْرَ، فَتَعَزَّزَتْ وَتَجَبَّرَتْ وَشَمَخَتْ، فَسَمَّاهَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الْعَاتِيَةَ الْمُسْتَكْبِرَةَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا قَالَتْ مَعَ شِمَاتِهَا بَيْتِ الْمَقْدِسِ: إِنْ يَكُنْ عَرْشُ رَبِّي عَلَى الْمَاءِ، فَقَدْ بُنِيتُ أَنَا عَلَى الْمَاءِ، فَغَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَوَعَدَهَا الْعَذَابَ وَالْخَرَابَ، وَقَالَ لَهَا: حَلَفْتُ يَا مُسْتَكْبِرَةَ لِمَا قَدْ عَتَيْتَ عَنْ أَمْرِي وَتَجَبَّرْتِ، لِأُبْعِثَنَّ عَلَيْكَ عِبَادًا لِي مُؤْمِنِينَ مِنْ مَسَاكِينِ سَبَا، ثُمَّ لِأُشْجَعَنَّ قُلُوبَهُمْ حَتَّى أَدْعَاهَا كَقُلُوبِ الْأَسَدِ الضَّارِيَةِ، وَلَأَجْعَلَنَّ صَوْتَ أَحَدِهِمْ عِنْدَ الْبَاسِ كَصَوْتِ الْأَسَدِ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ الْغَائِيَةِ، ثُمَّ لِأُرْعِنَ قُلُوبَ أَهْلِكَ كَرُغْبِ الْعَصْفُورِ، ثُمَّ لِأَنْزِعَنَّ عَنْكَ حَلِيكَ وَدَيَّاجَكَ وَرِيَّاشَكَ، ثُمَّ لِأَتْرُكَنَّكَ جَلَحَاءَ قِرْعَاءَ صَلْعَاءَ؛ فَإِنَّهُ طَالَ مَا أَشْرَكَ بِي فِيكَ، وَعَبَدَ غَيْرِي، وَأَفْتَرَى عَلَيَّ، وَأَمْهَلْتَنِي إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ خَزَيْتُكَ، فَلَا تَسْتَعْجِلِي يَا عَاتِيَةَ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَفُوتَنِي شَيْءٌ أُرِيدُهُ. (٣)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: ثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَبَّاسِ الشَّامِيُّ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ قَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ: أَرَاهُ عَنْ هُزَيْلٍ، قَالَ: قَامَ حَذِيفَةُ فِي دَارِ عَامِرِ بْنِ حَنْظَلَةَ فِيهَا الْيَمْنَى وَالْمَضْرَى، فَقَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى مُضَرٍّ

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٨) (٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٣٦/٢٠).

(٢) موضوع: كثير بن عبد الله قال الشافعي: ركن من أركان الكذب.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٣١٣) وهو موقوف على كعب، وهو خير إسرائيل لا يصح.

يَوْمَ لَا يَدْعُونَ لِلَّهِ عَبْدًا يَعْبُدُهُ إِلَّا قَتَلُوهُ، أَوْ لِيُضْرِبُوا ضَرْبًا لَا يَمْنَعُونَ ذَنْبَ تَلْعَةٍ. فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَقُولُ هَذَا لِقَوْمِكَ - أَوْ: لِقَوْمِ أَنْتَ مِنْهُمْ - فَقَالَ: لَا أَقُولُ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ. (١)

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمُرَانِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ خَرَابٌ يَتْرِبُ، وَخَرَابٌ يَتْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَالِ». قال: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخْذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لِحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَهُنَا». أَوْ: «كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ». يَعْنِي مَعَادًا. (٢)

وهكذا رواه أبو داود، عن عباس العنبري، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، به. (٣)

وهذا إسنادٌ جيدٌ وحديثٌ حسنٌ، وعليه نُورُ الصَّدْقِ وَجَلَالَةُ النَّبَوَّةِ، وليس المرادُ أَنَّ الْمَدِينَةَ تَخْرُبُ بِالْكَلْبَةِ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وإنما ذلك في آخر الزمان، كما سيأتي بيانه في الأحاديث الصحيحة، بل قد يكونُ عِمَارَةُ الْمُقَدَّسِ سَبَبًا فِي خَرَابِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِّيةِ لِأَنَّ النَّاسَ يَرْجُلُونَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ لِأَجْلِ الرَّيفِ وَالرَّخْصِ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الدَّجَالَ لَا يَدْخُلُهَا، يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَى أَنْقَابِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ الْمُصَلَّتَةُ.

وفي «صحيح البخاري» من حديث مالك، عن نعيم المجر، عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْمَدِينَةُ: «لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ». (٤)

وفي «جامع الترمذي»: أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ إِذَا مَاتَ يُدْفَنُ فِي الْحُجْرَةِ النَّبَوِّيةِ. (٥)

وقد قال مسلمٌ: حدثني عمرو الناقد، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا زهير، عن سهيل ابن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَبْلُغُ الْمَسَاكِينَ إِهَابًا». أَوْ: «يَهَابًا». قال زهير: قُلْتُ لَسَهِيلَ: فكم ذلك من المدينة؟ قال: كَذَا وَكَذَا مِيلًا. (٦)

فهذه العمارة إما أن تكونَ قَبْلَ عِمَارَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وقد تكونُ بَعْدَ ذَلِكَ بَدَهْرٍ، ثُمَّ تَخْرُبُ بِالْكَلْبَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي سَنُورِدُهَا.

وقد رَوَى الْقُرْطُبِيُّ، مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى الْمَنْبَرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْهَا، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا فَيَعْمُرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلئَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهَا أَبَدًا». (٧)

(١) هو في «المسند» (٤٠٤/٥) وإسناده حسن من أجل عبد الجبار، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (٣٢٤١٦)، والطحاوي في «المشكّل» (٩٩١) من طريق الأعمش عن أبي قيس عن هزيل، به. وله شواهد تقويه ويصح بها.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٢٤٥/٥)، وأخرجه أبو داود (٤٢٩٤)، والطحاوي «مشكّل» (٥١٩)، والخطيب (٢٢٣/١٠)، والبيهقي (٤٢٥٢) من طريق عبد الرحمن بن ثوبان، به.

(٣) سنن أبي داود (٤٢٩٤)، وحسنه الألباني برقم (٣٦٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٣١).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦١٧) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه مسلم (٣٩٠٣) (٤٣).

(٧) موضوع: ذكره القرطبي في «التذكرة» (ص ٦٠٥) بسنده، وهو موضوع.

وفى حديث عن أبى سعيد، مرفوعاً مثله، وزاد: «وَلْيَدْعَنَّهَا وَهِيَ خَيْرٌ مَا تَكُونُ مُوْنَعَةً». قيل: فَمَنْ يَأْكُلُهَا؟ قال: «الطَّيْرُ وَالسَّبَاعُ»^(١).

وفى «صحيح مسلم»، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «يَتْرَكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَاقِي - يَرِيدُ عَوَاقِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ - ثُمَّ يُخْرِجُ رَاعِيَانِ مِنْ مَزِينَةٍ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ يَنْعَصَانِ بَعْضُهُمَا، فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوُدَاعِ خَرَا عَلَى وَجْهِهِمَا»^(٢).

وفى حديث حُذَيْفَةَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ، إِلَّا أَنَّى لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْهَا؟^(٣) وفى حديث آخر، عن أبى هريرة: «يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَنِصْفَ ثَمَرِهَا زَهْوً، وَنِصْفَهُ رُطْبًا». قيل: ما يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قال: أُمَرَاءُ السُّوءِ»^(٤).

وقال أبو داود: حَدَّثَنَا ابْنُ نُفَيْلٍ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ سَفْيَانَ الْعَسَّاسِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ قُطَيْبِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي بَحْرَةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَخُرُوجُ الدَّجَالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»^(٥). ورواه الترمذى، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، عن الحكم بن المبارك، عن الوليد بن مسلم به، وقال: حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى الباب عن الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ، وعبد الله ابن بسر، وعبد الله بن مسعود، وأبى سعيد الخدرى.

ورواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار، عن الوليد بن مسلم وإسماعيل بن عياش، عن أبى بكر ابن أبى مريم، به.

وقد قال الإمام أحمد وأبو داود، واللفظ له: حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ الْحِمَصِيُّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ، عَنْ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدٍ، هُوَ ابْنُ مَعْدَانَ، عَنْ ابْنِ أَبِي بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيُخْرِجُ الدَّجَالُ فِي السَّابِعَةِ»^(٦). وهكذا رواه ابن ماجه، عن سُوَيْدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ بَقِيَّةٍ، به.

وهذا مُشْكِلٌ مع الذى قبله، اللهم إلا أن يكون بين أول الملاحمة وآخرها ست سنين، ويكون بين آخرها وفتح المدينة، وهى القسطنطينية، مدة قريبة، بحيث يكون ذلك مع خروج الدجال فى سبعة أشهر، والله أعلم.

(١) موضوع: ذكره القرطبى فى «التذكرة» (ص ٦٠٥) بغير إسناد.

(٢) أخرجه أحمد (٧١٩٣)، والبخارى (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩) (٤٩٩).

(٣) جزء من حديث حذيفة: رواه البخارى (١٤٣٥) (٣٥٨٦)، ومسلم (ص ٢٣١٨) (١٤٤)، والترمذى (٢٢٥٨)، وابن ماجه (٣٩٥٥).

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه عمر بن شبة فى «تاريخ المدينة» (٦٢٢)، موقوفاً بإسناد ضعيف.

(٥) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٢٩٥)، وأحمد (٢٣٤/٥)، والترمذى (٢٢٣٨)، وابن ماجه (٤٠٩٢) من طريق أبى بكر ابن أبى مريم وهو ضعيف.

(٦) إسناده ضعيف: وهو فى «سنن أبى داود» (٤٢٩٦)، وراجع «الضعيف» (٩٢٦).

وقال الترمذی: حدثنا محمود بن غیلان، حدثنا أبو داود، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، قال: فتحت القسطنطينية مع قيام الساعة. قال محمود: هذا حديث غريب، والقسطنطينية هي مدينة الروم تفتح عند خروج الدجال، والقسطنطينية قد فتحت في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ. هكذا قال إنها فتحت في زمن الصحابة (١)، وفي هذا نظر؛ فإن معاوية بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم أبو أيوب الأنصاري، ولكن لم يتفق له فتحها، وحاصرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان، في زمان دولتهم، ولم يفتحها أيضاً، ولكن صالحهم على بناء مسجد بها، كما قدمنا ذلك مسوطاً. والله سبحانه أعلم.

ذكر خروج الدجال بعد وقوع الملحمة الرومية وفتح القسطنطينية

ولندكر قبل ذلك مقدمة فيما ورد في ذكر الكذابين الدجالين الذين هم كالمقدمة بين يدي الدجال الكبير خاتمهم، قبّحه الله وإياهم، وجعل نار الجحيم منقلبهم ومثواهم.

روى مسلم في «صحيحه» من حديث شعبة وغيره، عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين». قال جابر: فاحذروهم. (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بين يدي الساعة كذابون، منهم صاحب اليمامة، ومنهم صاحب صنعاء العنسي، ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال، وهو أعظمهم فتنة». قال جابر: وبعض أصحابي يقول: قريب من ثلاثين كذاباً. تفرد به أحمد. (٣)

وثبت في «صحيح البخاري»، عن أبي اليمان، عن شبيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله». (٤). وذكر تمام الحديث بطوله.

وفي «صحيح مسلم» من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله». (٥)

حدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بمثله، غير أنه قال: «ينبعث». (٦)

(١) موقوف رجاله ثقات: أخرجه الترمذی (٢٢٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٣)، وأحمد (٨٨/٥)، والطبائسي (٧٥٥) (١٢٧٧)، وأبو يعلى (٧٤٢٢)، والطبراني (١٩٧٨) من طريق أبي عوانة عن سماك، به. وله طرق.

(٣) إسناده ضعيف: وأخرجه أحمد (٣٤٥/٣) وإسناده ضعيف لأجل ابن لهيعة.

(٤) أخرجه البخاري (٧١٢١)، وأخرجه أحمد (٧٢٢٨)، ومسلم (ص ٢٢٣٩) من طريق مالك عن أبي الزناد، به. وله طرق.

(٥) أخرجه أحمد (٧٢٢٨)، ومسلم (ص ٢٢٣٩) (٨٤) كما سبق.

(٦) أخرجه مسلم (ص ٢٢٤٠)، وأخرجه أحمد (٤١٣/٢)، والبخاري (٣٦٠٩)، والترمذی (٢٢١٨)، من طريق عبد الرزاق، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت العلاء بن عبد الرحمن يحدث عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ ثَلَاثُونَ دَجَالُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَيَفِيضُ الْمَالُ فَيَكْثُرُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ». قال: قيل: أيما الهرج؟ قال: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ» ثلاثاً. تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم^(١). وقد رواه أبو داود عن القعنبي، عن الدراوردي، عن العلاء به^(٢).

ومن حديث محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَالًا كَذَابًا، كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ»^(٣).

وقال أحمد: حدثنا يحيى، عن عوف، حدثنا خلاص، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ دَجَالِينَ كَذَابِينَ، كُلُّهُمْ يَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ، أَنَا نَبِيٌّ». وهذا إسناد جيد حسن، تفرد به أحمد أيضاً^(٤).

وقال أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا سلامان بن عامر، عن أبي عثمان الأصبحي، سمعت أبا هريرة يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي دَجَالُونَ كَذَابُونَ، يَأْتُونَكُمْ بَبَدْعٍ مِنَ الْحَدِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْكُمُ وَإِيَاهُمْ، لَا يَفْتَنُوكُمْ»^(٥).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو كريب، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا هارون بن صالح الهمداني، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي الجلاس، قال: سمعت علياً يقول لعبد الله السبائي: ويلك، والله ما أفضى إليّ بشيء كتمته أحدًا من الناس، ولقد سمعته يقول: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَابًا». وإنك لأحدكم. ورواه أيضاً عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن محمد بن الحسن، به^(٦).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَابُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي». الحديث بتمامه^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو الوليد، حدثنا عبيد الله بن إيراد بن لقيط، حدثنا إيراد، عن

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٤٥٧/٤) بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٣)، وابن حبان (٦٦٥١) من طريق الدراوردي عن العلاء، به.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٩٨١٨)، وإسناده حسن، وأخرجه أبو داود (٤٣٣٤)، وأبو يعلى (٥٩٤٥) من طرق عن محمد بن عمرو، به.

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٩٥٤٨)، وإسناده ضعيف للانقطاع، ولكن يشهد له ما سبق.

(٥) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٨٥٩٦)، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وشيخه مجهول.

(٦) أخرجه أبو يعلى (٤٤٥) (٤٤٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٣٣/٧): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات. وأخرجه عبد الله بن أحمد في «السنن» (ص ٢٠٢) بهذا الإسناد. وإسناده ضعيف - محمد بن الحسن صدوق فيه لين. وشيخه هارون مستور.

(٧) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) وقد سبق تخريجه مطولاً.

عبد الرحمن بن نعيم، أو نعيم الأعرجي، شك أبو الوليد، قال: سأل رجل ابن عمر عن المتعة - وأنا عنده - متعة النساء، فقال: والله ما كنا على عهد رسول الله ﷺ زانين ولا مسافحين، ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونَنَّ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ، وَكَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، أَوْ أَكْثَرُ» (١) ورواه الطبراني من حديث موري العجلي، عن ابن عمر، بنحوه، تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، وهو ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن عبد الله بن عمر، أنه كان عنده رجل من أهل الكوفة، فجعل يحدثه عن المختار، فقال ابن عمر: إن كان كما تقول، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ دَجَالًا كَذَّابًا». تفرد به أحمد من هذا الوجه. (٢)

وقد رواه سعيد بن عامر، عن ابن عمر، ولكن قال: «سَبْعُونَ». قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا ابن فضيل، عن ليث، عن سعيد بن عامر، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِي أُمَّتِي لَنَيْفًا وَسَبْعِينَ دَاعِيًا، كُلُّهُمْ دَاعٍ إِلَى النَّارِ، لَوْ أَشَاءَ لَأَنْبَأْتُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ» (٣). وهذا إسناد لا بأس به. وقد روى ابن ماجه به حديثاً في الكرخ والشرب باليد. (٤)

وقال أبو يعلى: حدثنا زهير، حدثنا جرير، عن ليث، عن بشر، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ نَيْفٌ عَلَى سَبْعِينَ دَجَالًا». فيه غرابة، والذي في الصحاح أثبت (٥). والله له أعلم.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن طلحة بن عبد الله بن عوف، عن أبي بكرة، قال: أكثر الناس في مسيئة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: «أَمَّا بَعْدُ، فَفِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِيهِ، وَإِنَّ كَذَّابٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا، يَخْرُجُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِلَدٍّ إِلَّا يَبْلُغُهَا رُعْبُ الْمَسِيحِ إِلَّا الْمَدِينَةَ؛ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ نَقَابِهَا مَلَكَانٌ يَذْبَانِ عَنْهَا رُعْبَ الْمَسِيحِ» (٦).

وقد رواه أحمد أيضاً عن حجاج، عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن طلحة ابن عبد الله بن عوف، أن عياض بن مسافع أخبره عن أبي بكرة، فذكره، وقال فيه: «فَإِنَّهُ كَذَّابٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا، يَخْرُجُونَ قَبْلَ الدَّجَالِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِلَدٍّ إِلَّا يَدْخُلُهَا رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ إِلَّا الْمَدِينَةَ؛ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ نَقَابِهَا يَوْمَئِذٍ مَلَكَانٌ يَذْبَانِ عَنْهَا رُعْبَ الْمَسِيحِ». تفرد به أحمد من الوجهين. (٧)

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٥٦٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (١١٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٥٦٧٥)، وإسناده ضعيف لضعف الليث بن أبي سليم.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣١).

(٥) أبو يعلى (٤٠٤٢)، وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه أحمد (٤١/٥)، وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه أحمد (٤٦/٥)، وإسناده ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو جعفر المدائني، وهو محمد بن جعفر، حدثنا عباد بن العوام، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمار الدجال سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويضة». قيل: وما الرويضة؟ قال: «الرويضة يتكلم في أمر العامة» (١). وهذا إسناده جيد قوى، تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: ثنا علي بن عبد الله قال: ثنا معاذ. يعني ابن هشام قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده، ولم أسمعه منه، عن قتادة، عن أبي معشر، عن إبراهيم النخعي، عن همام، عن حذيفة، أن رسول الله ﷺ قال: «في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدى» (٢).

الكلام على أحاديث الدجال

قال مسلم: حدثني حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التميمي، أخبرني ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أن سالم بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب أنطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «أتشهد أني رسول الله؟» فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأمين، فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: «أتشهد أني رسول الله؟» فرفضه رسول ﷺ وقال: «أمنت بالله وبرسوله». ثم قال له رسول الله ﷺ: «ماذا ترى؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. فقال له رسول الله ﷺ: «خلط عليك الأمر». ثم قال له رسول الله ﷺ: «إنني قد خبأت لك خبيثاً». فقال ابن صياد: هو الدخ. فقال له رسول الله ﷺ: «أخساً، فلن تعدو قدرك». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «دزني يا رسول الله أضرب عنقه». فقال له رسول الله ﷺ: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله» (٣).

وقال سالم بن عبد الله: سمعت عبد الله بن عمر يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل، وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فراه رسول الله ﷺ، وهو مضطجع على فراش في قطيفة، له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠/٣)، وإسناده ضعيف، لكن الحديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٩٦/٥)، وإسناده صحيح. وأخرجه الطبراني (٣٠٢٦) من طريق علي ابن المديني، به. وأخرجه الطحاوي (٢٩٥٣)، والطبراني (٣٠٢٦)، وفي «الأوسط» (٥٤٤٦) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعة عن معاذ بن هشام، به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٠) (٩٥)، وأخرجه البخاري (١٣٥٤) (٦١٧٣)، وأحمد (٦٣٦٤)، وابن حبان (٦٧٨٥)، والبيهقي (٤٢٧٠) من طرق عن الزهري، به.

رسول الله ﷺ وهو يتقى بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد. فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: «توتركت بين» (١)

قال سالم: قال عبد الله بن عمر: فقام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «إني لأُنذركموه، ما من نبي إلا وقد أُنذره قومه، لقد أُنذره نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلموا أنه أعور، وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور» (٢)

قال ابن شهاب: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري؛ أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال: «إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن». وقال: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت» (٣). وأصل الحديث عند البخاري من حديث الزهري، عن سالم، عن أبيه، بنحوه.

وروى مسلم أيضاً، من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني النار فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنب طافئة» (٤)

ولمسلم من حديث شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أُنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ريكُم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر» (٥). رواه البخاري من حديث شعبة، بنحوه.

قال مسلم (٦): وحدثني زهير بن حرب، حدثنا عفان، حدثنا عبد الوارث، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافر». ثم تهجأها ك ف ر، «يقرؤه كل مسلم».

وقال أحمد: ثنا يزيد بن هارون، ثنا محمد بن إسحاق، عن داود بن عامر بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبي إلا وصف الدجال لأُمته، ولا صفته صفة لم يصفها أحد كان قبلي، إنه أعور، والله عز وجل ليس بأعور» لم يخرجوه، وإسناده جيد (٧)

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨١٧)، وعنه أحمد (٦٣٦٠)، والبخاري (٣٠٥٥) (٦٦١٨)، ومسلم (٢٩٣١). وأبو داود (٤٣٢٩)، والترمذي (٢٢٤٩) عن معمر، به.

(٢) أخرجه أحمد (٦٣٦٥)، والترمذي (٢٢٣٥) من طريق عبد الرزاق، به. وأخرجه البخاري (٣٠٥٧) (٣٣٣٧) (٦١٧٥) (٧١٢٧)، ومسلم (٢٩٣١) (١٦٩) من طرق عن الزهري، به.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٢٠)، وعنه أحمد (٤٣٣/٥)، ومسلم (ص ٢٢٤٦) (٩٧)، والترمذي (٢٢٣٥) من طريق معمر، به.

(٤) أخرجه مسلم (ص ٢٢٤٧) (١٠٠)، وأخرجه البخاري (٣٤٣٩) (٧٤٠٧)، ومسلم (ص ٢٢٤٨) من طرق عن نافع.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٣) (١٠١)، وأخرجه الطيالسي (١٩٦٣)، وأحمد (١٢٠٠٤)، والبخاري (٧١٣١) (٧٤٠٨)، وأبو داود (٤٣١٦)، وأبو يعلى (٣٢٦٥) من طرق عن شعبة، به.

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٣٣) (١٠٣)، وأخرجه أحمد (١٣٥٩٩)، وأبو داود (٤٣١٨)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٥٣).

(٧) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (١٧٦/١).

ومسلم من حديث الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنة ونار، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ» (١).

حدثنا (٢) أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي ابن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ: أَحَدُهُمَا رَأَى الْعَيْنَ مَاءً أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأَى الْعَيْنَ نَارًا تَأْجِجُ، فِيمَا أَدْرَكَنَّ أَحَدًا فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلِيَغْمُضَ، ثُمَّ لِيُطَاطِطَ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ». ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ حَذِيفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ. (٣)

قال أبو مسعود: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (٤)

ورواه البخاري من حديث شعبة، بنحوه. (٥)

وقال الإمام أحمد: ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي التياح، سمعتُ صخرًا يحدثُ عن سبيع قال: أرسلوني من ماء إلى الكوفة اشترى الدواب فأتينا الكناسة، فإذا رجلٌ عليه جمعٌ، فأما صاحبي فانطلق إلى الدواب، وأما أنا فأتيتُه، فإذا حذيفة، فسمعتُه يقول: كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وأسأله عن الشر، فقلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: فما العصمة منه؟ قال: «السيف». قلت: ثم ماذا؟ قال: «ثُمَّ تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ». قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَالْزِمَهُ، وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرُبْ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌ بِجَذَلِ شَجَرَةٍ». قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَالُ». قال: قلت: فبِمَ يجيء به معه؟ قال: «بِنَهْرٍ - أَوْ قَالَ: مَاءٍ وَنَارٍ - فَمَنْ دَخَلَ نَهْرَهُ حَبِطَ أَجْرُهُ، وَوَجِبَ وَزْرُهُ، وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجِبَ أَجْرُهُ، وَهَبِطَ وَزْرُهُ». قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «لَوْ أَنْتَجْتَ فَرَسًا لَمْ تَرْكَبْ فَلَوْهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». (٦)

وروى البخاري، ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمُهُ؟ إِنَّهُ أَعُورٌ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ، كَمَا أَنْذَرْتَنِي نُوحٌ قَوْمَهُ». (٧)

(١) أخرجه مسلم (ص ٢٢٤٩) (١٠٥)، وأحمد (٣٨٣/٥)، وابن ماجه (٤٠٧١)، والبزار (٢٨٦٦)، من طريق أبي معاوية، به.
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٤) (١٠٦)، وأخرجه البخاري (٣٤٥٠)، والبزار (٢٨٢٠)، والطبراني (٦٤٢/١٧) من طريق عبد الملك بن عمير، به.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (٧١٣٠) من طريق شعبة، به.

(٦) أحمد (٤٠٣/٥) وإسناده ضعيف، لكن له طرق يتقوى بها.

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦) من طريق شيبان، به.

وروى مسلمٌ من حديث محمد بن المنكدر قال: رأيتُ جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابنَ صيَّاد الدَّجَالُ، فقلتُ: أَتَحْلِفُ بالله؟ قال: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَنْكَرْهُ النَّبِيُّ ﷺ. (١)

وروى (٢) من حديث نافع، أن ابنَ عمرَ لقي ابنَ صيَّادَ في بعضِ طُرُقِ المدينة، فقال له ابنُ عمرَ قولاً أغضبَه، فانتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السَّكَّةَ - وفي رواية أن ابنَ صيَّادَ نَحَرَ كَأَشَدَّ نَحْرِ حِمَارٍ يَكُونُ، وأن ابنَ عمرَ ضَرَبَهُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عَصَاهُ - ثم دَخَلَ عَلَى أُخْتِهِ حَقْصَةَ، فقالت له: مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبِي يَغْضِبُهَا». (٣)

قال بعضُ العلماء: ابنُ صيَّادَ كان بعضُ الصحابةِ يظُنُّه الدَّجَالُ الأكبر، وليس به، إنما كان دَجَالًا مِنَ الدَّجَاجِلَةِ صَغِيرًا. وقد ثَبِتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّهُ صَحَبَ أَبَا سَعِيدٍ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَأَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ تَبَرَّمَ إِلَيْهِ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ إِنَّهُ الدَّجَالُ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي سَعِيدٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ». وقد وَلِدْتُ بِهَا، «وَإِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ». وقد وَلِدَ لِي، «وَإِنَّهُ صَافِرٌ». وَأَنَا قَدْ أَسَلَمْتُ؟ ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: وَمَعَ هَذَا إِنِّي لِأَعْلَمُ النَّاسَ بِهِ، وَأَيْنَ مَكَانُهُ، وَلَوْ عَرِضَ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ إِيَّاهُ لَمْ كَرِهْتُ ذَلِكَ. (٤)

وقال أحمدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمُتَعَالِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنَا مُجَالِدٌ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاءِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: ذَكَرَ ابْنُ صَيَّادٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَمُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا كَلَّمَهُ. (٥)

وقال أحمدُ: ثنا سعيدٌ مولى بنى هاشم، حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ عَمْرَانَ الْمَازِنِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ، وَسُئِلَ هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قال: نعم. قيل: هل كلمته؟ قال: لا، ولكنِّي رَأَيْتُهُ أَنْطَلَقَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى دَارًا قَوْرَاءَ، فَقَالَ: «افْتَحُوا هَذَا الْبَابَ» فَفَتَحُوا، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَخَلْتُ مَعَهُ، فَلِذَا قَطِيفَةً فِي وَسْطِ الْبَيْتِ، فَقَالَ: «ارْفَعُوا هَذِهِ الْقَطِيفَةَ». فَرَفَعُوهَا، فَلِذَا غُلَامٌ أَعْوَرٌ تَحْتَ الْقَطِيفَةِ، فَقَالَ: «قُمْ يَا غُلَامُ». فَقَامَ الْغُلَامُ. فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ». فقال الْغُلَامُ: أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. قال: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ». فقال الْغُلَامُ: أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا» مَرَّتَيْنِ. (٦)

والمقصودُ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ لَيْسَ بِالدَّجَالِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَطْعًا؛ لحديثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الْفَهْرِيَّةِ، فَإِنَّهُ فَيَصِلُ فِي هَذَا الْمَقَامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٩) (٩٤) بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٢) (٩٨) بهذا الإسناد.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٣) (٩٩). (٤) أخرجه البخاري ومسلم (٢٩٢٧).

(٥) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٧٩/٣)، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف وعبد المتعال فيه جهالة.

(٦) أحمد (٤٥٤/٥) إسناده ضعيف، مهدي بن عمران لا يتابع على حديثه، وأخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ»

(٢٩٥/١) من طريق عمرو بن سهيل، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص ٤٥ - ٤٦) من طريق عبد الصمد بن

عبد الوارث كلاهما عن مهدي، به.

حديث فاطمة بنت قيس في الدجال

قال مسلم: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، وحماد بن أبي الشاعر، كلاهما عن عبد الصمد، واللفظ لعبد الوارث بن عبد الصمد، حدثني أبي، عن جدّي، عن الحسين بن ذكوان، حدثنا ابن بريده، حدثني عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول، فقال: حدثيني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا تُسنديه إلى أحد غيره. فقالت: لكن شئت لأفعلن. فقال لها: أجل، حدثيني. فقالت: نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبني فليحب أسامة». فلما كلمني رسول الله ﷺ قلت: أمرى بيدك، فأنكحني من شئت. فقال: «انتقلي إلى أم شريك». وأم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان. فقلت: سأفعل. فقال: «لا تفعل: إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، وإنى أكره أن يسقط عنك خمارك، أو يتكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم». وهو رجل من بني فهر، فهر قريش، وهو من البطن الذي هي منه. فانتقلت إليه، فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي، منادى رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكنيت في النساء اللاتي يلين ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «يلزم كل إنسان مصلاه». ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني، والله، ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميموا الدارى كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال؛ حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجدام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفقوا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلك كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشدّه وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد. قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفقنا إلى جزيرةك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلك كثير الشعر، لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعبدوا إلى هذا الرجل في الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَحْلِ بَيْسَانَ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَحْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَّا إِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ لَا تَثْمُرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَّا إِنْ مَاءُهَا يَوْشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُعْرٍ. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأَمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَّا إِنْ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنْ أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي يَوْشِكُ أَنْ يُؤَذَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرَجَ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدْعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِيعَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا. كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً، أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلِكٌ بِيَدِهِ السَّيْفِ صَلَتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنْ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا». قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمَنْبَرِ: «هَذِهِ طَبِيعَةُ، هَذِهِ طَبِيعَةُ، هَذِهِ طَبِيعَةُ». يَعْنِي الْمَدِينَةَ. «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ. وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (١)

ثُمَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيَّارٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ فَاطِمَةَ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «إِنَّ بَنِي عَمٍّ لَتَمِيمٍ الدَّارِيُّ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ. (٢)

وَمِنْ حَدِيثِ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْهَا، فَذَكَرَتْهُ: أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ رَكِبَ فِي الْبَحْرِ، فَتَاهَتْ بِهِ السَّفِينَةُ، فَسَقَطَ إِلَى جَزِيرَةٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَقِيَ إِنْسَانًا يَجْرُ شَعْرَهُ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ، فَحَدَّثَهُمْ، قَالَ: «هَذِهِ طَبِيعَةُ، وَذَلِكَ الدَّجَالُ». (٣)

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْمَغِيرَةُ، يَعْنِي الْحَزَامِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، حَدَّثَنِي تَمِيمُ الدَّارِيُّ أَنَّ أَنَسًا مِنْ قَوْمِهِ كَانُوا فِي الْبَحْرِ فِي سَفِينَةٍ لَهُمْ، فَانْكَسَرَتْ بِهِمْ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ عَلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاكِ السَّفِينَةِ، فَخَرَجُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ (٤)، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ، مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْهَا، بِنَحْوِهِ. (٥)

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢) (١١٩)، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٢٦)، وَالطَّبْرَانِيُّ (٩٥٨/٢٤). وَأَبُو عَمْرٍو فِي «الْفِتَنِ» (٦٢٦) مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ، بِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (١٦٤٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٤٢) (١٢٠).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢) (١٢١)، وَالطَّبْرَانِيُّ (٩٧١/٢٤)، وَابْنُ مَنْدَةَ فِي «الْإِيمَانِ» (١٠٦٠) مِنْ طَرِيقِ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، بِهِ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ (٩٦٢/٢٤)، وَابْنُ مَنْدَةَ (١٠٥٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزِّنَادِ، بِهِ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٢٧)، وَالطَّبْرَانِيُّ (٩٦١/٢٤)، مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ، بِهِ. وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لضعف مجالد، وقد توبع.

ورواه الترمذیُّ من حديث قتادة، عن الشعبي، عنها، وقال: حسن صحيح غريب، من حديث قتادة، عن الشعبي. (١)

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عنها بنحوه (٢)، وكذلك رواه الإمام أحمد، عن عفان، وعن يونس بن محمد المؤدب، كل منهما عن حماد بن سلمة به. (٣)

وقال الإمام أحمد: ثنا يحيى بن سعيد، ثنا مجالد، عن عامر، قال: قدمت المدينة، فأتيت فاطمة بنت قيس، فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله ﷺ فبعته رسول الله ﷺ في سريته، فقال لي أخوه: اخرجي من الدار. فقلت: إن لي نفقة وسكنى حتى يحل الأجل. قال: لا. قالت: فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إن فلانا طلقني، وإن أخاه أخرجني، ومنعني السكنى والنفقة. فأرسل إليه، فقال: «ما لك، ولا بنة آل قيس؟» قال: يا رسول الله، إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «انظري يا ابنة آل قيس، إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها، ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى، اخرجي فأنزلي على فلانة». ثم قال: «إنه يتحدث إليها، انزلي على ابن أم مكتوم؛ فإنه أعمى لا يراك». ثم قال: «لا تنكحي حتى أكون أنا أنكحك».

قالت: فخطبني رجل من قريش، فأتيت رسول الله ﷺ أستأمره، فقال: «ألا تنكحين من هو أحب إلي منه؟» فقلت: بلى، يا رسول الله، فأنكحني من أحببت. قالت: فأنكحني من أسامة بن زيد. قال: فلما أردت أن أخرج، قالت: اجلس حتى أحدثك حديثاً عن رسول الله ﷺ.

قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً من الأيام، فصلّى صلاة الهاجرة، ثم قعد ففرغ الناس، فقال: «اجلسوا أيها الناس، فإني لم أقم مقامى هذا لفرع، ولكن تميم الداري أتاني فأخبرني خبراً منعني من القيلولة؛ من الفرع وقرة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم. أخبرني أن رهطاً من بني عمه ركبوا البحر، فأصابتهم ريح عاصف، فآلجأتهم الريح إلى جزيرة لا يعرفونها فقعدها في قويرب سفينة، حتى خرجوا إلى الجزيرة، فإذا هم بشيء أهلب كثير الشعر، لا يدرون أرجل هو أو امرأة؟ فسلموا عليه، فردّ عليهم السلام، فقالوا: ألا تخبرنا؟ فقال: ما أنا بمخبركم، ولا بمستخبركم، ولكن هذا الديار الذي قد رهقتموه فيه من هو إلى خبركم بالأشواق أن يخبركم ويستخبركم. قالوا: قلنا: ما أنت؟ قال: أنا الجساسة. فأنطلقوا حتى أتوا الديار، فإذا هم برجل موثق شديد الوثاق، مظهر الحزن كثير التشكى، فسلموا عليه، فردّ عليهم، فقال: ميم أنتم؟ قالوا: من العرب. قال: ما فعلت العرب؟ أخرج نبيهم بعد؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: خيراً، آمنوا به وصدقوه. قال: ذلك خير

(١) الترمذی (٢٢٥٣)، والطبرانی (٩٦٧/٢٤)، من طريق قتادة، به.

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٤/٦)، والنسائي «كبرى» (٤٢٥٨)، وابن حبان (٣٧٣٠) (٦٧٨٩)، والطبرانی (٩٦٤/٢٤)، من طريق حماد، به، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٤/٦) عن يونس، و(٤١٣/٦) عن عفان، كلاهما عن حماد بهذا الإسناد، وإسناده صحيح.

لَهُمْ. قَالَ: فَكَانَ لَهُ عَدُوٌّ فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: فَالْعَرَبُ الْيَوْمَ إِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ عَيْنَ زَعْرٍ؟ قَالُوا: صَالِحَةٌ، يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُهَا، تَسْقِيهِمْ، وَيَسْقُونَ مِنْهَا زَرْعَهُمْ. قَالَ: فَمَا فَعَلَ نَخْلُ بَيْنَ عَمَانَ وَبَيْسَانَ؟ قَالُوا: صَالِحٌ، يَطْعَمُ جَنَاهُ كُلَّ عَامٍ قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ بِحَيْرَةِ الطَّبْرِيقِ؟ قَالُوا: مَلَأَى. قَالَ: فَزَعَرْتُمْ زَعْرَتُمْ زَعَرَ، ثُمَّ حَلَفَ: تَوَخَّرْتُ مِنْ مَكَانِي هَذَا مَا تَرَكْتُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَّا وَطْنَتَهَا غَيْرَ طَيِّبَةٍ، لَيْسَ لِي عَلَيْهَا سُلْطَانٌ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَى هَذَا انْتَهَى فِرْحَى». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. «إِنَّ طَيِّبَةَ الْمَدِينَةِ، إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، حَرَّمَ حَرَمَهَا عَلَى الدَّجَالِ أَنْ يَدْخُلَهَا». ثُمَّ حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا لَهَا طَرِيقٌ ضَيِّقٌ وَلَا وَاسِعٌ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيْفِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا يَسْتَطِيعُ الدَّجَالُ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَى أَهْلِهَا».

قال عامر: فلقيت المحرر بن أبي هريرة، فحدثته بحديث فاطمة بنت قيس، فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتك فاطمة، غير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ فِي نَحْوِ الْمَشْرِقِ». قال: ثم لقيت القاسم بن محمد، فذكرت له حديث فاطمة، فقال: أشهد على عائشة أنها حدثتني كما حدثتك فاطمة غير أنها قالت: «الْحَرَمَانِ عَلَيْهِ حَرَامٌ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ» (١).

وقد رواه أبو داود وابن ماجه، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن مجالد، عن عامر الشعبي، عن فاطمة بنت قيس، بسطه ابن ماجه، وأحاله أبو داود على الحديث الذي رواه قبله، ولم يذكر متابعة أبي هريرة، وعائشة، كما ذكر ذلك الإمام أحمد.

وقال أبو داود: حدثنا الثعلبي، ثنا عثمان بن عبد الرحمن، ثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن فاطمة بنت قيس، أن رسول الله ﷺ أَمَرَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: «إِنَّهُ حَبَسَنِي حَدِيثٌ كَانَ يَحْدِثُنِي تَمِيمُ الدَّارِيُّ عَنْ رَجُلٍ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ تَجَرُّ شَعْرَهَا، قَالَ: مَا أَنْتَ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، أَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ. فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَجْرُ شَعْرَهُ، مُسَلَّسٌ فِي الْأَغْلَالِ، يَنْزُو فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الدَّجَالُ، خَرَجَ نَبِيُّ الْأَمِّيِّينَ بَعْدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَطَاعُوهُ أَمْ عَصَوْهُ؟ قُلْتُ: بَلْ أَطَاعُوهُ. قَالَ: ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ (٢). فهذه متابعة للشعبي، عن فاطمة بنت قيس ببعضه، ثم أورد أبو داود حديث عبد الله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن فاطمة بنت قيس، بطوله كنحو مما تقدم.

ثم قال أبو داود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا ابن فضال، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَنْبَرِ: «إِنَّهُ بَيْنَمَا أَنَا فِي الْبَحْرِ، فَتَفَدَّ طَعَامُهُمْ، فَرَفَعَتْ لَهُمْ جَزِيرَةً، فَخَرَجُوا يَرِيدُونَ الْخَبَزَ، فَلَقِيَتْهُمْ الْجَسَّاسَةُ. قُلْتُ لِأَبِي سَلَمَةَ: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَ: امْرَأَةٌ تَجَرُّ شَعْرَ جِلْدِهَا وَرَأْسِهَا. فَقَالَتْ: فِي هَذَا الْقَصْرِ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَسَأَلَ عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، وَعَيْنَ زَعْرٍ. قَالَ: هُوَ الْمَسِيحُ».

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٣-٣٧٤)، والطبراني (٩٦١/٢٤)، من طريق يحيى بن سعيد، به. وإسناده ضعيف، لأجل مجالد. وقد توبع.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٢٥) بإسناد حسن والحديث صحيح.

فقال لى ابنُ أبي سلمة: إن فى هذا الحديث شيئاً ما حفظته. قال: شهد جابرٌ أنه ابنُ صيَّاد. قلتُ: فإنه قد مات. قال: وإن مات. قلتُ: فإنه أسلم. قال: وإن أسلم. قلتُ: فإنه قد دخل المدينة. قال: وإن دخل المدينة. تفرَّد به أبو داود، وهو غريبٌ جداً. (١)

وقال الحافظُ أبو يعلى: حدَّثنا محمدُ بنُ أبي بكرٍ، حدَّثنا أبو عاصمٍ سعدُ بنُ زيادٍ، حدَّثنى نافع سولاي، عن أبي هريرة، أن رسولَ الله ﷺ استوى على المنبر، فقال: «حدَّثنى تميم». فرأى تميمًا فى ناحية المسجد، فقال: «يا تميم، حدِّثْ الناسَ ما حدَّثتَنى». فقال: كنَّا فى جزيرة، فإذا نحنُ بدابةٍ لا يُدرى قُلُوبُها من دبرها. فقالت: تعجبون من خلقى، وفى الدَّيرِ من يشتهى كلامكم! فدخلنا الدَّيرَ، فإذا نحنُ برجلٍ مؤثَّقٍ فى الحديد، من كعبه إلى أذنه، وإذا أحدٌ منخريه مسدود، وإحدى عينيه مطموسة، والأخرى كأنها كوكبٌ درى. قال: من أنتم؟ فأخبرناه، فقال: ما فعلتَ بحيرة طبرية؟ فلنا: كعدها. قال: فما فعل نخلُ بيسان؟ قلنا: بعده. قال: لأطأَنَّ الأرضَ بقدمي هاتين، إلَّا بلدةَ إبراهيمَ وطابا. فقال رسولُ الله ﷺ: «طابا هى المدينة». وهذا حديثٌ غريبٌ جداً. (٢)

وقد قال أبو حاتم: أبو عاصمٍ هذا ليس بالمتين.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا محمدُ بنُ سابقٍ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ طهمانٍ، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن امرأةً من اليهود بالمدينة ولدت غلامًا ممسوحًا عينه، طالعة نائنة، فأشفق رسولُ الله ﷺ أن يكون الدجال، فوجده تحت قطيفة يهيمهم، فأذنته أمه فقالت: يا عبد الله، هذا أبو القاسم قد جاء فخرج إليه. فخرج من القطيفة، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما لها قاتلها الله؟ لو تركته لبيِّن».

ثم قال: «يا بن صيَّادٍ ما ترى؟» قال: أرى حقًا، وأرى باطلاً، وأرى عرشًا على الماء. قال: فليس عليه. فقال: «أتشهد أنى رسولُ الله؟» فقال هو: أتشهد أنى رسولُ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «أمنتُ بالله ورسوله». ثم خرج وتركه، ثم أتاه مرةً أخرى، فوجده فى نخلٍ له يهيمهم، فأذنته أمه، فقالت: يا عبد الله، هذا أبو القاسم قد جاء. فقال رسولُ الله ﷺ: «ما لها قاتلها الله؟ لو تركته لبيِّن». قال: فكان رسولُ الله ﷺ يطمع أن يسمع من كلامه شيئًا؛ ليعلم أهو هو أم لا؟ قال: «يا بن صيَّادٍ ما ترى؟» قال: أرى حقًا، وأرى باطلاً، وأرى عرشًا على الماء. قال: «أتشهد أنى رسولُ الله؟» قال هو: أتشهد أنى رسولُ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «أمنتُ بالله ورسوله». فليس عليه، ثم خرج وتركه. ثم جاء فى الثالثة أو الرابعة ومعه أبو بكرٍ وعمرُ بن الخطَّابِ فى نفرٍ من المهاجرين والأنصار وأنا معه. قال: فبادر رسولُ الله ﷺ بين أيدينا، ورجا أن يسمع من كلامه شيئًا، فسبقته أمه إليه، فقالت: يا عبد الله، هذا أبو القاسم قد جاء. فقال رسولُ الله ﷺ: «ما لها قاتلها الله؟ لو تركته لبيِّن». فقال: «يا بن صيَّادٍ ما ترى؟» قال: أرى حقًا، وأرى باطلاً، وأرى عرشًا على الماء. قال: «أتشهد أنى رسولُ الله؟» قال: أتشهد أنت أنى رسولُ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ:

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٨) بإسناد ضعيف.

(٢) إسناد ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٥٥٩٦) «إتحاف».

«أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ». فَلَبِسَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بَنَ صَيَّادٍ، إِنَّا قَدْ خَبَأْنَا لَكَ خَبِيئًا، فَمَا هُوَ؟». قَالَ: الدُّخُّ، الدُّخُّ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْسَأْ اخْسَأْ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذْنٌ لِي فَأَقْتُلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَسْتُ صَاحِبَهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ». قَالَ -يعني جابرًا-: فلم يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُشْفِقًا أَنَّهُ الدُّجَالُ. وهذا سياقٌ غريبٌ جدًا. (١)

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن سليمان الأعمش، عن شقيق ابن سلمة، عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نَمْشِي إِذْ مَرَّ بِصَبِيَّانِ يَلْعَبُونَ، فِيهِمَا ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: دَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَخَافُ فَلَنْ تَسْتَطِيعَهُ». (٢)

والأحاديث الواردة في ابن صياد كثيرة، وفي بعضها التوقف في أمره، هل هو الدجال أم لا؟ فالله أعلم. ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يوحى إلى رسول الله ﷺ في شأن الدجال وتعيينه، وقد تقدم حديث تميم الداري في ذلك، وهو فاصل في هذا المقام، وسنورد من الأحاديث ما يدل على أن الدجال ليس بابن صياد. والله سبحانه أعلم؛ فقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سالم، عن عبد الله ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطْوَفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَدَمٌ، سَبَطَ الشَّعْرَ، يَنْطَفُ -أَوْ: يَهْرَأُ- رَأْسُهُ مَاءً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفَتِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ، أَحْمَرُ، جَعَدَ الرَّأْسَ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قَالُوا: هَذَا الدُّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قُطْنٍ، رَجُلٌ مِنْ خَزَاعَةَ». (٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْرِجُ الدُّجَالُ فِي خِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الْأَرْضِ، الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ، عَرَضَ مَا بَيْنَ أُذُنِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمْ. وَهُوَ أَعْوَرُ -وَأَنْ رَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ- مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، كَفَرْتُ بِكُمْ هَجَاةً، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ، يَرُدُّ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ إِلَّا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ؛ حَرَّمَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَبْوَابِهَا، وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَهُ، وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ، نَهْرٌ يَقُولُ: الْجَنَّةُ. وَنَهْرٌ يَقُولُ: النَّارُ. فَمَنْ أَدْخَلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ، وَمَنْ أَدْخَلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ».

(١) أخرجه الطحاوي «مشكل» (٢٩٤٢)، والبيهقي (٤٢٧٤) من طرق عن محمد بن سابق، وإسناده على شرط مسلم لولا عنقته أبي الزبير. وأخرجه مسلم (٢٩٢٦) مختصرًا عن أبي نضرة عن جابر.

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٧١)، وإسناده صحيح على شرطهما، وأخرجه أحمد (٣٦١٠)، ومسلم (٢٩٢٤)، وأبو يعلى (٥٢٢٣)، وابن حبان (٦٧٨٣)، من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن شقيق، به.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٢٨)، وأخرجه مسلم (٢٧٧)، وأحمد (٦٠٣٣)، والبخاري (٧٠٢٦) عن شعيب، به.

قال: «وَتَبِعَتْ مَعَهُ شَيَاطِينُ تَكَلَّمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطُرُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسَ، لَا يُسَلِّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ: هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟». قال: «فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ، فَيَأْتِيهِمْ فَيَحَاصِرُهُمْ، فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ، وَيَجْهَدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جَنَى. فَيَنْطَلِقُونَ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَتَقَامُ الصَّلَاةُ، فَيَقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ. فَيَقُولُ: لَيْتَقَدَّمُ إِمَامَكُمْ فَلْيَصِلْ بِكُمْ. فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ». قال: «فَحِينَ يَرَاهُ الْكَذَّابُ يَنْمَاتُ كَمَا يَنْمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يَنَادِي: يَا رُوحَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ» (١). تفرد به أحمد أيضًا، وقد رواه غير واحد، عن إبراهيم بن طهمان، وهو ثقة.

حديث الثَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ فِي مَعْنَاهُ، وَأَبْسَطُ مِنْهُ

قال مسلم: حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ، قَاضِي حِمَصٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الثَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكَلَابِيَّ، /ح/ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِي، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ الثَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَقِعَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَقِعَتَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ. فَقَالَ: «غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَاجِبٍ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُطْرُبٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجُ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِراقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْثَبِتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرَبِعُونَ يَوْمًا؟ يَوْمَ كَسَنَةٍ، وَيَوْمَ كَشْفِهَا، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرَ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَسَنَ أَنْكَفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قُدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطُرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْتَبِثُ، فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرَى وَأَسْبَغَهُ ضَرْوَعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْنِحُونَ مَمْلَحِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ. فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيْبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مِمَّنْ لَنَا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ

(١) رواه أحمد (٣/٣٦٧-٣٦٨) وإسناده على شرط مسلم.

كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقَى دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضْعَا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرٌ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهَى حَيْثُ يَنْتَهَى طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بِبَابٍ لَدَى فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدِرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ يَقْتَالُهُمْ، فَحَرَّزُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَبَيَّعْتُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بَحِيرَةِ الطَّبْرِيقِ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ يَهْدِي مَرَّةً مَاءً، وَيُحْصِرُ نَبِيَّ اللَّهِ وَأَصْحَابَهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرُ وَلَا وَبَرٌ، فَيَغْسِلُ اللَّهُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ، وَرَدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفُفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ حَتَّى إِنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارِجَ الْحَمَرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ، (١)

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ - قَالَ ابْنُ حُجْرٍ: دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ الْآخَرِ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ مَا ذَكَرْنَا، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «لَقَدْ كَانَ يَهْدِي مَرَّةً مَاءً»: «ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى جَبَلٍ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ. فَيَمْرُمُونَ بِنِشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نِشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ: «فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَى لِأَحَدٍ يَقْتَالُهُمْ» (٢). انْتَهَى مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ إِسْنَادًا وَمَتْنًا. وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ عَنِ الْبُخَارِيِّ.

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣) عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِي سِيَاقِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: «فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»: قَالَ ابْنُ جَابِرٍ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَطَاءٍ السَّكْسَكِيُّ، عَنْ كَعْبٍ أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ: «فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمُهَيْلِ». قَالَ ابْنُ جَابِرٍ: وَأَيْنَ الْمُهَيْلُ؟ قَالَ: مَطْلَعُ الشَّمْسِ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤)، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ الْمُؤَدِّنِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، بِبَعْضِهِ.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٣٧) (١١٠)، وأخرجه أحمد (١٨١/٤)، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠)، والنسائي «كبرى» (٨٠٢٤) من طريق الوليد بن مسلم، به.

وأخرجه مسلم (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٦)، من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، به.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧) (١١١). (٣) «المسند» (١٨١-١٨٢/٤).

(٤) أَبُو دَاوُدَ (٤٣٢١).

ورواه الترمذی^(١)، عن علي بن حجر، وساقه بطوله، وقال: غريب حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث ابن جابر.

ورواه النسائي^(٢) في فضائل القرآن، عن علي بن حجر، مختصراً.

ورواه ابن ماجه^(٣)، عن هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بإسناده، قال: «يستوقد الناس من قسي ياجوج ومأجوج ونشأ بهم وأترستهم سبع سنين.. وذكره قبل ذلك بتمامه، عن هشام بن عمار، ولم يذكر فيه هذه القصة، ولا ذكر في إسناده يحيى بن جابر الطائي.

حديث عن أبي امامة الباهلي صدى بن عجلان

في معنى حديث التوأس بن سمعان

قال ابن ماجه: حدثنا علي بن محمد، حدثنا عبد الرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع أبي رافع، عن أبي زرعة السيباني يحيى بن أبي عمرو، عن أبي امامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانكما فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعبد يميناً، ويعبد شمالاً. يا عباد الله، أيها الناس، فاثبتوا، وإنني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدأ، فيقول: أنا نبي. ولا نبي بعدي، ثم يثنى فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم عز وجل، ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلى بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح سورة الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم. وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرايت إن بعثت لك أباك وأهلك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني، اتبعه؛ فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلم على نفس واحدة، فيقتلها وينشرها بالمنشار، حتى تلقى شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبيدي هذا، فإنني أبعته الآن، ثم يزعم أن له رياء غيري (فيبعثه الله، فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربى الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله، ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم).

قال أبو الحسن -يعني علي بن محمد: فحدثنا المحاربي، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة». قال: قال أبو سعيد: والله، ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتى مضى لسبيله.

(٢) النسائي «كبرى» (٨٠٢٤).

(١) الترمذی (٢٢٤٠).

(٣) ابن ماجه (٤٠٧٥) (٤٠٧٦).

قال المحاربي: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع، قال: «وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتُمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يَمُرَّ بالحي، فيكذبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يَمُرَّ بالحي، فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتُمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت، وأعظمه، وأمدّه خواصِر، وأردّه ضروعا. وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطمته، وظهر عليه، إلا مكة والمدينة؛ فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابيهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الطريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنبى الخبث منها، كما ينبى الكبر خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص». فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل، وجلهم بيوت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم، فيرجع ذلك الإمام يمشى القهقري؛ ليتقدم بهم عيسى يصلى، فيضع عيسى، عليه الصلاة والسلام، يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل؟ فإنه لك أقيمت. فيصلى بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: أقيموا الباب. فافتح، ووراء الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربا، ويقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها. فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهرم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة - إلا الغرقدة؟ فإنه من شجرهم لا تنطق - إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي، فتعال فاقتله».

قال رسول الله ﷺ: «وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي». قيل له: يا رسول الله، كيف نصلى في تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون فيها الصلاة، كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال، ثم صلوا».

قال رسول الله ﷺ: «فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكما عدلا، وإماما مقسطا، يدق الصليب، ويدبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذي حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية، فلا تضربه، وينفر الوليد الأسد، فلا يضربه، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تنبت نباتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب، فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور يكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدرهمات». قيل: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال: «لا يركب لحرب أبدا». قيل له: فما يغلي الثور؟ قال: «تحترق الأرض كلها. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر

السَّمَاءُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، فَتَحْبِسُ ثَلَاثِي مَطَرَهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ، فَتَحْبِسُ ثَلَاثِي نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ فَلَا تَنْبُتُ خَضِرَاءً، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ». قِيلَ: مَا يُعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قَالَ: «التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيَجْرِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ». قَالَ ابْنُ مَاجَه: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَافْسِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيَّ يَقُولُ: يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى الْمُؤَدَّبِ حَتَّى يَعْلَمَهُ الصَّبِيَّانَ فِي الْكِتَابِ. انْتَهَى سِيَاقُ ابْنِ مَاجَه. (١)

وقد وَقَعَ تَخْصِيصٌ فِي إِسْنَادِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ، فَكَمَا وَجَدْتُهُ فِي نَسْخَةِ كُتُبِ إِسْنَادِهِ، وَقَدْ سَقَطَ التَّابِعِيُّ مِنْهُ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضْرَمِيُّ، أَبُو عَبْدِ الْجَبَّارِ الشَّامِيُّ الرَّأَوِيُّ لَهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ. قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ الْمَزِيُّ فِي «الْأَطْرَافِ»: وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَه فِي الْفَتَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيِّ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ السَّيْبَانِيِّ يَحْيَى بْنَ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بِهِ بِتَمَامِهِ، كَذَا قَالَ، وَكَذَا رَوَاهُ سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ الْمُحَارِبِيِّ، وَهُوَ وَهُمْ فَاحْش. (٢)

قُلْتُ: وَقَدْ جَوَّدَ إِسْنَادَهُ أَبُو دَاوُدَ، فَرَوَاهُ عَنْ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ضَمْرَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، نَحْوَ حَدِيثِ الثَّوَالِسِ بْنِ سِمْعَانَ. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ حَدِيثًا وَاحِدًا فِي «مُسْنَدِهِ» (٣)، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي بَخْطُ يَدِهِ: حَدَّثَنِي مَهْدِي بْنُ جَعْفَرِ الرَّمْلِيِّ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةَ، عَنْ السَّيْبَانِيِّ، وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَتَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ». وَقَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، وَالْحَسَنُ الْخَلَوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ -وَالْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ وَالسِّيَاقُ لِعَبْدٍ- قَالَ: حَدَّثَنِي -وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا- يَعْقُوبُ، هُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ بَقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِيَ إِلَى بَعْضِ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ. فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قُتِلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشْكُونُ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. قَالَ: فَيُقْتَلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وإسناده ضعيف.

(٢) انظر «التحفة» للحافظ المزي (١٧٤/٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٩/٥)، وإسناده ضعيف، ولكن الحديث صحيح دون قوله: «وأين هم..».

فِيكَ قَطُّ أَشَدُّ بَصِيرَةً مِّنِي الْآنَ. قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يَسْلُطُ عَلَيْهِ^(١). قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ (٢):
يَقَالُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ.

قال مُسلمٌ: وحدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدَّارِمِيُّ، أَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَنَا شُعَيْبٌ، عن
الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، بِمِثْلِهِ (٣).

وقال مسلمٌ: حدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَهْزَادٍ، مِنْ أَهْلِ مَرَوْ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ،
عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاءِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَتَلَقَاهُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ، فَيَقُولُونَ
لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ». قَالَ: «فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تَوْمِنُ بِرَيْنَا؟ فَيَقُولُ: مَا
بِرَيْنَا خَفَاءَ. فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُم رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟» قَالَ:
«فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ». قَالَ:
«فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ، فَيُشَبِّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشَجُّوهُ. فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَيَطْنُهُ ضَرْبًا». قَالَ: «فَيَقُولُ: أَوْ
مَا تَوْمِنُ بِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ». قَالَ: «فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالْمُتَشَارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى
يُفَرِّقَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ». قَالَ: «ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا». قَالَ:
«ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَوْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَزِدُّكَ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً». قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ
بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ: «فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نَحَاسًا، فَلَا
يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: «فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرَجُلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ،
وَأِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَكْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ». (٤)

ذِكْرُ أَحَادِيثَ مَثْوَوَةٍ فِي الدَّجَالِ

حديثٌ عن أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا رَوْحٌ، حدثنا سعيدُ بنُ أبي عروبةَ،
عن أبي التَّيَّاحِ، عن المغيرةِ بنِ سُبَيْعٍ، عن عمرو بنِ حُرَيْثٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَفَاقَ مِنْ
مَرْضَةٍ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَاعْتَدَلَ بِشَيْءٍ وَقَالَ: مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ فِي أَرْضِ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خِرَاسَانُ. يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةُ (٥).
ورواه الترمذِيُّ وابنُ ماجه من حديثِ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ بِهِ. وقال الترمذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

قلت: وقد رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْعَبْسِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، فَلَمْ يَتَقَرَّرْ بِهِ
رَوْحٌ، كَمَا زَعَمَهُ بَعْضُهُمْ، وَلَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، فَإِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ شَيْبَةَ قَالَ: لَمْ يَسْمَعْهُ ابْنُ
أَبِي عَرُوبَةَ مِنْ أَبِي التَّيَّاحِ، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ ابْنِ شَوْذَبٍ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٨) (١١٢)، وأخرجه البخاري (١٨٨٢) (٧١٣٢)، والنسائي «كبرى» (٤٢٧٥)، والبغوي (٤٢٥٨)، من طرق عن الزهري، به.

(٢) أبو إسحاق هو إبراهيم بن سفيان راوى الكتاب عن مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٨) (ص ٢٢٥٦). (٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٨) (١١٣).

(٥) أخرجه أحمد (٣٣) بسند صحيح. وأخرجه الترمذِيُّ (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، والبزار (٤٨)، والروزي (٥٧)، وأبو يعلى (٣٣)، من طريق روح بهذا الإسناد.

حديث عن علي بن أبي طالب عليه السلام: قال أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا الأشجعي، عن سفیان، عن جابر، عن عبد الله بن نجيب، عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «ذكرنا الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم، فاستيقظ محمراً لونه، فقال: «غیر ذلك أخوف لي عليكم». ذكر كلمة. تفرد به أحمد. (١)

حديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا محمد بن إسحاق، عن داود بن عامر بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه لم يكن نبي إلا وصف الدجال لأُمته، ولا صفته صفة لم يصفها أحد كان قبلي: إنه أعور، وإن الله عز وجل، ليس بأعور». تفرد به أحمد. (٢)

حديث عن الصعبي بن جثامة: قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو حميد الحمصي، ثنا حيوة، ثنا بقیة، عن صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد قال: لما فُتحت إصطخر إذا مُناد ينادي: ألا إن الدجال قد خرج. قال: فلقبيهم الصعبي بن جثامة فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر». (٣) إسناده حسن، ولم يخرجته.

حديث عن أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه: قال الترمذي: حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي، حدثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن سُرقة، عن أبي عبيدة بن الجراح، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه لم يكن نبي بعد نوح، إلا قد أُنذر قومه الدجال، وأنا أُنذركموه». فوصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لعله سيدركه بعض من رآني أو سمع كلامي». قالوا: يا رسول الله، كيف قلوبنا يومئذ؟ قال: «مثلها - يعني اليوم - أو خير». (٤)

ثم قال الترمذي: وفي الباب عن عبد الله بن بسر وعبد الله بن الحارث بن جزي وعبد الله بن معقل وأبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث خالد الحذاء. وقد رواه أحمد عن عفان وعبد الصمد، وأخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل، كلهم عن حماد بن سلمة به. وروى أحمد، عن غندر، عن شعبة، عن خالد الحذاء ببعضه.

حديث عن أبي بن كعب رضي الله عنه: روى أحمد عن غندر، وروح، وسليمان بن داود، ووهب بن جرير، كلهم عن شعبة، عن حبيب بن الزبير، سمعت عبد الله بن أبي الهذيل، سمع عبد الرحمن بن أبزي، سمع عبد الله بن خباب، سمع أبي بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده الدجال، فقال: «إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء، وتعودوا بالله من عذاب القبر». تفرد به أحمد. (٥)

(١) أخرجه أحمد (٧٦٥)، وإسناده ضعيف.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٥٢٦) (١٥٧٨)، وإسناده ضعيف، لكن له شواهد يتقوى بها.

(٣) أخرجه أحمد (٧١/٤، ٧٢).

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٢٣٤)، وأخرجه أحمد (١٦٩٣)، وأبو داود (٤٧٥٦)، وأبو يعلى (٨٧٥)، وفيه انقطاع ومن لا يعرف.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٢١١٤٥) (٢١١٤٦) (٢١١٤٧)، والطيالسي (٥٤٤)، والشاشي (١٤٥١) (١٤٥٣)، وابن حبان (٩٧٩٥) من طريق شعبة، به. وإسناده صحيح.

حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال عبد الله ابن الإمام أحمد: وجدت هذا الحديث في كتاب أبي بخط يده؛ حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، قال: قال لي أبو سعيد: هل تقرأ الخوارج بالدجال؟ قلت: لا. فقال: قال رسول الله ﷺ: «إني خاتم الأنبياء أو أكثر، وما بعث نبي يئب إلا وقد حذر أمته الدجال، وإنني قد بين لي من أمره ما لم يبين لأحد، وإنه أعور، وإن ريكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحضة لا تخفى، كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء، يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء، تدخن». تفرد به أحمد. (١)

وقد روى عبد بن حميد في «مسنده»، عن حماد بن سلمة، عن الحجاج، عن عطية، عن أبي سعيد مرفوعاً، نحوه. (٢)

حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال أحمد: حدثنا بهز وعفان، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء الدجال قبطاً الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة، فيجد بكل ثقب من أنقابها صفوفاً من الملائكة، فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، فتخرج المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة». ورواه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن يونس بن محمد المؤدب، عن حماد بن سلمة، به نحوه. (٣)

طريق أخرى عن أنس: قال أحمد: حدثنا يحيى، عن حميد، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «إن الدجال أعور العين الشمال، عليها ظفيرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كُفْرًا وَكَافِرًا». هذا حديث ثلاثي الإسناد، وهو على شرط «الصحيحين». (٤)

طريق أخرى عن أنس: قال أحمد: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفاً من اليهود، عليهم السيجان». تفرد به أحمد. (٥)

طريق أخرى عن أنس: قال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا شعيب، هو ابن الحجاب، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «الدجال ممسوح العين، بين عينيه مكتوب: كافر - ثم تهجاها - يقرؤه كل مسلم: ك ف ر». (٦)

(١) أخرجه أحمد (١١٧٥٢) وإسناده ضعيف فيه مجالد ضعيف، وعبد المتعال وهو مجهول.

(٢) أخرجه عبد بن حميد (٨٩٧) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (١٩١/٣) وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٨١/١٢)، ومسلم (٢٩٤٣) من طريق يونس بن محمد عن حماد، به.

وأخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣)، والنسائي «كبرى» (٤٢٧٤)، وابن حبان (٦٨٠٣) من طريق الأوزاعي عن إسحاق، به.

(٤) أخرجه أحمد (١١٥/٣)، وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه أبو يعلى (٣٧٦٨)، وعبد بن حميد (١٤١٢)، واليغوي (٤٢٥٧) من طريق حميد، به.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٢٢٤/٣)، وإسناده ضعيف - وله طرق وشواهد يتقوى بها.

(٦) أخرجه أحمد (١٣٢٠٦) وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه أبو داود (٤٣١٨)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٥٣)، من طريق عبد الوارث، به.

حدَّثنا يونس، حدَّثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن حميد وشُعيب بن الحجاب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «الدُّجَالُ أَعْوَرُ، وَإِنْ رَيْكُم لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ». (١)

ورواه مسلم عن زهير، عن عَفَّان، عن عبد الوارث، عن شعيب به، بنحوه. طريق أخرى عن أنس: قال أحمد: حدَّثنا عمرو بن الهيثم، حدَّثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَعَثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنْهُ أَعْوَرٌ، وَإِنْ رَيْكُم لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ». (٢)

ورواه البخاري ومسلم، من حديث شعبة به.

حديث عن سفينة: قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو النضر، حدَّثنا حشرج، حدَّثني سعيد بن جهمان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إِلَّا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا قَدْ حَدَرَ الدُّجَالُ أُمَّتَهُ، هُوَ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى، بَعَيْنِهِ الْيُمْنَى ظُفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَخْرُجُ مَعَهُ وَادِيَانِ: أَحَدُهُمَا جَنَّةٌ وَالْآخَرُ نَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، مَعَهُ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشَبِّهَانِ نَبِيِّنَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمَا، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ، فَيَقُولُ الدُّجَالُ: أَلَسْتُ بِرَيْكُم؟ أَلَسْتُ أَحْيٍ وَأَمِيتٌ؟ فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ الْمَلَائِكَةِ: كَذَبْتَ. مَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَاحِبُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ. فَيَسْمَعُهُ النَّاسُ فَيُظَنُّونَ أَنَّهَا يَصْدُقُ الدُّجَالُ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَلَا يُوْذَنُ لَهُ فِيهَا: فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَاكَ الرَّجُلِ. ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الشَّامَ، فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ عِنْدَ عَقَبَةِ أَهْلِيهِ». (٣) تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة، فالله أعلم.

حديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال يعقوب بن سفيان الفسوي في «مسنده»: حدَّثنا يحيى بن بكير، حدَّثنا خنيس بن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي قبيل، عن جنادة بن أبي أمية، أن قوما دخلوا على معاذ بن جبل وهو مريض، فقالوا له: حدَّثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لم تنسَه. فقال: أجلسوني. فَأَخَذَ بَعْضُ الْقَوْمِ بِيَدِهِ، وَجَلَسَ بَعْضُهُمْ خَلْفَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَدَرَ أُمَّتَهُ الدُّجَالُ، وَإِنِّي أَحَدُكُمْ أَمْرَةً، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنْ رَيْتُمْ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرُؤُهُ الْكَاتِبُ وَغَيْرُ الْكَاتِبِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ». (٤) قال شيخنا الحافظ الذهبي: تفرد به خنيس، وما علمت فيه جرْحًا، وإسناده صالح.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨/٣) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٠٠/٤) وإسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه البخاري (٧١٣١) (٧٤٠/٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، وأبو داود (٤٣١٦)، وأبو يعلى (٣٥٦٥) من طرق عن قتادة، به.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢١/٥)، وقد تفرد به حشرج بن نباتة عن سعيد بن جهمان وله عنه غرائب ومناكير. وأخرجه الطيالسي (١١٠٦)، وابن أبي شيبة (١٣٧/١٥)، والطبراني (٦٤٤٥)، من طريق حشرج بن نباتة، به.

(٤) صحيح: إسناده ضعيف لجهالة خنيس وشيخه جبارة لكن له شواهد يصح بها.

حديث عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا زهير، عن الأسود ابن قيس، حدثني ثعلبة بن عباد العبدي، من أهل البصرة، قال: شهدت يوماً خطبة لسمرة بن جندب، فذكر في خطبته حديثاً في صلاة الكسوف، وأن رسول الله ﷺ خطب بعد صلاة الكسوف، فقال: «وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعور الدجال، ممسوح العين اليسرى، كأنها عين أبي تحيى، وإنه متى يخرج - أو قال: متى ما يخرج - فإنه سوف يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدقته واتبعه: لم ينفعه صالح من عمله سلف، ومن كفر به وكذبه: لم يعاقب بشيء من عمله - وقال الحسن: بسى من عمله - سلف، وإنه سوف يظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحضر المؤمنين في بيت المقدس، ويزلزلون زلزالاً شديداً، ثم يهلكه الله تعالى، حتى إن جذم الحائط، وأصل الشجرة لينادي: يا مؤمن، هذا يهودي - أو قال: هذا كافر - تعال فاقتله. ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورا يتفارق شأنها في أنفسكم، وتسالون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً، وحتى تزول جبال عن مراتبها» ثم شهد خطبة سمرة مرة أخرى، فما قدم كلمة ولا آخرها عن موضعها. (١)

وأصل هذا الحديث في صلاة الكسوف عند أصحاب السنن الأربعة، وصححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم في «مستدركه» أيضاً. وقال شيخنا الذهبي في كتابه «في تبا الدجال»: سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً: «الدجال أعور عين الشمال، عليها ظفرة غليظة». (٢)

قلت: وليس هذا الحديث من هذا الوجه في «المسند»، ولا في شيء من الكتب الستة، وكان الأولى بشيخنا أن يسنده، أو يعزوه إلى كتاب مشهور، والله الموفق.

حديث آخر عن سمرة: قال أحمد: حدثنا روح، حدثنا سعيد وعبد الوهاب، أنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن الدجال خارج، وهو أعور عين الشمال، عليها ظفرة غليظة، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، ويقول للناس: أنا ربكم. فمن قال: أنت ربى. فقد فتن، ومن قال: ربى الله. حتى يموت، فقد عصم من فتنه، ولا فتنة بعده عليه ولا عذاب، فليبت في الأرض ما شاء الله، ثم يجيء عيسى ابن مريم من قبل المغرب، مصداقاً لمحمد ﷺ وعلى ملته، فيقتل الدجال، ثم إنما هو قيام الساعة». (٣)

وقال الطبراني: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا مروان بن جعفر السمرى، حدثنا محمد بن إبراهيم بن خبيب بن سليمان، ثنا جعفر بن سعد بن سمرة، عن خبيب، عن أبيه، عن جده سمرة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن المسيح الدجال أعور عين الشمال، عليها ظفرة غليظة، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، ويقول: أنا ربكم. فمن اعتصم بالله، فقال: ربى الله. ثم أبى

(١) أخرجه أحمد (١٦/٥)، وإسناده ضعيف وفيه نكارة.

(٢) سماع الحسن من سمرة فيه خلاف مشهور ولم أعثر عليه.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (١٣/٥).

إِلَّا ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ، فَلَا عَذَابَ عَلَيْهِ وَلَا فِتْنَةَ، وَمَنْ قَالَ: أَنْتَ رَبِّي. فَقَدْ فَتِنَ، وَإِنَّهُ يُلَبِثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنَ الْمَشْرِقِ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى مِلَّتِهِ، ثُمَّ يَقْتُلُ الدَّجَالَ. (١) حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

حديث عن جابر رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا زهير، عن زيد -يعني ابن أسلم- عن جابر بن عبد الله، قال: أشرف رسول الله ﷺ على فلق من أفلاق الحرّة، ونحن معه، فقال: «نِعِمَّتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَالُ، عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ رَجَفَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ -يعني من يخرج إليه- النساء-، وَذَلِكَ يَوْمَ التَّخْلِيفِ، يَوْمَ تَنْفَى الْمَدِينَةُ الْخَيْثَ، كَمَا يَنْفَى الْكَبِيرُ خَيْثَ الْحَدِيدِ، يَكُونُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ، عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجٌ وَسَيْفٌ مُحَلًى، فَيَضْرِبُ رَوَاقَهُ بِهَذَا الضَّرْبِ الَّذِي عِنْدَ مُجْتَمَعِ السَّيُولِ». ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَرَ أُمَّتَهُ، وَلَا خَيْرَ لَكُمْ بِشَيْءٍ مَا أَخْبَرَهُ نَبِيُّ أُمَّتِهِ قَبْلِي». ثم وَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، ثم قال: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، وَصَحِّحَهُ الْحَاكِمُ.

طريق أخرى عن جابر: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَخَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ أَوْ أَكْثَرٍ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرْتُ قَوْمَهُ الدَّجَالَ، وَإِنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ لِي مَا لَمْ يَتَّبِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رِجْلَكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٣) تَفَرَّدَ بِهِ الْبَزَارُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَلَفْظُهُ غَرِيبٌ جَدًّا.

وروى عبد الله بن أحمد في «السنّة»، من طريق مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رِجْلَكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٤). ورواه ابن أبي شيبة، عن علي بن مسهر، عن مجالد به، أطول من هذا.

طريق أخرى عن جابر: قال أحمد: حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال النبي ﷺ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ، وَهُوَ أَشَدُّ الْكُذَّابِينَ» (٥). وروى مسلم من حديث ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يَقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...» (٦). وَتَقَدَّمَ الطَّرِيقُ الْأُخْرَى عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْهُ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْهُ، فِي الدَّجَالِ.

(١) أخرجه الطبراني (٧٠٨٢) وإسناده ضعيف.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢٩٢/٣)، وإسناده فيه انقطاع لكن له شواهد وطرق يتقوى بها.

(٣) إسناده ضعيف: لضعف مجالد بن سعيد.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنّة» (١٠٠٦)، وابن أبي شيبة (١٩٣٠١)، وإسناده ضعيف لاجل مجالد بن سعيد.

(٥) أخرجه أحمد (٣٣٣/٣)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٦) أخرجه مسلم (١٥٦) (٢٤٧) (ص ١٣٧).

حديث عن ابن عباس رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: «أَعْوَرُ هِجَانُ أَزْهَرُ، كَانَ رَأْسُهُ أَصْلَةً، أَشَبَّهُ النَّاسَ بِعَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُطَيْنٍ، فَإِذَا هَلَكَ الْهَلَكُ، فَإِنْ رَكِبَكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». (١) قال شعبة: فحدثت به قتادة، فحدثني بنحو من هذا. تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وروى أحمد، والحاثر بن أبي أسامة، وأبو يعلى، من طريق هلال، عن عكرمة، عن ابن عباس في حديث الإسراء، قال: ورأى الدجال في صورته رؤيا عين، ليس رؤيا منام، وعيسى وإبراهيم، فسئل النبي ﷺ عن الدجال، فقال: «رَأَيْتُهُ فَيَلْمَانِيَا أَقْمَرَهُمَا، إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ، كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، كَانَ شَعْرُهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ». وذكر تمام الحديث. (٢)

حديث عن هشام بن عامر: قال أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد - يعني ابن هلال - عن هشام بن عامر الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَتَنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فَتَنَةِ الدَّجَالِ». (٣)

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن بعض أشياخهم، قال: قال هشام بن عامر لجيرانه: إِنَّكُمْ لَتَخْطُونَ إِلَى رِجَالِ مَا كَانُوا بِأَحْضَرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَوْعَى لَحَدِيثِهِ مِنِّي، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ». (٤)

ورواه الإمام أحمد أيضاً، عن أحمد بن عبد الملك، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي الدهماء، عن هشام بن عامر، أنه قال: إِنَّكُمْ لَتَجَاوِزُنِي إِلَى رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كَانُوا أَحْصَى وَلَا أَحْفَظَ لِحَدِيثِهِ مِنِّي، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ». (٥)

وقد رواه مسلم من حديث أيوب، عن حميد بن هلال، عن رهط، منهم أبو الدهماء وأبو قتادة، عن هشام بن عامر، فذكر نحوه.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن هشام بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَأْسَ الدَّجَالِ مِنْ وَرَائِهِ حُبْكُ حُبْكٍ، فَمَنْ قَالَ: أَنْتَ رَبِّي. اهْتَنَنْ، وَمَنْ قَالَ: كَذَبْتَ، رَبِّي اللَّهُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ. فَلَا يَضُرُّهُ». أو قال: «فَلَا فِتْنَةَ عَلَيْهِ». (٦)

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٠)، وإسناده ضعيف، وأخرجه الطيالسي (٢٦٧٨)، وابن خزيمة «توحيد» (ص ٤٣-٤٤)، وابن حبان (٦٧٩٦)، والطبراني (١١٧١١) من طرق عن شعبة، به. وله طرق يصح بها.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٤)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٩)، ومسلم (٢٩٤٦).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢١)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه مسلم (٢٩٤٦).

(٦) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠)، وإسناده فيه انقطاع.

حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن طلحة، عن سالم؛ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْحَةِ، يَمُرُّ قَنَاةً، فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ، وَإِلَى أُمِّهِ، وَإِبْنَتِهِ، وَأَخْتِهِ، وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ» (١). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى عن سالم: قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأتى على الله، تعالى، بما هو أهله، فذكر الدجال فقال: «إِنِّي لَأَنْذِرُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ: لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ ﷺ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ؛ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٢). وقد تقدم هذا في الصحيح مع حديث ابن صياد.

وبه عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «تَقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ، فَتَسْلُطُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتُ، فَاقْتُلْهُ». وأصله في «الصحيحين» من حديث الزهري، بنحوه.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا عاصم بن محمد، عن أخيه عمر بن محمد، عن محمد بن زيد، يعني أبا عمر بن محمد، قال: قال عبد الله بن عمر: كُنَّا نَحْدُثُ بِحِجَةِ الْوُدَاعِ، وَلَا نَدْرِي أَنَّهُ الْوُدَاعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ فِي حِجَةِ الْوُدَاعِ، خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَأُطِنَ فِي ذِكْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ أُمَّتُهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ ﷺ أُمَّتَهُ، وَالنَّبِيُّونَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مِنْ بَعْدِهِ، إِلَّا مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكُمْ أَنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِلَّا مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكُمْ أَنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٣). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا وَصَفَهُ لَأُمَّتِهِ، وَلَا صِفَتُهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا مَنْ كَانَ قَبْلِي؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، عَيْنُهُ الْيَمْنَى كَأَنَّهَا عَيْنٌ طَافِيَةٌ» (٤). وهذا إسناده جيد حسن.

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن عبيد الله ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه سئل عن الدجال فقال: «إِلَّا إِنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ

(١) أخرجه أحمد (٥٣٥٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٦٣٦٥)، وإسناده صحيح على شرطهما، وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٣٧)، والبخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١)، والترمذي (٢٢٣٦)، والبيهقي (٤٢٤٦) من طرق عن الزهري، به.

(٣) أخرجه أحمد (٦١٨٥)، والبخاري (٤٤٠٢)، والطبراني (١٣٣٣٨)، من طريق عمر بن محمد، بهذا الإسناد.

(٤) أخرجه أحمد (٤٨٠٤) (٤٨٧٩) بسند حسن. وأخرجه ابن ماجه (٥١٧)، والطحاوي «المعاني» (١٥/١)، وفي «المشكّل» (٢٦٤٦) من طريق يزيد بن هارون، به.

يَأْعُورُ، أَلَا وَإِنَّهُ أَعُورٌ، عَيْنُهُ الِئْمَنَى كَأَنَّهَا عَيْنٌ طَافِيَةٌ» (١). قال الترمذى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وفي الباب عن سعدٍ، وحذيفة، وأبى هريرة، وأسماء، وجابر بن عبد الله، وأبى بكر، وعائشة، وأنس، وابن عباس، والفلتآن بن عاصم.

حديث عبد الله بن عمرو: قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، قال: لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام، فأخبرت بمقام يقومه نوف، فجئت، إذ جاء رجل - فاشتد الناس - عليه خميصاً، وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما رآه نوف أمسك عن الكلام، فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضهم، تقذهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف». قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج منهم قرن قطع، كلما خرج منهم قرن قطع - حتى عدّها زيادة على عشر مرات - كلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج الدجال في بقيتهم» (٢). ورواه أبو داود، من حديث قتادة، عن شهر، عنه (٣).

طريق أخرى عنه: قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا جعفر بن أحمد الساماني (٤)، حدثنا أبو كريب، حدثنا فردوس الأشعري، عن مسعود بن سليمان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: «ما شبه عليكم منه، فإن الله، سبحانه، ليس يأعور، يخرج فيكون في الأرض أربعين صباحاً، يرد كل منهل إلا الكعبة، ويبت المقدس والمدينة، الشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، ومعه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، معه جبل من خبز، ونهر من ماء، يدعو برجل، لا يسلطه الله إلا عليه، فيقول: ما تقول في؟ فيقول: أنت عدو الله، وأنت الدجال الكذاب. فيدعو بمنشار، فيضعه حذو رأسه فيشقه، ثم يحييه، فيقول له: ما تقول في؟ فيقول: والله ما كنت أشد بصيرة مني فيك الآن، أنت عدو الله! الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ. فيهوى إليه بسيفه فلا يستطيعه، فيقول: أخروه عني» (٥). قال شيخنا الذهبي: هذا حديث غريب، ومسعود لا يعرف. وسيأتي حديث يعقوب بن عاصم عنه، في مكث الدجال في الأرض، ونزول عيسى ابن مريم.

حديث عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجال، فقال: «إن بين يديه ثلاث سنين؛ سنة تمسك السماء ثلث

(١) أخرجه أحمد (٤٩٤٨)، ومسلم (١٦٩) (١٠٠) (ص ٢٤٧)، والترمذى (٢٢٤١) من طريق عبيد الله بن نافع به.

(٢) أخرجه أحمد (٦٨٧١) وإسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٢٩٣) وهو ضعيف.

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٥٠ / ٧): وفيه من لم أعرفهم.

قَطَرُهَا، وَالْأَرْضُ ثَلَاثُ نَبَاتِهَا، وَالثَّانِيَةُ تَمْسِكُ السَّمَاءَ ثَلَاثَ قَطَرِهَا، وَالْأَرْضُ ثَلَاثُ نَبَاتِهَا، وَالثَّلَاثَةُ تَمْسِكُ السَّمَاءَ قَطَرُهَا كُلُّهُ، وَالْأَرْضُ نَبَاتُهَا كُلُّهُ، وَلَا يَبْقَى ذَاتُ ضَرْسٍ وَلَا ذَاتُ ظَلْفٍ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنْ مِنْ أَشَدِّ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْتِيَ الْأَعْرَابِيُّ فَيَقُولَ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتَ لَكَ إِبْلِكَ؟ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَيْكَ؟ قَالَ: «فَيَقُولُ: بَلَى. فَتَمَثَّلُ لَهُ الشَّيَاطِينُ نَحْوَ إِبْلِهِ كَأَحْسَنَ مَا تَكُونُ ضُرُوعُهَا وَأَعْظَمَهُ أَسْمَةً». قَالَ: «وَيَأْتِي الرَّجُلُ قَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَمَاتَ أَبُوهُ، فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتَ لَكَ أَبَاكَ، وَأَحْيَيْتَ لَكَ أَخَاكَ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَتَمَثَّلُ لَهُ الشَّيَاطِينُ نَحْوَ أَبِيهِ وَنَحْوَ أَخِيهِ». قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ وَالْقَوْمُ فِي اهْتِمَامٍ وَغَمٍّ، مِمَّا حَدَّثَهُمْ بِهِ، قَالَتْ: فَأَخَذَ بِلُجْفَتِي الْبَابَ وَقَالَ: «مَهَيْمُ أَسْمَاءُ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ خَلَعْتَ أَفْئِدَتَنَا بِذِكْرِ الدَّجَالِ. قَالَ: «فَإِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا حَيٌّ فَأَنَا حَاجِبُهُ، وَإِلَّا فَإِنْ رَأَى خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ». قَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا وَاللَّهِ لَنَعْجُنُ عَجِينَتَنَا فَمَا نَخْتَبِزُهَا حَتَّى نَجُوعَ، فَكَيْفَ بِالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «يُجَزِّئُهُمْ مَا يُجَزِّئُ أَهْلَ السَّمَاءِ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّقْدِيرِ»^(١). وَكَذَلِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْضًا، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ شَهْرٍ، عَنْهَا، بِنَحْوِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا بَأْسَ بِهِ، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ^(٢)، وَتَقَدَّمَ لَهُ شَاهِدٌ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ الطَّوِيلِ، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ بَعْدَهُ شَاهِدٌ لَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا هَاشِمٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنَا شَهْرٌ، حَدَّثَنِي أَسْمَاءُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ فِي حَدِيثٍ: «مَنْ حَضَرَ مَجْلِسِي، وَسَمِعَ قَوْلِي، فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدَ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، صَحِيحٌ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَأَنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرٌ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ: كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»^(٣). وَسَيَأْتِي عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ نَحْوَهُ، وَالْمَحْفُوظُ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ جَهْدًا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الدَّجَالِ، فَقَالُوا: أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: «غُلَامٌ شَدِيدٌ يَسْقِي أَهْلَهُ الْمَاءَ، وَأَمَّا الطُّعَامُ فَلَيْسَ». قَالُوا: فَمَا طَعَامُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّهْلِيلُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ»^(٤). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ فِيهِ غَرَابَةٌ، وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ، وَأَبَى أَمَامَةَ شَاهِدٌ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

طَرِيقٌ أُخْرَى عَنْهَا: قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي الْحَضْرَمِيُّ بْنُ لَاحِقٍ، أَنَّ ذُكْوَانَ أَبَا صَالِحٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ، فَبُكِّيتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَخْرُجُ الدَّجَالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمْوهُ، وَإِنْ يَخْرُجُ الدَّجَالُ بَعْدِي فَإِنَّ رَيْكُمْ، عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، إِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانٍ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَنْزِلُ نَاحِيَّتَهَا، وَلَهَا

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٥٥/٦-٤٥٦)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لضعف شهر بن حوشب.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٥٣/٦-٤٥٤)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٥٦/٦) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَلِبَعْضِهِ شَوَاهِدٌ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٥-٧٦)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، لضعف علي بن زيد، وفيه انقطاع.

يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَكَانٌ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا، حَتَّى يَأْتِيَ الشَّامَ، مَدِينَةً بِفِلَسْطِينَ بِيَابِ لُدٍّ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَمُكْتُ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا. تفرد به أحمد. (١)

وقال أحمد أيضًا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدَى، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ» (٢). ورواه النَّسَائِيُّ عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَدَى، بِهِ. والمحفوظُ روايةُ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَبُتِّتَ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُثَنَّرِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهَا قَالَتْ فِي حَدِيثِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خَطْبَتِهِ يَوْمَئِذٍ: «وَأِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ، فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». لَا أَدْرِي أَى ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ؟ الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ. (٣)

وَبُتِّتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزَّيَّيرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيُفْرَنَ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ حَتَّى يَلْحَقُوا بِرُعُوسِ الْجِبَالِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ». (٤)

حَدِيثٌ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ ابْنُ وَهَبٍ: أَخْبَرَنِي مَخْرَمَةُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ذَكَرْتُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ لَيْلَةً، فَلَمْ يَأْتِنِي النَّوْمُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي، فَإِنَّهُ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ يَكْفِكُمْ اللَّهُ بِي، وَإِنْ يَخْرُجُ بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ يَكْفِكُمْ اللَّهُ بِالصَّالِحِينَ». ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا حَذَرَأُمْتُهُ مِنْهُ، وَإِنِّي أَحْذَرُكُمْوَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٥). قَالَ الذَّهَبِيُّ: إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

حَدِيثُ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَطِيَّةَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَمِّ الْقَدَرِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ زَنَادَقَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَفِي زَمَانِهِمْ يَكُونُ ظُلْمُ السُّلْطَانِ، وَحَيْفٌ وَأَثَرَةٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ طَاعُونًَا، فَيُفْنِي عَامَّتَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ الْخُسْفُ، فَمَا أَقَلُّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُمْ، الْمُؤْمِنُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ قَرَحُهُ، شَدِيدُ عَمُهُ، ثُمَّ يَكُونُ الْمَسِيحُ، فَيَمْسُخُ اللَّهُ عَامَّتَهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَالُ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ قَرِيبًا. ثُمَّ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَكَينَا لُبْكَائِهِ، وَقُلْنَا: مَا يَبْكِيكَ؟ قَالَ: «رَحْمَةُ الْأَوْثَنِكَ الْأَشْقِيَاءِ، لِأَنَّهُمْ فِيهِمْ الْمُقْتَصِدُ، وَفِيهِمْ الْمُجْتَهِدُ....» (٦). الْحَدِيثُ.

(١) أخرجه أحمد (٧٥/٦)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤١/٦)، وإسناده فيه انقطاع واختلاف، لكن له طرق وشواهد يصح بها.

(٣) رواه البخاري (١٢٣٥)، ومسلم (٩٠٥) (١٢)، وأحمد (٣٤٥-٣٤٦)، وأبو عوانة (٣٦٩/٢)، والطبراني (٣١٢/٢٤)، من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهِ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٥)، والترمذي (٣٩٣٠)، وابن حبان (٦٧٩٧)، وأحمد (٤٦٢/٦).

(٥) أخرجه الطبراني (٥٦٩/٢٣٨/٢٣)، وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه الطبراني (٤٢٧٠)، وإسناده ضعيف.

حديث عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: قال أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم الجمعة؛ لنعرض عليه مصحفًا لنا على مصحفه، فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا، ثم أتينا بطيب فتطيبنا، ثم جئنا المسجد، فجلسنا إلى رجل، فحدثنا عن الدجال، ثم جاء عثمان بن أبي العاص، فقمنا إليه فجلسنا، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةُ أَمْصَارٍ: مِصْرُ يَمْلُتَقَى الْبَحْرَيْنِ، وَمِصْرُ الْخَيْرَةِ، وَمِصْرُ الشَّامِ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فِرْعَانَ، فَيَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، فَيَهْزُمُ مَنْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ، فَأُولُو مِصْرَ يَرُدُّهُ الْمِصْرَ الَّذِي يَمْلُتَقَى الْبَحْرَيْنِ، فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرْقٍ: فِرْقَةٌ تَقِيمُ تَقُولُ: نَشَامُهُ؛ نَنْظُرُ مَا هُوَ؟ وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ، وَمَعَ الدَّجَالِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ السَّيْجَانُ، وَكَثُرَتْ بَعِيَّةُ الْيَهُودِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي الْمِصْرَ الَّذِي يَلِيهِ، فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرْقٍ؟ فِرْقَةٌ تَقُولُ: نَشَامُهُ؛ نَنْظُرُ مَا هُوَ؟ وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ بِغَرْبِ الشَّامِ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَقَبَةِ أَفِيقٍ، فَيَبْعَثُونَ سَرَحًا لَهُمْ، فَيَصَابُ سَرَحُهُمْ، فَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَتَصِيبُهُمْ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ لَيَحْرِقُ وَتَرَقُوسُهُ فَيَأْكُلُهُ، فَيَبْنِمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّحَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَاكُمْ الْغَوْثُ. ثَلَاثًا، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ هَذَا الصَّوْتُ لَصَوْتُ رَجُلٍ شَبَعَانٍ، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَ صَلَاةِ الصُّجْرِ، فَيَقُولُ لَهُ أَمِيرُهُمْ: يَا رُوحَ اللَّهِ، تَقْدِمُ صَلِّ. فَيَقُولُ: هَذِهِ الْأُمَةُ أَمْرَاءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيَتَقَدَّمُ أَمِيرُهُمْ فَيُصَلِّي، فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ أَخَذَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَرِيَّتَهُ، فَيَذْهَبُ نَحْوَ الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَاهُ الدَّجَالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، فَيَضَعُ حَرِيَّتَهُ بَيْنَ تَنَدُّوَتَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، وَيَنْهَرُمُ أَصْحَابُهُ، فَلَيْسَ يَوْمئِذٍ شَيْءٌ يُوَارَى مِنْهُمْ أَحَدًا، حَتَّى إِنْ الشَّجَرَةَ لَتَقُولَ: يَا مُؤْمِنُ، هَذَا كَافِرٌ. وَيَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُؤْمِنُ، هَذَا كَافِرٌ. تفرد به أحمد. (١)

ولعل هذين المصريين هما البصرة والكوفة؛ بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا الحشرج بن نباتة القيسي الكوفي، حدثني سعيد بن جهمان، حدثنا عبد الله بن أبي بكرة، قال: حدثنا أبي في هذا المسجد، يعني مسجد البصرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَنْزِلَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي أَرْضًا يُقَالُ لَهَا: الْبَصْرَةُ. يَكْثُرُ بِهَا عَدَدُهُمْ، وَيَكْثُرُ بِهَا نَحْلُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ بَنُو قَنْطُورَاءَ صِغَارَ الْعُيُونِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى جِسْرِ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةٌ. فَيَتَفَرَّقُ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَ فِرْقٍ، فَمَا فِرْقَةٌ فَيَأْخُذُونَ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ، وَتَلْحَقُ بِالْبَادِيَةِ، وَهَلَكَتْ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا، وَكَضُرَتْ، فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَجْعَلُونَ عِيَالَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيَقَاتِلُونَ، فَتَقَاتِلُهُمْ شُهَدَاءُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّتِهَا». (٢)

ثم رواه أحمد، عن يزيد بن هارون وغيره، عن العوام بن حوشب، عن سعيد بن جهمان، عن ابن أبي بكرة، عن أبيه، فذكره. قال العوام: بنو قَنْطُورَاءَ هم التُّرْكُ. ورواه أبو داود، عن محمد بن يحيى بن فارس، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن سعيد بن جهمان، عن مسلم بن أبي بكرة، عن أبيه، فذكر نحوه.

(١) أخرجه أحمد (٢١٦/٤-٢١٧) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٤٤٠/٥-٤٤١)، وقال أبو حاتم في «العلل» (٤١٩/٢): حديث منكر.

وروى أبو داود من حديث بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ في حديث: «يَقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صَغَارُ الْأَعْيُنِ». يَعْنِي التُّرِكَ، قَالَ: «تَسُوقُونَهُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى تَلْحَقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَمَّا فِي السِّيَاقَةِ الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ فَيَنْجُو بَعْضُ وَيَهْلِكُ بَعْضٌ، وَأَمَّا فِي الثَّالِثَةِ فَيُصْطَلَمُونَ» (١) أَوْ كَمَا قَالَ. لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ.

وروى الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعرار، عن ابن مسعود، قال: يَفْتَرِقُ النَّاسُ عِنْدَ خُرُوجِ الدِّجَالِ ثَلَاثَ فِرَقٍ؛ فِرْقَةٌ تَتَّبِعُهُ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِأَرْضِ آبَائِهَا بِمَنَابِتِ الشَّيْخِ، وَفِرْقَةٌ تَأْخُذُ بِشَطِّ الْفُرَاتِ، يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ، حَتَّى يَجْتَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ بِقَرَى الشَّامِ، وَيَعْتُونَ طَلِيعَةً، فِيهِمْ فَارِسٌ فَارِسُهُ أَشَقَرُ أَوْ أَبْلَقُ، فَيَقْتُلُونَ فَلَا يَرْجِعُ مِنْهُمْ بَشَرٌ (٢).

حديث عن عبد الله بن بسر: قَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا دُحَيْمٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى الْمَعَاذِيُّ، هُوَ الْبُرُكْسِيُّ - أَحَدُ الثَّقَاتِ - عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي أَبُو الْوَاظِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُذِرُكَ الدِّجَالُ مَنْ رَأَى». أَوْ قَالَ: «لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْ مَوْتِي» (٣). قَالَ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ: أَبُو الْوَاظِ لَا يَعْرِفُ، وَالْحَدِيثُ مُنْكَرٌ. قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي عُبَيْدَةَ شَاهِدٌ لَهُ.

حديث عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَسْفَاطِيُّ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَرِيشِ، حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَانِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِ الْعَقِيقِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا مَعَ الثَّنِيَّةِ، قَالَ: «إِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى مَوَاقِعِ عَدُوِّ اللَّهِ الْمَسِيحِ، إِنَّهُ يَقْبَلُ حَتَّى يَنْزِلَ مِنْ كَذَا، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ الْغَوْغَاءُ، مَا مِنْ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ أَوْ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهِ، مَعَهُ صَوْرَتَانِ؟ صُورَةُ الْجَنَّةِ، وَصُورَةُ النَّارِ خَضْرَاءُ، وَمَعَهُ شَيَاطِينٌ يَتَشَبَّهُونَ بِالْأَمْوَاتِ، يَقُولُ لِلْحَيِّ: تَعْرِفْنِي؟ أَنَا أَخُوكَ، أَنَا أَبُوكَ، أَنَا ذُو قَرَابَةٍ مِنْكَ، أَلَسْتُ قَدْ مِتُّ؟ هَذَا رَبُّنَا فَاتَّبِعْهُ. فَيَقْضِي اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْهُ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ لَهُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَسْكُتُهُ وَيَكْتُمُهُ، وَيَقُولُ: هَذَا الْكَذَّابُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرُّكُمْ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ وَيَقُولُ بَاطِلًا، وَلَيْسَ رِبُّكُمْ بِأَعْوَرَ. فَيَقُولُ: هَلْ أَنْتَ مُتَّبِعِي؟ فَيَأْبَى، فَيَشْقُهُ شِقَّتَيْنِ، وَيَفْصِلُ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: أَعِيدَهُ لَكُمْ؟ فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ تَكْذِيبًا لَهُ، وَأَشَدَّ شَتْمًا، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا رَأَيْتُمْ بِلَاءً ابْتَلَيْتُمْ بِهِ، وَهَتَنَةً افْتَتَنْتُمْ بِهَا، إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُعِدْنِي مَرَّةً أُخْرَى، أَلَا هُوَ كَذَّابٌ. فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى هَذِهِ النَّارِ، وَهِيَ صُورَةُ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ قَبْلَ الشَّامِ» (٤).

مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرِّبْذِيُّ ضَعِيفٌ، وَهَذَا السِّيَاقُ فِيهِ غَرَابَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حديث مُحِجَّنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ،

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٠٥) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥٠٦)، والحاكم (٤٩٦/٤) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٩٤) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني (٦٣٠٥)، وإسناده ضعيف.

عن سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن محجن بن الأدرع، أن رسول الله خطب الناس، فقال: «يَوْمُ الْخَلَاصِ، وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟» ثلاثاً. فقيل له: وما يوم الخلاص. قال: «يَجِيءُ الدَّجَالُ، فَيَصْعَدُ أَحَدًا، فَيَنْظُرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ تَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ. ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكًا مُصَلِّيًا، فَيَأْتِي سَبِيحَةَ الْجُرْفِ، فَيَضْرِبُ رَوَاقَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ». (١) تفرَّد به أحمد.

ثم رواه أحمد عن غندر، عن شعبة، عن أبي بشر، عن عبد الله بن شقيق، عن رجاء ابن أبي رجاء، عن محجن بن الأدرع، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فصعد على أحد، فأشرف على المدينة، فقال: «وَيْلَ أُمَّهَا قَرِيبةً! يَدْعُهَا أَهْلُهَا خَيْرًا تَكُونُ - أَوْ كَأَخِيرٍ مَا تَكُونُ - فَيَأْتِيهَا الدَّجَالُ، فَيَجِدُ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا مَلَكًا مُصَلِّيًا يَجَنِّحُ، فَلَا يَدْخُلُهَا». قال: ثم نزل وهو آخذ بيدي، فدخل المسجد، فإذا رجل يصلي، فقال لي: «مَنْ هَذَا؟» فأنشئت عليه خيرًا، فقال: «اسْكُتْ، لَا تَسْمِعْهُ فَتَهْلِكْهُ». قال: ثم أتى حجرة امرأة من نسائه، فنفض يده من يدي، وقال: «إِنْ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ». (٢)

حديث آخر: قال معمر في «جامعه»، عن الزهري، أخبرني عمرو بن أبي سفيان الثقفي، أخبرني رجل من الأنصار، عن بعض أصحاب محمد ﷺ، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: «يَأْتِي سَبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَتَنْتَفِضُ بِأَهْلِهَا نَفَضَةً أَوْ نَفَضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، ثُمَّ يُوَلِّي الدَّجَالُ قِبَلَ الشَّامِ، حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ، وَيَقِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَصِمُونَ بِذُرْوَةِ جَبَلٍ، فَيُحَاصِرُهُمْ نَازِلًا بِأَصْلِهِ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، قَالَ رَجُلٌ: حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا، وَعَدُو اللَّهِ نَازِلٌ بِأَصْلِ جَبَلِكُمْ؟ هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ أَحَدِي الْحَسَنَيْنِ: بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهَدَكُمْ أَوْ يَظْهَرَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَيَتَبَايَعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصَّدَقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأْخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يَبْصُرُ أَمْرُؤُكُمْ، فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَحْسِرُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ، وَيَبِينُ أَظْهَرَهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ لَأَمَةٌ، فَيَقُولُونَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ، عَيْسَى، اخْتَارُوا أَحَدِي ثَلَاثَ، بَيْنَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَى الدَّجَالِ وَجُودَهُ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ سِلَاحَكُمْ، وَيَكْفَ سِلَاحَهُمْ عَنْكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْفَى لَصُدُورِنَا. فَيَوْمَئِذٍ يَرَى الْيَهُودِيُّ الْعَظِيمُ الطَّوِيلُ، الْأَكُولُ الشَّرُوبُ، لَا تَقِلُّ يَدُهُ سَيْفَهُ: مِنَ الرَّعْدَةِ، فَيَنْزِلُونَ إِلَيْهِمْ، فَيَسْلُطُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَذُوبُ الدَّجَالُ حَتَّى يَدْرِكَهُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُهُ. قال شيخنا الحافظ الذهبي: هذا حديث قوى الإسناد. (٣)

حديث نهيك بن صريم: قال الحافظ أبو بكر البرزاني: حدثنا أبو موسى الزماني، حدثنا إبراهيم بن

(١) أخرجه أحمد (٣٣٨/٤)، وإسناده ضعيف لانقطاعه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٨/٤) وإسناده ضعيف.

(٣) عبد الرزاق (٢٠٨٣٤) وفيه انقطاع.

سليمان، حدثنا محمد بن أبان، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن بسر بن عبيد الله، عن أبي إدريس، عن نهيك بن صريم السكوني، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَقَاتِلَنَّ الْمَشْرِكِينَ حَتَّى تَقَاتِلَ بِقِيَتِكُمُ الدَّجَالَ عَلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، أَنْتُمْ شَرْقِيَّةٌ، وَهُوَ غَرْبِيَّةٌ». قَالَ: وَمَا أَدْرَى أَيْنَ الْأُرْدُنُّ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْأَرْضِ؟ وكذا رواه سعيد بن سالم، وعبد الحميد بن صالح. (١)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا الْيَهُودِيُّ مِنْ خَلْقِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ: فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». (٢)

وقد روى مسلم عن قتيبة، بهذا الإسناد: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا التُّرْكَ»، الحديث، وقد تقدم الحديث بطريقه وألفاظه، والظاهر، والله أعلم، أن المراد بهؤلاء التُّرْكَ أنصار الدَّجَالِ، كما تقدم في حديث أبي بكر الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

طريق أخرى عن أبي هريرة: قال أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير، عن محمد ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَالُ بِخُورٍ وَكَرْمَانٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا كَانَ وُجُوهُهُمُ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةُ». إسناده جيد قوى حسن. (٣)

طريق أخرى عن أبي هريرة: قال حنبل بن إسحاق: حدثنا سريج بن النعمان، حدثنا فليح، عن الحارث بن فضيل، عن زياد بن سعد، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ خطب الناس، وذكر الدَّجَالَ، فقال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا حَدَرَهُ أُمَّتُهُ، وَسَاصِفُهُ لَكُمْ مَا لَمْ يَصِفْهُ نَبِيٌّ قَبْلِي؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ يَكْتُبُ أَوْ لَا يَكْتُبُ» (٤). هذا إسناد جيد لم يخرجوه.

طريق أخرى عن أبي هريرة: قال أحمد: حدثنا سريج، حدثنا فليح، عن عمر بن العلاء الثقفي، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهُمَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهُمَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاعُونَ» (٥). هذا غريب جداً، وذكر مكة في هذا ليس بمحفوظ، أو ذكر الطاعون، والله أعلم، والعلاء الثقفي هذا إن كان ابن زيدل، فهو كذاب.

طريق أخرى عنه: قال البخاري ومسلم: حدثنا زهير، حدثنا جرير، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: مَا زِلْتُ أَحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مِنْذُ ثَلَاثِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هُمْ أَشَدُّ

(١) البزار (٢٣٨٧) «كشف»، وهو ضعيف، وراجع «الضعيفة» (١٢٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤١٧/٢)، ومسلم (٢٩٢٢)، وأخرجه البخاري (٢٩٢٦).

(٣) أخرجه أحمد (٣٣٧-٣٣٨)، وإسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف - ولم أعثر عليه.

(٥) أخرجه أحمد (٤٨٣/٢) وإسناده ضعيف.

أُمْتُ عَلَى الدَّجَالِ». قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِي». قَالَ: وَكَانَتْ سَيِّئَةً مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْتَقِيهَا؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١).

حَدِيثُ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، عَنْ أَبِي الدَّهْمَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرََانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنْتَهِ عَنَّهُ، فَوَاللَّهِ إِنْ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ؛ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ». هَكَذَا قَالَ. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ^(٢).

وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، عَنْ أَبِي الدَّهْمَاءِ، عَنْ عُمَرََانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنْتَهِ عَنَّهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ بِهِ -لَمَّا مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَةِ- حَتَّى يَتَّبِعَهُ»^(٣). وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ. وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَأَبُو الدَّهْمَاءِ -وَأَسَمُهُ قُرْفَةُ بْنُ بَهْسِ الْعَدَوِيِّ- ثِقَةٌ.

وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عُمَرََانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، وَمَشَى فِي الْأَسْوَاقِ»^(٤). يَعْنِي الدَّجَالَ.

حَدِيثُ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا حَيُّوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ، حَدَّثَنَا بَحِيرٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ، حَتَّى خَشِيتُ أَلَّا تَعْقِلُوا، إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرٌ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِنَةٍ، وَلَا حَجَرَاءَ، فَإِنْ لَبَسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رِيَكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(٥). وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ حَيُّوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ وَيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، كُلُّهُمَا عَنْ بَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ، بِهِ.

حَدِيثُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَنَسِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، أَنَهَا شَكَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَاجَةَ، فَقَالَ: «كَيْفَ يَكُمُ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِعَبْدٍ قَدْ سَخَرَتْ لَهُ أَنْهَارُ الْأَرْضِ وَثِمَارُهَا، فَمَنْ اتَّبَعَهُ أَطْعَمَهُ وَكَفَّرَهُ، وَمَنْ عَصَاهُ حَرَمَهُ وَمَنَعَهُ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْجَارِيَةَ لَتُخْلَقَنَّ عَلَى التَّنَوُّرِ سَاعَةً تَخْبِزُهَا، فَأَكَادُ أَفْتِنُ بِهَا فِي صَلَاتِي، فَكَيْفَ بِنَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَعْصِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَعْصِمُ بِهِ الْمَلَائِكَةَ مِنَ التَّسْبِيحِ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»^(٦).

حَدِيثُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: قَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبْدِ الْعَدِيِّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٣) (٤٣٦٦)، ومسلم (٢٥٢٥) من طريق زهير، به.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣١٩) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٢/٤)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٤٤٤/٤)، وإسناده ضعيف.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وأحمد (٣٢٤/٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٦٤)، وابن أبي عاصم (٤٢٨)، والبزار (٢٦٨١)، والشاشي (١٢٢٦) وغيرهم.

(٦) أخرجه الطبراني (٤٠٢/١٥٧/٢٤)، وإسناده فيه ضعف وانقطاع.

الرؤاسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شعبة، قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت. قال: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ». قال: قلت: يا رسول الله، إنهم يقولون: إن معه الطعام والأنهار. قال: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ». (١)
حدثنا سريج بن يونس، حدثنا هُشَيْمٌ، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت. قال: «وَمَا سَأَلْتُكَ؟». قال: قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء. قال: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ». (٢)

ورواه مسلم أيضاً في الاستئذان، من طرق كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد. وأخرجه البخاري، عن مسدد، عن يحيى القطان، عن إسماعيل، به (٣). وقد تقدم في حديث حذيفة وغيره أن ماء نار، ونار ماء بارد، وإنما ذلك في رأي العين.

وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء، كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال مخرق مموه، لا حقيقة لما يبيد للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هؤلاء. وقال الشيخ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة (٤): لا يجوز أن يكون لذلك حقيقة؛ لئلا يشتبه خارق الساحر بخارق النبي. وقد أجابه القاضي عياض (٥) وغيره بأن الدجال إنما يدعى الإلهية، وذلك مناف لبشريته، فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه، والحالة هذه.

وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئاً، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء؛ لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم ذلك. وإنما أوردنا بعض ما ورد في هذا الباب، وفيه كفاية ومقنع، وبالله المستعان.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه، كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم، وأنفسهم وترجع إليهم مواشيهم سمناً لبناً، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجذب والقحط والغلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه يتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس بمخرقة، بل له حقيقة امتحن الله بها عباده في ذلك الزمان، فيضل به كثيراً، ويهدي به كثيراً، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ». أي هو أقل من أن يكون معه ما يضل به عباده المؤمنين، وما ذاك إلا لأنه ناقص، ظاهر النقص

(١) مسلم (٢٩٣٩).

(٢) مسلم (٢٩٣٩) (١١٥).

(٣) مسلم (٢١٥٢) (٣٢).

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ المعتزلة - راجع «السير» (١٨٣/١٤).

(٥) راجع كلام القاضي في «شرح مسلم» (٥٨/٥٩).

والفجور والظلم، وإن كان معه ما معه من الخوارق؛ فبين عينيه مكتوب: كافر. كتابة ظاهرة، وقد حَقَّق ذلك الشارع في خبره بقوله: «ك ف ر». فدلَّ ذلك على أنه كتابة حسية، لا معنوية، كما يَقُولُه بعض الناس، وعينه الواحدة عوراء شنيعة المنظر ناتئة، وهو معنى قوله: «كَانَهَا عَيْنَةً طَافِيَةً». أى عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَمَنْ رَوَى ذَلِكَ: «طَافِيَةً». فمعناه: لَا ضَوْءَ فِيهَا. وفي الحديث الآخر: «كَانَهَا نُخَامَةً عَلَى حَائِطٍ مُجَصَّصٍ». أى بَشِيعَةُ الشَّكْلِ.

وقد ورد في بعض الأحاديث أن عينه اليمنى عوراء، وجاء في بعضها: اليسرى. فإما أن تكون إحدى الروايتين غير محفوظة، أو أن العور حاصل في كل من العينين، ويكون معنى العور النقص والعيب، ويقوى هذا الجواب ما رواه الطبراني، حدثنا محمد بن محمد التمار وأبو خليفة، قالا: حدثنا أبو الوكيل؛ حدثنا زائدة، حدثنا سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدَّجَالُ جَعَدَ هِجَانَ أَقْمَرُ، كَانَ رَأْسُهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ، مَطْمُوسٌ عَيْنُهُ الْيُسْرَى، وَالْأُخْرَى كَانَتْهَا عَيْنَةٌ طَافِيَةٌ» (١). الحديث. وكذلك رواه سفيان الثوري، عن سماك بنحوه. لكن قد جاء في الحديث المتقدم: «وعينه الأخرى كأنها كوكب دري».

وعلى هذا فتكون الرواية الواحدة غلطاً، ويحتمل أن يكون المراد أن العين الواحدة عوراء في نفسها، والأخرى عوراء باعتبار انفرادها. والله، سبحانه وتعالى، أعلم بالصواب.

وقد سأل سائل سؤالاً، فقال: ما الحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره، وانتشار أمره، ودعواه الربوبية، وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء، وقد حذر منه جميع الأنبياء، كيف لم يذكر في القرآن، ويحذر منه، ويصرح باسمه، ويؤوه بكذبه وعناده؟

والجواب من وجوه؛ أحدها: أنه قد أُشير إلى ذكره في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ الآية (الأنعام: ١٥٨).

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسيرها: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا يعلى بن عبيد، عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا» الدَّجَالُ، وَالْدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَوْ مِنَ مَغْرِبِهَا» (٢). ثم قال: هذا حديث حسن صحيح.

الثاني: أن عيسى ابن مريم ينزل من السماء الدنيا، فيقتل الدجال، كما تقدّم، وكما سيأتي، وقد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى: ﴿يَلْزَمُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» (النساء: ١٥٨، ١٥٩).

(١) صحيح: أخرجه الطبراني (١١٧/٢) بهذا الإسناد، وأخرجه (١١٧١١) (١١٧١٣) من طرق عن سماك، به. وإسناده فيه اضطراب لكن توبع، فرواه أحمد (٢١٤٨) (٢٨٥٤)، وغيره.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٠٧٢) بهذا الإسناد، وأخرجه مسلم (١٥٨)، وأبو يعلى (٦١٧٠) (٦١٧٢)، والطبري (١٠٣/٨)، وأبو عوانة (١٠٧/١) من طرق عن فضيل بن غزوان، به. وأخرجه ابن أبي شيبة (١٧٨/١٥)، ومسلم (١٥٨)، وأحمد (٤٤٥-٤٤٦/٢) من طريق وكيع عن فضيل، به. باختلاف يسير.

وقد قررنا في «التفسير» أن الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. عائذ على عيسى، أى سينزل إلى الأرض، ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً، فمن مدعى الإلهية كالنصارى، ومن قائل فيه قولاً عظيماً، وهو أنه ولد زنية، وهم اليهود، ومن قائل أنه قتل وصلب ومات. إلى غير ذلك، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء، وسنقرر هذا قريباً. وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال الضلالة، وهو ضد مسيح الهدى، ومن عادة العرب أنها تكتفى بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر، كما هو مقرر في موضعه.

الثالث: أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقاراً له؛ حيث إنه يدعى الإلهية وهو بشر، وهو مع بشرية ناقص الخلق ينافي حاله جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يذكر، وأصغر، وأدحر من أن يجلى عن أمر دعواه ويحذر ولكن انتصر الرسل لجناح الرب، عز وجل، فجعلوا لأعمهم عن أمره، وحذروهم ما معه من الفتن المضلة، والخوارق المنقضية المضمحلة، فاكتمى بإخبار الأنبياء، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأئمة عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله، في القرآن العظيم، ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم.

فإن قلت: فقد ذكر فرعون في القرآن، وقد ادعى ما ادعاه من الإلهية والكذب والبهتان؛ حيث قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النارعات: ٢٤). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨). فالجواب أن أمر فرعون قد انقضى، وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقِل، وأمر الدجال سيأتى، وهو كائن فيما يستقبل فتنة واختباراً للعباد، فترك ذكره في القرآن احتقاراً له، وامتحناً به، إذ أمره وكذبه أظهر من أن يئبه عليه، ويحذر منه، وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه، كما كان النبي ﷺ في مرض موته قد عزم على أن يكتب كتاباً بخلافه أبى بكر الصديق رضي الله عنه، من بعده، ثم ترك ذلك، وقال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبى بكر» (١). فترك نصه عليه لوضوح جلالته، وعظيم قدره عند الصحابة، وعلم، عليه الصلاة والسلام، أنهم لا يعدلون به أحداً بعده، وكذلك وقع الأمر، ولهذا يذكر هذا الحديث في دلائل النبوة، كما تقدم ذكرنا له غير مرة في مواضع من هذا الكتاب.

وهذا المقام الذى نحن فيه من هذا القبيل، وهو أن الشيء قد يكون ظهوره كافياً عن التنصيص عليه، وأن الأمر أظهر وأوضح وأجلى من أن يحتاج معه إلى زيادة إيضاح على ما فى القلوب مستقر، فالدجال واضح الذم ظاهر النقص بالنسبة إلى المقام الذى يدعيه من الربوبية، فترك الله ذكره والنص عليه؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين أن مثل الدجال لا يخفى ضلاله عليهم ولا يهبطهم، ولا يزيدهم إلا إيماناً وتسليماً لله ولرسوله، وتصديقاً للحق، ورداً للباطل. ولهذا يقول ذلك المؤمن الذى يسلط عليه الدجال فيقتله، ثم يحييه: وَاللَّهِ مَا أزدَدْتُ فَيْكَ إِلَّا

(١) أخرجه البخارى (١٩٨) (٤٤٤٢)، ومسلم (٤١٨) (٩٢)، وأبو عوانة (١١٣/٢)، وأحمد (٣٤/٦) عن عائشة. وفى الباب حديث أبى موسى وغيره.

بصيرة، أَنْتَ الْأَعْوَرُ الْكَذَّابُ الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ سَمِعَ خَيْرَ الدَّجَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِفَاهًا.

وقد أخذ بظاهره إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي للصحيح عن مسلم، فحكى عن بعضهم أنه الخضر، عليه السلام، وحكاه القاضي عياض عن معمر في «جامعه».

وقد قال أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، والترمذي في «جامعه»، بإسنادهم إلى أبي عبيدة أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَلَّهُ سَيَدْرِكُهُ مَنْ رَأَى، وَسَمِعَ كَلَامِي»^(١). وهذا مما قد يتقوى به بعض من يقول بهذا، ولكن في إسناده غرابة، ولعل هذا كان قبل أن يبين له ﷺ من أمر الدجال ما بين في ثاني الحال. والله تعالى أعلم.

وقد ذكرنا في قصة الخضر كلام الناس في حياته، ودللنا على وفاته بأدلة أسلفناها هنالك، فمن أراد الوقوف عليها فليأملها في قصص الأنبياء من كتابنا هذا. والله أعلم بالصواب.

ذكر ما يعصم من الدجال

فمن ذلك: الاستعاذة من فتنه، فقد ثبت في الأحاديث الصحاح، من غير وجه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة، وأنه أمر أمته بذلك أيضًا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». وذلك من حديث أنس، وأبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وسعد، وعمر بن شعيب عن أبيه عن جده^(٢)، وغيرهم.

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ . ومن ذلك: حفظ آيات من سورة الكهف، كما قال أبو داود: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا سالم بن أبي الجعد، عن معدان، عن أبي الدرداء، يرويه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»^(٣). قال أبو داود: وكذا قال هشام الدستوائي، عن قتادة، إلا أنه قال: «مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ». وقال شعبة، عن قتادة: «مَنْ أَخْبَرَ الْكَهْفِ».

وقد رواه مسلم من حديث همام، وهشام، وشعبة، عن قتادة به، بألفاظ مختلفة، وقال

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٣٤٩)، وأحمد (٩٤٤٧)، والبخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) (١٣١)، وأبو عوانة (٢٣٦/٢)، والنسائي (١٠٣/٤) (٥٧٥/٨) من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وله طرق كثيرة ذكرتها في الأصل.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٢٣) بهذا الإسناد، وأخرجه أحمد (١٩٦/٥)، والنسائي (٩٥١)، وأبو عوانة (٣٧٨٣)، والحاكم (٣٦٨/٢) من طريق همام بن يحيى، به. وأخرجه مسلم (٨٠٩) (٢٥٧)، والترمذي (٢٨٨٦)، وأبو عوانة (٣٧٨٠) من طريق هشام الدستوائي عن قتادة، به.

الترمذى: حسنٌ صحيح. وفي بعض رواياته: «الثلاث آيات من أول سورة الكهف»^(١). ورواه أحمد، عن يزيد بن هارون وعفان وعبد الصمد، عن همام، عن قتادة به: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال».

وكذلك رواه عن روح، عن سعيد، عن قتادة بمثله، ورواه عن حسين، عن شيبان، عن قتادة كذلك، وقد رواه عن غندر وحجاج، عن شعبة، عن قتادة وقال: «من حفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»^(٢).

ومن ذلك: الابتعاد عنه فلا يراه؛ فإن من رآه افتتن، كما تقدم في حديث عمران بن حصين: «من سمع بالدجال فليبتأ عنه، فوالله إن المؤمن ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، لما يبعث به من الشبهات»^(٣). ومما يعصم من فتنة الدجال: سكنى المدينة النبوية ومكة، شرفهما الله تعالى، فقد روى البخارى ومسلم، من حديث الإمام مالك رحمته الله، عن نعيم المجرم، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»^(٤).

وقال البخارى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال؛ لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان»^(٥). وقد روى هذا جماعة من الصحابة منهم؛ أبو هريرة، وأنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع، ومحقن بن الأدرع، كما تقدم.

وقال الترمذى: حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى الدجال المدينة، فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يدخلها الطاعون ولا الدجال، إن شاء الله»^(٦). وأخرجه البخارى عن يحيى بن موسى، وإسحاق بن أبي عيسى، عن يزيد بن هارون به^(٧)، ثم قال الترمذى: هذا حديث صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وفاطمة بنت قيس، ومحقن، وأسامة، وسمرة بن جندب^(٨). وقد ثبت في الصحيح أنه لا يدخل مكة، ولا المدينة؛ تمنعه الملائكة؛ لشرف هاتين البقعتين، فهما حرمان آمنان، وإنما إذا نزل عند سبخة المدينة ترجف بأهلها ثلاث رجفات، إما حساً، وإما معنى، على القولين، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة، فيومئذ تنفى المدينة خبيها، وينصع طيبتها، كما تقدم.

(١)، (٢)، (٣) سبق تخريجها.

(٤) أخرجه البخارى (١٨٨٠) (٥٧٣١) (٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩)، والنسائى «كبرى» (٤٢٧٣) (٧٥٢٦)، وغيرهم من طريق مالك، به.

(٥) أخرجه البخارى (١٨٧٩) (٧١٢٥)، عن عبد العزيز، به.

(٦) أخرجه الترمذى (٢٢٤٢) بهذا الإسناد.

(٧) أخرجه البخارى (٧١٣٤) (٧٤٧٣) عن يزيد بن هارون، به.

(٨) قاله الترمذى فى «السنن» (٤٤٦/٤).

ملخص سيرة الدجال، لعنه الله تعالى

هو رجل من بني آدم، خلقه الله تعالى، ليكون محنة واختباراً للناس في آخر الزمان، فيُضِلُّ به كثيراً، ويَهْدِي به كثيراً، وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين.

وقد روى الحافظ أحمد بن علي الأبار، في «تاريخه»، من طريق مجالد، عن الشعبي، أنه قال: كُنِيَ الدَّجَالُ أَبُو يَوْسُفَ (١). وقد روى عن عمر بن الخطاب وأبي ذر وجابر بن عبد الله، وغيرهم من الصحابة، كما تقدم، أنه ابن صياد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَمُكُّ أَبَوَا الدَّجَالِ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ أَضْرُ شَيْءٍ، وَأَقْلَهُ نَضْعًا، تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ». ثم نعت أبويه، فقال: «أَبُوهُ رَجُلٌ طَوِيلٌ، مُضْطَرِبُ اللَّحْمِ، طَوِيلُ الْأَنْفِ، كَانَ أَنْفُهُ مَنَقَارًا، وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ فَرِضَاخِيَّةٌ، عَظِيمَةُ الثَّدْيَيْنِ». قال: فَبَلَّغْنَا أَنْ مَوْلودًا مِنَ الْيَهُودِ وَلِدَ بِالْمَدِينَةِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَالزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَّامِ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبِيهِ، فَرَأَيْنَا فِيهِمَا نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا هُوَ مُتَجَدِّلٌ فِي الشَّمْسِ فِي قَطِيفَةٍ، لَهُ هَمْهَمَةٌ، فَسَأَلْنَا أَبِيهِ، فَقَالَ: مَكُنَّا ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَنَا، ثُمَّ وَلِدَ لَنَا غُلَامٌ أَعْوَرُ، أَضْرُ شَيْءٍ، وَأَقْلَهُ نَضْعًا. فَلَمَّا خَرَجْنَا مَرَرْنَا بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُمَا فِيهِ؟ قُلْنَا: وَسَمِعْتُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ تَنَامُ عَيْنَايَ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي. فَإِذَا هُوَ ابْنُ صَيَّادٍ. (٢) وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. قُلْتُ: بَلْ هُوَ مُتَكَرِّرٌ جَدًّا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد كان ابن صياد من يهود المدينة، وقيل: كان من الأنصار. واسمه عبد الله، ويقال: صاف. وقد جاء هذا وهذا، وقد يكون أصل اسمه صاف، ثم تسمى، لما أسلم، بعبد الله، وكان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين، روى عنه مالك وغيره، وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة، ثم تيب عليه بعد ذلك، فأظهر الإسلام. والله أعلم بضميره وسريته.

وأما الدجال الأكبر فهو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس، الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداري، وفيه قصة الجساسة، ثم يؤذن له في الخروج في آخر الزمان، بعد فتح المسلمين مدينة الروم المسماة بقسطنطينية، فيكون بدو ظهوره من أصبهان من حارة بها يقال لها: اليهودية. وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالة الحضر، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعى النبوة، ثم يدعى الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من

(١) موقوف إسناده ضعيف ومثل هذا لا يثبت بالموقوفات.

(٢) أخرجه أحمد (٤٠/٥) وإسناده ضعيف. وأخرجه الطيالسي (٨٦٥)، والترمذي (٢٢٤٨)، والبخاري (٣٦٢٨)، من طريق حماد، به. وراجع كلام الحافظ في «الفتح» (٣٢٦/١٣).

الرعاع والعوام، ويُخالفه ويردُّ عليه من هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتقين، ويتدنى فيأخذ البلاد بلداً بلداً، وحصناً حصناً، وإقليماً إقليمياً، وكورةً كورةً، ولا يبقى بلدٌ من البلاد إلا وطئه بخيله ورجله، غير مكة والمدينة، ومدة مُقامه في الأرض أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس هذه، ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف، وقد خلق الله على يديه خوارق كثيرة، يضلُّ بها من يشاء من خلقه، ويثبتُ معها المؤمنون، فيزدادون بها إيماناً مع إيمانهم، وهُدًى إلى هداهم، ويكون نزول عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة على المنارة الشرقية بدمشق، فيجتمع عليه المؤمنون، ويلتفُّ معه عباد الله المتقون، فيسير بهم قاصداً نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس، فيدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة لُد فيقتله بحرْبته، وهو داخل إليها، ويقول له: إنَّ لى فيك ضربةٌ لَن تقوتى. وإذا واجهه الدجال أنماع كما ينماع^(١) الملح في الماء، فيدركه عند باب لُد، فتكون وفاته هنالك، لعنه الله، كما دلَّت على ذلك الأحاديث الصَّحاح من غير وجه، كما تقدَّم، وكما سيأتى.

وقد قال الترمذى: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن ابن شهاب، أنه سمع عبيد الله بن عبد الله بن ثعلبة الأنصارى يحدث عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف، يقول: سمعتُ عمى مُجمَع بن جارية الأنصارى يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لُد»^(٢).

وقد رواه أحمد، عن أبي النضر، عن الليث، عن الزهري، به. وعن سفيان بن عيينة، عن الزهري، به. وعن محمد بن مُصعب، عن الأوزاعي، عن الزهري، به. وعن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، فهو محفوظٌ من حديثه، وإسناده من بعده ثقات، ولهذا قال الترمذى بعد روايته له: هذا حديثٌ صحيحٌ. قال: وفي الباب عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة، وأبى برزة، وحذيفة بن أسيد، وأبى هريرة، وكيسان، وعثمان بن أبى العاص، وجابر، وأبى أمامة، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وسمرة بن جندب، والثَّوَّاس بن سميان، وعمرو بن عوف، وحذيفة بن اليمان^(٣).

وروى أبو بكر ابن أبي شيبة، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن عمرَ سأل يهودياً عن الدجال، فقال: وإله يهود ليقتلنه ابن مريم ببناء لُد^(٤).

(١) ينماع: يذوب.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٢٤٤)، وأخرجه أحمد (١٥٤٦٧)، وابن حبان (٦٨١١) من طريق الليث، به. وقد تابع الليث عليه جماعة.

(٣) قاله الترمذى فى «جامعه» (٤٤٧/٤) عقب روايته للحديث.

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة (٣٩/٦٥٣/٨) بهذا الإسناد، وأخرجه نعيم بن حماد فى «الفتن» (١٥٦٤)، وسنده صحيح.

صفة الدجال، قبحه الله ولعنه وأخزاه وأخساه

قد تقدم في الأحاديث أنه أعور، وأنه أزهَر هجاناً فِلْمَانِي، وهو كثير الشعر، وفي بعض الأحاديث أنه قصير أفحج. وفي حديث أنه طويل، وجاء أن ما بين أذني حمارة أربعون ذراعاً، كما تقدم في حديث جابر، ويروى في حديث آخر: سبعون باعاً. ولا يصح، وفي الأول نظر. وقال عبدان في كتاب «معرفة الصحابة»: روى سفيان الثوري، عن عبد الملك بن ميسرة، عن حوط العبدي، عن ابن مسعود، قال: أذن حمارة الدجال تظل سبعين ألفاً. (١) قال شيخنا الحافظ الذهبي: حوط مجهول، والخبر منكر.

وإن بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل مؤمن، وإن رأسه من ورائه كأنه أصلة - أي حية - لعله طويل الرأس.

وقال حنبل بن إسحاق. حدثنا حجاج، حدثنا حماد، عن أبيوب، عن أبي قلابة قال: دخلت المسجد، فإذا الناس قد تكاثروا على رجل، فسمعتهم يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بعدي الكذاب المضل، وإن رأسه من ورائه حبك حبك» (٢). وقد تقدم له شاهد من وجه آخر، ومعنى حبك أي جعد خشن، كقوله: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحُبُكِ﴾ (الذاريات: ٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا المسعودي وأبو النضر، حدثنا المسعودي، المعنى، عن عاصم ابن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ بَيَّنْتُ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَمَسِيحُ الضَّلَالَةِ. فَكَانَ تَلَاخَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَسُدُّهُ الْمَسْجِدَ، فَأَتَيْتُهُمَا، فَأَخْبَرْتُهُمَا، فَأَنْسَيْتُهُمَا، وَسَأَلْتُهُمَا لَكُمْ مِنْهُمَا شَيْءٌ، أَمَّا لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَالْتَمِسُوها فِي الْعِشْرِ الْأَوَاخِرِ وَتَرَاهَا، وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ، فَإِنَّهُ أَعُورُ الْعَيْنِ، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، عَرِيضُ النَّحْرِ، فِيهِ دَفَأٌ، كَأَنَّهُ قَطُنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى». قال: يا رسول الله، هل يضرني شبهه؟ قال: «لَا. أَنْتَ أَمْرٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ أَمْرٌ كَافِرٌ» (٣). تفرد به أحمد؛ وإسناده حسن.

وقال الطبراني: حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا إسحاق بن موسى، / ح / وحدثنا محمد بن شعيب الأصبهاني، حدثنا سعيد بن عنبسة قال: حدثنا سعيد بن محمد الثقفي، حدثنا حلام بن صالح، أخبرني سليمان بن شهاب العيسى قال: نزل على عبد الله بن مغنم، وكان من أصحاب النبي ﷺ، فحدثني عن النبي ﷺ أنه قال: «الدجال ليس به خفاء؛ إنه يجيء من قبل المشرق، فيدعو إلى حق، فيتبع، ويُنْتَصَبُ لِلنَّاسِ فَيُقَاتِلُهُمْ، فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَقْدَمَ الْكُوفَةَ، فَيُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ، فَيَتَّبِعُ وَيُحِبُّ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنِّي نَبِيٌّ. فَيُضْرَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ ذِي لُبٍّ وَيُفَارِقُهُ، فَيَمْكُثُ بَعْدَ ذَلِكَ، حَتَّى يَقُولَ: أَنَا اللَّهُ. فَتَعْمَشُ عَيْنُهُ، وَتَقْطَعُ أُذُنُهُ، وَيَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَيُفَارِقُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ،

(١) منكر: أخرجه نعيم في «الفتن» (١٥٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٢/٥) من طريق حماد، و(٤١٠/٥) من طريق إسماعيل ابن علية؛ كلاهما عن أبيوب، وإسناده صحيح. والسند الذي أورده المؤلف ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٧٩٠٥)، وإسناده ضعيف.

وَيَكُونُ أَصْحَابُهُ وَجُنُودُهُ الْمَجُوسَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَهَذِهِ الْأَعَاجِمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ يَدْعُو بِرَجُلٍ فِيمَا يَرَوْنَ، فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَقَطَّعُ أَعْضَاءُهُ، كُلُّ عُضْوٍ عَلَى حِدَةٍ، فَيُفَرَّقُ بَيْنَهَا حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهَا، ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ، أَحْيَى وَأَمِيتٌ، وَذَلِكَ كُلُّهُ سِحْرٌ يَسْحَرُ بِهِ أَعْيُنُ النَّاسِ، قَيْسٌ يَصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا» (١).

قال شيخنا الذهبي: ورواه يحيى بن موسى خت، عن سعيد بن محمد الشَّقَفِيِّ، وهو واه، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال في الدَّجَالِ: هو صافِي بن صائد، يَخْرُجُ مِنْ يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ عَلَى حِمَارٍ أَبْتَرٍ، مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَمَا بَيْنَ حَافِرَيْهِ إِلَى الْحَافِرِ الْآخِرِ أَرْبَعٌ لِيَالِي، يَتَنَاوَلُ السَّمَاءَ بِيَدِهِ، أَمَامَهُ جَبَلٌ مِنْ دُخَانٍ، وَخَلْفَهُ جَبَلٌ آخَرٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى، أَتْبَاعُهُ أَصْحَابُ الرَّبِّ وَأَوْلَادُ الزَّنَا. (٢) رواه أبو عمرو الداني في كتاب «أخبار الدجال»، ولا يصح إسناده.

خبر عجيب، ونبأ غريب

قال نعيم بن حماد في «كتاب الفتن»: حدثنا أبو عمر (٣)، عن عبد الله بن لهيعة، عن عبد الوهاب ابن حسين، عن محمد بن ثابت، عن أبيه، عن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ أُذُنَيْ حِمَارِ الدَّجَالِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَخُطْوَةُ حِمَارِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَخُوضُ الْبَحْرَ كَمَا يَخُوضُ أَحَدُكُمْ السَّاقِيَّةَ، وَيَقُولُ: أَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهَذِهِ الشَّمْسُ تُجْرِي بِأَذُنِي، أَتُفْرِدُونَ أَنْ أَحْسِبَهَا؟ فَتُحْبِسُ الشَّمْسُ، حَتَّى يُجْعَلَ الْيَوْمُ كَالشَّهْرِ وَالْجُمُعَةُ، وَيَقُولُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ أُسَيِّرَهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُجْعَلُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَأْتِيهِ الْمَرْأَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ؟ أَحْيَى لِي ابْنِي، وَأَحْيَى لِي زَوْجِي. حَتَّى إِذَا تَعَايَنُ شَيَاطِينُ عَلَى صُورِهِمْ، وَيَبُوتُهُمْ مَمْلُوءَةٌ شَيَاطِينٍ، وَيَأْتِيهِ الْأَعْرَابُ فَتَقُولُ: يَا رَبَّنَا، أَحْيَى لَنَا إِبِلُنَا وَغَنَمُنَا. فَيُعْطِيهِمْ شَيَاطِينُ أَمْثَالِ إِبِلِهِمْ وَغَنَمِهِمْ، سَوَاءً بِالسِّنِّ وَالسَّيِّئَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا رَبَّنَا لَمْ يُحْيِ لَنَا مَوْتَانَا. وَمَعَهُ جَبَلٌ مِنْ مَرَقٍ وَعَرَاقٍ اللَّحْمِ، حَارٌّ لَا يَبْرُدُ، وَنَهْرٌ جَارٌّ، وَجَبَلٌ مِنْ جَنَانٍ وَخَضِرَةٍ، وَجَبَلٌ مِنْ نَارٍ وَدُخَانٍ، يَقُولُ: هَذِهِ جَنَّتِي وَهَذِهِ نَارِي، وَهَذَا طَعَامِي وَهَذَا شَرَابِي. وَالْيَسْعُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَهُ يُنْذِرُ النَّاسَ مِنْهُ؛ يَقُولُ: هَذَا الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ فَاحْذَرُوهُ، لَعْنَةُ اللَّهِ. وَيُعْطِيهِ اللَّهُ مِنَ السَّرْعَةِ وَالْخَفَةِ مَا لَا يَلْحَقُهُ الدَّجَالُ، فَإِذَا قَالَ: أَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ لَهُ النَّاسُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ الْيَسْعُ: صَدَقَ النَّاسُ. فَيَمُرُّ بِمَكَّةَ، فَإِذَا هُوَ بِخَلْقٍ عَظِيمٍ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا مِيكَائِيلُ، بَعَثَنِي اللَّهُ أَنْ أَمْنَعَهُ مِنْ حَرَمِهِ. وَيَمُرُّ بِالْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِخَلْقٍ عَظِيمٍ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا جِبْرِيلُ، بَعَثَنِي اللَّهُ لَأَمْنَعَهُ مِنْ حَرَمِ رَسُولِهِ.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» وعنه أبو نعيم في «معركة الصحابة» (٢٤٩/٣)، (٤٥٥٩)، وإسناده ضعيف وفيه نكارة.

(٢) إسناده تالف: أخرجه الداني في «الفتن» (٦٦٤)، وإسناده فيه عيسى بن الأشعث وهو مجهول، وجويبر وهو متروك، غير أنه مخالف للصحيح.

(٣) عند نعيم (١٥٢٠) حدثنا نعيم عن ابن لهيعة، وقد روى هذا الإسناد برقم (١٢٤٥)، عن أبي عمر، وليس عمرو، ووقع فيه خلاف.

فَيَمُرُّ الدَّجَالُ بِمَكَّةَ، فَإِذَا رَأَى مِيكَائِيلَ وَلَّى هَارِبًا، فَيَصِيحُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ مُنَافِقُوهَا، وَمِنْ الْمَدِينَةِ كَذَلِكَ. وَيَأْتِي النَّذِيرُ إِلَى الَّذِينَ فَتَحُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَمَنْ تَأَلَّفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ أَنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ وَخَلَفَكُمْ فِي ذَرَارِيكُمْ». قَالَ: «فَيَتَنَاولُ الدَّجَالُ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَاقْتُلُوهُ. فَيَنْشُرُ فَيَقُولُ: أَنَا أَحْيِيهِ، قُمْ. فَيَأْذَنُ اللَّهُ بِأَحْيَائِهِ، وَلَا يَأْذَنُ بِأَحْيَاءِ نَفْسٍ غَيْرِهَا، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ أَمْسَكَتُمْ أَحْيَيْتُكُمْ؟ فَيَقُولُ: الْآنَ قَدْ ارْزُدَتْ فِيكَ يَقِينًا؛ بَشَرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّكَ تَقْتُلُنِي، ثُمَّ أَحْيَا بِإِذْنِ اللَّهِ لَا بِإِذْنِكَ. فَيُوضَعُ عَلَى جِلْدِهِ صَفَائِحُ مِنْ نَحَاسٍ، فَلَا يَحِيكُ فِيهِ سَلَاحُهُمْ، فَيَقُولُ: اطْرَحُوهُ فِي نَارِي. فَيُحَوَّلُ اللَّهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ عَلَى النَّذِيرِ جَنَائًا، فَيَشْكُ النَّاسُ فِيهِ، وَيَبَادِرُ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَإِذَا صَعِدَ عَلَى عَقَبَةِ أَفَيقَ وَقَعَ ظِلُّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيُوتَرُونَ قَسِيهِمْ لِقَتَالِهِ، فَأَقْوَاهُمْ مِنْ يُوْتَرٍ وَهُوَ بَارِكُ، أَوْ جَالِسٍ مِنَ الْجُورِ وَالضَّعْفِ، وَيَسْمَعُونَ النَّدَاءَ: جَاءَكُمْ الْغَوْثُ. فَيَقُولُونَ: هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ شَبَعَانٍ. وَتَشْرِقُ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَبَّهَا، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَحْمَدُوا رَبَّكُمْ وَسَبِّحُوهُ فَيَفْعَلُونَ، وَيُرِيدُونَ الْفِرَارَ، فَيُضَيِّقُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ، فَإِذَا آتَوْا بَابَ لُدٍّ فِي نِصْفِ سَاعَةٍ، فَيُؤَافُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا نَظَرَ الدَّجَالُ إِلَى عِيسَى قَالَ: أَقِمِ الصَّلَاةَ. فَيَقُولُ الدَّجَالُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ أُفِيضَتِ الصَّلَاةُ. فَيَقُولُ عِيسَى: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، زَعَمْتَ أَنَّكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَلِمَنْ تُصَلِّي؟ فَيَضْرِبُهُ بِمِقْرَعَةٍ فِي يَدِهِ فَيَقْتُلُهُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَنْصَارِهِ خَلَفَ شَيْءٌ إِلَّا نَادَى: يَا مُؤْمِنُ، هَذَا دَجَالِي فَاقْتُلْهُ. إِلَى أَنْ قَالَ: فَتَمَتَّعُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَا يَمُوتُ أَحَدٌ، وَلَا يَمْرُضُ أَحَدٌ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِنَعْمِهِ وَدَوَابِّهِ: اذْهَبُوا فَارْعَوْا. وَغَرَّ الْمَاشِيَةُ بَيْنَ الزَّرْعَيْنِ لَا تَأْكُلُ مِنْهُ سَنَلَةٌ، وَالْحَيَاتُ وَالْعَقَارِبُ لَا تُوْذِي أَحَدًا، وَالسَّيِّحُ عَلَى أَبْوَابِ الدُّورِ لَا يُؤْذِي أَحَدًا، وَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْمَدَّ مِنَ الْقَمْحِ، فَيَبْذُرُهُ بِلَا حِرَاثٍ، فَيَجِيءُ مِنْهُ سَبْعُمِائَةِ مَدٍّ، فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى يُكْسِرَ سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَيَخْرُجُونَ وَيُفْسِدُونَ مَا عَلَى الْأَرْضِ، فَيَسْتَغِيثُ النَّاسُ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، وَأَهْلُ طُورِ سَيْنَاءَ هُمُ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَيَدْعُونَ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ذَاتَ قَوَائِمٍ، فَتَدْخُلُ فِي آذَانِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى أَجْمَعُونَ، وَتَنْتِنُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ، فَيُؤْذُونَ النَّاسَ بِتَنَنِهِمْ أَشَدَّ مِنْ حَيَاتِهِمْ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا يَمَانِيَةً غِبْرَاءَ، فَتَصِيرُ عَلَى النَّاسِ غَمًّا وَدُخَانًا، وَتَقَعُ عَلَيْهِمُ الزُّكْمَةُ، وَيُكْشَفُ مَا بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ، وَقَدْ قُدِفَتْ جِيْفُهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَلَا يَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطَوِيَتِ الصُّحُفُ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ تَوْبَةٌ، وَيَخْرُجُ إِبْلِيسُ سَاجِدًا يَنَادِي: إِلَهِي، مَرْنِي أَنْ أَسْجُدَ لِمَنْ شِئْتَ. وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، تَقُولُ: يَا سَيِّدَنَا، إِلَى مَنْ تَفْرَعُ؟ فَيَقُولُ: سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُنْظِرَنِي إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَهَذَا الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ. وَتَصِيرُ الشَّيَاطِينُ ظَاهِرَةً فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ: هَذَا قَرِينِي الَّذِي كَانَ يُغْوِينِي، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْزَاهُ. وَلَا يَزَالُ إِبْلِيسُ سَاجِدًا بَاكِيًا، حَتَّى تَخْرُجَ الدَّابَّةُ فَتَقْتُلَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَيَتَمَتَّعُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَا يَتَمَنُونَ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَوْهُ، وَبَرَّرَ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَمُوتُ مُؤْمِنٌ حَتَّى تَتِمَّ أَرْبَعُونَ سَنَةً بَعْدَ الدَّابَّةِ، ثُمَّ يَعُودُ فِيهِمُ الْمَوْتُ وَيُسْرِعُ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ، وَيَقُولُ الْكَافِرُ: قَدْ

كُنَّا مَرْعُوبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَيْسَ يُقْبَلُ مِنَّا تَوْبَةٌ. فَيَتَهَارَجُونَ فِي الطَّرِيقِ كَالْبَهَائِمِ، حَتَّى يَنْكَحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ، يَقُومُ وَاحِدٌ عَنْهَا، وَيُنْزِلُ عَلَيْهَا آخَرُ، وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ يَقُولُ: لَوْ تَنَحَّيْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ كَانَ أَحْسَنَ. فَيَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى لَا يُولِدَ أَحَدٌ مِنْ نِكَاحٍ، ثُمَّ يَعْقُمُ اللَّهُ النِّسَاءَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، إِلَّا الزَّوَانِي وَالزَّانِيَاتِ فَإِنَّهُنَّ يَحْبِلْنَ، وَيَلِدْنَ مِنَ الزَّيْنِ، وَيَكُونُونَ كُلُّهُمْ أَوْلَادَ زَيْنٍ، شَرَارَ النَّاسِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ^(١). كَذَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاتِمٍ الْمَرَادِيِّ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ حَمَّادٍ، فَذَكَرَهُ.

قال شيخنا الحافظ الذهبي: وهذا الحديث شبه موضوع، وأبو عمر مجهول، وعبد الوهاب كذلك، وشيخه يقال له: البنانى.

وقد أنبأني شيخنا الذهبي إجازة - إن لم يكن سماعاً - أنبأنا أبو الحسين البونيني، أنبأنا البهاء عبد الرحمن، حضوراً، أنبأنا عتيق بن صيلاً، أنبأنا عبد الواحد بن علوان، أنبأنا أبو عمرو ابن دُوست، حدثنا أحمد بن سلمان النجاد، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا أبو سلمة التبوذكى، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن زيد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّجَالُ يَتَنَاوَلُ السَّحَابَ، وَيَخْوُضُ الْبَحْرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَيَسْبِقُ الشَّمْسَ إِلَى مَغْرِبِهَا، وَتَسِيرُ مَعَهُ الْأَكَامُ طَعَاماً، وَفِي جَبْهَتِهِ قَرْنٌ مَكْسُورُ الطَّرْفِ، يَخْرُجُ مِنْهُ الْحَيَاتُ، وَقَدْ صُوِّرَ فِي جَسَدِهِ السِّلَاحُ كُلُّهُ، حَتَّى الرَّمْحُ وَالسَّيْفُ وَالدَّرَقُ». قُلْتُ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَا الدَّرَقُ؟ قَالَ: التُّرْسُ^(٢). ثم قال شيخنا: هذا من مراسيل الحسن، وهى ضعيفة.

وقال ابن منده في «كتاب الإيمان»: حدثنا محمد بن الحسين المدينى، حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا سعيد بن سليمان سعدويه، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدُّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ؛ أَحَدُهُمَا نَارٌ تَأْجَجُ فِي عَيْنٍ مِنْ يَرَاهُ، وَالْآخَرُ مَاءٌ أَبْيَضُ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَغْمِضْ عَيْنَيْهِ، وَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِيَّاكُمْ وَالْآخَرَ، فَإِنَّهُ فَتَنَةٌ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ مَنْ كَتَبَ، وَمَنْ لَمْ يَكْتُبْ، وَأَنْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَمْسُوحَةٌ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ، وَأَنَّهُ يَطْلُعُ مِنْ آخِرِ عُمُرِهِ عَلَى بَطْنِ الْأُرْدُنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ فَيَقُ، وَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَبْطِنُ الْأُرْدُنَ، وَأَنَّهُ يَقْتُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثًا، وَيَهْزِمُ ثَلَاثًا، وَيَبْقَى ثَلَاثًا، فَيَحْجِرُ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لِبَعْضٍ: مَا تَنْتَظِرُونَ أَنْ تَلْحَقُوا بِإِخْوَانِكُمْ فِي مَرْضَاةِ رَبِّكُمْ؟ مَنْ كَانَ عَنْدهُ فَضْلٌ طَعَامٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى أَخِيهِ، وَصَلُّوا حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ، وَعَجِّلُوا الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَقْبِلُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ، فَلَمَّا قَامُوا يُصَلُّونَ، نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِمَامُهُمْ يُصَلِّي بِهِمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: هَكَذَا هَرَجُوا بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ اللَّهِ. فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ، فَيَسْلُطُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُونَهُمْ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَنَادِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَا مُسْلِمَ، هَذَا يَهُودِي فَأَقْتُلْهُ. فَيَعِينُهُمُ اللَّهُ، وَيُظْهِرُ الْمُسْلِمُونَ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجَزْيَةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَخْرَجَ اللَّهُ

(١) موضوع: أخرجه نعيم في «الفتن» (١٥٢٠)، وقال الذهبي: شبه الموضوع.

(٢) إسناده فيه علي بن زيد وهو ضعيف غير أنه مرسل.

يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَيَشْرَبُ أَوْلَهُمُ الْبُحَيْرَةَ، وَيَجِيءُ آخِرُهُمْ، وَقَدْ انْتَشَفُوا، فَمَا يَدْعُونَ فِيهَا قَطْرَةً، فَيَقُولُونَ: كَانَ هَهُنَا أَثَرُ مَاءٍ مَرَّةً. وَنَبِيُّ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ وَرَأَاهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا مَدِينَةً مِنْ مَدَائِنِ فِلِسْطِينَ، يُقَالُ لَهَا: بَابُ لُدٍّ. فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَتَعَالَوْا نَقَاتِلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ. فَيَدْعُو اللَّهُ نَبِيَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُرْحَةً فِي حُلُوقِهِمْ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ بَشَرٌ، وَتَوَذَّى رِيحُهُمُ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدْعُو عِيسَى عَلَيْهِمُ، فِيرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا تَقْدِفُهُمْ فِي الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ^(١). قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيُّ: هَذَا إِسْنَادٌ صَالِحٌ. قُلْتُ: وَفِيهِ سِيَاقٌ غَرِيبٌ، وَأَشْيَاءُ مُنْكَرَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَرْجُمَةِ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا الْأَثَرُ فِي قُرَيْشٍ يَلِيهِ بَرَّهُمْ بِرَّهُمْ، وَفَاجِرُهُمْ بِفَاجِرِهِمْ، حَتَّى يَدْفَعُوهُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ». وَفِي لَفْظٍ: «بَرَّهُمْ بِبَرِّهِ، وَفَاجِرُهُمْ بِفُجُورِهِ». قَالَ ابْنُ عَسَاكَرٍ: وَهُوَ الْأَصَحُّ.

ذكر نزول عيسى ابن مريم من السماء الدنيا إلى الأرض في آخر الزمان

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (٢٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٢٥٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَلْيَمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٩).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَلْيَمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ^(٢)، وَكَذَا رَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣).

وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَلْيَمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. ذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا آمَنَ بِهِ^(٤).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَلْيَمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، وَاللَّهُ إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمَنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْحَسَنَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَلْيَمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. فَقَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ عِيسَى إِلَيْهِ، وَهُوَ بَاعَثَهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَقَامًا يُؤْمِنُ بِهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ. وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ^(٦)، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ^(٧)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، كَمَا سَأَلْتِي مُوقِفًا، وَفِي رِوَايَةٍ مَرْفُوعًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَه فِي «الْإِيمَانِ» (١٠٣٣)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١٠٧٩٩)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٣) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِأَجْلِ الْعَوْفِيِّ.

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١٠٨٠١)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١٠٨٠٣) وَهُوَ حَسَنٌ.

(٦) ابْنُ جَرِيرٍ (١٠٨٠٤) (١٠٨٠٥) (١٠٨٠٦)، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَسَانِيدِ صَحِيحٌ.

(٧) ابْنُ جَرِيرٍ (١٠٨١١).

وهذا هو المقصود من السياق الإخبار بحياته الآن في السماء، وليس الأمر كما يزعمه أهل الكتاب الجهلة أنهم صلبوه بل رفعه الله إليه، ثم ينزل من السماء قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة كما سبق في أحاديث الدجال، وكما سيأتي أيضاً، والله المستعان.

وقد روى عن ابن عباس وغيره أن الضمير في قوله: ﴿قِيلَ مَوْتُهُ﴾ عائذ على أهل الكتاب (١)، أى يؤمن بعيسى قبل الموت، وذلك لو صح لما كان مخالفاً للأول، ولكن الصحيح في المعنى والإسناد ما ذكرناه، وقد قررناه في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية، والله الحمد والمنة.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

قد تقدم في حديث النّوّاس بن سميان عن مسليمة أن عيسى ينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق. وفي غير رواية مسلم: أنه ينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق. وهذا أشبه، فإن في سياق الحديث «فَيُنْزَلُ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ لِلصُّبْحِ فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ: تَقَدَّمَ يَا رُوحَ اللَّهِ. فَيَقُولُ: لَا، إِنَّمَا أُقِيمَتِ لَكَ» ففيه من الدلالة الظاهرة أنه ينزل على منارة المعبد الأعظم الذي يكون فيه إمام المسلمين إذ ذاك، وإمام المسلمين يومئذ هو المهدي فيما قيل، وهو جامع دمشق الأكبر. والله أعلم.

وقد تقدم في حديث أبي أمامة أنه ينزل في غير دمشق، وليس ذلك بمحفوظ.

وكذا الحديث الذي ساقه ابن عسّاكر في «تاريخه» من طريق محمد بن عائذ، ثنا الوليد، ثنا من سمع عبد الرحمن بن ربيعة، يحدث عن عبد الرحمن بن أيوب بن نافع بن كيسان، عن جده نافع ابن كيسان صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ بَابِ دِمَشْقَ - قَالَ نَافِعٌ: وَلَا أَدْرِي أَىِّ بَابِهَا يَرِيدُ - عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ لِسِتِّ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ فِي ثَوْبَيْنِ مُمَشَّقَيْنِ، كَأَنَّمَا يَتَحَدَّرُ مِنْ رَأْسِهِ اللَّوْلُؤُ». ففيه مبهمة لم يسم، وهو منكر؛ إذ هو مخالف لما ثبت في الصحيح من أن نزوله وقت السحر عند إضاءة الفجر وقد أقيمت الصلاة، والله أعلم.

قال مسلم: حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن التّيمان بن سالم، سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا. فقال: سبحان الله - أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما - لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً؟ يحرق البيت، ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْرِجُ الدُّجَالَ فِي أُمْتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أَرْبَعِينَ عاماً - فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عداوة، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه». قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: «فَيَقْبِضُ شِرَارَ النَّاسِ فِي خِفَةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامَ السَّبَاعِ،

(١) ابن جرير (١٠٨١٤) وإسناده فيه انقطاع.

لَا يَعْرِفُونَ مَعْرِفَةً، وَلَا يَنْكُرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارُ رِزْقِهِمْ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا. قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ». قَالَ: «فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ: «يُنْزِلُ اللَّهُ» - مطرًا، كَأَنَّهُ الطَّلُ - أَوْ الظَّلُ، نُعْمَانُ الشَّاكُ - فَتَنْبِتُ مَعَهُ أَجْسَادَ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَوَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٤). ثُمَّ يَقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارَ. فَيَقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. قَالَ: «وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَيَوْمٌ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ» (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُرَيْجٌ، حدثنا فُلَيْحٌ، عن الحارث بن فضيل، عن زياد بن سعد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنَازِيرَ، وَيَرْجِعُ السَّلَامَ، وَتَتَخَذُ السُّيُوفُ مَنَاجِلَ، وَتَذْهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتُنْزَلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرَجُ الْأَرْضُ بِرُكَّتِهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثَّعْبَانِ وَلَا يَضُرَّهُ، وَيُرَاعَى الْغَنَمُ الذَّنْبُ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعَى الْأَسَدُ الْبَقْرَ فَلَا يَضُرُّهَا» (٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ صَالِحٌ.

وقال البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنَازِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبِلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْنَهُمْ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩). (٣).

وكذا رواه مسلم، عن حسن الحلواني، وعبد بن حميد، كلاهما عن يعقوب بن إبراهيم به (٤)، وأخرجه أيضًا من حديث سفيان بن عيينة، والليث بن سعد، عن الزهري به (٥).

وروى أبو بكر ابن مردويه، من طريق محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، يَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَقْتُلُ الْخَنَازِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُفِيضُ الْمَالَ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْنَهُمْ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. مَوْتَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ يُعِيدُهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٦).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) (١١٦)، وأخرجه أحمد (١٦٦/٢)، والنسائي «كبرى» (١١٦٢٩)، وابن حبان (٧٣٥٣)، والحاكم (٥٥٠/٤) عن شعبة، به.

(٢) أخرجه أحمد (٤٨٢-٤٨٣)، وإسناده ضعيف لكن الحديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٨) بهذا الإسناد.

(٤) أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٢) بهذا الإسناد.

(٥) أخرجه أحمد (٧٢٦٩)، والبخاري (٢٤٧٦)، ومسلم (١٥٥) (٢٤٢)، وابن ماجه (٤٠٧٨) وغيرهم عن ابن عيينة عن الزهري، به.

(٦) إسناده حسن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا سفيان، وهو ابن حُسين، عن الزهري، عن حنظلة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ، وَيَمْحُو الصَّلِيبَ، وَتَجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيُعْطَى الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَ، وَيَضَعُ الْخِرَاجَ، وَيَنْزِلُ الرُّوحَاءُ، فَيَحْجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ، أَوْ يَجْمَعُهُمَا». قال: وتلا أبو هريرة: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِ عَيْسَى. فلا أدري، هذا كله حديث النبي ﷺ، أو شيء قاله أبو هريرة؟ (١)

وروى الإمام أحمد ومسلم، من حديث الزهري، عن حنظلة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لِيَهْلِكَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، مِنْ فَجِّ الرُّوحَاءِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، أَوْ لِيُتْنِيَهُمَا جَمِيعًا». (٢)

وقال البخاري: حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟» (٣) ثم قال البخاري: تابعه عقيل والأوزاعي. (٤)

وقد رواه الإمام أحمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، وعن عثمان بن عمر، عن ابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهري به. (٥)

وأخرجه مسلم من حديث يونس والأوزاعي وابن أبي ذئب، عن الزهري، به. (٦)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عقان، حدثنا همام، أخبرنا قتادة، عن عبد الرحمن، وهو ابن آدم مولى أم برثن صاحب السقاية، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتِ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ، فَيَبْدُقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْأُمَمَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدِّخَالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَّانِ بِالْحَيَاتِ، لَا تَضُرُّهُمَا، فَيَمُوتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَّى، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ» (٧). وهكذا رواه أبو داود، عن هذبة بن خالد، عن همام بن يحيى، عن قتادة به. ورواه ابن جرير، ولم يورد عند تفسيرها غيره، عن بشر بن معاذ، عن يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بنحوه، وهذا إسناد جيد قوى. (٨)

(١) أخرجه أحمد (٧٩٠٣)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٧٢٧٣) (٧٦٨١)، ومسلم (١٢٥٢) عن الزهري، به.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩).

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٨٠٢)، وابن منده في «الإيمان» (٤١٣) من طريق الأوزاعي عن الزهري، به.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤١)، وعنه أحمد (٧٦٨٠) من طريق معمر، وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٤) (٢٤٦/١٥٥).

(٧) صحيح: أخرجه أحمد (٩٢٧٠) بسند ضعيف وفيه انقطاع، ولكن الحديث صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٠٨٣٥)، وإسناده ضعيف.

وروى البخاري، عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي» (١). ثم روى عن محمد بن سنان، عن فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». ثم قال: وقال إبراهيم ابن طهمان، عن موسى بن عتبة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (٢) فهذه طرق متعددة كالماترة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

حديث عن ابن مسعود

قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر بن عفازة، عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى، عليهم الصلاة والسلام». قال: «فتذكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبت لها فلا يعلم بها أحد إلا الله، ولكن فيما عهد إلي ربي، عز وجل، أن الدجال خارج، ومعي قضيبان، فإذا رأي داب كما يدوب الرصاص». قال: «فهلكم الله إذا رأي حتى إن الحجر والشجر ليقول: يا مسلم، إن تحنني كاهراً، فتعال فاقتلني». قال: «فهلكم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيطنون بلادهم، لا يأتون على شيء إلا أكلوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه». قال: «ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم، فأدعو الله عليهم فهلكهم الله ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم، وينزل الله المطر، فتجرف أجسادهم حتى يقدفهم في البحر، ففيمما عهد إلي ربي، عز وجل، أن ذلك إذا كان كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها كيلاً أو نهاراً» (٣) ورواه ابن ماجه، عن محمد بن بشير، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب به، نحوه.

صفة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، عليه السلام

ثبت في «الصحاحين» من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيت موسى - قال: فنعت - فإذا بي جل - حسبته قال: - مضطرب - أي طويل - رجل الرأس، كأنه من رجال شوءة». قال: «ولقيت عيسى». فنعت النبي ﷺ فقال: «ريعة أحمر، كأنما خرج من ديماس» (٤). يعني الحمام.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، وأخرجه أحمد (٨٢٤٨)، ومسلم (٢٣٦٥)، وابن حبان (٦١٩٢) من طريق معمر عن همام عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد (٣٥٥٦) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٧)، وأخرجه مسلم (١٦٨) (٢٧٢) عن عبد الرزاق، به. وأخرجه من طرق البخاري (٣٣٩٤) (٤٧٠٩) (٥٥٧٦) (٥٦٠٣).

والبخاري من حديث مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَيْسَى، وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عَيْسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى فَأَدَمُ جَسِيمٌ سَبِطٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ الزُّطِ» (١). ولهما مِنْ طَرِيقٍ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِلَّا إِنْ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنَ الْيُمْنَى، كَأَنَّهُ عَيْنُهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ، وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، وَإِذَا رَجُلٌ أَدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا يَرَى مِنْ أَدَمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَتِّهِ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ رَجُلٌ الشَّعْرُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَّرَاءَهُ، جَعْدًا قُطْعًا أَعْوَرَ عَيْنَ الْيُمْنَى، كَأَشْبَهَ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قُطَيْنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلٍ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ» (٢). تَابِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ.

ثُمَّ رَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَيْسَى: «أَحْمَرُ». وَلَكِنْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَدَمٌ سَبِطُ الشَّعْرِ، يَهْدِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ يَهْرَأُ رَأْسُهُ مَاءً - فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ. فَذَهَبَتْ أَلْتَفَتْ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرَ عَيْنَهُ الْيُمْنَى، كَأَنَّهُ عَيْنُهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَالُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهَا ابْنِ قُطَيْنٍ». قَالَ الزُّهْرِيُّ: رَجُلٌ مِنْ خِرَاعَةِ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. (٣)

وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الثَّوَالِيسِ بْنِ سَمْعَانَ: «فَيَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرٌ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ مِثْلُ جِمَانِ اللَّوْلُوقِ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ» (٤).

هَذَا هُوَ الْأَشْهُرُ فِي مَوْضِعِ نَزُولِهِ أَنَّهُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ، وَقَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي جَامِعِ دِمَشْقَ. فَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ، وَتَكُونُ الرِّوَايَةُ: «فَيَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ» فَتَصَرَّفَ الرَّأْيُ فِي التَّعْبِيرِ بِحَسَبِ مَا فَهَمَ، وَلَيْسَ فِي دِمَشْقَ مَنَارَةٌ تُعْرَفُ بِالشَّرْقِيَّةِ سِوَى الَّتِي إِلَى جَانِبِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقَ مِنْ شَرْقِيهِ، وَهَذَا هُوَ الْأَنْسَبُ وَالْأَلِيقُ؛ لِأَنَّهُ يَنْزِلُ، وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ: «يَا رُوحَ اللَّهِ تَقَدَّمَ». فَيَقُولُ: «تَقَدَّمَ أَنْتَ، فَإِنَّهَا إِنَّمَا أُقِيمَتْ لَكَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وَقَدْ جُدَّدَ بِنَاءُ مَنَارَةٍ فِي زَمَانِنَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، مِنْ حِجَارَةٍ بَيْضٍ، مِنْ أَمْوَالِ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٨). وأخرجه أحمد (٢١٩٧) (٢١٩٨)، والبخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥) (٢٦٧) عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) (٣٤٤٠)، ومسلم (١٦٩) (٢٧٤)، بهذا الإسناد. وأخرجه مالك (٩٢٠/٢)، وعنه البخاري (٥٩٠٢) (٦٩٩٩)، ومسلم (١٦٩) (٢٧٣) عن نافع، به.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤١)، وأخرجه أحمد (٦٠٣٣)، والبخاري (٧٠٢٦)، من طريق أبي اليمان عن شعيب عن الزهري، به. وله طرق.

(٤) سبق تخريجه.

النَّصَارَى الَّذِينَ حَرَقُوا الْمَنَارَةَ الَّتِي كَانَتْ مَكَانَهَا، وَلَعَلَّ هَذَا يَكُونُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ، حَيْثُ قَبِضَ اللَّهُ بِنَاءَ هَذِهِ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ مِنْ أَمْوَالِ النَّصَارَى، لِيُنْزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا، فَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ جَزِيَّةً، وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ قَتْلَهُ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ حُكْمُهُ فِي سَائِرِ كِفَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى حُكْمٌ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لَهُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْمَسِيحِ بِذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ سَوَّغَ لَهُ ذَلِكَ، وَشَرَعَهُ لَهُ، فَإِنَّهُ إِذَا يَحْكُمُ بِحُكْمِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ.

وقد وردَ في بعض الأحاديث، كما تقدّم، أنه ينزلُ بيوتُ المقدس، والأحاديث تقتضي أن الدجالَ يقتلُ بلدًا قبلَ أن يدخلَ بيتَ المقدس، فتدلُّ على أنه لا يدخلُه الدجالُ كمكةَ والمدينةَ حمايةً له منه، وفي رواية: أن عيسى ينزلُ بالأردن، وفي روايةٍ بمَعسكرِ المسلمين، وهذا في بعض رواياتِ مسلم، كما تقدّم. والله أعلم.

وتقدّم في حديث عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة: «وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجلٌ مربوعٌ إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كان رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة على الأرض، حتى ترتفع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفاى، ويصلى عليه المسلمون». رواه أحمد، وأبو داود. (١)

وهكذا وقع في هذا الحديث أنه يمكث في الأرض أربعين سنة.

وثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: أنه يمكث في الأرض سبع سنين^(٢). فهذا مع هذا مُشكَلٌ، اللهم إلا أن تُحملَ هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك محمولاً على مكثه فيها قبل رفعه مضاعفاً إليه، وكان عمره قبل رفعه ثلاثاً وثلاثين سنة على انشهور. وهذه السبع تكملة الأربعين، فيكون هذا مدة مقامه في الأرض قبل رفعه وبعد نزوله، وأما مقامه في السماء قبل نزوله فهو مدة طويلة. والله سبحانه أعلم.

وقد ثبت في الصحيح أن يأجوج ومأجوج يخرجون في زمانه ويهلكهم الله ببركة دعائه في ليلة واحدة كما تقدّم وكما سيأتى، وثبت أنه يحج في مدة إقامته في الأرض بعد نزوله.

وقال محمد بن كعب القرظي: في الكتب المنزلة، أن أصحاب الكهف يكونون في حوارية، وأنهم يحجون معه، ذكره القرطبي في الملاحم، في آخر كتاب «التذكرة»^(٣)، وتكون وفاته بالمدينة النبوية، فيصلى عليه هنالك، ويدفن بالحجرة النبوية. وقد ذكر ذلك ابن عساکر، ورواه أبو عيسى الترمذي في «جامعه»، عن عبد الله بن سلام، فقال في كتاب «المناقب». حدثنا زيد بن أوزم الطائي البصري، حدثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة، حدثنا أبو مودود المدني، حدثنا عثمان بن الضحاک،

(١) سبق تخريجه.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) (١١٦).

(٣) ذكره القرطبي في «التذكرة» (ص ٦٨٣) بسند ضعيف جداً.

عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده قال: مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى ابن مريم يدفن معه. قال: فقال أبو مودود: وقد بقى في البيت موضع قبر. ثم قال: هذا حديث حسن غريب. هكذا قال عثمان بن الضحاك، والمعروف الضحاك بن عثمان المدني^(١). انتهى ما ذكره الترمذي، رحمه الله تعالى.

وروى الطبراني من حديث عبد الله بن نافع، عن عثمان بن الضحاك، عن محمد بن يوسف ابن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده قال: يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، فيكون قبره رابعاً^(٢).

وقال أبو داود الطيالسي، عن علي بن مسعدة، عن رياح بن عبيدة، حدثني يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه قال: يمكث الناس بعد الدجال يعمرون الأسواق، ويغرسون النخل.

ذكر خروج يأجوج ومأجوج، وذلك في أيام عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال،

فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتَ بِأُجُوجَ وَمَآجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) وأقرب الوعد الحق فإذا هي شاخته أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴿(الأنبياء: ٩٦، ٩٧) وقال تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونَهُمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴿(الكهف: ٩٣، ٩٤) الآيات إلى آخر القصة.

وقد ذكرنا في «التفسير»، وفي قصة ذي القرنين خبر بنائه للسد من حديد ونحاس بين جبلين، فصار ردمًا واحدًا، وقال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾. أي يحجز به بين هؤلاء القوم المفسدين في الأرض وبين الناس ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨). أي الوقت الذي قدر انهدامه فيه ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي مساويًا للأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾. أي هذا شيء لا بد من كونه ووقوعه ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ (الكهف: ٩٩) أي إذا انهدم يخرجون على الناس فيموجون فيهم، وينسلون أي يسرعون المشي من كل حدب، ثم يكون النفخ في الصور للفرع قريباً من ذلك الوقت، وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) وأقرب الوعد الحق ﴿(الأنبياء: ٩٦، ٩٧) الآية.

وقد ذكرنا في الأحاديث الواردة في خروج الدجال ونزول المسيح طرقاتاً صالحاً من ذكرهم، من رواية التوأس بن سمعان وغيره.

وثبت في «الصحيحين» من حديث زينب بنت جحش، أن رسول الله ﷺ نام عندها، ثم استيقظ محمراً وجهه، وهو يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرْقٍ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ

(١) إسناده ضعيف - وقد سبق.

(٢) أخرجه الطبراني بسند ضعيف كما سبق.

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذِهِ. وَحَلَّقَ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ، وَفِي رَاوِيَةٍ: وَعَقَدَ سَبْعِينَ أَوْ تِسْعِينَ. قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»^(١)

وفى «الصحيحين» أيضاً من حديث وهيب، عن ابن طائوس، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا». وعقد تسعين^(٢)

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا روح، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفَرُونَهُ غَدًا. فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَضَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: اغْدُوا فَسَتَحْفَرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَبَسْتَنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفَرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَنْشَفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا». فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ دَوَّابِ الْأَرْضِ لَتَسْمَنَ وَتَشْكُرُ شُكْرًا مِنْ لَحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ». ثم رواه أحمد والترمذي وابن ماجه: من غير وجه، عن قتادة به. وقد روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن كعب الأحمري قريبا من هذا^(٤). فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذْبٍ يُسَلَوْنَ﴾ (الأنبياء: ٩٦) فَيَغْشَوْنَ النَّاسَ، وَيَنْحَازُ النَّاسُ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، فَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرَكُوهُ يَبَسًا، حَتَّى إِنْ مِنْ بَعْدهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ، فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَهُنَا مَاءٌ مَرَّةً. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: «ثُمَّ يَهْزُ أَحَدُهُمْ حَرِيَّتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مَخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِ، فَيَصْبِحُونَ مَوْتَى، لَا يَسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ، فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ؟ قَالَ: «فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مُحْتَسِبًا نَفْسَهُ، قَدْ وَطَّنَهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، لَا أَبْشُرُوا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسْرَحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لِحُومِهِمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُ كَأَحْسَنَ مَا شَكَرْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطْرٌ»^(٥). وهكذا أخرجه ابن ماجه، من حديث يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناد جيد.

(١) سبق تخريجهما. (٢) أخرجه أحمد (٥١٠-٥١١) بإسناد صحيح على شرطهما.

(٣) أخرجه ابن جرير (٥٤٨٠٥) بإسناد ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (٧٧/٣) بإسناد حسن. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٩)، وأبو يعلى (١١٤٤) (١٣٥١)، وابن حبان (٦٨٣٠)، والحاكم (٢٤٥/٢) من طريق ابن إسحاق، به.

وفى حديث التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، بعدَ ذكرِ قتلِ عيسى الدَّجَالِ عندَ بابِ لُدَّ الشَّرْقِيِّ، قال: «فَيَيْنَمَا هُم كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرَزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. فَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ قَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَهْبِطُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ بَيْتًا إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» (١).

قال كعبُ الأَحْبَارِ: «بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْمَهْبِلُ عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ». الحديث إلى آخره، وقد تقدم.
كذلك حديثُ مُؤَثَّرِ بْنِ عَفَازَةَ، عن ابنِ مسعودٍ، في اجتماعِ الأنبياء ليلةَ الإسراءِ، وتذكُّرهم أمرِ الساعةِ، فردُّوا أمرهم إلى عيسى، وذكرَ الحديثِ، كما تقدَّم، وفي آخره: «فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطْنُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَمُرُّونَ عَلَى شَيْءٍ، إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ»، قال: «ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ يَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَيَهْلِكُهُمْ وَيَمِيتُهُمْ حَتَّى تَجُوزَ الْأَرْضُ مِنْ تَتْنِ رِيحِهِمْ، وَيَنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ، فَتَجْرَفُ أَجْسَادُهُمْ، حَتَّى يَقْدِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ، فَفِيمَا عَهْدٌ إِلَيَّ رَبِّي أَنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتَمِّ، لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَضْجُوهُمْ يَوْلَادُهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا» (٢).

وقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَشْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عن ابنِ حَرَمَلَةَ، عن خَالَتِهِ قالت: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهو عاصِبٌ إصْبَعَهُ مِنْ لَدَغَةِ عَقْرَبٍ، فقال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لَا عَدُوَّ لَكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشَّعَافِ، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرُقَةُ» (٣).

قلت: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ طائفتانِ مِنَ التَّرْكِ كَبِيرَتَانِ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: ابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَوْمَئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا فَيُقَالُ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ فِي يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَكُمْ هِدَاءً». وفي رواية: «فَيُقَالُ: إِنَّ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ مَا كَانَتْمَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتْ نَاهُ: يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ». وسيأتى هذا الحديثُ بِطَرَفِهِ وَالْفَاضِلِ.

ثم هُم مِنْ حَوَاءَ، وقد قال بعضهم: إِنَّهُمْ مِنْ آدَمَ لَا مِنْ حَوَاءَ، وذلك أَنَّ آدَمَ احْتَلَمَ، فَاخْتَلَطَ مِنْهُ بِالتُّرَابِ، فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وهذا مما لا دليلَ عليه، ولم يَرِدْ عَنْ يَجِبُ قَبُولُ قَوْلِهِ فِي هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهم مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ سُلَالَةِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ، وهو أَبُو التَّرْكِ، وقد كانوا يُفْسِدُونَ

(٢) إسناده ضعيف كما سبق.

(١) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧١/٥) بإسناد ضعيف.

في الأرض، ويؤذون أهلها، فأمر الله سبحانه ذا القرنين فحصرهم في مكانهم داخل السد إلى أن يأذن الله تعالى في خروجهم على الناس، فيكون من أمرهم ما ذكرنا في الأحاديث.

وهم كالنَّاسِ يُشَبِّهُونَهُمْ كَأَنبَاءِ جِنْسِهِمْ مِنَ التُّرْكِ الْغُتَمِ، الْمُغُولِ الْمَخْرُزْمَةِ عِيُونُهُمْ، الذُّلْفُ أَنْوْفُهُمْ، الصُّهْبُ شَعُورُهُمْ عَلَى أَشْكَالِهِمْ وَالْوَانِهِمْ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مِنْهُمْ الطَّوِيلَ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ (١) وَأَطُولُ، وَمِنْهُمْ الْقَصِيرُ كَالشَّيْءِ الْحَقِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أُذُنَانِ يَتَغَطَّى بِأَحْدَاهُمَا وَيَتَوَطَّأُ بِالْأُخْرَى، فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَقَالَ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ أَنَّ أَحَدَهُمْ لَا يَمُوتُ حَتَّى يَرَى مِنْ نَسْلِهِ أَلْفَ إِنْسَانٍ (٢). فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهِ.

قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهاني، حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا المغيرة بن مسلم، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَكُتِبَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا عَلَى النَّاسِ مَعَايِشَهُمْ، وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا، وَإِنْ مِنْ وَرَائِهِمْ ثَلَاثُ أُمَمٍ تَأْوِيلُ، وَتَارِيسُ، وَمَنْسُكُ» (٣). وهذا حديث غريب، وقد يكون من كلام عبد الله بن عمرو من الزاملتين. والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثني، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الله ابن أبي يزيد، قال: رأى ابن عباس صبيانًا يتزود بعضهما على بعض يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا تخرج يأجوج ومأجوج. (٤)

ذكر تخريب الكعبة، شرفها الله،

على يد ذي السؤيقتين الأفحج الحبشي، قبَّحه الله

وروي عن كعب الأحبار في «التفسير» عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ (الأنبياء: ٩٦) أَنَّ أَوَّلَ ظَهْوَرِ ذِي السُّؤَيْقَتَيْنِ فِي أَيَّامِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ بَعْدَ هَلَاكِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَبِعَثَ إِلَيْهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ طَلِيعَةً مَابَيْنَ السَّبْعِمِائَةِ إِلَى الثَّمَانِمِائَةِ، فَبَيْنَمَا هُم يَسِيرُونَ إِلَيْهِ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا يَمَانِيَّةً طَيِّبَةً، فَتَقَبَّضُ فِيهَا رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَجَاجُ مِنَ النَّاسِ، يَتَسَاقَدُونَ كَمَا تَتَسَاقَدُ الْبَهَائِمُ. ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ: وَتَكُونُ السَّاعَةُ قَرِيبَةً حِينَئِذٍ (٥). قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْجُ بَعْدَ نَزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الطيالسي، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد الله بن

(١) أورده نعيم في «الفتن» (١٦٣٠) عن جبير بن نفير موقوفًا وغير صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣٨٤/١١)، وعنه نعيم في «الفتن» (١٦٣٨)، والطبري (٨٨/١٧)، والحاكم (٤٩٠/٤)، وإسناده غير صحيح.

(٣) حديث غير صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤٨٠٠) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤٨٠٥) بإسناد ضعيف.

أبى عتبة، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيُحْجَنَ هَذَا الْبَيْتُ، وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ» (١). انفرد بإخراجه البخارى، فرواه عن أحمد بن حفص بن عبد الله، عن أبيه، عن إبراهيم بن طهمان، عن حجاج - هو ابن حجاج - عن قتادة بن دعامة به. قال: تابعه أبان وعمران، عن قتادة. وقال عبد الرحمن، عن شعبة، عن قتادة. «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحْجَ الْبَيْتُ». قال أبو عبد الله: والأول أكثر. انتهى ما ذكره البخارى.

وقد رواه البرز، عن محمد بن المثنى، عن عبد الرحمن بن مهادى، عن أبان بن يزيد العطار، عن قتادة، كما ذكره البخارى. ورواية عمران بن داود القطان قد أوردتها الإمام أحمد، كما رأيت. وقال أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد العزيز، حدثنا شعبة، عن قتادة سمعت عبد الله بن أبى عتبة يحدث، عن أبى سعيد الخدرى، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحْجَ الْبَيْتُ». ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبى سعيد، عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد. (٢)

قلت: ولا منافاة فى المعنى بين الروایتين؛ لأن الكعبة يحجها الناس ويعتَمرون بها، بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم، وطمانينة الناس وكثرة أرزاقهم فى زمان المسيح، عليه السلام، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فيقبض بها روح كل مؤمن ومؤمنة، ويتوفى نبي الله عيسى ابن مريم، عليه السلام، ويصلى عليه المسلمون، ويدفن بالحجرة النبوية مع رسول الله ﷺ، ثم يكون خراب الكعبة على يدى ذى السويفتين بعد هذا، وإن كان ظهوره فى زمن المسيح، كما قال كعب الأحمار، والله سبحانه أعلم.

ذكر تخريبه إياها، قبضه الله، وشرها

قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، وهو الحرانى، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد ابن إسحاق عن ابن أبى نجيع، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُخَرَّبُ الْكَعْبَةُ ذُو السَّويفَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حَلِيتَهَا، وَيَجْرُدُهَا مِنْ كَسَوْتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَصْلَبُ أَفْبِدَع، يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمَعُولِهِ» (٣). انفرد به أحمد، وهذا إسناد جيد قوى.

وقال أبو داود: باب النهى عن تهيج الحبشة، حدثنا القاسم بن أحمد، حدثنا أبو عامر، حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن أبى أمامة ابن سهل بن حنيف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السَّويفَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ». (٤)

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن عبيد الله بن الأخنس، قال: أخبرنى ابن أبى مليكة

(١) أخرجه أحمد (٢٨/٣)، بإسناد حسن، وله طرق وشواهد يصح بها.

(٢) أخرجه مسدد، وقال البوصيرى: على شرط البخارى، انظر «التحفة» (١٣٧/٣).

(٣) أخرجه أحمد (٧٠٥٣) بإسناد ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٠٩) وهو حسن.

- وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة - أن ابن عباس أخبره: أن النبي ﷺ قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، أَسْوَدُ أَفْحَجَ يَنْقُضُهَا حَجَرًا حَجَرًا». يعني الكعبة. (١)

انفرد به البخاري، فرواه عن عمرو بن علي الفلاس، عن يحيى، وهو ابن سعيد القطان، به. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المنثي، حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد العزيز، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبْشَةِ، يُخَرِّبُ بَيْتَ اللَّهِ». (٢) ورواه مسلم، عن قتيبة بن سعيد، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، به. وبهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ». (٣)

ورواه البخاري، عن عبد العزيز بن عبد الله، عن سليمان بن بلال، ومسلم عن قتيبة، عن عبد العزيز الدراوردي، كلاهما عن ثور بن زيد الديلي، عن أبي الغيث، سالم مولى ابن مطيع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكر مثله سواء بسواء. وقد يكون هذا الرجل هو ذا السوَيْقَتَيْنِ، ويحتمل أن يكون غيره؛ فإن هذا من قحطان، وذاك من الحبشة. فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن عمر بن الحكم الأنصاري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ». (٤)

ورواه مسلم عن محمد بن بشار، عن أبي بكر الحنفي، به، فيحتمل أن يكون هذا اسم ذي السوَيْقَتَيْنِ الحبشي. والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو الزبير، عن جابر، أن عمر بن الخطاب أخبره، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سَيَخْرُجُ أَهْلُ مَكَّةَ ثُمَّ لَا يُعْبَرُ بِهَا - أَوْ لَا يُعْبَرُ بِهَا إِلَّا قَلِيلٌ - ثُمَّ تَمْتَلِئُ وَتَبْنَى، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَلَا يَعُودُونَ فِيهَا أَبَدًا». (٥). ورواه البزار.

فصل

وأما المدينة النبوية فقد ثبت في الصحيح كما تقدم أن الدجال لا يدخلها ولا مكة، وأنه يكون على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها منه.

وفي «صحيح البخاري»، من حديث مالك، عن نعيم المجمر، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُهَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ، وَلَا الطَّاغُوتُ». (٦). وقد تقدم أنه يُخَيَّمُ بظاهرها، وأنها ترجف

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨/١) وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه البخاري (١٥٩٥)، وأبو يعلى (٢٥٣٧)، وابن حبان (٦٧٥٢) من طريق يحيى بن سعيد، به.

(٢) أخرجه أحمد (٩٤٠٥)، ومسلم (٢٩١٠) (٦٠)، وأخرجه البخاري (٣٥١٧)، (٧١١٧) من طريق عبد العزيز بن عبد الله، به.

(٣) أخرجه أحمد (٨٣٦٤)، وإسناده على شرط مسلم. وأخرجه مسلم (٢٩١١)، والترمذي (٢٢٢٨) عن أبي بكر الحنفي، به.

(٤) أخرجه أحمد (١٥٢) بإسناد ضعيف.

(٥) سبق تخريجه.

بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة، وفاسق وفاسقة، ويثبت فيها كل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة، ويسمى يوم الخلاص، وأكثر من يخرج إليه النساء، وهى كما قال رسول الله ﷺ: «إنها طيبة، تنفى خبيثها وينصع طيبها». (١)

وقال الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ الآية (النور: ٢٦).

والمقصود أن المدينة تكون عامرة أيام الدجال، ثم تكون كذلك فى زمن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، عليه الصلاة والسلام، حتى تكون وفاته بها، ودقته بها، ثم تخرب بعد ذلك.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: أخبرنى عمر بن الخطاب رضيه الله عنه، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «لَيَسِيرَنَّ الرَّكْبُ فِي جَنَابَاتِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ لَيَقُولَ: لَقَدْ كَانَ هَذَا حَاضِرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرًا» (٢). قال الإمام أحمد: ولم يَجْزْ به حسن الأشيْب جابراً (٣). انفرد بهما أحمد.

خروج الدابة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢). وقد تكلمنا على ما يتعلق بهذه الآية الكريمة، فى كتابنا «التفسير»، وأوردنا هنالك من الأحاديث المتعلقة بذلك ما فيه كفاية، ولو كتبت مجموعها ههنا كان حسناً كافياً.

قال ابن عباس (٤)، والحسن، وقتادة (٥): «تَكَلِّمُهُمْ» أى تخاطبهم مخاطبة. ورجح ابن جرير: تخاطبهم فتقول لهم: «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» وحكاه عن على، وعطاء، وفى هذا نظراً. وعن ابن عباس: تَكَلِّمُهُمْ. تَجْرَحُهُمْ. يعنى تكتب على جبين الكافر: «كافر»، وعلى جبين المؤمن: «مؤمن» (٦). وعنه: تُخاطبُهُمْ وتَجْرَحُهُمْ. وهذا القول يَنْتَظِمُ المذهبين، وهو قوى حسن جامع لهما، والله أعلم.

وقد تقدم الحديث الذى رواه أحمد، ومسلم، وأهل السنن، عن أبى سريجة حذيفة بن أسيد، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَالدَّجَالُ، وَثَلَاثَةٌ خُسُوفٍ: خَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ،

(١) أخرجه مالك (٨٨٦/٢)، وعنه أحمد (١٤٢٨٤)، والبخارى (٧٢٠٩) (٧٢١١)، ومسلم (١٣٨٣)، والترمذى (٣٩٢٠)، والنسائى (١٥١/٧)، والطحاوى (١٧٣٠)، وابن حبان (٣٧٣٢) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر. وله طرق.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٤)، وإسناده ضعيف، والحديث حسن.

(٣) يعنى أن حسن بن موسى رواه عن ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر. فى مسند جابر (٣/٣٤١). ولكن إسناده هذا أقل ضعفاً من سابقه لأن أبى الزبير صرح بالإخبار عن جابر، وأخرجه أحمد (١٤٥٥٧) عن جابر، بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٧١٠٥) بسند فيه انقطاع.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٧١٠٦) بسند صحيح.

(٦) عزاه فى «الدر» (٢١٧/٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم.

وَحَسَفَ بِالْمَشْرِقِ، وَحَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، تَسُوقُ النَّاسَ - أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ - تَبِيتَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا. (١)

ومسلم من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةً أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ». (٢)

وله أيضاً عن أبي هريرة: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخَوِصَّةً أَحَدِكُمْ». (٣)

وروى ابن ماجه، عن حرملة، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، وابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَالدَّجَالَ، وَخَوِصَّةً أَحَدِكُمْ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ» (٤).
تفرّد به ابن ماجه من هذا الوجه.

وقال أبو داود الطيالسي: عن طلحة بن عمرو، وجريّر بن حازم؛ فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ أَبِي سَرِيحَةَ، وَأَمَّا جَرِيرٌ فَقَالَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وحديث طلحة أتم وأحسن، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدَّابَّةَ، فقال: «لَهَا ثَلَاثُ خُرُجَاتٍ فِي الدَّهْرِ، فَتَخْرُجُ خُرْجَةً مِنْ أَقْصَى الْبَادِيَةِ، وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ - ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ تَخْرُجُ خُرْجَةً أُخْرَى دُونَ تِلْكَ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ». يَعْنِي مَكَّةَ. قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللَّهِ حُرْمَةً وَأَكْرَمِهَا؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَمْ يَرْعَهُمْ إِلَّا وَهْيَ تَرْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَارْفَضَ النَّاسُ عَنْهَا شَتَّى وَمَعَا، وَثَبَتَتْ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يَعْجِزُوا اللَّهَ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَّتْ وَجُوهُهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ، وَوَلَّتْ فِي الْأَرْضِ، لَا يَدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ، فَتَقُولُ: يَا فَلَانُ، آلَانَ تَصَلَّى؟ فَيُقِيلُ عَلَيْهَا، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَصْطَحِبُونَ فِي الْأَمْصَارِ، يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنْ الْمُؤْمِنُ لَيَقُولُ: يَا كَافِرُ، اقْضِنِي حَقِّي. وَحَتَّى إِنْ الْكَافِرُ لَيَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ، اقْضِنِي حَقِّي» (٥). هكذا رواه مرفوعاً من هذا الوجه بهذا السياق، وفيه غرابة ورواه بن جريّر من طريقين، عن حذيفة بن أسيد موقوفاً (٦)، ورواه أيضاً عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً (٧)، وفيه أن ذلك في زمان عيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت، ولكن في إسناده نظر، فالله أعلم.

(١) (٣، ٢، ١) سبق تخريجها.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٥٦) بسند حسن قاله في «الزوائد». ولكنه يصح فله شاهد من حديث أبي هريرة

عند مسلم (٢٩٤٧).

(٥) أخرجه الطيالسي (١٠٦٩) بإسناد ضعيف جداً.

(٦) أخرجه ابن جريّر (٢٧٠٩٦) موقوفاً وليس مرفوعاً.

(٧) أخرجه ابن جريّر (٢٧١٠٠) بسند ضعيف.

وقد قال ابن ماجه: حدثنا أبو عسّان محمد بن عمرو، حدثنا أبو تيميلة حدثنا خالد بن عبيد، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: «تخرج الدابة من هذا الموضع». فإذا فتر في شبر. قال ابن بريدة: فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصا له، فإذا هو بعصا هذه، هكذا وهكذا. (١) يعني أنه كلما له يتسع حتى يكون وقت خروجها، والله أعلم.

وقال عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، أن ابن عباس، قال: هي دابة ذات زغب، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة. ورواه سعيد بن منصور، عن عثمان بن مطر، عن قتادة، عن ابن عباس، بنحوه. (٢)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، قال: قال عبد الله: تخرج الدابة من صدع من الصفا، كجري الفرس ثلاثة أيام، لا يخرج ثلثها. (٣) وعن عبد الله بن عمرو، أنه قال: تخرج الدابة من تحت صخرة بشعب أجباد، فتستقبل المشرق، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل الشام، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المغرب، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل اليمن، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تروح من مكة، فتصبح بعسفان. قيل له: ثم ماذا؟ قال: ثم لا أعلم. (٤) وعنه أنه قال: تخرج الدابة ليلة جمع. وعن وهب بن منبه، أنه حكى عن عزيز النبي، أنه قال: تخرج الدابة من تحت سدوم. يعني مدينة قوم لوط، فهذه أقوال متعارضة، فالله أعلم.

وعن أبي الطفيل، أنه قال: تخرج الدابة من الصفا أو المروة. رواه البيهقي، ثم ساق من حديث يحيى بن معين: حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا رباح بن عبيد الله بن عمر، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يئس الشعب شعب جباد». مرتين، أو ثلاثا، قالوا: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة، فتصرخ ثلاث صرخات، فيسمعها من بين الخافقين». (٥) ثم روى من حديث فرقد بن الحجاج: سمعت عقبة بن أبي الحساء: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض من جباد، فيبلغ صدرها الركن، ولم يخرج ذنبها بعد». قال: «وهي دابة ذات وبر وقوائم». (٦)

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢١٧٦) في «تفسيره» وعنه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢)، وابن أبي حاتم (١٦٦٠٢) عن ابن عباس بسند ضعيف للانقطاع.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٠٧/٧)، وعنه البغوي في «تفسيره» (١٧٨/٦)، والطبري (٢٧٠٩٤)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٥٩)، وإسناده ضعيف.

(٤) عزاه في «الدر» لعبد بن حميد، ورواه ابن أبي حاتم (١٦٦٠٠) بسند ضعيف.

(٥) منكر: أخرجه البيهقي في «البعث» (٥٦) استدراك. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٧٣/٣)، والذهبي في «الميزان» (٣٧/٢) من طريق رباح بن عبيد الله، وهو منكر الحديث.

(٦) إسناده ضعيف: «البعث» (٥٨) استدراك. عقبة بن أبي الحساء مجهول، وقيل الراوي عنه مجهول أيضا ورد ذلك الذهبي في «الميزان» وقد روى هذا الحديث في ترجمة عقبة في «الميزان» (٨٤/٣) من طريق أبي علي الحنفي عن فرقد بن الحجاج، به.

وقد روى الإمام أحمد، عن يزيد بن هارون، وبهز بن أسد، وعفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ دَابَّةُ الْأَرْضِ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، فَتَخْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخَوَانِ الْوَاحِدِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ. وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ» (١). ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن يونس بن محمد المؤدب، عن حماد بن سلمة، به، ورواه أبو داود الطيالسي، عن حماد بن سلمة، فذكره مثله، إلا أنه قال: «فَتَخْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْعَصَا، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْخَاتَمِ». وهذا أنسب، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن أبي مريم، أنه سمع أبا هريرة يقول: إِنَّ الدَّابَّةَ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، مَا بَيْنَ قَرْنَيْهَا قَرَسٌ لِلرَّاكِبِ (٢). وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: إِنَّهَا دَابَّةٌ لَهَا رِيشٌ وَرَعَبٌ وَخَافِرٌ، وَمَا لَهَا ذَنْبٌ، وَلَهَا لَحْيَةٌ، وَإِنَّهَا لَتَخْرُجُ حُضْرَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ ثَلَاثًا، وَمَا خَرَجَ ثُلَاثًا. رواه ابن أبي حاتم. (٣)

وقال ابن جريج عن أبي الزبير، أنه وصف الدابة، فقال (٤): رَأْسُهَا رَأْسُ ثَوْرٍ، وَعَيْنُهَا عَيْنُ حَنْزِيرٍ، وَأُذُنُهَا أُذُنُ فِيلٍ، وَقَرْنُهَا قَرْنُ إِبِلٍ، وَعَقْقُهَا عَقْقُ نَعَامَةٍ، وَصَدْرُهَا صَدْرُ أَسَدٍ، وَلَوْنُهَا لَوْنُ نَمْرٍ، وَخَاصِرَتُهَا خَاصِرَةُ هَرٍّ، وَذَنْبُهَا ذَنْبُ كَبْشٍ، وَقَوَائِمُهَا قَوَائِمُ بَعِيرٍ، بَيْنَ كُلِّ مَفْصِلَيْنِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا، يَخْرُجُ مَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا نَكَتَتْ فِي وَجْهِهِ بِعَصَا مُوسَى نُكْتَةً بَيْضَاءَ، فَتَنْفُشُو تِلْكَ النُّكْتَةَ حَتَّى يَبْيُضَّ لَهَا وَجْهُهُ، وَلَا يَبْقَى كَافِرٌ إِلَّا نَكَتَتْ فِي وَجْهِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ بِخَاتَمِ سُلَيْمَانَ، فَتَنْفُشُو تِلْكَ النُّكْتَةَ حَتَّى يَسْوَدَّ لَهَا وَجْهُهُ، حَتَّى إِنَّ النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ: بِكُمْ ذَا يَا مُؤْمِنُ؟ بِكُمْ ذَا يَا كَافِرُ؟ وَحَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْلِسُونَ عَلَى مَائِدَتِهِمْ، فَيَعْرِفُونَ مُؤْمِنَهُمْ مِنْ كَافِرِهِمْ، ثُمَّ تَقُولُ لَهُمُ الدَّابَّةُ: يَا فُلَانُ، أَبْشِرْ، أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَ: يَا فُلَانُ، أَنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢). وقد ذكرنا فيما تقدم عن ابن مسعود أَنَّ الدَّابَّةَ تَقْتُلُ إِبْلِيسَ الرَّجِيمَ، وَذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي كِتَابِ «الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِمِ»، تَصْنِيفُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهِ.

وقال مسلم: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن عبد الله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَى، فَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَلَا أُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا» (٥). أَيْ أَوَّلَ الْآيَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ مَأْلُوفَةً، وَإِنْ كَانَ

(١) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (٢/٢٩٥)، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٦٦)، والطيالسي (٢٥٦٥) كلهم من طريق حماد بن سلمة، به. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٨٨١).

(٢، ٣) أخرجهما ابن أبي حاتم (١٦٥٩٥) (١٦٥٩٩) بسند ضعيف.

(٤) ابن أبي حاتم (١٦٥٩٧) بسند لا يصح.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤١) (١١٨).

الدَّجَالُ، ونزولُ عيسى، عليه السلام، من السماء قَبْلَ ذلك، وكذلك خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ، فكلُّ ذلك أمورٌ مألوفةٌ؛ لأنَّهم بشرٌ، مشاهدتهم وأمثالهم معروفةٌ مألوفةٌ، فأما خروجُ الدابةِ على شكلٍ غير مألوفٍ؛ ومخاطبتها الناسَ، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمرٌ خارجٌ عن مجارى العادات، وذلك أولُ الآياتِ الأرضيةِ، كما أنَّ طلوعَ الشمسِ من مغربها أولُ الآياتِ السماويةِ فإنَّها تطلُعُ على خلافِ عادتها المألوفةِ. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

حديث عن أبي أمامة

قال الإمام أحمد: ثنا حُجَّينُ بْنُ الْمُثَنَّى، ثنا عبد العزيز -يعني ابنُ أبي سلمة- الماجشون، عن عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف المزني، لا أعلم إلا أنه حدثه عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقَالَ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ» وقال يونس -يعني ابن محمد-: «ثم يَغْمُرُونَ فِيكُمْ» ولم يشك. قال: في رفعه. تفرد به أحمد. (١)

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ الآية (الأنعام: ١٥٨). قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا ابن أبي ليلى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا». قال: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا». (٢) ورواه الترمذي، عن سفيان بن وكيع، عن أبيه، به. وقال: غريب، وقد رواه بعضهم ولم يرفعه.

وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عماره، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ». (٣) وقد أخرجه بقية الجماعة -إلا الترمذي- من طرق، عن عماره ابن القَعْقَاعِ بن شبرمة، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله.

ثم قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا» (٤). ثم قرأ هذه الآية. وكذا رواه مسلم،

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨/٥)، وإسناده صحيح. وأخرجه البخاري في «الكبير» (١٧٢١٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٢٤/٢)، والبيهقي في «الجمعيات» (٣٠٢٧) من طريق الماجشون، بهذا الإسناد مرفوعاً بدون شك، وله شاهد من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه (٣١/٣) وإسناده ضعيف، وله شاهد من حديث أبي هريرة الآتي، وحديث أبي ذر الغفاري، وآخر من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، وأخرجه أحمد (٧١٦١)، ومسلم (١٥٧)، وأبو داود (٤٣١٢)، وابن ماجه (٤٠٦٨)، من طريق محمد بن فضيل عن عماره، به.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٣٦)، وأخرجه مسلم (١٥٧)، وأحمد (٨١٣٨)، والبيهقي (٤٢٤٤)، بهذا الإسناد.

عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني به، وانفرد مسلم بإخراجه من طريق العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة. (١)

وقال أحمد: حدثنا وكيع، عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم سلمان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُكْسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ» (٢). ورواه مسلم، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، وزهير بن حرب، عن وكيع به، ورواه مسلم أيضاً، والترمذي، وابن جرير من غير وجه، عن فضيل بن غزوان، به، نحوه.

وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي هريرة، وعن جماعة من الصحابة أيضاً، فعن أبي سريحة حذيفة بن أسيد، عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَهْلُ السَّنَنِ، كَمَا تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ. (٣)

ومسلم من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة (٤)، ومن حديث قتادة، عن الحسن، عن زياد بن رباح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَيِّئًا». فذكر منهن طلوع الشمس من مغربها، كما تقدم. (٥)

وثبت في «الصحيحين» من حديث إبراهيم بن يزيد بن شريك، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ؟» قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: «إِنَّهَا تَنْتَهِي فَتَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ، فَيُوشِكُ أَنْ يُقَالَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُكْسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا». (٦)

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو حيان، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، قال: جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة، فسمعه يقول وهو يحدث عن الآيات: إِنَّ أَوَّلَهَا خُرُوجُ الدَّجَالِ. قَالَ: فَانصرف النفر إلى عبد الله بن عمرو، فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات، فقال عبد الله: لم يقل مروان شيئاً، قد حفظت من رسول الله ﷺ في مثل ذلك حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ ضُحًى، فَأَيُّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا، قَرِيبًا». ثم قال عبد الله، وكان يقرأ الكتاب: وَأَظُنُّ أَوَّلَهُمَا خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلَّمَا غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنْتْ فِي الرَّجُوعِ، فَأُذِنَ لَهَا فِي الرَّجُوعِ، حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِلَّهِ

(١) أخرجه أحمد (٨٨٥٠)، ومسلم (١٥٧)، وابن حبان (٦٨٣٨) من طرق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، به.

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٥٢)، ومسلم (١٥٨)، والترمذي (٣٠٧٢)، وأبو يعلى (٦١٧٠) (٦١٧٢)، من طريق فضيل بن غزوان، به.

(٣) سبق مراراً.

(٤) انظر التخریج السابق.

(٥) أخرجه أحمد (٨٣٠٣)، ومسلم (٢٩٤٧)، وابن حبان (٦٧٩٠).

(٦) أخرجه أحمد (١٥٢/٥)، والبخاري (٣١٩٩) (٤٨٠٢) (٧٤٢٤)، ومسلم (١٥٩) (٢٥٠)، والترمذي (٢١٨٦)

(٣٢٢٧)، والنسائي «كبرى» (١١٤٣٠) من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر، به.

أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا فَعَلْتَ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ؛ أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنْتَ فِي الرَّجُوعِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ فِي الرَّجُوعِ، فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ فِي الرَّجُوعِ، فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ، وَعَرَفْتَ أَنَّهُ إِنْ أُذِنَ لَهَا فِي الرَّجُوعِ لَمْ تُدْرِكِ الْمَشْرِقَ، قَالَتْ: رَبِّ، مَا أَبْعَدَ الْمَشْرِقَ، مَنْ لِي بِالنَّاسِ؟ حَتَّى إِذَا صَارَ الْأَفُقُ كَأَنَّهُ طَوْقٌ، اسْتَأْذَنْتَ فِي الرَّجُوعِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ مَكَانِكَ فَاطْلُعِي. فَطَلَعَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨). (١)

وقد رواه مُسلمٌ في «صحيحه»، وأبو داود، وابن ماجه، من حديث أبي حيان يحيى بن سعيد بن حيان، عن أبي زُرعة، عن عبد الله بن عمرو، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أُنْسُهُ بَعْدُ، . . وذكره كما تقدم. (٢)

وقد ذكرنا أن المراد بالآيات ههنا التي ليست مألوفة، بل هي مخالفة للعادات، وقد ظنَّ عبد الله بن عمرو أن طلوع الشمس من مغربها مُتَقَدِّمٌ على خروج الدابة، وذلك مُحْتَمِلٌ ومُنَاسِبٌ، فالله أعلم. وقد ورد في ذلك حديثٌ غريبٌ رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في «معجمه»، فقال: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زبيري الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا ابن لهيعة، عن حبي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا خَرَّ إِبْلِيسُ سَاجِدًا يُنَادِي وَيَجْهَرُ: إِلَهِي، مُرْنِي أَنْ أَسْجُدَ لِمَنْ شِئْتَ». قال: «فَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ زَبَانِيَّتُهُ، يَقُولُونَ: يَا سَيِّدَهُمْ، مَا هَذَا التَّضَرُّعُ؟ فَيَقُولُ: إِنَّمَا سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُنْظِرَنِي إِلَى الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَهَذَا الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ». قال: «ثُمَّ تَخْرُجُ دَابَّةُ الْأَرْضِ مِنْ صَدْعٍ فِي الصَّفَا». قال: «فَأَوَّلُ خُطْوَةٍ تَضَعُهَا بِأَنْطَاكِيَّةَ، فَتَأْتِي إِبْلِيسَ فَتَلْطِمُهُ» (٣). وهذا حديثٌ غريبٌ جداً، ورفعته فيه نكارة، ولعله من الزامتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك من كتب أهل الكتاب، فكان يحدثُ منهما أشياء غرائب.

وقد تقدم في خبر ابن مسعود الذي رواه نعيم بن حماد في «الفتن»، أن الدابة تقتل إبليس. وهذا من أغرب الأخبار، والله أعلم.

وفي حديث طلوت بن عباد، عن فضال بن جبيرة، عن أبي أمامة صدى بن عجلان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا». (٤)

(١) أخرجه أحمد (٦٨٨١) (٢/٢٠١)، وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه مسلم (٢٩٤١) (١١٨)، وعبد بن حميد (٣٢٦)، والحاكم (٥٤٧/٤)، من طريق يحيى بن سعيد بن حيان، بهذا الإسناد.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٤) وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٠٢٢) وإسناده ضعيف.

وقال الحافظ أبو بكر ابن مردويه في «تفسيره» حدثنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، حدثنا ضرار بن صرد، حدثنا ابن فضيل، عن سليمان بن يزيد، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون، يقوم أحدهم، فيقرأ حزيه، ثم ينام، فيقرأ حزيه، ثم ينام، فيبينما هم كذلك صاح الناس بعضهم في بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفرعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت فطلعت من مطلعها». قال: «فحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها» (١).

ثم ساق ابن مردويه من طريق سفيان الثوري، عن منصور، عن ربيع، عن حذيفة، قال: سألت النبي ﷺ: «ما آية طلوع الشمس من مغربها؟» فقال: «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين، فينتبه الذين كانوا يصلون فيها، فيعملون كما كانوا يعملون قبلها، والنجوم لا ترى؛ قد باتت مكانها، ثم يرقدون، ثم يقومون، فيصلون، ثم يرقدون، ثم يقومون، فتكل عليهم جنوبهم حين يتناول الليل، فيفرغ الناس ولا يضحون، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم» (٢).

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في «البعث والنشور». أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أخبرنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل المروزي، حدثنا عبد الله بن حماد الأملي، حدثنا محمد بن عمران، حدثني أبي، حدثني ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن رجاء، عن سعد بن إياس، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال ذات يوم لجلسائه: رأيتم قول الله، عز وجل: ﴿تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ﴾ (الكهف: ٨٦) ماذا يعني بها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنها إذا غربت سجدت له وسبحته وعظمته، ثم كانت تحت العرش، فإذا حضر طلوعها، سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته، فيؤذن لها، فإذا كان اليوم الذي تحبس فيه، سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته، فيقال لها: اثبتى. فإذا حضر طلوعها سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته فيقال: اثبتى. فتحبس مقدار ليلتين. قال: ويفزع المتجهدون، وينادي الرجل تلك الليلة جاره: يا فلان، ما شأننا الليلة؟ لقد نمت حتى شبعت وصليت حتى أعيتت. ثم يقال لها: اطلعي من حيث غربت. فذلك يوم ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ الآية (الأنعام: ١٥٨). (٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، يرده إلى مالك بن يخامر، عن ابن السعدي، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل». فقال معاوية، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الهجرة خصلتان؛ إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن

(١) ذكره المؤلف في «التفسير» (١٩٤/٢)، وهو منكر جداً.

(٢) ذكره المؤلف في «التفسير» (١٩٤/٢) والإسناد من سفيان صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٣٧)، وإسناده ضعيف.

تُهَاجِرُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا تَقَبَّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ، طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلُ^(١). وهذا إسنادٌ جيدٌ قوى، ولم يُخْرِجْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ.

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد، والترمذى -وصححه- والنسائى، وابن ماجه، من طريق عاصم بن أبى النجود، عن زرار بن حبش، عن صفوان بن عسال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ بَابًا قَبْلَ الْمَغْرِبِ عَرْضُهُ سَبْعُونَ -أو قال: أَرْبَعُونَ- عَامًا لِلتَّوْبَةِ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ»^(٢).

فهذه الأحاديث المتواترة، مع الآية الكريمة، دليلٌ على أن مَنْ أَحْدَثَ إيمانًا، أو تَوَبَّ بعدَ طُلُوعِ الشمسِ مِنْ مَغْرِبِهَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا الدَّالَّةُ عَلَى اقْتِرَابِهَا وَدُنُوبِهَا، فَعُومِلَ ذَلِكَ الْوَقْتُ مُعَامَلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفِرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٢٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ٨٤، ٨٥). وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد: ١٨).

وقد حكى البيهقى، عن الحاكم أنه قال: أول الآيات ظهوراً خروجُ الدجال، ثم نزولُ عيسى ابن مريم، ثم فتحُ يأجوجَ ومأجوجَ، ثم خروجُ الدابةِ، ثم طُلُوعُ الشمسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، قال: لأنها إِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَلَوْ كَانَ نَزُولُ عِيسَى بَعْدَهَا، لَمْ يَلْقَ كَافِرًا.

وهذا الذى قاله فيه نظر؛ لأنَّ إِيْمَانَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُهُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، فَمَنْ أَحْدَثَ إِيْمَانًا أَوْ تَوَبَّ يَوْمَئِذٍ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا أَوْ تَائِبًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ نَزُولِ عِيسَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٥٩). أى قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، وَبَعْدَ نَزُولِهِ يَوْمَئِذٍ جَمِيعُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِهِ إِيْمَانًا ضَرُورِيًّا، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَحَقَّقُونَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَالْنَصْرَانِي يَعْلَمُ كَذِبَ نَفْسِهِ فِي دَعْوَاهِ فِيهِ الرُّبُوبِيَّةَ وَالْبَنُوَّةَ، وَالْيَهُودِيُّ يَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيُّ رَسُولٍ مِنَ اللَّهِ، لَا وَلَدَ زَانِيَةٍ، كَمَا الْمَجْرُمُونَ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ ذَلِكَ، عَلَيْهِمْ لَعْنُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ الْمُنْتَدِرُ.

ذِكْرُ الدُّخَانِ الَّذِى يَكُونُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٦) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. إلى قوله: ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ (الدخان: ١٠-١٦).

(١) أخرجه أحمد (١٦٧١)، وإسناده حسن.

(٢) سبق تخريجه.

وقد تكلمنا على تفسير هذه الآيات في سورة الدخان بما فيه كفاية ومقتنع، وقد نقل البخاري عن ابن مسعود، أنه فسر ذلك بما كان يحصل لقريش من شدة الجوع، بسبب القحط الذي دعا عليهم به رسول الله ﷺ، فكان أحدهم يرى فيما بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع. (١)

وهذا التفسير غريب جداً، ولم يُنقل مثله عن أحد من الصحابة غيره، وقد حاول بعض العلماء المتأخرين رد ذلك، ومعارضته بما ثبت في حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ». فذكر فيهن الدخان، وكذلك في حديث أبي هريرة: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا». فذكر فيهن الدخان، والحديثان في «صحيح مسلم» مرفوعان، والمرفوع مقدم على كل موقوف، وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يَغْشَى النَّاسَ، وهذا أمر محقق عام، وليس كما روى عن ابن مسعود أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع.

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ أي ظاهر بين واضح جلي، ليس خيالاً من شدة الجوع، ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أي يُنادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء؛ يسألون كشف هذه الشدة عنهم، فإنهم قد آمنوا، وأيقنوا بما وعدوا به من الأمور الغيبية الكائنة، بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أن هذا أمر يكون قبل يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة والإنابة. والله أعلم.

وقد روى البخاري، عن محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، عن الأعمش ومنصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: بينما رجل يحدث في كندة قال: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ. ففزعنا، فأتيناه ابن مسعود. قال: وكان متكئاً. فغضب فجلس، فقال: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله تعالى قال لنبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦).

وإن قريشاً أبطنوا عن الإسلام، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اعْنِ عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يَوْسُفَ». فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، وبرى الرجل ما بين السماء والأرض كهية الدخان، فجاءه أبو سفيان، فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا، فادع الله. فقرأ هذه الآية: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. إلى قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ «أفكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (الدخان: ١٦). فذاك يوم بدر ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَافِقٍ﴾ (الفرقان: ٧٧). فذاك يوم بدر، ﴿الْمَ﴾ (٣) غلبت الروم (٤) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٥) (الروم: ١-٣) والروم قد مضى (٦)، فقد مضت الأربع.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٤). وأخرجه البخاري (١٠٠٧) (١٠٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨)، وأبو يعلى (٥١٤٥) عن منصور، به.

وقد أخرجه البخاري أيضاً، ومسلم من حديث الأعمش، ومنصور به نحوه، وفي رواية: فقد مضى القمر، والدخان، والروم، والزرار. وقد ساقه البخاري من طرق كثيرة بالفاظ، متعددة. وقول هذا القاص: إن هذا الدخان يكون يوم القيامة. ليس بجيد، ومن هنا تسلط عليه ابن مسعود بالرد، بل قبل يوم القيامة، يكون وجود هذا الدخان، كما يكون وجود الآيات؛ من الدابة والدجال، وبأجوج ومأجوج، كما دلت عليه الأحاديث عن أبي سريحة وأبي هريرة، وغيرهما من الصحابة، وكما جاء مصرحاً به فيها، وأما النار التي تكون قبل يوم القيامة فقد تقدم في الصحيح أنها تخرج من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، وتأكل من خلفهم.

ذكر الصواعق التي تكون عند اقتراب الساعة

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا عمارة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول: من صنع قبلكم الغداة؟ فيقولون: صنع فلان، وفلان» (١).

وقال الإمام أحمد: ثنا أبو المغيرة، ثنا أروطة -يعني ابن المنذر-، سمعت ضمرة بن حبيب، سلمة بن نقييل السكوني قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ قال قائل: يا رسول الله، هل أتيت بطعام من السماء؟ قال: «نعم». قال: وبماذا؟ قال: «بمسحنة» قال: فهل كان فيها فضل عنك؟ قال: «نعم». قال: فما فعل به؟ قال: «رفع، وهو يوحى إلى أنى مكفوت غير لابت فيكم ولستم لابتين بعدى إلا قليلاً بل تلبثون حتى تقولوا: متى؟ وستأتون أفئداً يفتني بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة موتان شديد ويعدّه سنوات الزلازل» (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل، حدثنا حماد، حدثنا علي بن زيد، عن خالد بن الحويرث، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات خزرات منطومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً». انفرد به أحمد (٣).

ذكر وقوع المطر الشديد قبل يوم القيامة

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطراً لا تكن منه بيوت المدر، ولا تكن منه إلا بيوت الشعر» (٤).

(١) أخرجه أحمد (٦٤/٣) وإسناده ضعيف. ولكن الحديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٤/٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٩/٢) وإسناده ضعيف.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢٦٢/٢) من طريق أبي كامل وعفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن سهيل، به. وإسناده صحيح من قبل عفان.

باب ذكر أمور لا تقوم الساعة حتى تكون منها

ما قد وقع ومنها ما لم يقع بعد

قد تقدم من ذلك شيء كثير، ولندكر أشياء أخر من ذلك، وإيراد شيء من أشرار الساعة، وما يدل على اقترابها، وبالله المستعان.

تقدم ما رواه البخاري عن أبي اليمان، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان. ولا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة. ولا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتكثر الفتن، ويكثر الهرج. ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله. ولا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ليتني مكانك. ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» (الأنعام: ١٥٨) ولا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، حتى يهيم رب المال من يقبله منه، ورواه مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة. (١)

وتقدم الحديث عن أبي هريرة، وبريدة، وأبي بكرة رضي الله عنهم، وغيرهم: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا الترك عراض الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر» الحديث (٢). وهم بنو قنظوراء، وهي جارية الخليل، عليه الصلاة والسلام.

وفي «الصحيحين» من حديث شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشرار الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل والزنى، وتشرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» (٣).

وروى سفيان الثوري، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، أو حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فيقتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، وينجو واحد» (٤). وأخرجه مسلم من وجه آخر عن سهيل. وروى البخاري، عن أبي اليمان، عن شعيب، وأخرجه مسلم من حديث معمر، كلاهما عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة». طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية. (٥)

وفي «صحيح مسلم»، من حديث الأسود بن العلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار، حتى تعبد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة: ٣٣) أن ذلك تاماً. فقال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث

(١-٤) سبق تخريجهم.

(٥) أخرجه مسلم (٦/٢٩٠).

اللَّهُ رَيْحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيَقْبَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»^(١). وفي جزء الأنصاري، عن حميد، عن أنس، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: «نَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ» الحديث بتمامه. ورواه البخاريُّ مِنْ حَدِيثِ حَمِيدٍ، عَنْ أَنَسٍ. (٢)

وفي حديث أبي زرعة، عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِيْمَانِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأَحْدُثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَيْتَهَا، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحِفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤). ثُمَّ انصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: «رُدُّوهُ عَلَيَّ». فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ» أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣). وَعِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُ هَذَا بِأَبْسَاطٍ مِنْهُ. (٤)

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ تَلَدَ الْأُمَّةَ رَيْتَهَا». يَعْنِي بِهِ أَنَّ الْإِمَاءَ يَكُنُّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ هُنَّ الْمَشَارُ إِلَى الْيَهَنِّ بِالْحَشْمَةِ، تَكُونُ الْأُمَّةُ تَحْتَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْخَرَائِرِ، وَلِذَلِكَ قَرَنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَأَنَّ تَرَى الْحِفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ رُءُوسَ النَّاسِ، قَدْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَامْتَدَّتْ وَجَاهَتُهُمْ، فَلَيْسَ لَهُمْ دَأْبٌ وَلَا هِمَّةٌ إِلَّا التَّطَاوُلُ فِي الْبِنَاءِ، وَهَذَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّقَمِّ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَحْظَى النَّاسِ بِالْدُّنْيَا لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ»^(٥). وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلُّ قَبِيلَةٍ رَذَالُهَا»^(٦). وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «إِذَا وَسَدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٧). وَمَنْ فَسَّرَ هَذَا بِكَثْرَةِ السَّرَارَى لِكثَرَةِ الْفَتْوحَاتِ، فَقَدْ كَانَ هَذَا فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَثِيرًا جَدًّا، وَلَيْسَ هَذَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَتَاخِمَةِ لَوَقْتِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ «الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ»: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْبَاقِيِّ بْنُ قَانِعٍ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ مُسْكِينٍ، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ قُضَّالَةَ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ عَتَّى. خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَلِذَا أَنَا بَعْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَلْ لِلْسَّاعَةِ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٠٧) (٥٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٢٩) (٣٩٣٨) (٤٤٨٠)، وَأَحْمَدُ (١٠٨/٣)، وَأَبُو يَعْلَى (٣٨٥٦)، وَابْنُ حِبَّانَ (٧١٦١) مِنْ طَرَقٍ عَنْ حَمِيدٍ، بِهِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠) (٤٧٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٤) (٤٠٤٤)، وَابْنُ خَزِيمَةَ (٢٢٤٤)، وَابْنُ حِبَّانَ (١٥٩)، وَأَحْمَدُ (٤٢٦/٢)، مِنْ طَرَقٍ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، بِهِ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٤) (١٩١)، وَمُسْلِمٌ (٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٩٦٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦١٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٩٧/٨)، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٣)، مِنْ طَرَقٍ عَنْ عَمْرِو، بِهِ.

(٧، ٦، ٥) سَبَقَ تَخْرِيجُهَا.

عَلِمَ تُعَرَّفُ بِهِ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ غِيْظًا، وَالْمَطَرُ قَيْظًا، وَتَفْيِضُ الْأَشْرَارُ فَيْضًا، وَتَفْيِضُ الْأَخْيَارُ غَيْضًا وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ، وَيَكْذِبُ الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ، وَيَخُونُ الْأَمِينُ، وَيَسْوَدُ كُلُّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا، وَكُلُّ سَوْقٍ فُجَّارُهَا، وَتُزْخَرِفُ الْمُحَارِبُ، وَتُخْرِبُ الْقُلُوبُ، وَيَكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَيَخْرِبُ عُمَرَانِ الدُّنْيَا، وَيَعْمُرُ خَرَابُهَا، وَتُظْهَرُ الْفِتْنَةُ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَتُظْهَرُ الْمَعَازِفُ وَالْكِبُورُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ، وَتَكْثُرُ الشَّرْطُ وَالْغَمَازُونَ وَالْهَمَازُونَ» (١) ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا إِسْنَادٌ فِيهِ ضَعْفٌ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَفَاطِلِ قَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ أُخَرَ مُتَّفَقَةً.

قُلْتُ: قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ فَصْلٌ فِيهِ مَا يَقَعُ مِنَ الشُّرُورِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَفِيهِ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ. وَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَتَى السَّاعَةُ؟» فَقَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ فَقَالَ: «إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: وَأَحْسِبُهُ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرَجِ، أَيَّامٌ يَزُولُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيُظْهَرُ فِيهَا الْجَهْلُ». فَقَالَ أَبُو مُوسَى: الْهَرَجُ بِلِسَانِ الْحَبَشِ: الْقَتْلُ (٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي الْيَمَانِ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنْ شَهْرٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ، فَيُخْبِرَهُ نَعْلُهُ، أَوْ سَوْطُهُ، أَوْ عَصَاهُ، بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ» (٤).

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ الْحُدَّانِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْلِمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيَكْلِمَ الرَّجُلُ عَذْبَةَ سَوْطِهِ، وَشِرَاكَ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ» (٥).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ، هُوَ ابْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْطَرَ السَّمَاءُ، وَلَا تُنْبِتَ الْأَرْضُ، وَحَتَّى يَكُونَ لْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ، وَحَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَمُرُّ بِالْبَعْلِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ مَرَّةٌ رَجُلٌ. قَالَ أَحْمَدُ: ذَكَرَهُ حَمَّادٌ مَرَّةً هَكَذَا، وَقَدْ ذَكَرَهُ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَشْكُ فِيهِ، وَقَدْ قَالَ أَيْضًا: عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْسَبُ (٦). إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ،

(١) موضوع: أخرجه البيهقي في «البعث» (١٧)، وهو موضوع.

(٢) (٣، ٢) سبق تخريجهما.

(٤) أخرجه (٨٨/٣، ٨٩) بإسناد ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد (٨٣/٣، ٨٤) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٢٨٦/٣) بإسناد صحيح.

قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ قِيمَ خَمْسِينَ امْرَأَةً رَجُلًا وَاحِدًا» (١) تَقَدَّمَ لَهُ شَاهِدٌ فِي «الصَّحِيحِ».

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عَظِيمًا (٢). وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا هَاشِمٌ وَأَبُو كَامِلٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَالْحَرَاقِ السَّعْفَةِ» (٣) وَالسَّعْفَةُ: الْخُوصَةُ، زَعَمَ سُهَيْلٌ. وَهَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وقال أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا كَامِلٌ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ تَذْهَبَ الدُّنْيَا حَتَّى تُصِيرَ لِلْكَعِ بْنِ لُكْعِ». إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ (٤).

وقال أحمد: حَدَّثَنَا يُونُسُ وَسُرَيْجٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَبْلَ السَّاعَةِ سَنُونَ خَدَاعَةً، يُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيَصْدُقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَخُونُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قَالَ سُرَيْجٌ: «وَيَنْظُرُ فِيهَا لِلرُّوَيْبِضَةِ» (٥). وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وقال أحمد: حَدَّثَنَا هُوْدَةُ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَرَى رُعَاةُ الشَّاءِ رُءُوسَ النَّاسِ، وَأَنْ يَرَى الْحَفَاةُ الْعُرَاةَ الْجُوعَ يَتَبَارَوْنَ فِي الْبِنَاءِ، وَأَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رِيَهَا أَوْ رَيْتَهَا» (٦) وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وقال أحمد: حَدَّثَنَا عِمَارُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ الصَّلْتِ بْنِ قُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا تَنْطَحَ ذَاتُ قَرْنٍ جَمَاءً» (٧) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَلَا بِأَسَى بِإِسْنَادِهِ.

وقال أحمد: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْبُضَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ». قِيلَ: وَمَا الْهَرَجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ» (٨) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَهُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

- (١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٨/٣) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨١).
- (٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٢/٣) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٢٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٩) (١٣٦)، وَأَبُو يَعْنَى (٣٦٠١).
- (٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥٣٧-٥٣٨/٢)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.
- (٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٦٩٧)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ.
- (٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٤٥٩)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَلَهُ طَرَقٌ.
- (٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩١٢٨) بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ.
- (٧) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٧٠٤) بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ وَهُوَ مُنْكَرٌ.
- (٨) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٥٢٧) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وقال أحمد^(١): حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهْمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ صَدَقَةً مَالِهِ، وَيَقْبِضُ الْعِلْمَ، وَيَقْتَرِبَ الزَّمَانُ، وَتُظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ». قالوا: وما الهرج؟ أيما هو يا رسول الله؟ قال: «الْقَتْلُ، الْقَتْلُ».

وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِتْنَتَانِ عَظِيمَتَانِ، دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَابُونَ قَرِيبَ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ أَمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(٤). وهذا ثابت في «الصحيح».

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا القاسم بن الحكم، عن سليمان بن داود اليمامي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا تَنْقُضِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى يَقَعَ بِهِمُ الْخُسْفُ، وَالْقَذْفُ، وَالْمَسْحُ». قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا رَأَيْتِ النِّسَاءَ رَكِبْنَ السُّرُوحَ، وَكَثُرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَفَشَتِ شَهَادَةُ الزُّوْرِ، وَاسْتَغْنَى الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ»^(٥).

وروى الطبراني من حديث كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُعْزَبَ الْعُقُولُ، وَتَنْقُصَ الْأَحْلَامُ»^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا بشير بن سلمان، وهو أبو إسماعيل، عن سيار أبي الحكم^(٧)، عن طارق بن شهاب، قال: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ جُلُوسًا، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: قَدْ أُفِيْمَتِ الصَّلَاةُ. فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ رَأَيْنَا النَّاسَ رُكُوعًا فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ، فَكَبَّرَ وَرَكَعَ وَرَكَعًا، ثُمَّ مَشَيْنَا، وَصَنَعْنَا مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ، فَمَرَّ رَجُلٌ يُسْرِعُ، فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا وَرَجَعْنَا دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، وَجَلَسْنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَمَا سَمِعْتُمْ رَدَّهُ عَلَى الرَّجُلِ؟ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ وَبَلَغَتْ رُسُلُهُ؟ أَيْكُمْ يَسْأَلُهُ؟ فَقَالَ طَارِقٌ: أَنَا أَسْأَلُهُ. فَسَأَلَهُ حِينَ خَرَجَ، فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ

(١) أخرجه أحمد (٨١٣٥) بإسناد صحيح على شرطهما.

(٢) (٤، ٣، ٢) سبق تخريجها.

(٣) أخرجه ابن عدي (٢٧٦/٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥٠٢١) وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٢٩/٧): فيه أيوب وهو ضعيف.

(٥) في «المسند» (سيار) فقط، وزيادة (أبي الحكم) من قلم المؤلف وقد أخطأ من جعله (سيار أبي الحكم)، وإنما هو سيار أبي حمزة الكوفي.

السَّاعَةُ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ، وَفُشْوُ التَّجَارَةِ حَتَّى تُعَيِّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطْعُ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكُتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورُ الْقَلَمِ. (١)

ثم روى أحمد، عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن بشير، عن سيَّار أبي حمزة. قال أحمد: وهذا هو الصواب، وسيَّار أبو الحكم لم يرو عن طارق شيئاً.

صفة أهل آخر الزمان

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُونَ مُنْكَرًا». (٢)

وحدثناه عفان، حدثنا همام، عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الله بن عمرو، ولم يرفعه، وقال: «حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ مِنَ النَّاسِ». (٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا قيس، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عبدة السلماني، عن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ سِحْرًا، وَشِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ». (٤). وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا شعبة، حدثنا علي بن الأقرم، سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ». (٥) ورواه مسلم، عن زهير بن حرب، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن علي بن الأقرم به. وقد تقدّم في الأحاديث السابقة أنه يقلُّ الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد، يلذن به، وأنهم يتسافدون في الطرقات، كما يتسافد البهائم. وقد أوردناها بأسانيدها وألفاظها بما أغنى عن إعادتها، ولله الحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». (٦) ورواه مسلم، عن زهير بن حرب، عن عفان به. ولفظه: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ». (٧) وقال الإمام أحمد: حدثنا

(١) أخرجه أحمد (٣٨٧٠) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٦٩٦٤) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٦٩٦٥)، وأوقفه عفان، ورفع عبد الصمد، وإسناده ضعيف للانقطاع.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤٣٤٢)، وإسناده ضعيف وله طرق يصح بها.

(٥) أخرجه أحمد (٣٧٣٥)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه مسلم (٢٩٤٩)، وأبو يعلى (٥٢٤٨).

وابن حبان (٦٨٥٠) من طريق شعبة، به.

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٨/٣)، وإسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه مسلم (١٤٨)، وأبو يعلى (٣٥٢٦).

وأبو عوانة (١٠١/١)، وابن حبان (٦٨٤٩) من طريق عفان.

عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ» (١). ورواه مسلم، عن عبد بن حميد، عن عبد الرزاق به.
وقال أحمد: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ» (٢).

وهذا الإسناد ثلاثي على شرط «الصحيحين»، وإنما رواه الترمذي، عن بNDAR، عن محمد بن عبد الله بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، مرفوعاً، وقال: حسن. ثم رواه، عن محمد بن المشي، عن خالد بن الحارث، عن حميد، عن أنس، موقوفاً. ثم قال: وهذا أصح من الأول.
وفي معنى قوله ﷺ: «حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ». قولان: أحدهما أن معناه أن أحداً لا ينكر منكراً ولا يزجر أحد أحداً إذا رآه قد تعاطى منكراً، وعبر عن ذلك بقوله: «حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ». كما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو: «فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُونَ مُنْكَرًا». والقول الثاني: حتى لا يذكر الله في الأرض، ولا يعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان يتوكلون الخير بينهم، حتى لا يقول أحد لأحد: اتق الله خف الله، وهذا كما في الحديث الآخر: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وكما تقدم في الحديث الآخر أن الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولان: «أَدْرَكْنَا النَّاسَ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». ثم يتفاهم الأمر، ويتزايد الحال، حتى يترك ذكر الله جملة في الأرض، وينسى بالكلية، فلا يعرف فيها، وأولئك هم شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة، كما تقدم في الحديث: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ». وفي لفظ: «شَرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ».

وفي حديث عبد العزيز بن صهيب، عن أنس، عن النبي ﷺ: «لَا يَزْدَادُ النَّاسُ إِلَّا شَحًا، وَلَا يَزْدَادُ الزَّمَانُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ» (٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ وهو يقول: «يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكَ أَسْرَعُ أُمَّتِي لِحَاقًا بِي». قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، لقد دخلت وأنت تقول كلاماً أذعرتني، قال: «وَمَا هُوَ؟» قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقاً، قال: «نَعَمْ». قالت: وعم ذاك؟ قال: «تَسْتَحِلُّهُمْ الْمَنَآيَا، فَتَنْفُسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ». قالت: فقلت: فكيف الناس بعد ذلك؟ قال: «دَبَّ يَأْكُلُ شِدَادَهُ ضِعَافَهُ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ». والدب: الجنادب التي لم تثبت أجنتها. تفرد به أحمد. (٤)
وقال أحمد: حدثنا علي بن ثابت، حدثني عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، عن علباء

(١) أخرجه أحمد (١٦٢/٣) وهو إسناد صحيح على شرطهما. وأخرجه مسلم (١٤٨)، وابن حبان (٦٨٤٨) بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٧/٣)، وإسناده على شرطهما.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٩)، والداني في «الفتن» (٢١٧)، والحاكم (٤٤١/٤)، وابن الجوزي في «العلل» (٣٧٩/٢)، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه أحمد (٨١/٦)، وإسناده صحيح.

السُّلَمِيُّ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ»^(١).
تفرد به، وقد رواه أبو خيثمة، عن علي بن ثابت به.
ولأبي نعيم من طريقه، بإسناده: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاه»^(٢).

ذكر طرق الحديث الذي روى

عن النبي ﷺ كل طرفتين، أنه قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»

رواية أنس بن مالك: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله - يعني ابن أبي المهاجر الدمشقي - قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فسأله: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكرك به الساعة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَتَيْنِ»^(٣). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا شعبة، عن أبي التياح، وقتادة، وحمزة، وهو ابن عمرو الضبي، أنهم سمعوا أنس بن مالك يقول عن النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا». وأشار بالسبابة والوسطى. وكان قتادة يقول: كَفَضِلْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى^(٤). وأخرجه مسلم من حديث شعبة، عن حمزة الضبي هذا، وأبي التياح، كلاهما عن أنس، به.

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». وأشار بالسبابة والوسطى^(٥). وأخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي من حديث شعبة به - وفي رواية لمسلم: عن شعبة، عن قتادة، وأبي التياح، كلاهما عن أنس، به - وقال الترمذي: حسن صحيح.

طريق أخرى عنه: روى الإمام أحمد، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، عن زياد بن أبي زياد المدني، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». ومدَّ أصبعيه؛ السبابة والوسطى^(٦). تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

طريق أخرى عنه: قال مسلم في «صحيحه»: حدثنا أبو غسان مالك بن عبد الواحد، حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن معبد بن هلال العنزي، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». تفرد به مسلم^(٧).

(١) أخرجه أحمد (٤٩٩/٣) وإسناده صحيح. وأخرجه البخاري في «الكبير» (٧٧/٧)، والطبراني في «الكبير» (١٥٦/١٨)، والحاكم (٤٩٥/٤)، من طريق الإمام أحمد بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني (١٥٦/١٨)، وابن عدي (١٩٥٦/٥) من طريق علي بن ثابت، به. وله شاهد من حديث ابن مسعود.

(٢) أصله في «الصحيحين» من رواية أبي هريرة بنحوه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣/٣) بإسناد صحيح على شرطهما.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢/٣) بإسناد صحيح، وأخرجه البخاري (٦٥٠/٤)، ومسلم (٢٦٥١/١٣٤)، وأبو يعلى (٣٢٦٤).

(٥) أخرجه أحمد (١٢٤/٣) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٧/٣)، وإسناده حسن.

(٧) أخرجه مسلم (٢٩٥١)، وأحمد (١٣٠/٣)، وأبو يعلى (٢٩٩٩)، وغيرهم من طريق شعبة عن قتادة.

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد^(١): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي التياح، سمعت أنس بن مالك يقول أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». وبسط إصبعيه؛ السَّابَّةَ والوسطى. وأخرجاه في «الصحیحین» من حديث شعبة، عن أبي التياح يزيد بن حميد - وزاد مسلم: وحمزة الضبي - عن أنس، به.

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا جعفر، هو ابن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَإِنِ أَفْضَلُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». ثم رفع صوته وتحمر وجهه، ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش، ثم يقول: «اتَّكُمُ السَّاعَةُ، بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» - وأشار بإصبعيه؛ السَّابَّةَ والوسطى - صَبَحَتْكُمْ السَّاعَةُ وَمَسَتْكُمْ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِإِيٍّ وَعَلَى^(٢). الضياع: وكذا المساكين. وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه، من طريق عن جعفر بن محمد، به، وعند مسلم قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ».

رواية سهل بن سعد: قال مسلم: حدثنا سعيد بن منصور، قال: وحدثنا قتيبة بن سعيد، واللفظ له، حدثنا يعقوب، هو ابن عبد الرحمن، عن أبي حازم، أنه سمع سهلاً يقول: سمعت النبي ﷺ يشير بإصبعيه التي تلي الإبهام والوسطى، وهو يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا». (٣) تفرد به مسلم.

رواية أبي هريرة: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي^(٤): حدثنا أبو هشام، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». وضم إصبعيه. (٥) وقد رواه البخاري، عن يحيى بن يوسف، عن أبي بكر ابن عياش، عن أبي حصين عثمان بن عاصم، عن أبي صالح ذكوان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(٦). ثم قال البخاري: وتابعه إسرائيل. ورواه ابن ماجه، عن هناد بن السري، وأبي هشام الرفاعي، عن أبي بكر ابن عياش، به، وقال: وجمع بين إصبعيه. (٧)

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا^(٨): حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، حدثنا سفيان، عن

(١) أخرجه أحمد (١٣١/٣)، وإسناده على شرطهما، وأخرجه مسلم (٢٩٥١)، والطائلي (٢٠٨٩)، والدارمي (٢٧٥٩)، من طرق عن شعبة، به.

(٢) أخرجه أحمد (٣١٠-٣١١)، وإسناده حسن، والحديث صحيح، وأخرجه مسلم (٨٦٧)، وابن حبان (٤٥)، والدارمي (٢٠٦)، وابن الجارود (٢٩٧) (٢٩٨)، وأبو يعلى (٢١١١)، وغيرهم من طريق جعفر بن محمد، به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٠) (١٣٢) بهذا الإسناد، وأخرجه أحمد (٣٣٠/٥)، والحميدي (٩٢٥)، والبخاري (٥٣٠١)، وأبو يعلى (٧٥٢٣) من طريق ابن عيينة، به.

(٤) أظنه ابن أبي الدنيا، لأن الإسناد برمته في «الأهوال».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٤) بهذا الإسناد، وهو حسن.

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٠٥).

(٧) أخرجه هناد في «الزهد» (٥٢٣)، وعنه ابن ماجه (٤٠٤٠) بهذا الإسناد.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٥) وإسناده حسن.

إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي جبير ابن الصّحّاح رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت في تسم الساعة». يقول: حين بدت في أول وقتها. وهذا إسناد جيد، وليس هو في شيء من الكتب، ولا رواه أحمد بن حنبل، وإنما روى لأبي جبير حديثاً آخر في النهي عن التنازع باللقاب.

حديث في تقريـب يوم القيامة بالنسبة إلى ما سلف من الأزمنة

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت النبي ﷺ وهو قائم على المنبر، يقول: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطى أهل التوراة فعملوا بها، حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطى أهل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيت القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس، فأعطيت قيراطين قيراطين، فقال أهل التوراة والإنجيل: ربنا، هؤلاء أقل عملاً، وأكثر أجراً! فقال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا. فقال: فذاك فضلي أوتيته من أشاء»^(١). وهكذا رواه البخاري، عن أبي اليمان.

وللبخاري من حديث سفيان الثوري، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم قبلكم، كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى...»^(٢). فذكر الحديث بتمامه وطوله.

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا شريك، سمعت سلمة بن كهيل، يحدث عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، والشمس على قيعان، بعد العصر، فقال: «ما أعماركم في أعمار من مضى، إلا كما بقي من النهار فيما مضى منه»^(٣). تفرد به أحمد. وهذا إسناد حسن، لا بأس به.

طريق أخرى عنه: قال أحمد: حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثني كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، أنه كان واقفاً بعرفات، فنظر إلى الشمس حين تددت مثل الترس للغروب، فبكى واشتد بكاءه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبد الرحمن، قد وقفت معي مراراً فلم تصنع هذا؟! فقال: ذكرت رسول الله ﷺ وهو واقف بمكاني هذا، فقال: «أيها الناس، إنه لم يبق من دنياكم، فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه»^(٤). تفرد به أحمد.

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا حماد، يعني ابن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إلا إن مثل أجالكم في آجال الأمم قبلكم، كما

(١) أخرجه أحمد (١٢١/٢) وإسناده على شرطهما. وأخرجه البخاري (٧٤٦٧)، والبيهقي (١١٨/٦) من طريق أبي اليمان، به.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢١) (٢٢٦٩)، والترمذي (٢٨٧١)، وابن حبان (٦٦٣٩)، وأحمد (٥٩٠٢) (٥٩١١)، من طرق عن عبد الله بن دينار، به.

(٣) أخرجه أحمد (١١٥-١١٦) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (٦١٧٣) بسند ضعيف.

بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مُغِيرَاتِ الشَّمْسِ»^(١) ورواه البخاري، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، به، نحوه، بأبسط منه.

وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني، من حديث عَطِيَّةِ الْعَوْفِي، ووهب بن كيسان، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، بنحو ذلك^(٢).

وهذا كله يدل على أن ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير، لكن لا يعلم مقدار ما مضى منها إلا الله تعالى، ولا ما بقي إلا الله تعالى، ولكن لها أشراف إذا وجدت كانت قريبة، والله أعلم، ولم يجئ في حديث تحديد يصبح سنده عن المعصوم، حتى يُصار إليه، ويُعلم نسبة ما بقي بالنسبة إليه، ولكنه قليل جداً بالنسبة إلى الماضي، وتعيين وقت الساعة لم يأت به حديث صحيح، بل الآيات والأحاديث دالة على أن علم ذلك مما استأثر الله سبحانه وتعالى به، دون خلقه، كما سيأتي تقريره في أول الجزء الآتي بعد هذا، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة، وعليه التكلان.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد، رحمه الله، في «مسنده» قائلًا: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله، وأبو بكر ابن أبي حنيفة، أن عبد الله بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام، فقال: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ». قال عبد الله: فوَهَلِ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ، إِلَى مَا يُحَدِّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ». يريد بذلك أنه ينخرم ذلك القرن^(٣). وهكذا رواه البخاري، عن أبي اليمان بسنده ولفظه سواء، ورواه مسلم، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن أبي اليمان، الحكم بن نافع، عن شعيب، به. فقد فسر الصحابي المراد من هذا الحديث بما فهمه، وهو أولى بالفهم من كل أحد من أنه يريد بذلك أن ينخرم قرنه ذلك، فلا يبقى أحد ممن هو كائن على وجه الأرض من أهل ذلك الزمان من حين قال هذه المقالة إلى مائة سنة، وقد اختلف العلماء؛ هل ذلك خاص بذلك القرن؟ أو عام في كل قرن أنه لا يبقى أحد أكثر من مائة سنة؟ على قولين، والتخصيص بذلك القرن المعين الأول أولى؛ فإنه قد شوهد أن بعض الناس قد جاوز المائة سنة، وذلك طائفة كثيرة من الناس، كما قد ذكرنا هذا في كتابنا هذا في وفيات الأعيان، فالله أعلم.

ولهذا الحديث طرق أخرى، عن النبي ﷺ.

رواية جابر بن عبد الله: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا المبارك، حدثنا الحسن، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ سئل عن الساعة قبل أن يموت بشهر، فقال: «تَسْأَلُونِي

(١) أخرجه أحمد (٦٠٦٦) بإسناد صحيح على شرطهما. وأخرجه عبد بن حميد (٧٧٨)، والبخاري (٢٢٦٨) من طريق سليمان، به.

(٢) أخرجه الطبراني (١٣٢٨٥)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٦٠٢٨) وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه البخاري (٦٠١)، ومسلم (٢٥٣٧) من طريق أبي اليمان، به.

عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ، قَوْلُ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ نَفْسًا يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ^(١).
تفرد به أحمد، وهو إسناده جيد حسن رجاله ثقات؛ أبو النضر هاشم بن القاسم من رجال
الصحيحين، ومبارك بن فضالة حديثه عند أهل السنن، والحسن بن أبي الحسن البصري من الأئمة
الثقات الكبار، وروايته مخرجة في الصحاح كلها وغيرها.

طريق أخرى عن جابر: قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير،
أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن
السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنُفُوسَةٌ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ
سَنَةٍ»^(٢). وكذا رواه مسلم، عن هارون بن عبد الله، وحجاج بن الشاعر، عن حجاج بن محمد
الأعور، وعن محمد بن حاتم، عن محمد بن بكر، كلاهما عن ابن جريج، به.

وقال مسلم في «الصحيح»، باب تقريب قيام الساعة: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وأبو كريب،
قالا: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان الأعراب إذا قدموا على
رسول الله ﷺ سألوه عن السَّاعَةِ: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «إِنْ يَعِشَ
هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»^(٣). تفرد به الإمام مسلم، رحمه الله.

ثم قال مسلم: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة،
عن ثابت، عن أنس، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى تقوم الساعة؟ وعنده غلام من الأنصار
يقال له: محمد. فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ يَعِشَ هَذَا الْغُلَامُ، فَعَسَى أَنْ لَا يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ
السَّاعَةُ»^(٤). تفرد به مسلم من هذا الوجه.

ثم قال مسلم: وحدثني حجاج بن الشاعر، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، يعني ابن
زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي، عن أنس بن مالك، أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: متى تقوم
السَّاعَةُ؟ قال: فسكت النبي ﷺ هنيهة ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال: «إِنْ عُمِرَ
هَذَا، لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». قال أنس: ذاك الغلام من أترابي يومئذ. تفرد به مسلم
أيضاً من هذا الوجه^(٥).

ثم قال مسلم: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا همام، حدثنا قتادة،
عن أنس قال: مرَّ غلامٌ للمغيرة بن شعبة، وكان من أقراني، فقال النبي ﷺ: «إِنْ يُؤَخَّرَ هَذَا فَلَنْ
يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٦). ورواه البخاري، عن عمرو بن عاصم، عن همام، به.

(١) أخرجه أحمد (٣٢٦/٣) بسند ضعيف وفيه انقطاع. وأخرجه مسلم (٢٥٣٨)، والترمذي (٢٢٥٠)، وأحمد (٣١٤/٣)،
وأبو يعلى (١٩٢٢) وجماعة عن جابر.

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٥/٣)، ومسلم (٢٥٣٨)، وأحمد (٣٢٢/٣)، وابن حبان (٥٩٨٧)، وغيرهم من طرق عن
ابن جريج، به.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٣) (١٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٥٣) (١٣٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٥٣) (١٣٩).

وهذه الروايات تدل على تعدد هذا السؤال وهذا الجواب، وليس المراد بذلك تحديد وقت الساعة العظمى إلى وقت هرم هذا الغلام المشار إليه، وإنما المراد ساعتهم، وهو انقراض قرينهم وعصرهم، وأن قصاره تنهاى في مدة عمر ذلك الغلام، كما تقدم في الحديث: «تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض نفس منقوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة». ويؤيد ذلك رواية عائشة رضي الله عنها: «قامت عليكم ساعتكم». وذلك أنه من مات فقد دخل في حكم القيامة، فإن عالم البرزخ قريب من عالم يوم القيامة، وفيه شبه من الدنيا أيضاً، ولكن هو أشبه بالآخرة، ثم إذا تناهت المدة المضروبة للدنيا أمر الله بقيام الساعة، فجمع الأولون والآخرين لميقات يوم معلوم، كما سيأتى بيان ذلك من الكتاب والسنة، وبالله المستعان.

ذكر دنو الساعة واقترباها وأنها آتية لا ريب فيها، وأنها لا تأتى إلا بقتة،

ولا يعلم وقتها على التعيين إلا الله سبحانه وتعالى

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرِبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ١). وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١). وقال: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ فَلَنْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣). وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾. إلى قوله: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ (المعارج: ١-١١). وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس: ٤٥). وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٦). وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا الَّذِينَ يُبَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٧، ١٨). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢). والآيات. وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٦) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ (١١٧) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٢-١١٤). وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧). وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٦) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٧) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (النازعات: ٤٢-٤٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (طه: ١٥، ١٦). وقال تعالى: ﴿بَلْ إِذَا رَأَىٰ عِلْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل: ٦٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الساعة، قال له: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». يعنى قد استوى فيها علم، كل مسئول وسائل بطريق الأولى والأخرى؛ لأنه إن كانت الألف

واللَّامُ فِي الْمُسْتَوَلِ وَالسَّائِلِ لِلْعَهْدِ عَائِدَةً عَلَيْهِ وَعَلَى جَبْرِيلَ، فَكُلُّ أَحَدٍ مِنْ سِوَاهُمَا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخِرَى، وَإِنْ كَانَتْ لِلْجَنَسِ عَمَتْ بِطَرِيقِ اللَّفْظِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ثُمَّ قَالَ: «هِيَ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ». ثُمَّ قَرَأَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس: ٥٣). وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمٌ الْغَيْبِ لَا يُعَذِّبُ عَنْهُ مُنْقَلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ (سبا: ٣-٥). وَقَالَ تَعَالَى:

﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُعْثُنَّ ثُمَّ لَتَنْبُؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧).

فَهَذِهِ ثَلَاثُ آيَاتٍ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ أَنْ يُقَسِّمَ بِهِ فِيهِنَّ عَلَى إِيْتِيَانِ الْمَعَادِ، وَإِعَادَةِ الْخَلْقِ، وَجَمْعِهِمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَيْسَ لَهُنَّ رَابِعَةٌ مِثْلُهُنَّ، وَلَكِنْ فِي مَعْنَاهُنَّ كَثِيرٌ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٣٨-٤٠).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ (لقمان: ٢٨). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر: ٥٩). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧).

إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُعْضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٥٠-٥٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَنْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أُنْتُنَا لِمَبْعُوثِينَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: ٩٧-٩٩). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٧٧). إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الاحقاف: ٣٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾. الْآيَاتُ الثَّلَاثُ إِلَى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٥-٢٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٦-٧). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ . إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (٢٠) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون (٢١) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٧).

فيستدل تعالى بإحياء الأرض الميتة على إحياء الأجساد بعد موتها وفنائها وتمزقها، وصبروتها تراباً وعظاماً ورفاتاً، وكذلك يستدل ببداء الخلق على إعادة النشأة الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المنكوت: ٢٠). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ... بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف: ١١). وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُشُورُ﴾ (فاطر: ٩). وفي «الأعراف»: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧). وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ صَلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق: ٥-٩).

وكذلك سورة «ق» من أولها إلى آخرها فيها في ذكر بعث ونشور، وكذلك سورة «الواقعة» والقرآن كله طافح بهذا، ولا تبدل لكلمات الله.

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٨). وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ﴾ (المعارج: ٣٩-٤١). وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَأَنْتَا لَمُرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١١) أَأَإِذَا كُنَّا عِظَامًا تَخْرُجُ (١٢) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٣) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٤) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (التازعات: ١٠-١٤). وسورة «الصافات» فيها آيات كثيرة تدل على المعاد، وكذلك سورة «الكهف» وغيرها.

وقد ذكر الله سبحانه إحياء الموتى، وأنه أحيا قوماً بعد موتهم في هذه الحياة الدنيا في سورة «البقرة»؛ في خمسة مواضع منها؛ في قصة بني إسرائيل حين قتل بعضهم بعضاً لما عبدوا العجل، في أول السورة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٦). وفي قصة البقرة: ﴿فَلَمَّا أَضْرَبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٣). فإنه أحيا ذلك الميت لما ضربوه ببعضها. وفي قصة: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٣). وفي قصة الذي: ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ، ثم أحيا حمارة، والقصة معروفة، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (البقرة: ٢٥٩). والخامسة قصة إبراهيم، عليه السلام، والطير: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمَنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمُوجَعَلُ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وذكر تعالى قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم في نومهم ثلاثمائة سنة شمسية، وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ (الكهف: ٢١). فجعل سبحانه ذلك دلالة على إحياء الموتى، وإتيان الساعة لا ريب فيها. والله سبحانه أعلم.

ذكر زوال الدنيا وإقبال الآخرة

أَوَّلُ شَيْءٍ يَطْرُقُ أَهْلَ الدُّنْيَا بَعْدَ وَقُوعِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَفْخَةُ الْفَرْعِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفِخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْفَرْعِ، فَيُطَوِّلُهَا، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا السَّمَاوَاتِ إِلَّا فَرْعٌ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْعَى لَيْثًا وَرَفَعَ لَيْثًا - أَيْ رَفَعَ صَفْحَةً عَنْقَهُ وَأَمَالَ الْآخِرَى - يَسْتَمِعُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي قَدْ هَالِ النَّاسُ وَأَزْعَجَهُمْ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَشَغَلَهُمْ بِهَا، وَوُقُوعُ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (الملك: ٨٧، ٨٨).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوْاقٍ﴾ (ص: ١٥). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِثَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمُنَا يَوْمَ عَسِيرٍ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٍ يَسِيرٍ﴾ (المدثر: ٨-١٠). وقال تعالى: ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (الأنعام: ٧٣).

ثم بعد ذلك بَعْدَ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفِخَ نَفْخَةَ الصَّعَقِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ فَيَنْفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٢٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (الزمر: ٦٨، ٦٩). الْآيَاتُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: ٤٨، ٤٩). الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٦٧).

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (٣٦) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: ١٣، ١٤). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالصُّورِ﴾ (القمر: ٥٠). وقال تعالى: ﴿وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: ٩٩). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: ١٣-٣٧).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (النبا: ١٨) الْآيَاتُ.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢). الْآيَاتُ.

وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَسْلَمَ الْعَجَلِيُّ، عَنْ بَشْرِ بْنِ شَعَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «قَرْنٌ يَنْفُخُ فِيهِ»^(١). ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ، بِهِ. (٢)

(١) أخرجه أحمد (١٦٢/٢) وإسناده صحيح. وأخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، والدارمي (٣٢٥/٢)، وابن حبان (٧٣١٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٢/٢) وإسناده صحيح.

وأخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي من طرق، عن سليمان التيمي، عن أسلم العجلي، به. وقال الترمذي: حسن، ولا نعرفه إلا من حديث أسلم العجلي.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط، حدثنا مطرف، عن عطية، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (المدر: ٨). قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنُ، وَحَتَّى جِبْهَتُهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفَخُ؟» فقال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» (١). أنفرد به أحمد. وقد رواه أبو كدينة يحيى بن المهلب، عن مطرف، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن مطرف، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقُرْنِ الْقُرْنُ، وَحَتَّى جِبْهَتُهُ، وَأَصْغَى سَمْعُهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ؟» قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» (٢) وأخرجه الترمذي، عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، وقال: حسن. ثم رواه من حديث خالد بن طهمان، عن عطية، عن أبي سعيد، به، وحسنه أيضاً (٣).

وقال شيخنا أبو الحجاج المزي في «الأطراف»: ورواه إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي (٤)، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. كذا قال رحمه الله، وهكذا رواه أبو بكر بن أبي الدنيا، في كتاب «الأهوال»، فقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ التَّقَمَ الصُّورُ، وَحَتَّى جِبْهَتُهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفَخَ فَيَنْفَخُ». قلنا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (٥).

وقد قال أبو يعلى الموصلي في «مسند أبي هريرة»: أبو صالح، عن أبي هريرة. حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، حدثني موسى بن أعين الحراني، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة - وعن عمران، عن عطية، عن أبي سعيد (٦) - قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ - أَوْ: كَيْفَ أَنْتُمْ. شك أبو طالب - وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنُ فِيهِ، وَأَصْغَى سَمْعُهُ، وَحَتَّى جِبْهَتُهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفَخُ». قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سعد الطائي، عن عطية العوفي،

(١) أخرجه أحمد (٣٠٠٨)، وإسناده ضعيف، لكن له طرق وشواهد يتقوى بها.

(٢) أخرجه أحمد (٧/٣)، وإسناده ضعيف، وهو حسن.

(٣) راجع التخریج السابق.

(٤) أخرجه الحاكم (٥٥٩/٤) وهو ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٥٠)، وإسناده صحيح. وأخرجه أبو يعلى (١٠٨٤)، والطحاوي (٥٣٤٢).

(٦) وابن حبان (٨٢٣)، من طريق جرير، به.

(٦) لم أعثر عليه، ولم أجده في «الإتحاف».

عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور، فقال: «عَنْ يَمِينِهِ جِبْرِيلُ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِيكَائِيلُ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ». (١)

وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عباد بن العوام، عن حجاج، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَاحِبِي الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا - أَوْ: فِي أَيْدِيهِمَا - قَرْنَانِ، يَلَا حِظَّانِ النَّظَرِ مَتَى يُؤْمَرَانِ». (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن التيمي، عن أسلم، عن أبي مريّة، عن النبي ﷺ - أو عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «النَّفَاحَانِ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَّةِ، رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَشْرِقِ وَرَجُلَاهُ بِالْمَغْرِبِ، وَرَجُلَاهُ بِالْمَشْرِقِ - يَنْتَظِرَانِ مَتَى يُؤْمَرَانِ يَنْفُخَانِ فِي الصُّورِ، فَيَنْفُخَانِ» (٣). تفرد به أحمد. وأبو مريّة هذا اسمه عبد الله بن عمرو العجلي، وليس بالمشهور، ولعل هذين الملكين أحدهما إسرافيل، وهو الذي ينفخ في الصور، كما سيأتي بيانه في حديث الصور بطوله، والآخر هو الذي ينفخ في الناقور، وقد يكون الصور والناقور اسم جنس يعم أفراداً كثيرة، أو الألف واللام فيهما للعهد، ويكون لكل واحد منهما أتباع يفعلون كفعله. والله أعلم بالصواب.

وقال ابن أبي الدنيا: أخبرنا عبيد الله بن جرير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد ابن زياب، حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن يزيد بن الأصم، قال: قال ابن عباس: إِنَّ صَاحِبَ الصُّورِ لَمْ يَطْرَفْ مِنْذُ وَكَلَّ بِهِ، كَانَ عَيْنُهُ كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ، يَنْظُرُ تَجَاهَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ. (٤)

وحدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر مشكداً، حدثنا مروان بن معاوية، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا اطَّرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مِنْذُ وَكَلَّ بِهِ، مُسْتَعِدٌّ، يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ، كَانَ عَيْنُهُ كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ». (٥)

حديث الصور بطوله

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في «مسنده»: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع، عن محمد بن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: حدثنا رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه أحمد (٩/٣-١٠)، وأبو داود (٣٩٩٩)، وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ٩٥)، وابن أبي الدنيا في

«الآهوال» (٤٩)، من طرق عن الأعمش، به. وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٣)، وإسناده ضعيف، وفيه نكارة.

(٣) أخرجه أحمد (٦٨٠٤) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الآهوال» (٥١) بسند قوى.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الآهوال» (٥٢) بسند قوى.

وهو في طائفة من أصحابه، قال: «إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرأفيل، فهو وأضعه على فيه، شاخص إلى العرش يبصره ينتظر متى يؤمر فينفخ». قال: قلت: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: «قرن». قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي بعثني بالحق إن عظم دائرة فيه كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفرع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين. يأمر الله إسرأفيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفرع. فينفخ نفخة الفرع، فيفرع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره تعالى فيمدها ويطيئها ولا يفتتر، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فراق﴾ (ص: ١٥). فتسير الجبال سير السحاب فتكون سرايا، وترجع الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة الموبقة في البحر، تضربها الأمواج تكفاً بأهلها، كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، ألا وهو الذي يقول تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ (٦) تتبعها الرادفة (٧) قلوب يومئذ واجفة (٨) أنصارها خاشعة (٩) (النارعات: ٦-٩).

فتמיד بالناس على وجهها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل، ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفرع حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، فتراجع، ثم يولون مدبرين ما لهم من الله من عاصم، ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿يوم التداد﴾ (غافر: ٣٢). فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض تصدعين، من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم، ثم تطلو السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتشرت نجومها، وخسفت شمسها وقمرها.

قال رسول الله ﷺ: «الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك». قال أبو هريرة: يا رسول الله، من استثنى الله حين يقول: ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ (النمل: ٨٧). قال: «أولئك الشهداء، إنما يصل الفرع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، فوقاهم الله فرع ذلك اليوم وأمتهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (الحج: ٢٠).

فيمكثون في ذلك العذاب ما شاء الله سبحانه، إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرأفيل، فينفخ نفخة الصعق، فيصنع أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، فإذا هم خمدوا، جاء ملك الموت إلى الجبار تعالى، فيقول: يا رب، مات أهل السموات والأرض إلا من شئت. فيقول الله سبحانه له، وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: يا رب، بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا. فيقول الله، عز وجل: ليأت جبريل وميكائيل. فينطق سبحانه العرش، فيقول: يا رب، يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول الله سبحانه للعرش: اسكت، إنني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي. فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار، عز وجل، فيقول: يا رب، قد مات جبريل وميكائيل. فيقول، وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا رب، بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: فليمت حملة عرشي. فيموتون، ثم يأمر الله سبحانه العرش فيقبض

الصُّورِ مِنْ إِسْرَافِيلَ، وإِسْرَافِيلُ مِنْ جَمَلَةٍ حَمَلَةٍ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ. فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَيَقِيْتُ أَنَا. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتَ خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِي، خَلَقْتَنِي لِمَا رَأَيْتَ، فَمُتْ. فَيَمُوتُ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثَنَا يُونُسُ بْنُ يَحْيَى الْأَمْوِيُّ أَبُو نُبَاتَةَ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيِّ قَالَ: بَلَّغْنِي أَنْ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْخَلْقِ مَلَكُ الْمَوْتِ، يُقَالُ لَهُ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ، مَتَّ مَوْتًا لَا تَحْيَا بَعْدَهُ أَبَدًا. قَالَ: فَيَصْرُخُ عِنْدَ ذَلِكَ صَرْخَةً لَوْ سَمِعَهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَمَاتُوا قَرْعًا، ثُمَّ يَمُوتُ، ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا مَلَكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

وقد رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَيْضًا عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَيْيَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَرْفُوعًا بِهَذَا.

ورَوَاهُ الْخَافِظُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ بْنِ شَابُورَ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَفِيهِ: «يَا مَلَكُ، أَنْتَ خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِي، خَلَقْتَنِي لِمَا رَأَيْتَ، فَمُتْ، ثُمَّ لَا تَحْيَا أَبَدًا». قَالَ أَبُو مُوسَى: لَمْ يَتَّبِعْ إِسْمَاعِيلُ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَلَمْ يَقُلْهَا أَكْثَرُ الرُّوَاةِ - قَالَ: «فَإِذَا مَاتَ مَلَكُ الْمَوْتِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، كَانَ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا، طَوَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ، ثُمَّ دَحَاهُمَا، ثُمَّ تَلَقَّفَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقَالَ: أَنَا الْجَبَّارُ، ثَلَاثًا، ثُمَّ يَهْتَفُ بِصَوْتِهِ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقُولُ لِنَفْسِهِ تَعَالَى: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَيَبْدُلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ فَيَبْسُطُهَا وَيَسْطِطُهَا وَيَمْدُهَا مَدَّ الْأَيْدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا، ثُمَّ يَزْجُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ زَجْرَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمَبْدَلَةِ فِي مِثْلِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْأَوَّلَى، مَنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا كَانَ فِي بَطْنِهَا، وَمَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا، ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ مَاءٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ، فَتُمْطِرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ فَوْقَهُمْ اثْنَتَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَجْسَادَ أَنْ تَنْبِتَ كَنْبَاتِ الطَّرَائِثِ، أَوْ كَنْبَاتِ الْبَقْلِ، حَتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ أَجْسَادُهُمْ، فَكَانَتْ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لِيَحْيَا حَمَلَةُ عَرْشِي. فَيَحْيَوْنَ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ، فَيَضَعُهُ عَلَى فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لِيَحْيَا جِيرِيلُ وَمِيكَائِيلُ. فَيَحْيِيَانِ، ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ بِالْأَرْوَاحِ فَيُؤْتِي بِهَا، تَتَوَهَّجُ أَرْوَاحُ الْمُسْلِمِينَ نُورًا، وَالْأُخْرَى ظُلْمَةً، فَيَقْبِضُهَا جَمِيعًا، ثُمَّ يُلْقِيهَا فِي الصُّورِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ نَفْخَةً الْبَعْثِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةً الْبَعْثِ فَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ مِنَ الصُّورِ كَأَنَّهَا النَّحْلُ، قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَتَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا. فَتَدْخُلُ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ، فَتَدْخُلُ فِي الْخِيَاشِيمِ، ثُمَّ تَمْشِي فِي الْأَجْسَادِ مَشْيَ السَّمِّ فِي اللَّدِيغِ، ثُمَّ تَنْشِقُ الْأَرْضُ عَنْكُمْ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشِقُ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَتَخْرُجُونَ مِنْهَا سَرَاعًا إِلَى رَبِّكُمْ تَنْسِلُونَ ﴿مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر: ٨). حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُلْفًا غُرْلًا، ثُمَّ

تَقِفُونَ مَوْقِعًا وَاحِدًا مَقْدَارَ سَبْعِينَ عَامًا، لَا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ، وَلَا يَقْضِي بَيْنَكُمْ، فَتَبْكُونَ حَتَّى تَنْقُطَ الدَّمُوعُ، ثُمَّ تَدْمَعُونَ دَمًا، وَتَعْرِفُونَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ يُلْجِمَكُمْ، أَوْ يَبْلُغَ الْأَذْقَانِ، فَتَضْجُونَ، وَتَقُولُونَ: مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا لِيَقْضِيَ بَيْنَنَا. فَيَقُولُونَ: مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمُ؟ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قَبْلًا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَطْلُبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَأْبَى، فَيَقُولُ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَسْتَقِرُّونَ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا، كُلَّمَا جَاءُوا نَبِيًّا أَبَى عَلَيْهِمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَتَّى يَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، حَتَّى أَتِيَ الْفَحْصَ، فَأَخْرَسَاجِدًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْفَحْصُ؟ قَالَ: «قُدَامُ الْعَرْشِ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ إِلَيَّ مَلَكًا، فَيَأْخُذُ بَعْضِي فَيَرْفَعُنِي، فَيَقُولُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: نَعَمْ، لَبَّيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: مَا شَأْنُكَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، وَعِدْتَنِي الشَّفَاعَةَ، فَشَفَعْنِي فِي خَلْقِكَ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ. فَيَقُولُ: شَفَعْتُكَ، أَنَا أَتَيْكُمْ فَأَقْضِي بَيْنَكُمْ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَارْجِعْ، فَأَقِفْ مَعَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ وَقُوفٌ إِذْ سَمِعْنَا حِسًا مِنَ السَّمَاءِ شَدِيدًا، فَنَزَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِثْلَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِهِمْ، وَأَخَذُوا مَصَافَهُمْ قُلْنَا لَهُمْ: أَفِيكُمْ رَبَّنَا؟ قَالُوا: لَا، وَهُوَ أَت. ثُمَّ يَنْزِلُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، بِمِثْلِ مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مِنَ أَهْلِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَمِثْلَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِهِمْ، وَأَخَذُوا مَصَافَهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أَفِيكُمْ رَبَّنَا؟ قَالُوا: لَا، وَهُوَ أَت، ثُمَّ يَنْزِلُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ مِنَ التَّضَعِيفِ حَتَّى يَنْزِلَ الْجِبَارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي ظِلِّهِ مِنَ الْعَمَامِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَيَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ، وَهُمْ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، أَقْدَامُهُمْ عَلَى تَحُومِ الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَالسَّمَوَاتِ إِلَى حُجْرِهِمْ، وَالْعَرْشِ عَلَى مَنَابِهِمْ، لَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ، يَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، سُبْحَانَ الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ، سُبُوحٌ قُدُّوسٌ، سُبْحَانَ رَبِّنَا الْأَعْلَى رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ، فَيَضَعُ اللَّهُ تَعَالَى كُرْسِيَهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ، ثُمَّ يَهْتَفُ بِصَوْتِهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، إِنِّي قَدْ أَنْصَتُ لَكُمْ مِنْ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا، أَسْمِعْ قَوْلَكُمْ، وَأَرَى أَعْمَالَكُمْ، فَأَنْصِتُوا لِي الْيَوْمَ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ وَصُحُفُكُمْ تَقْرَأُ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا عَنُقَ سَاطِعٍ مُظْلِمٍ، ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٢١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٢٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٢٣) (يس: ٦٠-٦٣). أَوْ: بِهَا تُكَذِّبُونَ. شَكَ أَبُو عَاصِمٍ.

﴿وَأَمَّا زَاوَا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (يس: ٥٩). فَيَمِيزُ اللَّهُ النَّاسَ، وَتَجْشَوُ الْأُمَمُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجماعية: ٢٨). فَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسَ وَالْجِنَّ، فَيَقْضِي بَيْنَ الْوَحُوشِ وَالْبَهَائِمِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْفِذُ الْجَمَاءَ مِنْ ذَاتِ الْقَرْنِ، فَإِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ تَبْقَ تَبِيعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللَّهُ لَهَا: كُونِي تَرَابًا. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ (النبا: ٤٠). ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَقْضِي فِيهِ الدَّمَاءُ، وَيَأْتِي كُلَّ قَتِيلٍ قَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ كُلَّ مَنْ قَتَلَ فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ

دَمًا . فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ فَيَقُولُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ: فِيمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلْتَهُ لَتَكُونَ الْعِزَّةَ لَكَ . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: صَدَقْتَ . فَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُ مِثْلَ نُورِ السَّمَوَاتِ، ثُمَّ تَسْوِقُهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَأْتِي كُلُّ مَنْ كَانَ قَتَلَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَأْمُرُ مَنْ قَتَلَ، فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخِبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ فَيَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فِيمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلْتَهُ لَتَكُونَ الْعِزَّةَ لِي . فَيَقُولُ لَهُ: تَعَسْتَ . ثُمَّ مَا تَبَقِيَ نَفْسٌ قَتَلَهَا إِلَّا قَتَلَ بِهَا، وَلَا مَظْلَمَةٌ إِلَّا أَخَذَ بِهَا، وَكَانَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِنْ شَاءَ عَذِبُهُ، وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ .

ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّى لَا تَبْقَى مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُكَلِّفُ شَاثِبَ اللَّبَنِ بِالمَاءِ ثُمَّ يَبِيعُهُ أَنْ يَخْلُصَ اللَّبَنُ مِنَ المَاءِ . فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ نَادَى مُنَادٍ يَسْمَعُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ: لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِأَلْهِتِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَبْدَ شَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا مَثَلَتْ لَهُ أَلْهُتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَجْعَلُ يَوْمَئِذٍ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عَزِيرٍ، وَمَلَكٌ عَلَى صُورَةِ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَتَّبِعُ هَذَا الْيَهُودَ، وَيَتَّبِعُ هَذَا النَّصَارَى، ثُمَّ تَقُودُهُمْ أَلْهُتُهُمْ إِلَى النَّارِ، فَهَذَا الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَهِةَ مَا وَرَدُوا مَا وَكَلَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٩) . فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمْ الْمَنَافِقُونَ؟ جَاءَهُمُ اللَّهُ فِيمَا شَاءَ مِنْ هَيْئَةٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ذَهَبَ النَّاسُ، فَالْحَقُوا بِأَلْهِتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ . فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ، فَيَمَكْتُ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكْتُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ذَهَبَ النَّاسُ، فَالْحَقُوا بِأَلْهِتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ . فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ، فَيَمَكْتُ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكْتُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ذَهَبَ النَّاسُ، فَالْحَقُوا بِأَلْهِتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ . فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ، فَيَخِرُّونَ لَهُ سَجْدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَيَخِرُّ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَفَاهُ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَصْلَابَ الْمَنَافِقِينَ كَصِيَاصِي الْبَقَرِ، ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُمْ فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ .

وَيَضْرِبُ اللَّهُ بِالصَّرَاطِ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ كَقَدِّ الشَّعْرِ - أَوْ كَعَقْدِ الشَّعْرِ - وَكَحَدِّ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَالْأَلِيبِ وَخَطَاطِيفُ، وَحَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، دُونَهُ جِسْرٌ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فَيَمْرُونَ كَطَرْفِ الْبَصَرِ، أَوْ كَلَمَحِ الْبَرْقِ، أَوْ كَمَرِ الرِّيحِ، أَوْ كَجِيَادِ الْخَيْلِ، أَوْ كَجِيَادِ الرِّكَابِ، أَوْ كَجِيَادِ الرِّجَالِ، فَتَنَاجٍ سَالِمٌ، وَتَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَهَنَّمَ .

فَإِذَا أَقْضَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ حُبِسُوا دُونَهَا قَالُوا: مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ فَيَقُولُونَ: مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمُ؟ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قَبْلًا . فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيُطَلَّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا وَيَقُولُ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ يَنْوَحُ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ رُسُلِ اللَّهِ . فَيُؤْتَى نُوْحٌ، فَيُطَلَّبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا، وَيَقُولُ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ يَا إِبْرَاهِيمَ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيُطَلَّبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا، وَيَقُولُ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا، وَيَقُولُ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِرُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيُطَلَّبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ: مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي، وَلِي عِنْدَ رَبِّي ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ وَعَدَنِيهِنَّ، فَأَنْطَلِقُ فَاتِي الْجَنَّةَ، فَأَخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، ثُمَّ أَسْتَفْتَحُ فَيَفْتَحُ لِي، فَأَحْيَا، وَيَرْحُبُ بِي، فَإِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَتَنْظُرُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ خَرَرَتْ لَهُ سَاجِدًا، فَيَأْذُنُ اللَّهُ لِي مِنْ حَمْدِهِ وَتَمْجِيدِهِ بِشَيْءٍ مَا أَذُنُ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَاسْأَلْ تَسْأَلُ، فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي قَالَ اللَّهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ، فَشَفَعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ شَفَعْتُكَ، وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ». فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ. فَيَدْخُلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً: سَبْعِينَ مِمَّا يَنْشِئُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَثِنْتَيْنِ أَدَمِيَّتَيْنِ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ، بِعِبَادَتِهِمَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، يَدْخُلُ عَلَى الْأُولَى مِنْهُمَا فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ، عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مَكْمُلٍ بِاللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ، وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا، مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مَخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى السِّلَكِ فِي قَصَبَةِ الْيَاقُوتَةِ، كَيْدَهُ لَهَا مِرَآةٌ، وَكَيْدُهَا لَهُ مِرَآةٌ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ، لَا يَأْتِيهَا مَرَّةٌ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءً، مَا يَفْتَرُ ذِكْرُهُ، وَلَا يَشْتَكِي قَبْلِهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنَى وَلَا مَنِيَّةً. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تَمَلُّ، إِلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا. فَيُخْرِجُ فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةٌ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنْكَ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ».

قال: «وَإِذَا وَقَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ أَوْيَقَتْهُمْ أَعْمَالُهُمْ: فَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ لَا تَجَاوِزُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَهُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَ جَسَدَهُ كُلَّهُ إِلَّا وَجْهَهُ، وَحَرَّمَ اللَّهُ صُورَتَهُ عَلَى النَّارِ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، شَفَعْنِي فِيمَنْ وَقَعَ فِي النَّارِ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَيُخْرِجُ أُولَئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ يَأْذُنُ اللَّهُ فِي الشَّفَاعَةِ، فَلَا يَبْقَى نَبِيٌّ وَلَا شَهِيدٌ إِلَّا شَفَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ زَنَةً الدِّينَارِ إِيْمَانًا. فَيُخْرِجُ أُولَئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ. ثُمَّ يَشْفَعُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ إِيْمَانًا ثَلَاثِي دِينَارٍ، وَنِصْفَ دِينَارٍ، وَثَلَاثَ دِينَارٍ، وَرُبْعَ دِينَارٍ. ثُمَّ يَقُولُ: وَسُنْدُسُ دِينَارٍ. ثُمَّ يَقُولُ: وَقِيرَاطًا. ثُمَّ يَقُولُ: حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ. فَيُخْرِجُ أُولَئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ خَيْرًا قَطُّ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ لَهُ شَفَاعَةٌ إِلَّا شَفَعَ، حَتَّى إِنْ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلُ لِمَا يَرَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، رَجَاءً أَنْ يَشْفَعَ لَهُ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: بَقِيْتُ أَنَا، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَدْخُلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: يَدُهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَا لَا يُحْصِيهِ غَيْرُهُ، كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُحْتَرَقٌ، فَيَبْتِغِيهِمُ اللَّهُ عَلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَوَانِ. فَيَنْبِتُونَ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، فَمَا يَلِي الشَّمْسُ مِنْهَا أَخْيَضُ، وَمَا يَلِي الظِّلُّ مِنْهَا أَصْفَرُ، فَيَنْبِتُونَ نَبَاتَ الطَّرَائِثِ، حَتَّى يَكُونُوا أَمْثَالَ الدَّرِّ، مَكْتُوبٌ فِي رِقَابِهِمْ: الْجَهَنَّمِيُّونَ، عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ، عَزَّ وَجَلَّ. يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ، مَا عَمِلُوا خَيْرًا قَطُّ، فَيَقْبَلُونَ فِي الْجَنَّةِ».

(١) أخرجه أبو يعلى كما في «الإتحاف» (٧٦٧٩)، وابن أبي الدنيا في «الأحوال» (٥٥) وإسناده ضعيف وفيه اضطراب ونكارة.

فَذَكَرَهُ إِلَى هُنَا كَانَ فِي أَصْلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمَقْرِيِّ، عَنْ أَبِي يَعْلَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. هَذَا حَدِيثٌ مشهورٌ، رواه جماعةٌ من الأئمة في كتبهم؛ كابن جرير في تفسيره، والطبراني في الطوالات وغيرهما، والبيهقي في كتاب «البعث والنشور»، والحافظ أبي موسى المديني في الطوالات أيضاً من طرقٍ متعددة، عن إسماعيل بن رافع قاصٍّ أهل المدينة، وقد تكلم فيه بسببه. وفي بعض سياقاته نكارة واختلاف، وقد بينتُ طرقه في جزء مفرد.

قلت: وإسماعيل بن رافع المديني ليس من الوضّاعين، وكأنه جمع هذا الحديث من طرق وأماكن متفرقة، وساقه ساقه واحدة، فكان يقصُّ به على أهل المدينة، وقد حضره جماعة من أعيان الناس في عصره، ورواه عنه جماعة من الكبار؛ كابن عاصم النبيل، والوليد بن مسلم، ومكي بن إبراهيم، ومحمد بن شعيب بن شابور، وعبد بن سليمان، وغيرهم، واختلف عليه فيه قتادة، يقول: عن محمد بن يزيد، عن محمد بن كعب، عن رجل، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وتارة يسقط الرجل.

وقد رواه إسحاق بن راهويه، عن عبد بن سليمان، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. ومنهم من أسقط الرجل الأول، قال شيخنا الحافظ المزي: وهذا أقرب، وقد رواه عن إسماعيل بن رافع الوليد بن مسلم، وله عليه مصنف بين شواهده من الأحاديث الصحيحة. وقال الحافظ أبو موسى المديني بعد إirاده له بتمامه: وهذا الحديث وإن كان في إسناده من تكلم فيه؛ فعامّة ما فيه يروى مفرداً بأسانيد ثابتة. ثم تكلم على غريبه. قلت: ونحن نتكلم عليه فصلاً فصلاً، وبالله المستعان.

فصل

فأما النَّفَخَاتُ فِي الصُّورِ ثَلَاثٌ؛ نفخة الفزع، ثم نفخة الصّعق، ثم نفخة البعث، كما تقدّم بيان ذلك في حديث الصّور بطوله. وقد قال مسلم في «صحيحه»: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: آييت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: آييت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: آييت. قال: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبِتُونَ كَمَا يَنْبِتُ الْبَقْلُ». قال: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). ورواه البخاري من حديث الأعمش. (٢)

وحديث عجب الذنب، وأنه لا يلبى، وأن الخلق يبدأ منه ومنه يركب يوم القيامة ثابت من

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٥) (١٤١) بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، من طريق أبي معاوية عن الأعمش، به.

رواية أحمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة (١). ورواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق. ورواه أحمد أيضاً، عن يحيى القطان، عن محمد بن عجلان، ثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «كل ابن آدم يئلى، ويأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب» (٢). انفرد به أحمد، وهو على شرط مسلم. ورواه أحمد أيضاً، من حديث إبراهيم الهجري، عن أبي عياض، عن أبي هريرة، مرفوعاً بنحوه (٣). وقال أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه». قيل: ومثل ما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل، منه تنبتون» (٤).

والمقصود هنا: إنما هو ذكر النفختين، وأن بينهما أربعين؛ إما أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة، وهاتان النفختان هما، والله أعلم، نفخة الصعق، ونفخة القيام للبعث والنشور، بدليل إنزال الماء بينهما، وذكر عجب الذنب الذي منه يخلق الإنسان، وفيه يركب عند بعثه يوم القيامة. ويحتمل أن يكون المراد منهما ما بين نفخة الفزع ونفخة الصعق، وهو الذي تريد ذكره في هذا المقام. وعلى كل تقدير فلا بد من مدة بين نفختي الفزع والصعق.

وقد ذكر في حديث الصور أنه يكون فيها أمور عظام، من ذلك زلزلة الأرض وارتجاجها، وميادنها بأهلها، وتكفيها يميناً وشمالاً، قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١). وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣) إذا رجَّت الأرض رجاً (٤) وبست الجبال بساً الآيات كلها إلى قوله: ﴿هَذَا نَزْلُهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الواقعة: ١-٥٦).

ولما كانت هذه النفخة - أعني نفخة الفزع - أول مبادئ القيامة، كان اسم يوم القيامة صادقاً على ذلك كله، كما ثبت في «صحيح البخاري»، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «وَلْتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلْتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لَفْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلْتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقَى فِيهِ، وَلْتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا» (٥). وهذا إنما يتجه على ما قبل نفخة الفزع، وعبر عن نفخة

(١) أخرجه أحمد (٨١٨٠) وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه مسلم (٢٩٥٥) (١٢٣)، وابن حبان (٣١٣٩) من طريق عبد الرزاق، به. وأخرجه البخاري (٤٨١٤) (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) (١٤١)، وابن ماجه (٤٢٦٦) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (٩٥٢٨) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٤٧٧) وإسناده ضعيف، والحديث صحيح - فقد أخرجه مالك (٢٣٩/١)، وعنه أبو داود (٤٧٤٣)، والنسائي (١١٢/٤)، والطحاوي (٢٢٨٨)، وابن حبان (٣١٣٨) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (١١٢٣٠) وإسناده ضعيف والحديث حسن.

(٥) أخرجه الحميدي (١١٠٣) (١١٧٩)، والبخاري (٦٥٠٦) (٧١٢١)، ومسلم (٢٩٥٤)، وأبو يعلى (٦٢٧١) من طرق عن أبي الزناد عن الأعرج، به.

الْفَرْعَ بِأَنَّهَا السَّاعَةُ لَمَّا كَانَتْ أَوَّلَ مَبَادِيثِهَا، وَتَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ فِي صِفَةِ أَهْلِ آخِرِ الزَّمَانِ أَنَّهُمْ شَرَارُ النَّاسِ، وَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

وقد ذُكِرَ فِي حَدِيثِ ابْنِ رَافِعٍ فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمُتَقَدِّمِ، أَنَّ السَّمَاءَ تَنْشَقُّ فِيمَا بَيْنَ نَفْخَتَيِ الْفَرْعِ وَالصَّعْقِ، وَأَنَّ نُجُومَهَا تَتَنَاقَرُ، وَيُخْسَفُ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا. وَالظَّاهِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ حِينَ ﴿تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ تَعْنِي وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ (إبراهيم: ٤٨-٥٠). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۖ﴾ الْآيَاتِ (الانشقاق: ١، ٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة: ٧-١٥).

وَسَيَأْتِي تَقْرِيرُ هَذَا كُلِّهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ، وَأَمَّا زَلْزَالُ الْأَرْضِ وَانْشِقَاقُهَا بِسَبَبِ تِلْكَ الزَّلْزَلَةِ، وَفِرَارُ النَّاسِ إِلَى أَقْطَارِهَا وَأَرْجَائِهَا - فَمُنَاسِبٌ أَنَّهُ بَعْدَ نَفْخَةِ الْفَرْعِ، وَقَبْلَ الصَّعْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، إِخْبَارًا عَنْ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (٣٢) يَوْمَ تُولُونُ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿٣٣﴾ (غافر: ٣٢، ٣٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٤) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ (الرحمن: ٣٣-٣٦).

وقد تقدّم الحديث في مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَصَحِيحِ مُسْلِمَ، وَالسِّنَنِ الْأَرْبَعَةِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حَدِيقَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَهُنَّ، إِلَى أَنْ قَالَ: «وَأَخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ»^(١). وَهَذِهِ النَّارُ تَسُوقُ الْمَوْجُودِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ مِنْهَا، وَهِيَ بَقْعَةُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ.

ذَكَرَ أَمْرَ هَذِهِ النَّارِ، وَحَشَرَهَا النَّاسَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ

ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ. وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ. وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ. وَتَحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَقْبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(٢).

وَرَوَى أَحْمَدُ، عَنْ عَفَّانَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «نَارٌ تَحْشَرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»^(٣). الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِ».

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ حَسَنِ وَعَفَّانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَوْسِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:

(١) سبق تخريجهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١)، والنسائي (١١٥/٤)، وابن حبان (٧٣٣٦) من طريق وهب، به.

وقد رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ»، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِنَحْوِ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ.

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، بِنَحْوِهِ .

تلاوة أبي ذر للآية، وزاد في آخره: «فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا».

حَكِيم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، بَنَحْوِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) أخرجه أحمد (٦٨٧١) وإسناده ضعيف وفيه اضطراب.

(٤) الحديث حسن، وجمع المؤلف - رحمه الله - بين عدة أسانيد.

على، عن رافع بن بشر السلمي، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ حَبْسٍ سَبِيلَ تَسِيرِ سَيْرِ بَطِينَةِ الْإِبِلِ، تَسِيرُ النَّهَارَ وَتَقِيمُ اللَّيْلَ، تَغْدُو وَتَرُوحُ، يُقَالُ: غَدَتِ النَّارُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَاعْدُوا، قَالَتِ النَّارُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَهَيُّوا، رَاحَتِ النَّارُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا. مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ». تفرد به. ورواه أبو نعيم في ترجمة بشر أبي رافع السلمي، وفيه: «تَضَيَّءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ يُبْصِرُ» (١).

فهذه السياقات تدلُّ على أنَّ هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلَّة المحشر، وهي أرض الشام، وأنَّهم يكونون على أصناف ثلاثة فقسَّم طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارةً ويركبون أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد، كما تقدَّم في «الصحيحين»: «اثنان على بعير، وثلاثة على بعير». إلى أن قال: «وعشرة على بعير». يعتقبونه من قلة الظَّهر، كما تقدَّم، وكما جاء مفسراً في الحديث الآخر، «وتحشروا بقيتهم النار». وهي التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كلِّ جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته.

وهذا كله مما يدلُّ على أنَّ هذا إنما يكون في آخر الزمان آخر الدنيا، حيث يكون الأكل والشرب والركوب موجوداً، والمشتري وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت، ولا ظَّهر يشتري، ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العرصات.

والعجب كلَّ العجب أنَّ الحافظ أبا بكر البيهقي بعد روايته لأكثر هذه الأحاديث حمل هذا الركوب على أنَّه يوم القيامة، وصحَّح ذلك، وضعف ما قلناه، واستدلَّ على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴿٨٦، ٨٥﴾ (مریم).

وكيف يصحُّ ما ادَّعاه في تفسير الآية بالحديث، وفيه أنَّ منهم: «اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير»، وقد جاء التصريح بأنَّ ذلك من قلة الظَّهر؟! هذا لا يلتئم مع هذا، والله أعلم، فإنَّ نجائب المتقين من الجنة، يركبونها من العرصات إلى الجنات على غير هذه الصفة، كما سيأتى بيان ذلك في موضعه.

فأمَّا الحديث الآخر الوارد من طرق؛ عن جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، وغيرهم: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حِفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا» ﴿٢﴾ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴿١﴾ (الأنبياء: ١٠٤). فذلك حشر غير هذا، ذاك في يوم القيامة بعد نفخة البعث، يوم يقوم الناس من قبورهم حفاة عُرَاة غُرُلًا، أى غير مختننين، وكذلك حشر الكافرين إلى جهنم ورداً؛ أى عطاشاً. وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكُمَا وَصَمًا مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء: ٩٧). فذلك إنما يحصل لهم حين يؤمر بهم إلى النار من مقام المحشر، كما سيأتى بيان ذلك كله في مواضعه، إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه أحمد (٤٤٣/٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الحميدى (٤٨٣)، وأحمد (١٩١٣)، والبخارى (٦٥٢٤) (٦٥٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠)، والنسائى (١١٤/٤)، عن ابن عباس مرفوعاً: «إِنَّكُمْ مَلَاقُوا اللَّهَ حِفَاةَ عُرَاةٍ...» الحديث. وفى الباب حديث ابن مسعود وعائشة.

وقد ذُكرَ في حديث الصُّور: أَنَّ الْأَمْوَاتَ لَا يَشْعُرُونَ بِشَيْءٍ مَّا يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ بِسَبَبِ نَفْخَةِ الْفَزَعِ، وَأَنَّ الَّذِينَ اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ الشَّهَدَاءُ، لِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَهُمْ يَشْعُرُونَ بِهَا وَلَا يَفْزَعُونَ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ لَا يُصْعَقُونَ بِسَبَبِ نَفْخَةِ الصَّعَقِ.

وقد اختلف المفسِّرون في المُسْتَشْنَى مِنْهَا عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا هَذَا، كَمَا جَاءَ مُصْرَحًا بِهِ فِيهِ، وَقِيلَ: بَلْ هُمْ جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ. وَقِيلَ: وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد ذُكرَ في حديث الصُّور أَنَّهُ يُطَوَّلُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مُدَّةٌ مَا بَيْنَ نَفْخَةِ الْفَزَعِ، وَنَفْخَةِ الصَّعَقِ، وَهُمْ يُشَاهِدُونَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ، وَالْأُمُورَ الْعِظَامَ.

نَفْخَةُ الصَّعَقِ

يَمُوتُ بِسَبَبِهَا جَمِيعُ الْمَوْجُودِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ؛ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقِيلَ: هُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ. وَقِيلَ: هُمْ الشَّهَدَاءُ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣، ١٨).

وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الصُّورِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ يَقُولُ لَهُ: «انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعَقِ. فَيَنْفُخُ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلِكِ الْمَوْتِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَتْ أَنْتَ، الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ». فَيَأْمُرُهُ اللَّهُ بِقَبْضِ رُوحِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْخَلَائِقِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، مِنْ قَوْلِهِ: فِيمَا بَلَغَهُ، وَعَنْهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمَلِكِ الْمَوْتِ: «أَنْتَ خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِي، خَلَقْتَنِي لِمَا رَأَيْتَ، فَمَتَّ، ثُمَّ لَا تَحْيَا». وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِيمَا بَلَغَهُ، يَقُولُ لَهُ: «مَتَّ مَوْتًا لَا تَحْيَا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَيَصْرُخُ عِنْدَ ذَلِكَ صَرْخَةً لَوْ سَمِعَهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمَاتُوا فَزَعًا». قَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ: لَمْ يُتَابِعْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَلَمْ يَقُلْهَا أَكْثَرُ الرُّوَاةِ. (١)

قُلْتُ: وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَعْنَى هَذَا: «مَتَّ مَوْتًا لَا تَحْيَا بَعْدَهُ أَبَدًا». يَعْنِي: لَا تَكُونُ بَعْدَ هَذَا مَلَكٌ مَوْتٌ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ لَا مَوْتَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ كَبْشَرٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ». (٢)

(١) سبق تخريجه وهو لا يصح.

(٢) سيأتي تخريجه.

فملك الموت وإن حى بعد ذلك لا يكون ملك موت بعدها أبداً، والله أعلم، بل ينشئه الله خلقاً آخر غير ذلك كالملائكة. وبتقدير صحة هذا اللفظ عن النبي ﷺ فظاهر ذلك أنه لا يحيا بعد موته أبداً، فيكون التأويل المتقدم بعيد الصحة، والله أعلم بالصواب.

فصل

قال في حديث الصور: «فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، كان آخراً كما كان أولاً، طوى السموات والأرض كطوى السجل للكتاب، ثم دحاهما، ثم تلقفهما ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار. ثلاثاً، ثم يتنادى: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول تعالى مجيباً لنفسه: لله الواحد القهار».

وقد قال تعالى: ﴿وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ والأرضَ جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسمواتِ مطوياتٍ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (الزمر: ٦٧). وقال تعالى: ﴿يومَ نطوي السماءَ كطي السجلِ للكتبِ كما بدأنا أولَ خلقِ نعيدهُ وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الأنبياء: ١٠٤). وقال تعالى: ﴿لنبدلَ يومَ التلاقِ (١٥) يومَ هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيءٌ لمن الملكُ اليومَ لله الواحد القهار﴾ (غافر: ١٦، ١٥).

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله تعالى الأرض، ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أنا الجبار، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون» (١) وفيهما عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك» (٢).

وفى «مسند أحمد» و«صحيح مسلم»، من حديث عبيد الله بن مقسم، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ والأرضَ جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسمواتِ مطوياتٍ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (الزمر: ٦٧). ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر «يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر، حتى قلنا: ليخرن به» (٣) وهذا لفظ أحمد، وقد ذكرنا الأحاديث المتعلقة بهذا المقام عند تفسير هذه الآية من كتابنا «التفسير»، بأسانيدها وألفاظها، بما فيه كفاية، والله الحمد.

فصل

قال في حديث الصور: «ويبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها، ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي» إلى آخر الكلام، كما تقدم، قال تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ (إبراهيم: ٤٨) الآية.

- (١) هذا الحديث قريب من حديث ابن عمر، أما حديث أبي هريرة فهو بلفظ: «يقبض الله الأرض، ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض». أخرجه البخاري (٤٨١٢) (٦٥١٩) (٧٣٨٢) (٧٤١٣)، ومسلم (٢٧٨٧)، والدارمي (٢٧٩٩)، وأحمد (٨٨٦٣)، عن الزهري، به.
- (٢) أخرجه البخاري (٧٤١٢)، وأخرجه مسلم (٢٧٨٨) برواية أبي هريرة.
- (٣) أخرجه أحمد (٥٤١٤) بإسناد صحيح على شرط مسلم. وأخرجه مسلم (٢٧٨٨)، والنسائي (٧٦٨٩)، وابن ماجه (١٩٨).

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات؟ فقال: «هم في الظلّة دون الجسر» (١).

وقد يكون المراد بذلك تبدل آخر غير هذا المذكور في هذا الحديث، وهو أن تبدل معالم الأرض فيما بين التفتحين؛ نفخة الصعق، ونفخة البعث، فتسير الجبال وتمد الأرض، ويبقى الجميع صعيداً واحداً، لا أعوجاج فيه ولا روابي ولا أودية، كما قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (٢) فيدّرها قاعاً صفصفاً (٣) لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً (طه: ١٠٥-١٠٧). أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع. وقال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تعملون﴾ (النمل: ٨٨). وقال تعالى: ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾ (النبأ: ٢٠). وقال تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (القارعة: ٥). وقال تعالى: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ (الحاقة: ١٤). وقال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ (الكهف: ٤٧) الآيات.

فصل

قال في حديث الصور: «ثم ينزل الله من تحت العرش ماء، فتمطر السماء أربعين يوماً، حتى يكون الماء فوقكم اثنتي عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات الطرائث، وهي صغار القشاة، أو كنبات البقل». وتقدم في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم، «ثم يرسل مطراً كأنه الطل، أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفتح فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم» (٢). إلى آخر الحديث، قد تقدم بطوله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٣).

وروى مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وذكر الحديث، ثم قال في الثالثة بعد قوله: «أبئت». قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فتنبتون، كما ينبت البقل». قال: «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» (٤). وقد تقدم هذا الحديث من رواية البخاري ومسلم، وليس عند البخاري ما ذكرنا من هذه الزيادة، وهي ذكر نزول الماء إلى آخره.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب «أحوال يوم القيامة»: حدثنا أبو عمارة الحسين بن حريث المروزي، أخبرنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، حدثني أبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت، وفزع الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحش، فمأجوا بعضهم في بعض

(١) أخرجه مسلم (١٣١٥) من حديث ثوبان. وأخرجه أحمد (٣٥/٦)، والحميدي (٢٧٤)، ومسلم (٢٧٩١)، والترمذي (٣١٢١)، وابن ماجه (٤٢٧٩)، والدارمي (٢٨٠٩)، وابن حبان (٣٣١) من حديث عائشة.

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠) وقد سبق.

(٣) سبق قبل قليل.

(٤) رواية عند مسلم (٢٩٥٥).

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥). قال: انْطَلَقَتْ، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (التكوير: ٤). قال: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦)، قال الجنُّ لِلنَّاسِ: نحنُ نأتيكم بالخير، فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نارٌ تَأْجِجُ، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعةً واحدةً، إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريحٌ فأماَّتتهم. (١)

وقال ابنُ أبي الدنيا: حدثنا هارونُ بنُ عُمرٍ القرشيُّ، حدثنا الوليدُ بنُ مُسلم، حدثنا عبدُ الرحمن بنُ يزيد بنِ جابر، عن يزيد بنِ عطاء السَّكْسَكِيِّ، قال: يبعثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً بعدَ قبضِ عيسى ابنِ مريمَ، عليه السلام، وعند ذلِكَ مِنَ السَّاعَةِ، فتقبضُ روحُ كلِّ مؤمنٍ ومُؤمنةٍ، ويبقى شرارُ الناسِ يتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُرِ، عليهم تقوُّمُ السَّاعَةِ، فبينما هم على ذلك إذ بعثَ اللهُ على أهلِ الأرضِ الخوفَ، فترجفُ بهم أقدامهم ومسكنهم، فتخرجُ الجنُّ والإنسُ والشياطينُ إلى سيفِ البحرِ، فيمكثونَ كذلك ما شاء اللهُ، ثم تقولُ الجنُّ والشياطينُ: هَلَمْ نَلْتَمِسُ المَخْرَجَ، فيأتونَ خَافِقَ المَغربِ، فيجدونه قَدْ سُدَّ وعليه الحَفْظَةُ، ثم يرجعونَ إلى الناسِ، فبينما هم على ذلك إذ أشرقت عليهم السَّاعَةُ، ويسمعونَ مُنادياً يُنادي: يا أَيُّهَا النَّاسُ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١) قال: فما المرأةُ بأشدَّ استماعاً من الوليدِ في حجرِها، ثم ينفخُ في الصُّورِ فيصعقُ مَنْ في السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ في الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ. (٢)

وقال أيضاً: حدثنا هارونُ بنُ سُفيان، أخبرنا محمدُ بنُ عمر، حدثنا معاويةُ بنُ صالح، عن عبدِ الرحمن بنِ جُبَيْر بنِ نَفيِر، عن أبيه، عن فضالة بنِ عبيد، عن النبي ﷺ / ح / وحدثنا هشامُ بنُ سعد، عن سعيد بنِ أبي هلال، عن ابنِ حُجيرة، عن عتبة بنِ عامر، عن النبي ﷺ قال: «تَطْلُعُ السَّاعَةُ عَلَيْكُمْ سَحَابَةٌ سَوْدَاءٌ مِثْلُ التُّرْسِ مِنْ قِبَلِ المَغربِ، فَمَا تَرَأَى تَرْتَفِعُ وَتَرْتَفِعُ حَتَّى تَمْلَأَ السَّمَاءَ، وَيُنَادِي مُنَادٌ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ قَدْ أَتَى، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرُّجُلَيْنِ لَيَنْشُرَانِ الثُّوبَ فَمَا يَطْوِيَانِهِ، وَإِنَّ الرُّجُلَ لَيَلُوطُ حَوْضَهُ فَمَا يَشْرَبُ مِنْهُ، وَإِنَّ الرُّجُلَ لَيَحْلِبُ لِحْجَتَهُ، فَمَا يَشْرَبُ مِنْهَا شَيْئاً» (٣).

وقال مُحَارِبُ بنُ دُثَار: وإن الطَّيْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَتَضْرِبُ بِأَذْنَابِهَا، وَتَرْمِي بِمَا فِي حَوَاصِلِهَا مِنْ هَوًى مَا تَرَى، ليس عندها طَلَبَةٌ. (٤) رواه ابنُ أبي الدنيا في «الأهوال».

وقال ابنُ أبي الدنيا: حدثنا الحسنُ بنُ يحيى العبدي، أخبرنا عبدُ الرزاق، أخبرنا عبدُ الله بنُ بحير، سمعتُ عبدَ الرحمن بنَ يزيد الصنعاني، سمعتُ عبدَ الله بنَ عمر يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾». ورواه أحمدُ والترمذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ بَحِير. (٥)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٣) بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٧) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٥) (٢٦) بإسناد ضعيف جداً.

(٤) موضوع: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٣٩)، ومحمد بن الفرات: كذاب روى عن محارب موضوعات.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٩)، وإسناده حسن. وأخرجه أحمد (٤٨٠٦) (٤٩٣٤) (٤٩٤١)، والترمذِيُّ (٣٣٣٣)، والحاكم (٥٧٦/٤)، من طريق عبد الرزاق، به.

نسخة البعث

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨) الآيات إلى آخر السورة، وقال: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (النبا: ١٨) الآيات، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٥٢) الآية. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) فإذا هم بالساهرة ﴿(النازعات: ١٣، ١٤). وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَعْيُنَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٥١-٦٥).

وذكر في حديث الصور بعد نسخة الصعق وفناء الخلق، وبقاء الحي القيوم الذي لا يموت، الذي كان قبل كل شيء، وهو الآخر بعد كل شيء، وأنه يُبدل السموات والأرض بين النفختين، ثم يأمر بإنزال الماء على الأرض، الذي تخلق منه الأجساد في قبورها، وتركب في أجداثها، كما كانت في حياتها في هذه الدنيا، ثم يدعو الله بالأرواح، فيؤتى بها تنوّهج أرواح المؤمنين نورا، والآخرى ظلمة، فتوضع في الصور، ويأمر الله تعالى لإسرافيل أن ينفخ نسخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فتدخل كل روح على جسدها التي كانت فيه في هذه الدار، فتمشي الأرواح في الأجساد مشي السم في اللدغ، ثم تنشق الأرض عنهم، كما تنشق عن نباتها فيخرجون منها سراعا إلى ربهم ينسلون ﴿مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير﴾ (القمر: ٨). حفاة عراة غرلا.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ (المعارج: ٤٣). إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (ق: ٤١). إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٧) مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴿(القمر: ٧-٨). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي النُّفُورِ﴾ (٨) فذلك يومئذ يوم عسير ﴿٩﴾ على الكافرين غير يسير ﴿(المدثر: ٨-١٠). وقال تعالى: ﴿وَمِنْهَا نَخْرُجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه: ٥٥). وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧) ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴿(نوح: ١٧، ١٨). إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على البعث والنشور.

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعرار، عن عبد الله بن مسعود، قال: يرسل الله قبل يوم القيامة ريحا فيها صر، باردة، وزمهريرا باردا، فلا تدرك على الأرض مؤمنا إلا كفت بتلك الريح، ثم تقوم الساعة على الناس، فيقوم ملك بين السماء والأرض بالصور، فينفخ فيه، فلا يبقى خلق في السماء والأرض إلا مات، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فيرسل الله ماء من تحت العرش، فتنبت جسامتهم ولحماهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩). ثم يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور، فينفخ فيه، فتنتلق كل نفس إلى جسدها، فتدخل فيه، ويقومون، فيجيئون قياما لرب العالمين. (١)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاهوال» (٨٠) بإسناد ضعيف.

وعن وهب بن منبه، قال: يبلون في القبور، فإذا سمعوا الصرخة عادت الأرواح في الأبدان، والمفاصل بعضها إلى بعض، فإذا سمعوا النفخة الثانية وثب القوم قياماً على أرجلهم، ينفضون التراب عن رؤوسهم، يقول المؤمنون: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك. (١)

ذكر أحاديث في البعث

قال سفيان الثوري: عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله، قال: يرسل الله ريحاً فيها صرٌّ باردة، وزمهريراً باردة، فلا يبقى على الأرض مؤمنٌ إلا كُفِتَ بتلك الريح، ثم تقوم الساعة. (٢) وذكر الحديث كما تقدم في المقال قبله.

وقال ابن أبي الدنيا: أخبرنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن يعلى ابن عطاء، عن وكيع بن عُدُس، عن عمه أبي رزین، قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيى الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزین، أما مررت بوادي أهلك محلاً، ثم مررت به يهتز خضيراً؟». قلت: بلى. قال: «فكذلك يحيى الله الموتى، وذلك آيته في خلقه». (٣) وقد رواه الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، وغندر، كلاهما عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، به، نحوه أو مثله.

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، فقال: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليمان بن موسى، عن أبي رزین العقيلي، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، كيف يحيى الله الموتى؟ قال: «أمررت بأرض من أرضك مجذبة، ثم مررت بها مخصبة؟». قال: قلت: نعم. قال: «كذلك النشور». قال: قلت: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله عز وجل، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك، كما دخل حب الماء قلب الظمآن في اليوم القاطط». قلت: يا رسول الله، كيف لي بأن أعلم أنني مؤمن؟ قال: «ما من أمتي، أو هذه الأمة، عبد يعمل حسنة، فيعلم أنها حسنة، وأن الله عز وجل جازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة، فيعلم أنها سيئة، ويستغفر الله عز وجل منها، ويعلم أنه لا يغفر إلا هو - إلا وهو مؤمن». (٤) تفرد به أحمد.

حديث أبي رزین في البعث والنشور

أخبرنا شيخنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني - تغمده الله برحمته - وغير واحد من المشايخ، قراءة عليهم، وأنا أسمع، قالوا: أخبرنا فخر الدين علي بن عبد الواحد بن

(١) إلى هنا انتهت رواية ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (٨٣) وإسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (٨١) بإسناد ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (١١/٤، ١٢) بإسناد ضعيف.

البخاري، وغير واحد، قالوا: أخبرنا حنبل بن عبد الله المكبر، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسين الشيباني، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي، ابن المذهب التميمي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، في «مسند أبيه»، قال: كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث، وقد عرضته، وسمعت على ما كتبت به إليك، فحدث بذلك عنى. قال: حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي، قال: حدثني عبد الرحمن بن عياش السلمي الأنصاري القباثي - من بني عمرو بن عوف - عن دهل بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر - قال دهل: وحدثني أبي الأسود، عن عاصم بن لقيط - أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له، يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدما على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: «أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، ألا لأسمعكن، ألا فهل من امرئ يعنه قومه، فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ، ألا ثم لعلنا أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه الضلال، ألا إني مسئول: هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا». قال: فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله، وهز رأسه، وعلم أنني أتبعني لسقطه، فقال: «ضن ربك، عز وجل، بمفاتيح خمس من الغيب، لا يعلمها إلا الله». وأشار بيده، قلت: وما هن؟ قال: «علم النبوة، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم متى يكون في الرحم، قد علمه ولا تعلمون، وعلم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزليين مستنيتين، فيظل يضحك، قد علم أن غيركم إلى قريب». قال لقيط: قلت: لئن نعدم من رب يضحك خيراً. «وعلم يوم الساعة». قلت: يا رسول الله، علمنا مما تعلم الناس، وما تعلم، فإننا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذبح التي تربو علينا، وحثهم التي ثوالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: «تلبثون ما تلبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون ما تلبثتم، ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، عز وجل، فأصبح ربك، عز وجل، يطوف في الأرض وملت عليه البلاد، فأرسل ربك، عز وجل، السماء تهضب من عند العرش، فلعمرك إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه، حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوي جالسا، فيقول ربك: مهيم؟ لما كان فيه، فيقول: يا رب، أمس، اليوم، فلعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله». فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: «أنبيك يمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرقت عليها وهي مدرة بالية»، فقلت: لا تحيا أبداً. «ثم أرسل ربك، عز وجل، عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرقت عليها، وهي شربة واحدة، ولعمرك إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء، على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء، ومن مصارعكم، فتنتظرون إليه، وينظر إليكم».

قال: قلت: يا رسول الله، وكيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ينظر إلينا، وننظر إليه؟ قال: «أُنْفِثَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلاءِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَةٌ مِنْهُ صَغِيرَةٌ، تَرَوْنَهُمَا وَيَرِيَانُكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَوْ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرَوْنَهُ مِنْهُمَا..»

قال: قلت: يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا، عز وجل، إذا لقيناه؟ قال: «تَعْرِضُونَ عَلَيْهِ بِأَدْيَةٍ لَهُ صَفَحَاتُكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَيَأْخُذُ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، بِيَدِهِ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ، فَيَنْضَحُ قَبِيلَكُمْ بِهَا، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرْ نَبِيَّكُمْ، وَيَنْصُرِ الصَّالِحُونَ عَلَى أَشْرِهِ، فَتَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ، فَيَطَأُ أَحَدُكُمْ الْجَمْرَ فَيَقُولُ: حَسْبُ. فَيَقُولُ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ: أَوْ أَنَّهُ. فَتَطْلَعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى أَظْلَمَ - وَاللَّهِ - نَاهِلَةٍ قَطْرَ رَأْيَتِهَا، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرْ نَبِيَّكُمْ يَدُهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدْحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ الطُّوفِ وَالْبَوْلِ وَالْأَذَى، وَتَحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا..» قال: قلت: يا رسول الله، فَبِمَ نَبْصُرُ؟ قال: «بِمِثْلِ بَصَرِكَ سَاعَتِكَ هَذِهِ، وَذَلِكَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ أَشْرَقَتْ فِيهِ الْأَرْضُ وَوَجَّهَتْهُ الْجِبَالُ».

قال: قلت: يا رسول الله، فَبِمَ نُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا وَحَسَنَاتِنَا؟ قال: «الْحَسَنَةُ بَعِشْرُ أَمْثَالِهَا، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ». قال: قلت: يا رسول الله، مَا الْجَنَّةُ وَمَا النَّارُ؟ قال: «لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ لِلنَّارِ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهُمْ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا، وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهُمْ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا..» قال: قلت: يا رسول الله، فَعَلَامَ تَطْلُعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قال: «عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بَهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلَا نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَفَاكِهَةٍ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا تَعْلَمُونَ، وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ».

قلت: يا رسول الله، ولنا فيها أزواج؟ أو منهن مصلحات؟ قال: «الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلَدُّوهُنَّ مِثْلَ لَدَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلْدُذْنَ بِكُمْ، غَيْرَ أَنَّ لَا تَوَالِدَ».

قال لقيط: فقلت: أَقْصَى مَا نَحْنُ بِالْغَوْنِ وَمُتَنَهِّونَ إِلَيْهِ؟ فلم يجبه النبي ﷺ، قلت: يا رسول الله، عَلَامَ أَبَايَعُكَ؟ قال: فبسط رسول الله ﷺ يده، وقال: «عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَزِيَالِ الْمُشْرِكِ، وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ».

قال: قلت: وَإِنَّ لَنَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ فَقَبَضَ النَّبِيُّ ﷺ يده، وَظَنَّ أَنِّي مُشْتَرِطٌ شَيْئًا لَا يُعْطِينِيهِ. قال: قلت: نَحُلُّ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا، وَلَا يَجْنِي عَلَى أَمْرِي إِلَّا نَفْسُهُ، فَبَسَطَ يده وقال: «ذَلِكَ لَكَ، تَحُلُّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا يَجْنِي عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسُكَ». قال: فَانصَرَفْنَا، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ - لَعَمْرُ اللَّهِ - مِنْ أَتَقَى النَّاسَ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ». فقال له كَعْبُ بْنُ الْخُدَّارِيَّةِ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ: مَنْ هُم يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «بَنُو الْمُتَنَفِّقِ أَهْلُ ذَلِكَ». قال: فَانصَرَفْنَا، وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِأَحَدٍ مِنْ مَضَى خَيْرٌ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ؟ قال: فقال رجلٌ من عُرُضِ قُرَيْشٍ: وَاللَّهِ إِنْ أَبَاكَ الْمُتَنَفِّقَ لَقِيَ النَّارَ. قال: فَلَكَّأَنَّهُ وَقَعَ حَرٌّ بَيْنَ جِلْدِي وَوَجْهِِي وَلَحْمِي؟ مِمَّا قَالَ لِأَبِي، عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: وَأَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا الْآخَرَى أَجْمَلُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

وأهلك؟ قال: «وأهلى، لعمرك الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك، فقل: أرسلني إليك محمدًا، فأبشرك بما يسوءك: تجر على وجهك ويطنك في النار».

قال: قلت: يا رسول الله، ما فعل بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه، وقد كانوا يحسنون أنهم مصلحون؟ قال: «ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم - يعني نبيًا - فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين» (١).

وقد رواه أبو داود في رواية أبي سعيد ابن الأعرابي، عن أبي داود، عن الحسن بن علي، عن إبراهيم بن حمزة، به، قال شيخنا: لعله من زيادات ابن الأعرابي.

وقال الوليد بن مسلم، وقد جمع أحاديث وآثاراً في مجلد تشهد لحديث الصور في متفرقاته: أخبرنا سعيد بن بشير، عن قتادة، في قوله: «واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب» (ق: ٤١). قال: ملك قائم على صخرة بيت المقدس، ينادي أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمعين لفصل القضاء (٢). وبه عن قتادة قال: لا يفتر عن أهل القبور عذاب القبر إلا فيما بين نفخة الصعق ونفخة البعث، فلذلك يقول الكافر حين يبعث: «يا ويلنا من بعثنا من مرقدا» (يس: ٥٢). يعني تلك الفترة، فيقول له المؤمن: «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» (يس: ٥٢). (٣)

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثني علي بن الحسين بن أبي مريم، عن محمد بن الحسين، حدثني صدقة بن بكر السعدي، حدثني معدي بن سليمان، قال: كان أبو مجلّم الجسري يجتمع إليه إخوانه، وكان حكيمًا، وكان إذا تلا هذه الآية: «ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» (٥١) قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يس: ٥١، ٥٢) بكى، ثم قال: إن القيامة لعاريض، صفة ذهبت فظاعتها بأوهام العقول، أما والله، لئن كان القوم في رقدة مثل ظاهر قولهم، لما دُعوا بالويل عند أول وهلة من بعثهم، ولم يوقفوا بعد موقف عريض ولا مساءلة، إلا وقد عاينوا خطرًا عظيمًا، وحققت عليهم القيامة بالجلال من أمرها، ولئن كانوا في طول الإقامة في البرزخ! كانوا يألمون ويعدبون في قبورهم، فما دُعوا بالويل عند انقطاع ذلك عنهم إلا وقد نقلوا إلى طامة هي أعظم منه، ولولا أن الأمر على ذلك لما استصغر القوم ما كانوا فيه فسموه رقادًا بالنسبة إلى ما يستقبلون من أهوال يوم القيامة، كما يقال هذا الشيء عند هذا الشيء رقادًا، وإن كان في الأول شدائد وأهوال، ولكنه بالنسبة إلى ما هو أشد منه وأدهى وأمرُّ كأنه رقاد، وإن في القرآن لدليلاً على ذلك، حين يقول: «فإذا جاءت الطامة الكبرى» (النازعات: ٣٤). قال: ثم يبكي حتى يبُلّ لحية.

وقال الوليد بن مسلم: حدثني عبد الله بن العلاء، حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي، سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: اجتمع الناس إلى سائح بين العراق والشام في الجاهلية، فقام فيهم

(١) أحمد (١٤-١٣/٤)، وإسناده ضعيف لأنه مسلسل بالمجاهيل، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٤) (٦٣٦)، والطبراني (٤٧٧/١٩).

(٢) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٧٦)، وابن جرير (١١٤/٢٦)، وإسناده ضعيف.

(٣) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٨٦) بإسناد ضعيف.

فقال: أيها الناس، إنكم ميتون، ثم مبعوثون إلى الإذانة والحساب. فقام رجل فقال: والله لقد رأيت رجلاً لا يعيئه الله أبداً، رأيته، وقع عن راحلته في موسم من مواسم العرب، فوطئته الإبل بأخفافها، والدواب بحوافرها، والرجالة بأرجلها، حتى رم فلم يبق منه أثلة. فقال السائح: بيد أنك من قوم سخيصة أحلامهم، ضعيف يقينهم، قليل علمهم، لو أن الضيغ بيئت تلك الرمة فأكلتها، ثم ثلثتها، ثم غدت عليه الثاب فأكلته وبعرته، ثم غدت عليه الجلالة فالتقطته، ثم أوقدته تحت قدر أهلها، ثم نسفت الرياح رماده - لأمر الله يوم القيامة كل شيء أخذ منه شيئاً أن يرده، فرده، ثم بعته الله للإذانة والثواب. (١)

وقال الوليد بن مسلم: حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ أن شيخاً من شيوخ الجاهلية القساة قال: يا محمد، ثلاث بلغني أنك تقولهن، لا ينبغي لذي عقل أن يصدقك فيهن؛ بلغني أنك تقول: إن العرب تاركة ما كانت تعبد هي وآباؤها، وإنا سنظهر على كنوز كسرى وقيصر، وإنا سنبعث بعد أن نرّم. فقال رسول الله ﷺ: «أجل، والذي نفسي بيده، لتتركن العرب ما كانت تعبد هي وآباؤها، ولتظهرن على كنوز كسرى وقيصر، ولتموتن ثم لتبعثن، ثم لأخذن بيدك يوم القيامة فلاذكرنك مقاتلتك هذه». قال: ولا تضلني في الموتى ولا تنساني؟ قال: «ولا أضلك في الموتى ولا أنساك». قال: فبقى ذلك الشيخ حتى قبض رسول الله ﷺ، ورأى ظهور المسلمين على كنوز كسرى وقيصر، فأسلم، وحسن إسلامه، وكان كثيراً ما يسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحيبه وبكاءه، في مسجد رسول الله ﷺ لإعظامه ما كان واجه به رسول الله ﷺ، وكان عمر يأتيه ويسكن منه، ويقول: قد أسلمت ووعدك رسول الله ﷺ أن يأخذ بيدك، ولا يأخذ رسول الله ﷺ بيد أحد إلا أفلح وسعد، إن شاء الله. (٢)

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب، أخبرنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: جاء العاصم بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل فقتله، وقال: يا محمد، أبيعك الله هذا؟ قال: «نعم، يميئك الله، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم». فتركت وضرب لنا مثلاً ونبي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (يس: ٧٨، ٧٩). (٣)

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ (الواقعة: ٦٢). قال: خلق آدم وخلقكم، ﴿فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ (الواقعة: ٥٧). قال: فهلا تصدقون.

وعن أبي جعفر الباقر قال: كان يقال: عجباً لمن يكذب بالنشأة الآخرة، وهو يرى النشأة الأولى، يا عجباً كل العجب لمن يكذب بالنشأة بعد الموت، وهو ينشر في كل يوم وكيلة. رواه ابن أبي الدنيا. وقال أبو العالبيه في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧) قال: إعادته أهون عليه من ابتدائه، وكل عليه يسير. رواه ابن أبي الدنيا.

(١) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٠٧) بإسناد صحيح.

(٢) معضل: أخرجه ابن أبي الدنيا (٨٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا (٨٨) بإسناد ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كَذَبَنِي عَبْدِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمْ تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي. وَأَمْ شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (١). وهو ثابت في «الصحيحين».

وفيهما قصة الذي عهد إلى بنيه إذا مات أن يحرقوه، ثم يذروا - يوم ربح - نصف رماده في البر ونصفه في البحر، وقال: والله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين. وذلك أنه لم يدخر له عند الله حسنة واحدة. فلما مات فعل به بنوه ما أمرهم به. فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، فإذا هو رجل قائم بين يدي ربه، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: خشيتك، وأنت أعلم. قال رسول الله ﷺ: «فهما تلافاه أن غفر له» (٢).

وعن صالح المري قال: دخلت المقابر نصف النهار، فنظرت إلى القبور كأنهم قوم صموت، فقلت: سبحان من يحييكم وينشركم من بعد طول البلى. فهتف بي هاتف من بعض تلك الحفر: يا صالح، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون (الروم: ٢٥). قال: فخررت والله مغشياً عليّ (٣).

ذكر أسماء يوم القيامة

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في كتاب «العاقبة»: يوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة؟ يوم الحسرة والندامة، يوم يجد كل عامل عمله أمامه، يوم الدمعة، يوم الزلزلة، يوم الصاعقة، يوم الواقعة، يوم الرجفة، يوم الواجفة، يوم الرادفة، يوم الغاشية، يوم الداهية، يوم الآزفة، يوم الحاقة، يوم الطامة، يوم الصاخة، يوم التلاق، يوم الفراق، يوم المشاق، يوم الإشفاق، يوم الإشتاق، يوم القصاص، يوم لات حين مناص، يوم التناد، يوم الأشهاد، يوم المعاد، يوم المرصاد، يوم المساءلة، يوم المناقشة، يوم الحساب، يوم المآب، يوم العذاب، يوم الثواب، يوم الفرار لو وجد الفرار، يوم القرار، إما في الجنة وإما في النار، يوم القضاء، يوم الجزاء، يوم البكاء، يوم البلاء، يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً، يوم الحشر، يوم النشر، يوم الجمع، يوم البعث، يوم العرض، يوم الوزن، يوم الحق، يوم الحكم، يوم الفصل، يوم عقيم، يوم عسير، يوم قمطرير، يوم عصب، يوم الشور، يوم المصير، يوم الدين، يوم اليقين، يوم النفخة، يوم الصيحة، يوم الرجفة، يوم السكر، يوم الرجفة، يوم الفرع، يوم الجزع، يوم القلق، يوم الفرق، يوم العرق، يوم الميقات، يوم تخرج

(١) أخرجه أحمد (٨٢٢٠) بإسناد صحيح على شرطهما، وأخرجه البخاري (٤٩٧٥)، وابن حبان (٨٤٨)، من طريق عبد الرزاق، به.

(٢) أخرجه مالك (٢٤٠/١)، وأحمد (٧٦٤٧) (٨٠٤٠)، والبخاري (٣٤٨١) (٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦)، والنسائي (١١٢/٤)، وابن ماجه (٤٢٥٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة، وفي الباب حديث ابن مسعود، ومعاوية بن حيدة، وأبي سعيد، وحذيفة، وسلمان، وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الآهوال» (٢١٦)، وفي «الهواتف» (٤٧)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص ٢٨٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٠/٦)، وإسناده ضعيف.

الأموات، يومُ تَظْهَرُ الحَبِيبَاتُ، يومُ الانْشِقَاقِ، يومُ الانْكِدَارِ، يومُ الانفِطَارِ، يومُ الانتِشَارِ، يومُ الافتقارِ، يومُ الوقوفِ، يومُ الخُرُوجِ، يومُ الانْصِدَاعِ، يومُ الانْقِطَاعِ، يومُ معلومٍ، يومُ موعودٍ، يومُ مشهودٍ، يومُ تَبْلَى السَّرَائِرُ، يومُ يَظْهَرُ ما في الضمائرِ، يومُ لا تَجْزِي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً، يومُ لا تَمْلِكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً، يومُ يُدْعَى فيه إلى النارِ، يومُ لا سِجْنَ إِلَّا النارُ، يومُ تُتَقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصارُ، يومُ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ - وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ -، يومُ تُقَلَّبُ وجوهُهُمْ في النارِ، يومُ البروزِ، يومُ الورودِ، يومُ الصدورِ مِنَ القبورِ إلى الله، يومُ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بنونٌ، يومُ لا تَنْفَعُ المَعْذِرَةُ، يومُ لا يُرْتَجَى فيه إِلَّا المغفرةُ.

قال: وأهولُ أسمائه وأبشعُ ألقابه يومُ الخلودِ، وما أدراك ما يومُ الخلودِ، يومُ لا انقطاعَ لعِقابه، ولا يُكْشَفُ فيه عن كَافِرٍ ما به، فتَعَوَّذُ بالله، ثم نعوذُ بالله من غضبه وعقابه وبلائه، وسوء قضائه، برحمته وكرمه وجوده وإحسانه، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

ذَكَرَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هُوَ يَوْمُ التَّفَخُّ فِي الصُّورِ

لِبَعْثِ الْأَجْسَادِ مِنْ قُبُورِهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ

وقد وردَ في ذلك أحاديثٌ:

قال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ، عن يزيدَ بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تَيْبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيبُهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (١).

ورواه أبو داود - واللفظُ له - والترمذيُّ من حديثِ مالكٍ. وأخرجه النسائيُّ عن قُتَيْبَةَ، عن بكر بن مُضَرٍّ، عن ابنِ الهاد، به نحوه، وهو أتمُّ.

وقد روى الطبراني في «معجمه الكبير»، من طريق آدم بن عليٍّ، عن ابنِ عمر مرفوعاً: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي الْأَذَانِ». قال الطبراني: يعني أذانَ الفجرِ يومَ الجمعة. (٢)

وقال الإمامُ محمد بنُ إدريسَ الشافعي في «مسنده»: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبيد الله بن عمير، أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريلُ بمِزَّةٍ بيضاءَ فيها وَكْتَةٌ إلى النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «مَا هَذِهِ؟». قال: هذه الجمعةُ فَضَّلْتَ بها أنتَ وأمتُك، فالتَّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعٌ؛ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، وفيها

(١) أخرجه مالك (١٠٨/١)، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٩١)، وابن حبان (٢٧٧٢)، والحاكم (٢٧٨/١) - (٢٧٩)، وأحمد (٤٨٦/٢)، وإسناده صحيح.

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٢/١٠): وعن ابن عمر مرفوعاً: «ما هلك قوم لوط إلا في الأذان...» الحديث. وقال: أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن علي وهو ثقة.

ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزد. قال النبي ﷺ: «يا جبريل، وما يوم المزد؟» قال: «إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح، فيه كُتُبُ مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من الملائكة، ونزل على كرسيه، وحف حوله منابر من نور، عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد، عليها الشهداء والصدّيقون، فجلسوا من ورائهم، على تلك الكتب، فيقول الله: أنا ربكم، قد صدقتم وعدي، فسألوني أعطكم. فيقولون: ربنا، نسألك رضوانك. فيقول: قد رضيتم عنكم، ولكم على ما تمنيت، ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة» (١).

ثم رواه الشافعي، عن إبراهيم بن محمد أيضاً، حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد، عن أنس، شبيباً به، قال: وزاد فيه أشياء (٢). قلت: وسألتني ذكر هذا الحديث، إن شاء الله تعالى، في كتاب صفة الجنة بشواهد وأسانيد، وبالله المستعان.

وقال الإمام أحمد (٣): حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي». فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ يعني وقد بليت. قال: «إن الله عز وجل، حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، صلوات الله عليهم». ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من حديث الحسين بن علي الجعفي مثله. وفي رواية لابن ماجه عن شدد بن أوس (٤)، بذلك أوس بن أوس، قال شيخنا: وذلك وهم.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو عامر، عبد الملك بن عمرو، حدثنا زهير، يعني ابن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري، عن أبي لبابة ابن عبد المنذر، أن رسول الله ﷺ قال: «سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عنده، وأعظم عند الله، عز وجل، من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خصال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا آتاه الله تبارك وتعالى إياه، ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر، إلا وهن يشققن من يوم الجمعة» (٥). ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي بكير، عن زهير، به.

(١) أخرجه الشافعي في «المسند» (ص ٧٠-٧١)، وفي «الأم» (١/١٨٥)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الشافعي في «المسند» (ص ٧١)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٤/٨)، وإسناده صحيح.

(٤) الصواب أوس بن أوس، وهو مختلف في اسمه.

(٥) أخرجه أحمد (٣/٤٣٠)، وابن ماجه (١٠٨٤)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٨٨٨).

وقد روى الطبراني (١) عن ابن عمر مرفوعاً: «إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ وَقْتَ الْأَذَانِ لِلصُّجْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

وقد حكى أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة» أَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ يَوْمَ جُمُعَةٍ لِلنَّصَفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَهَذَا غَرِيبٌ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن كثير، حدثنا قرط بن حريث أبو سهل، عن رجل من أصحاب الحسن، قال: قال الحسن: يومان وليلتان لم يسمع الخلائق بمثلهن قط؛ ليلة تبيت مع أهل القبور، ولم تبت ليلة قبلها مثلها، وليلة صبيحتها تسفر عن يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله إما بالجنة وإما بالنار، ويوم تُعطى كتابك إما يمينك وإما بشمالك (٢). وكذا روى عن عامر بن قيس، وهرم بن حيان وغيرهما؛ أنهم كانوا يستعظمون الليلة التي يسفر صبيحتها عن يوم القيامة (٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير العبدى، حدثني محمد بن سابق، حدثنا مالك بن مغول، عن جند (٤)، قال: بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد، وفي يده قليلة (٥)، وهو يمس ماءها، ثم يمجه في الحصى، إذ تنفس تنفساً شديداً، ثم بكى حتى أُرعد منكبا، ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً، لأبكيكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة. أى: ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة، ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه عودة بادية، ولا عينا باكية من يوم القيامة (٦).

ذَكَرَ أَنْ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

قال مسلم بن الحجاج: حدثني الحكم بن موسى أبو صالح، حدثنا هقل، يعني ابن زياد، عن الأوزاعي، حدثني أبو عمارة، حدثني عبد الله بن قروخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ» (٧). وقال هشيم، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ» (٨).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، أخبرنا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْنَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ،

(١) سبق الكلام عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاهوال» (١٤)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٢٨٢)، وابن أبي الدنيا في «الاهوال» (١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١٩/٢)، عن سيار عن جعفر حدثني مطر الوراق قال: بات هرم بن حيان العبدى عند حممة، فبات حممة باكية... وإسناده ضعيف.

(٤) عند ابن أبي الدنيا «جند» وهو الصواب.

(٥) عند ابن أبي الدنيا «بليلة» وهو كوز فيه بلبل إلى جانب رأسه.

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢/٢٢٥)، وابن أبي الدنيا في «البكاء» (٣٠٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٣/٢) وسنده حسن.

(٧) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٨) أخرجه أحمد (٢/٣) وسنده ضعيف والحديث صحيح.

ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرَى أَحُوسِبُ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي؟^(١). وهو في الصحيح بقريب من هذا السياق.

والحديث في «صحيح مسلم»: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرَى أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزَى بِصَعْقَةِ الطُّورِ».^(٢)

فذكر موسى في هذا السياق فيه نظر، ولعله من بعض الرواة؛ دخل عليه حديث في حديث؛ فإن التردد ههنا فيه لا يظهر، لا سيما قوله: «أَمْ جُوزَى بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

وقال ابن أبي الدنيا أيضاً: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا سفيان، هو ابن عيينة، عن عمرو، هو ابن دينار، عن عطاء وابن جُدعان^(٣)، عن سعيد بن المسيب، قال: كان بين أبي بكر وبين يهودي منازعة، فقال اليهودي: والذي اصطفتي موسى على البشر. فلطمه أبو بكر، فأتى اليهودي رسول الله ﷺ، فقال: «يَا يَهُودِي، أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَأَجِدُ مُوسَى مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرَى هَلْ كَانَ قَبْلِي، أَوْ جُوزَى بِالصَّعْقَةِ».^(٤)

وهذا مرسل من هذا الوجه، والحديث في «الصحيحين» من غير وجه بالفاظ مختلفة، وفي بعضها أن اللاطم لهذا اليهودي إنما هو رجل من الأنصار، لا الصديق. فالحق أعلم. ومن أحسنها سياقاً: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرَى أَصَبَقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزَى بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

وهذا كما سيأتي بيانه يقتضي أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، وهو صعق آخر غير المذكور في القرآن، وكأن سبب هذا الصعق في هذا الحديث التجلي يعني تجلي الرب سبحانه إذا جاء لفصل القضاء، فيصعق الناس كما خر موسى صعقاً يوم الطور. والله أعلم.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَأَنِّي أَرَانِي أَنْفَضُ رَأْسِي مِنَ التُّرَابِ، فَأَلْتَفَتُ، فَلَا أَرَى أَحَدًا إِلَّا مُوسَى مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرَى أَمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهُ أَنْ لَا تُصِيبَهُ النَّفْخَةُ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»^(٥). وهذا مرسل أيضاً، وهو أضعف.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد ابن أبي عمرو، قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانِي، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا موسى بن أعين، عن معمر بن راشد، عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «البعث والنشور» وهو صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة.

(٣) في «فتح الباري» (٣٤٤/٦) (عن عطاء وابن جُدعان) معاً.

(٤) أخرجه سفيان في «جامعه» وابن أبي الدنيا في «البعث»، وقال الحافظ في «الفتح» (٣٤٤/٦): مرسل إسناده صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «البعث» وهو مرسل.

وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ، بِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ تَحْتَى آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ»^(١). لم يخرجوه، وإسناده لا بأس به.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو سلمة المخزومي، أنبأنا عبد الله بن نافع، عن عاصم بن عمر، عن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن، عن سالم بن عبد الله، وقال غير أبي سلمة: عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ، فَيَحْشَرُونَ مَعِيَ، ثُمَّ أُنْتَظَرُ أَهْلُ مَكَّةَ فَيَحْشَرُونَ مَعِيَ، فَأَحْشَرُ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»^(٢).

وقال أيضاً: أخبرنا الحكم بن موسى، أخبرنا سعيد بن مسلمة، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وهو متكئ عليهما، قال: «هَكَذَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ثوبان بن وهب أن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة، حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه ﷺ^(٤).

وأخبرنا هارون بن عمر القرشي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا مروان بن سالم، عن يونس بن سيف، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَحْشَرُ النَّاسُ رِجَالًا، وَأَحْشَرُ رَاكِبًا عَلَى الْبِرَاقِ، وَبِلَالٌ بَيْنَ يَدَيَّ، عَلَى نَاقَةِ حَمْرَاءَ، فَإِذَا بَلَغْنَا مَجْمَعَ النَّاسِ نَادَى بِلَالٌ بِالْأَذَانِ، فَإِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَدَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ»^(٥). وهذا مرسل من هذا الوجه.

ذِكْرُ بَعْثِ النَّاسِ حِفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا،

وَذِكْرُ أَوَّلِ مَنْ يَكْسَى يَوْمَئِذٍ مِنَ النَّاسِ

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بقية، حدثنا الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا». قال: فقالت عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعمورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٧).^(٦) وأخرجناه في «الصحيحين» من حديث حاتم بن أبي صغيرة، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة، بنحوه.^(٧)

(١) قلت: بل إسناده ضعيف والحديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «البعث»، والحاكم (٤٦٥/٢)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٩)، وابن ماجه (٩٩)، والحاكم (٦٨/٣)، وابن أبي عاصم في «السنن» (١٤١٨)، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٠/٥) وإسناده صحيح مع وقفه.

(٥) معضل: إسناده ضعيف جداً.

(٦) أخرجه أحمد (٩٠/٦)، وله شواهد يصح بها.

(٧) أخرجه أحمد (٥٣/٦)، والبخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شعبة، حدثنا المغيرة بن النعمان، شيخ من النخع، قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث، قال: سمعت ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا» كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين» (الأنبياء: ١٠٤). ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وأنه سيحيا بأناس من أمته فيؤخذ بهم ذات الشمال، فلاقولن: أصحابي. فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فلاقولن كما قال العبد الصالح: «وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد» (١٧٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» (المائدة: ١١٧، ١١٨). فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (١). أخرجاه في «الصحيحين» من حديث شعبة. ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة. وفي «الصحيحين» من حديثه، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مرفوعا: «إنكم محشورون إلى الله، عز وجل، حفاة عراة غرلا» (٢). ورواه البيهقي من حديث هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تَحْشَرُونَ حُفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا». فقالت زوجته: أينظر بعضنا إلى عورة بعض؟ فقال: «يا فلانة، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» (عبس: ٣٧). (٣)

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، وأبو سعيد محمد بن موسى، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن أبي خالد الدالاني، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن أبي هريرة، قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً، شَاخِصَةً أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ، ثُمَّ يُقَالُ: اكْسُوا إِبْرَاهِيمَ. فَيُكْسَى قُبْطِيَّتَيْنِ مِنْ قُبَاطِي الْجَنَّةِ. قَالَ: ثُمَّ يَنَادِي لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقْجَرُ لَهُ الْخَوْضَ، وَهُوَ مَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَيَشْرَبُ وَيَغْتَسِلُ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُ الْخَلَائِقِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَطَشِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، فَأَقُومُ عَنْ -أَوْ عَلَى- يَمِينِ الْكُوسِيِّ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ يَوْمَئِذٍ غَيْرِي، فَيُقَالُ: سَلْ تَعْطُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ». فقام رجل، فقال: أترجو لوالدك شيئا؟ فقال: «إني شافع لهما، أعطيت أو منعت، ولا أرجو لهما شيئا».

قال البيهقي: قد يكون هذا قبل نزول النهي عن الاستغفار للمشركين، والصلاة على المنافقين. (٤)

وقال القرطبي: وروى ابن المبارك، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن علي، قال: «أول من يكسى الخليل قبطيتين، ثم محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش». (٥)

(١) سبق قريباً. (٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٠١)، والحاكم (٢/٢٥١)، وقال: على شرطهما ووافقه الذهبي. وأخرجه الترمذي (٣٣٣٢) وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٤٣)، وإسناده ضعيف وفيه تكارة.

(٥) في «التذكرة» (ص ٢١١) وقال: رواه ابن المبارك في «رقائقه». قلت: هو في «الزهد» (٣٦٤) وإسناده ضعيف.

وقال أبو عبد الله القرطبي في كتاب «التذكرة»^(١): وروى أبو نعيم الأصبهاني، من حديث الأسود، وعلقمة، وأبي وائل، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، يقول الله تعالى: اكسوا خليلي. فيؤتى بريطتين بيضاوين»^(٢)، فيلبسهما، ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتي، فالبسها، فأقوم عن يمينه قياماً لا يقومه أحد غيري فيحيطني فيه الأولون والآخرين»^(٣).

قال القرطبي: وقال الحلبي في «مناهج الدين» له: وروى عباد بن كثير، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: إن المؤذنين والمليين يخرجون يوم القيامة من قبورهم، يؤذن المؤذن، ويلبى الملبى، وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم، ثم محمد ﷺ، ثم النبيون، ثم المؤذنون. وذكر تمامه^(٤). ثم شرع القرطبي يذكر المناسبة في تقديم إبراهيم الخليل ﷺ في الكسوة يومئذ، من ذلك أنه أول من لبس السراويل؛ مبالغة في التستر، وأنه جرد يوم ألقى في النار، والله أعلم^(٥).

وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أويس، حدثني أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال النبي ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً، قد أجمهم العرق، فبلغ شحوم الأذان». قلت: يا رسول الله، وأسواتاه، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يشغل الناس عن ذلك، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغيه»^(٦). إسناده جيد، وليس هو في المسند ولا في الكتب.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا سعيد بن سليمان، عن عبد الحميد بن سليمان، حدثني محمد بن أبي موسى، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحفش الناس حفاة عراة كما يدعوا». قالت أم سلمة: يا رسول الله، هل ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «شغل الناس». قلت: وما شغلهم؟ قال: «نشر الصحف فيها مناقيل الذر، ومناقيل الخردل»^(٧).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمر بن شبة، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا سفيان، يعني الثوري، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً». قال البزار: أحسب أن عمر بن شبة غلط فيه، فدخل عليه متن حديث في إسناده حديث، وإنما هذا الحديث عن سفيان الثوري، عن مغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس. قال: وليس لسفيان الثوري عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود حديث

(١) «التذكرة» (ص ٢١١).

(٢) الربيعة: الثوب الرقيق اللين.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٣٨-٢٣٩) بإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٥٥٨) وإسناده ضعيف جداً.

(٥) «التذكرة» (ص ٢١١).

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٠٠) وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (٢٣٣) وإسناده ضعيف.

مُسْنَدٌ (١). وهكذا رواه ابن أبي الدنيا، عن عمر بن شبة، به مثله، وزاد: «وَأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ». (٢)

وقال ابن أبي الدنيا (٣): حدثنا أبو عمّار الحسين بن حريث، أخبرنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس، قال: سألت عائشة رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، كيف يحشر الرجال؟ فقال: «حُفَاةٌ عُرَاةٌ». ثم انتظرت ساعة، ثم قالت: يا رسول الله، كيف يحشر النساء؟ قال: «كَذَلِكَ، حُفَاةٌ عُرَاةٌ». قالت: وأسوأته من يوم القيامة. قال: «وَعَنْ أَى ذَلِكَ تَسْأَلِينَ؟ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ عَلَى آيَةٍ لَا يَضُرُّكَ كَانَ عَلَيْكَ ثِيَابٌ أَمْ لَا». قالت: أَى آيَةٍ يا رسول الله؟ قال: «لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ» (عيس: ٣٧).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى: حدثنا روح بن حاتم، حدثنا هُشَيْمٌ، عن الكوثر، وهو ابن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ كَمَا وَلَدَتْهُمُ أُمَّهَاتُهُمْ؛ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرُلًا». فقالت عائشة: والنساء بأبى أنت وأُمِّي؟! فقال: «نَعَمْ». فقالت: وأسوأته! فقال رسول الله ﷺ: «وَمِنْ أَى شَيْءٍ عَجِبْتَ يَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ؟» فقالت: عَجِبْتُ مِنْ حَدِيثِكَ، يُحْشَرُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. قال: فضرب على منكبها، فقال: «يَا بِنْتُ أَبِي قُحَاةٍ، شَغِلَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّظَرِ، وَسَمَوْا بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، مُوقِفُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ، شَاخِصِينَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعِرْقُ قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ بَطْنَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْجِمُهُ الْعِرْقُ، مِنْ طُولِ الْوُقُوفِ، ثُمَّ يَتَرَحَّمُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى الْعِبَادِ، فَيَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، فَيَحْمِلُونَ عَرْشَهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَوْضَعَ عَرْشَهُ فِي أَرْضٍ بَيْضَاءَ لَمْ يَسْفِكْ عَلَيْهَا دَمٌ وَلَمْ يَعْملْ فِيهَا خَطِيئَةً، كَأَنَّهَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ، ثُمَّ تَقُومُ الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ، وَذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ نَظَرَتْ فِيهِ عَيْنٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَأْمُرُ مُتَادِيَا فَيَنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ الثَّقَلَانِ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ: أَيْنَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ؟ أَيْنَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ؟ فَيَشْرَبُ النَّاسُ لِذَلِكَ الصَّوْتِ، وَيَخْرُجُ ذَلِكَ الْمُنَادِي مِنَ الْمَوْقِفِ، فَيَعْرِفُهُ اللَّهُ النَّاسُ، ثُمَّ يَقَالُ: تَخْرُجْ مَعَهُ حَسَنَاتِهِ. فَيَعْرِفُ اللَّهُ أَهْلَ الْمَوْقِفِ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ، فَإِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قِيلَ: أَيْنَ أَصْحَابُ الْمَظَالِمِ؟ فَيَجِئُونَ، رَجُلًا رَجُلًا، فَيَقَالُ لَهُ: أَظْلَمْتَ فُلَانًا كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَتُؤْخَذُ حَسَنَاتُهُ، فَتُدْفَعُ إِلَى مَنْ ظَلَمَهُ يَوْمَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، إِلَّا أَخَذَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَرَدَّ مِنَ السَّيِّئَاتِ، فَلَا يَزَالُ أَصْحَابُ الْمَظَالِمِ يَسْتَوْفُونَ مِنْ حَسَنَاتِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، ثُمَّ يَقُومُ مَنْ بَقِيَ، مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا، فَيَقُولُونَ: مَا بَالُ غَيْرِنَا اسْتَوْفَى وَبَقِينَا؟ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَا تَعْجَلُوا. فَيُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَتَرَدُّ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ ظَلَمَهُ بِمَظْلَمَةٍ، فَيَعْرِفُ اللَّهُ أَهْلَ الْمَوْقِفِ أَجْمَعِينَ ذَلِكَ، فَإِذَا فُرِغَ مِنْ حِسَابِهِ قِيلَ: ارْجِعْ إِلَى أَمَلِكِ الْهَآوِيَةِ، فَإِنَّهُ

(١) سبق الكلام عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٣٣) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٣١) بإسناد ضعيف.

لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا بَشَرٌ إِلَّا ظَنَّ، لِمَا رَأَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ، أَنَّهُ لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (١). هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهد في «الصحيح»، كما سيأتي بيانه قريباً، إن شاء الله تعالى. وقال الطبراني: ثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا محمد بن أبان الواسطي، ثنا محمد ابن الحسن المزني، عن سعيد بن المرزبان أبي سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن الحسن بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةَ عَرَاءٍ». فقالت امرأة: يا رسول الله، فكيف يرى بعضنا بعضاً؟ قال: «إِنَّ الْأَبْصَارَ يَوْمَئِذٍ شَاخِصَةٌ». ورفع رأسه إلى السماء، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يستر عورتِي. قال: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتَهَا» (٢).

قال البيهقي: فأما الحديث الذي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إسحاق، ابن الخراساني المعدل، حدثنا محمد بن الهيثم القاضي، أخبرنا ابن أبي مريم، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ابن الهادي، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري، أنه لما حضره الموت دعا بئيباً جُدد، فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُسْلِمَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا» (٣). فهذا حديث رواه أبو داود في كتاب «السنن»، عن الحسن بن علي، عن ابن أبي مريم. ثم شرع البيهقي (٤) يُجيب عن هذا؛ لمعارضته الأحاديث المتقدمة في بعث الناس حفاة عراء غرلاً، بثلاثة أجوبة:

أحدها: أنها تبلى بعد قيامهم من قبورهم، فإذا وافوا الموقف يكونون عراءً، ثم يُكسَوْنَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ. الثاني: أنه إذا كُسي الأنبياء ثم الصديقون، ثم مَنْ بعدهم على مراتبهم، فتكون كِسوة كُلِّ إنسانٍ مِنْ جِنْسٍ مَا يَمُوتُ فِيهِ، ثم إذا دَخَلُوا الْجَنَّةَ أَلْبَسُوا مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ. الثالث: أن المراد بالثياب ههنا الأعمال، أي يُبْعَثُ فِي أَعْمَالِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ قال الله تعالى: ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ (الأعراف: ٢٦). وقال: ﴿وَلِبَاسًا فَطَهَّرَ﴾ (المدثر: ٤). قال قتادة: عَمَلَكَ فَأَخْلَصَهُ.

ثم استشهد البيهقي على هذا الجواب الأخير بما رواه مسلمٌ من حديث الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٥). قال: ورؤينا عن فضالة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٦).

(١) أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب» (٥١١٨) وإسناده ضعيف.
(٢) أخرجه الطبراني (٩٣/٣)، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (٣٣٣/١٠).
(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٠٣) بهذا الإسناد، وأخرجه أبو داود (٣١١٤)، وابن حبان (٧٣١٦)، والحاكم (٣٤٠/١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٧١).
(٤) في «البعث والنشور» (ص ٧٠-٧١)، ونقله الحافظ في «الفتح» (٣٩١/١١).
(٥) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) (٨٣).
(٦) أخرجه أحمد (٢٠-١٩/٦)، وهو صحيح.

وقد قال أبو بكر ابن أبي الدنيا: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا زيد بن الحباب، عن معاوية ابن صالح، أخبرني سعيد بن هانئ، عن عمرو بن الأسود، قال: أوصاني معاذ بامرأته، وخرج، فماتت، فدفناها فجاءنا وقد رفعنا أيدينا من دفنها، فقال: في أي شيء كفتتموها؟ قلنا: في ثيابها. فأمر بها فنبشت، وكفننها في ثياب جدد، وقال: أحسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يحشرون فيها. (١)

وقال أيضاً: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرنا إسحاق بن سيار بن نصر، عن الوليد بن أبي مروان، عن ابن عباس، قال: يحشر الموتى في أكفانهم. وكذا روى عن أبي العالية. (٢)

وعن صالح المري، قال: بلغني أنهم يخرجون من قبورهم في أكفان دسمة، وأبدان بالية، متغيرة وجوههم، شعث رءوسهم، نهكة أجسامهم، طائفة قلوبهم من صدورهم وحناجرهم، لا يدرى القوم ما مؤثلهم إلا عند انصرافهم من الموقف، فمتصرف به إلى الجنة، ومنصرف به إلى النار. ثم صاح بأعلى صوته: يا سوء منصرفاه إن أنت لم تغمدنا منك برحمة واسعة، لما قد ضاقت صدورنا من الذنوب العظام، والجرائم التي لا غافر لها غيرك. (٣)

ذكر شيء من أهوال يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٥، ١٦). وقال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۚ (٤١)﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ۚ (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۚ﴾. إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۚ (١٧) السَّمَاءُ مَطْفُورَةٌ بِهَ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ (الزلزال: ١٢-١٨).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ (٤٥)﴾. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ (٤٦)﴾. إلى قوله: ﴿وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۚ (٤٧)﴾ (الكهف: ٤٧-٤٩).

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (إلى آخر السورة (الزمر: ٦٧-٧٥). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (إلى آخر السورة: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون: ١-١١). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (إلى آخر السورة: ﴿عَسَىٰ﴾ (٣٣-٤٢). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (إلى آخر السورة (التازعات: ٣٤-٤٦).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ۚ (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ (٢٢)﴾ (إلى آخر السورة (الفجر: ٢١-٣٠). وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (إلى آخر السورة: ﴿وَزُرِّي مَثْوًى﴾ (الغاشية: ١-١٦).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٢٤) في «الأهوال»، وإسناده لا بأس به.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢٥) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢٦) بإسناد ضعيف.

وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ إلى قوله: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الواقعة: ١-٥٦). ذكر فيها سبحانه جزء كل من هذه الأصناف الثلاثة، كما ذكر ما يُشَرُّون به عند موتهم واحتضارهم في آخرها، كأنَّ الإنسان يُشاهد ذلك مُشاهدًا.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا﴾ الآيات. وقال في آخرها: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ إلى آخر السورة (القمر: ٦-٥٥).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (إبراهيم: ٤٨-٥١).

وقال تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥) يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ (غافر: ١٥-٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩) من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملًا (١٠١) يوم ينفخ في الصور وتحشر المجرمين يومئذ زرقًا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ٩٩-١١١). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية (آل عمران: ١٠٦). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية (آل عمران: ١٦١).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (القصص: ٦٥، ٦٦).

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (٣٦) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ٣٥-٣٧). قال ابن عباس: أى لا ينطقون بحجة تنفعهم.

والآيات في أهوال يوم القيامة كثيرة جدًا في أكثر سور القرآن، وقد ذكرنا في كتابنا «التفسير» ما يتعلق بكل آية من الآيات الدالة على صفة يوم القيامة، ومن الأحاديث والآثار المفسرة ذلك. فاما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣). وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة: ١٨). فهذا يكون في حال آخر، كما قال ابن عباس في جواب من سأل عن ذلك، كما ذكره البخاري عنه. وكذلك قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (الصافات: ٢٧-٧٥).

والآيات في ذكر يوم القيامة وأهواله كثيرة جدًا؛ مثل الآيات التي في آخر سورة «هود».

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ» إِلَى «عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ»، أَيْ غَيْرُ مَقْطُوعٍ (هود: ١٠٣-١٠٨)، وَكَذَلِكَ سُورَةُ «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ»، وَسُورَةُ «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»، وَسُورَةُ «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ»، وَسُورَةُ «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»، وَسُورَةُ «المطففين» بِكَمَالِهَا، وَسُورَةُ «المرسلات»، وَ«النازعات»، وَسُورَةُ «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ»، وَسُورَةُ «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ»، وَ«إِذَا زُلْزِلَتْ»، وَآخِرُ «العاديات»، وَ«القارعة»، وَآخِرُ «الْهَاجِمِ التَّكَاثُرِ»، وَ«الهمزة».

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَحِيرٍ الصَّنَعَانِيُّ الْقَاصُّ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ الصَّنَعَانِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». وَ«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ». وَ«إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ». وَأَحْسَبُهُ أَنَّهُ قَالَ: «سُورَةُ هُودٍ» (١). وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ عَبَّاسِ الْعَبْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، بِهِ. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحِيرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «شَبَّيْتُنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا» (٢).

ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

وَمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأُمُورِ الْكَبَارِ وَالشَّدَائِدِ،

وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَغْضَرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ، وَالْجَنَانِ وَالنِّيرانِ

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الصَّهْبَاءِ، حَدَّثَنَا نَافِعُ أَبُو غَالِبٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تُطْشِ عَلَيْهِمْ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ لَا بِأَسَبَ بِهِ. وَفِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «تَطْشِ عَلَيْهِمْ». اِحْتِمَالَانِ؛ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ الْمَطَرِ؛ أَيْ تَمْطَرُ عَلَيْهِمْ، كَمَا يُقَالُ: أَصَابَهُمْ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ. وَهُوَ الْخَفِيفُ مِنْهُ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾» (المطففين: ٤-٦) (٣). وَقَدْ ثَبِتَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّهُمْ «يَقُومُونَ فِي الرُّشْحِ - أَيْ فِي الْعَرَقِ - إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ» (٤).

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: أَنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ، وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، كَمَا سَيَأْتِي، أَنَّ الشَّمْسَ تُدْنِي مِنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَكُونُ مِنْهُمْ عَلَى مَسَافَةِ مِيلٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ (٥).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: وقد أطلال في تخريجه الشيخ الألباني في «الصحيح» (٩٥٥) بما يغني فراجع.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٦/٣-٢٦٧)، وإسناده حسن. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٣٣٥)، وابن ماجه (٤٢٧٨) من حديث ابن عمر.

(٥) سيأتي بطوله في كتاب «الشفاة».

أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ، أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ» (١). شَكَ ثَوْرٌ أَتَيْهُمَا. قَالَ: وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ قَتِيْبَةَ. وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَالِمِ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَهُ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا الضحَّاك بن مخلَّد، عن عبد الحميد بن جعفر، حدثني أبي، عن سعيد بن عُمر الأنصاري، قال: جلَّستُ إلى عبد الله بن عمر، وأبى سعيد، فقال أحدهما لصاحبه: أَى شَيْءٍ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ أَنَّهُ يَبْلُغُ الْعَرَقُ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِلَى شَحْمَتِهِ. وَقَالَ الْآخَرُ: يُلْجِمُهُ. فَخَطَّ ابْنُ عُمَرَ، وَأَشَارَ أَبُو عَاصِمٍ بِأَصْبَعِهِ، مِنْ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: مَا أَرَى ذَلِكَ إِلَّا سَوَاءً. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ (٢).

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن عيسى، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني سُلَيْم بن عامر، حدثني المَقْدَاد بن الْأَسْوَد، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذْنَبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ، حَتَّى تَكُونَ قَيْدَ مِيلٍ، أَوْ مِيلَيْنِ». قَالَ سُلَيْمٌ: لَا أَدْرَى أَى الْمِيلَيْنِ أَرَادَ؛ أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تُكْحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: «فَتَصْنَعُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ الْعَرَقُ إِلَى عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا» (٣)، قَالَ: فَارَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى فِيهِ، قَالَ: «يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا». وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ نَصْرِ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ مُوسَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ ابْنِ جَابِرٍ، بِهِ نَحْوَهُ.

وقال ابن المبارك، عن مالك بن مغول، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن الْعِزَّارِ، قَالَ: إِنَّ الْأَقْدَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ النَّبْلِ فِي الْقُرْنِ، وَالسَّعِيدُ الَّذِي يَجِدُ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا يَضَعُهُمَا فِيهِ، وَإِنَّ الشَّمْسَ لَتُدْنَى مِنْ رُءُوسِهِمْ، حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُءُوسِهِمْ -إِمَّا قَالَ: مِيْلًا. أَوْ: مِيلَيْنِ- وَيَزَادُ فِي حَرِّهَا تِسْعَةٌ وَسِتِّينَ ضِعْفًا (٤).

وقال الوليد بن مُسلم، عن أبي بكر ابن سعيد، عن مُعَيْثِ بْنِ سُمَيٍّ، قَالَ: تَرَكُّدُ الشَّمْسُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ عَلَى أَذْرُعٍ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، فَتَهْبُ عَلَيْهِمْ رِيَّاحُهَا وَسُمُومُهَا وَيَخْرُجُ عَلَيْهِمْ نَفْحَاتُهَا، حَتَّى تَجْرَى الْأَنْهَارُ مِنْ عَرَقِهِمْ أَنْتَنَ مِنَ الْجَيْفِ، وَالصَّائِمُونَ فِي جَنَّاتِهِمْ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ (٥).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤١٨/٤-٤١٩) وإسناده جيد، وأخرجه مسلم (٢٨٦٣)، وأخرجه البخاري (٦٥٣٢)، والبخاري (٤٢٥٤)، من طريق سليمان بن بلال.

(٢) أخرجه أحمد (٩٠/٣)، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الآهوال» (٩٠)، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (٤٠٣/٦)، ومسلم (٢٨٦٤)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٥٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الآهوال» (١٤٩)، وابن المبارك في «زوائد الزهد» (٣٧٢) وإسناده جيد.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الآهوال» (١٤٧) وسنده ضعيف.

«إِنَّ الْعَرْقَ لَيَلْزِمُ الْمَرْءَ فِي الْمَوْقِفِ حَتَّى يَقُولَ: يَا رَبِّ، أَرْسَلْتُكَ بِي إِلَى النَّارِ أَهْوَنَ عَلَىَّ مِمَّا أَجِدُ. وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ». إسناده ضعيف. (١)

وقد ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - وفي رواية: إِلَّا ظِلُّ عَرْشِهِ - إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهَا مَا انْفَقَتْ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ». (٢)

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حَسَنٌ وَيَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنْ السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ اللَّهِ، عَزَّوَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوا بِذُلُّوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ». (٣). تفرد به أحمد، وإسناده مقارب، فيه ابن لهيعة وقد تكلموا فيه، وشيخه ليس بالمشهور.

هذا كله والناسُ موقوفون في مقام ضيق حرج شديد صعب، إِلَّا عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَتَسَّالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَيَّ الْقَيُّومَ أَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْنَا ذَلِكَ الْمَقَامَ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَيْنَا سَيْرًا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضَيْقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مَخْرَجًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَوْسِعَ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِينَ.

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا الْأَصْبَغُ، هُوَ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، حَدَّثَنِي رُبَيْعَةُ، هُوَ ابْنُ عَمْرِو الْجُرَشِيِّ الشَّامِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ وَبِمَ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ؟ قَالَتْ: كَانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيَهْلِلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي». عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّيْقِ يَوْمَ الْحِسَابِ». عَشْرًا. (٤)

وكذا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْحَرَّانِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ، وَعِنْدَهُ: «مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ، حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ سَلَمَةَ الْأَحْمَرُ، سَمِعْتُ ابْنَ السَّمَاكِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا وَاعِظَ الزَّاهِدَ يَقُولُ: يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَتَسَكَّعُونَ فِي الظُّلُمَاتِ أَلْفَ عَامٍ، وَالْأَرْضُ يَوْمَئِذٍ نَارٌ كُلُّهَا، وَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا. (٥)

(١) أخرجه البزار (٢٢٣٥)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠) (١٤٢٣) (٦٤٧٩)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١) وغيرهم عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة، وله طرق.

(٣) أخرجه أحمد (٦٧/٦)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (١٤٣/٦)، وإسناده ضعيف، وهو حسن.

(٥) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢٩) وإسناده ضعيف.

وقال أيضاً: حدثني هارون بن سفيان، أخبرنا ابن نقي، عن النضر بن عري قال: بلغني أن الناس إذا خرجوا من قبورهم كان شعارهم لا إله إلا الله، وكانت أول كلمة يقولها برهم وفاجرهم: ربنا ارحمنا. (١)

وحدثني حمزة بن العباس، أخبرنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا سفيان، عن سليمان، عن أبي صالح، قال: بلغني أن الناس يحشرون هكذا. وتكسر رأسه، ووضع يده اليمنى على كوعه اليسرى. (٢)

وحدثني عصمة بن الفضل، حدثني يحيى بن يحيى، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: سمعت سيّاراً الشامي قال: يخرجون من قبورهم وكلهم مذعورون، فيناديهم مناد: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴿(الزخرف: ٦٨)﴾. فيطمع فيها الخلق فيتبعها: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ ﴿(الزخرف: ٦٩)﴾. فيئأس منها الخلق غير أهل الإسلام. (٣)

وروى من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا يوم نشورهم، وكانى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ ﴿(فاطر: ٣٤)﴾. (٤) قلت: وله شاهد من القرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿إن الذين سبقوا لهم من الحسن أولئك عنها مبعدون﴾. الآيات إلى قوله: ﴿وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ﴿(الأنبياء: ١٠١-١٠٤)﴾.

وقال ابن أبي الدنيا: أخبرنا أبو حفص الصقار، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا إبراهيم بن عيسى الشكري، قال: بلغنا أن المؤمن إذا بعث من قبره تلقاه ملكان، مع أحدهما ديباجة فيها برد ومسك، ومع الآخر كوب من أكواب الجنة فيه شراب، فإذا خرج من قبره خلط الملك ذلك البرد بالمسك قرشه عليه، وصب له الآخر شربة فيناولها إياها، فيشربها فلا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة. (٥)

فأما الأشقياء - والمعياذ بالله - فقال الله تعالى: ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيص له شيطاناً فهو له قرين﴾ ﴿(٣٦)﴾ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴿(٣٧)﴾ حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴿(٣٨)﴾ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴿(الزخرف: ٣٦-٣٩)﴾.

وذكرنا في «التفسير» أن الكافر إذا قام من قبره أخذ بيده شيطانه، ويلزمه فلا يفارقه، حتى يرمى بهما في النار، وهكذا كل فاجر وفاسق غافل عن ذكر الله، مضيع لأمره. وقال تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ ﴿(ق: ٢١)﴾. أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وآخر يشهد عليه بأعماله، وهذا عام في الأبرار والفجار، وكل يحسبه ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾. أي: أيها

(١) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢١٨) وإسناده ضعيف.

(٢) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢١٩) وهو موقوف إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢٠) وإسناده جيد.

(٤) أخرجه برقم (٢٢٢) وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢٣) وإسناده ضعيف.

الإنسان الغافل عما خلق له. ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢) أى: نافذ قوئى حاد. ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ (ق: ٢٣). أى: هذا الذى جئت به هو الذى وكّلت به، فيقول الله تعالى عند ذلك للسائق والشهيد: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌ كَفَّارٌ عِنْدَ ﴿٣٤﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٌ﴾ (ق: ٢٥، ٢٤) أى: ليس فيه خير، ويمنع غيره من الخير، ومع ذلك هو ﴿مُرِيبٌ﴾، أى: هو فى شكٍّ وريب. ثم انتقل إلى من هو مُتَلَبِّسٌ بأعظم من ذلك، وقد تجتمع فى العيد هذه الأربعة المذمومة المقبوحة، التى هى أقيح الخصال، وأعظمها وأقبحها الشرُّ بالله! فقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لَجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (ق: ٢٦-٣٠).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، هو ابن سعيد القطان، عن ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصُّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ. فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَاءِ، فَيُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ عَصَاةَ أَهْلِ النَّارِ» (١). ورواه الترمذى والنسائى جميعاً عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك، عن محمد بن عجلان، به، وقال الترمذى: حسن. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عثمان العقيلي، حدثنا محمد بن راشد، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ فِي صُورِ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢). ثم قال: تفرد به محمد بن عثمان، عن شيخه.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا فى «أحوال القيامة»: حدثنا عبد الله بن عمر الجشمي، حدثنا يحيى ابن سعيد، عن هشام، أنبأ قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، أن رسول الله ﷺ كان فى بعض أسفاره، وقد تفاوت بين أصحابه السير، فرفع بهاتين الآيتين صوته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» (الحج: ١، ٢). فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطى، وعلموا أنه عند قول يقوله، فلما تأشّبوا حوله، قال: «اتدرون أى يوم ذاك؟ ذاك يوم ينادى آدم، يناديه ربه: يَقُولُ: يَا آدَمُ، ابْعَثْ بَعْثُ النَّارِ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ.. قَالَ: فَأَبْلَسَ أَصْحَابُهُ حَتَّى مَا أَوْضَحُوا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «اعْمَلُوا، وَأَبْشِرُوا، هُوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتْ مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتْهُمَا يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنَى آدَمَ وَمِنْ بَنَى إِبْلِيسَ». قَالَ: فَسَرَى عَنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «اعْمَلُوا، وَأَبْشِرُوا، هُوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ» (٣).

(١) حسن: أخرجه أحمد (٦٦٧٧) وإسناده حسن، وله شواهد يصح بها.

(٢) حسن: أخرجه البزار (٣٤٣٠) وإسناده ضعيف ولكن له شواهد يتقوى بها.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٢) وفيه انقطاع، وأخرجه الحميدى (٨٣١)، والترمذى (٣١٦٨)، وأحمد (٤٣٢/٤)، وإسناده ضعيف، وله طريق أخرى بإسناد صحيح، وشاهد من حديث أبي سعيد عند البخارى (٣٣٤٨) (٤٧٤١) (٦٥٣٠)، ومسلم (٣٧٩).

وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن محمد بن بشر، بئدار، عن يحيى بن سعيد القطان، به، وقال الترمذى: حسن صحيح.

فصل

فإذا قامَ الناسُ من قبورهم وجدوا الأرضَ غيرَ صفةِ الأرضِ التى كانوا فيها وفارقوها! قد دُكَّتْ جبالُها، وزالَتْ تلالُها، وتغيَّرتْ أحوالُها، وانقطعتْ أنهارُها، وبادتْ أشجارُها ومساكنُها ومدنُها وبلاذُها، وسجرتْ بحارُها، وتساوتْ وهاذها وربابُها، وخربتْ مدائنُها وقراها، وزالتْ قصورها وبيوتُها وأسواقُها، وزُلزِلَتْ زلزالُها، وأخرجتْ أثقالُها، وقال الإنسانُ: ما لها؟! يومئذٍ تحدثُ أخبارُها بأنَّ ربَّك أوحى لها، وكذلك يجدونَ السماواتِ قد بُدِّلَتْ، ونجومُها قد انكدرتْ وانتثرتْ، ونواحيها قد تشققتْ، وأرجاؤها قد تفتطرتْ، والملائكةُ على أرجائها قد أهدقتْ، وشمسُها وقمرُها مكسوفان، بل مكسوفان، وفى مكانٍ واحدٍ مجموعان، ثم يُكوَّرانِ بعدَ ذلك، ثم يلقىانِ فى النارِ، كما فى الحديثِ الذى سنورده فى «النيران» كأنَّهما ثورانِ عقيرَانِ.

قال أبو بكرٍ ابنُ عيَّاشٍ: قال ابنُ عباسٍ: يخرجونَ من قبورهم، فينظرونَ إلى الأرضِ غيرِ الأرضِ التى عهدوها، وإلى الناسِ غيرِ الناسِ الذين كانوا يعرفونَ ويعهدون^(١). قال: ثم تمثل ابنُ عباسٍ: فما الناسُ الذين عهدتهم * ولا الدارُ بالدارِ التى كنتُ تعرفُ

وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨). وقال: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (ت) وتسيرُ الجبالُ سيرا ﴿(الطور: ٩، ١٠). وقال: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧). وقال: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (ف) فيومئذٍ وقعت الواقعة ﴿(الحاقة: ١٤، ١٥). وقال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (ت) وإذا النجومُ انكدرتْ ﴿(ن) وإذا الجبالُ سيرتْ﴾ (التكوير: ١-٣).

وثبت فى «الصحيحين» من حديث أبى حازم، عن سهل بن سعد، عن النبىِّ ﷺ أنه قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ» (٢)

وقال محمد بن قيس^(٣) وسعيد بن جبيرة^(٤): تَبْدُلُ الْأَرْضُ خَبْزَةَ بَيْضَاءَ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْمُؤْمِنُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ. وقال الأعمش، عن خيثمة، عن ابن مسعود، قال: الْأَرْضُ كُلُّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارٌ، وَالْجَنَّةُ مِنْ ورائِها تُرَى كَوَاعِيها وَأَكْوَابُها، وَيُلْجَمُهُمُ الْعَرَقُ وَيَبْلُغُ مِنْهُمْ كُلُّ مَبْلَغٍ، وَلَمْ يَبْلُغُوا الْحِسَابَ^(٥). وكذا رواه الأعمش عن المنهال، عن قيس بن السكين، عن ابن مسعود، فذكره. (٦)

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الأهوال» (٢١٧) وإسناده فيه انقطاع.

(٢) أخرى البخارى (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠)، وابن حبان (٧٣٢٠)، من طريق أبى حازم، به.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٦٠) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٥٩) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٥٢) بسند ضعيف.

(٦) سبق تخريجه.

وقال إسرائيل وشعبة^(١)، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، قال: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ٤٨). قال: أرضٌ بيضاء كالفضة البيضاء، نقيّة لم يسفك فيها دمٌ، ولم يعمل فيها خطيئة، ينقذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة كما خلّقوا. أراه قال: قياماً حتى يلجمهم العرق.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا القاسم بن الفضل، قال: قال الحسن: قالت عائشة: يا رسول الله، أرايت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾. أين يكون الناس؟ قال: «إن هذا شيء ما سألتني عنه أحد من امتي قبلك! الناس على الصراط»^(٢). تفرد به أحمد.

ورواه ابن أبي الدنيا: أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا القاسم بن الفضل، سمعت الحسن، قال: قالت عائشة، فذكره^(٣). ورواه قتادة عن حسان بن بلال المزني، عن عائشة، بمثل هذا سواء^(٤).

وقال ابن أبي الدنيا: أنبا عبيد الله بن جرير العتيكي، حدثنا محمد بن بكار السيرفي، أنبا الفضل بن معروف القطعي، أخبرنا بشر بن حرب، عن أبي سعيد، عن عائشة، قالت: بينما النبي واضع رأسه في حجرى بكيت، فرفع رأسه، فقال: «ما أبكاك؟» قلت: بأبي أنت وأمي، ذكرت قول الله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾. أين الناس يومئذ؟ قال: «الناس يومئذ على جسر جهنم، والملائكة وقوف تقول: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. فَمِنْ بَيْنَ زَالٍ وَزَالَةٍ»^(٥). هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يخرج أحمد، ولا أحد من أصحاب الكتب الستة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، أنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾. قالت: قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على الصراط»^(٦).

وأخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه، من حديث داود بن أبي هند. وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه أحمد، عن عفان، عن وهيب، عن داود، عن الشعبي، عنها، ولم يذكر مسروقاً^(٧).

ورواه أحمد أيضاً من حديث حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن عائشة، أنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، ثم قالت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «هم على متن جهنم»^(٨).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد بإسناد ضعيف، وهو صحيح وقد سبق.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاهوال» (٦٧) بسند فيه انقطاع.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٦/١٣).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاهوال» (٧٠) وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه أحمد (٣٥/٦)، ومسلم (٢٧٩١)، والترمذي (٣١٢١)، وابن ماجه (٤٢٧٩)، من طريق داود بن أبي هند، به.

(٧) أخرجه أحمد (١٣٤/٦)، والمروزي في «زوائد الزهد» (١٣٦٠)، والطبري (١٦٦/١٣)، والخطيب في «تاريخه» (١٢٢/١٠) من طريق داود، به.

(٨) أخرجه أحمد (١١٦/٦-١١٧) وسنده صحيح.

وروى مسلمٌ من حديث أبي سلامٍ، عن أبي أسماء الرَّحَبِيِّ، عن ثوبانٍ، أن حَبْرًا من اليهود سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: «أَيُّ يَوْمٍ يَكُونُ النَّاسُ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ» فقال رسول الله ﷺ: «هُمُ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» (١).

وقال ابن جرير: حدثني ابن عوف، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا سعيد بن ثوبان الكلابي، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: أتى النبي ﷺ حَبْرٌ من اليهود، فقال: أرأيتَ إذ يقولُ اللهُ في كتابه: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ»؟ فأين الخلقُ عند ذلك؟ فقال: «اضْيَاهُ اللهُ، فَلَنْ يُعْجِزَهُمْ مَا لَدَيْهِ» (٢). وكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي بكر ابن أبي مريم.

وقد يكونُ هذ التبديلُ بعدَ المحشر، ويكونُ تبديلاً ثانياً إلى صفةٍ أخرى غير الأولى، وبعدها، والله سبحانه أعلم، كما قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا يوسف بن موسى، حدثنا وكيع، حدثنا شعبه، عن المغيرة بن مالك، عن رجلٍ! من بني مجاشيع، يقال له: عبد الكريم. أو يكتني بأبي عبد الكريم، قال: أقامني على رجلٍ بخراسان، فقال: حدثني هذا أنه سمع على بن أبي طالب عليه السلام، يقول: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ» قال: ذكر لنا أن الأرضَ تُبدلُ فضةً، والسمواتُ ذهباً (٣). وكذا روى عن ابن عباس (٤)، وأنس بن مالك (٥)، ومجاهد بن جبر (٦) وغيرهم، والله سبحانه أعلم.

ذكر طول يوم القيامة، وما ورد في مقداره

قال الله سبحانه: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عَبْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» (الحج: ٤٧). قال بعضُ المفسرين: هو يومُ القيامة.

وقال تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» إلى قوله: «فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا» (المعارج: ١-٥).

وقد ذكرنا في «التفسير» اختلافَ السلف والخلف في معنى هذه الآية؛ فروى ليث بن أبي سليم وغيره، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: ذلك مقدار ما بين العرش إلى الأرض السابعة.

وقال ابن عباس في قوله: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ» (السجدة: ٥). يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام. رواه ابن أبي حاتم. (٧)

ورواه ابن جرير عن مجاهد، أيضاً، وذهب إليه الفراء (٨)، وقاله أبو عبد الله الحلي، فيما حكاه عنه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «البعث والنشور»، قال الحلي: فالملك يقطع هذه المسافة في بعض يوم، ولو أنها مسافة يمكن البشر قطعها لم يتمكن أحد من قطعها إلا في مقدار

(١) «صحيح مسلم» (٣١٥/٢٤).

(٢) ابن أبي الدنيا (٦٦) بسند ضعيف.

(٣) ابن جرير (٢٠٩٥٨) بسند ضعيف.

(٤) ابن جرير (٢٠٩٧٦) بسند ضعيف.

(٥) ابن جرير (٢٠٩٥٧) وهو مسلسل بالضعفاء.

(٦) ابن جرير (٢٠٩٥٠) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاهوال» (١٢٠)، وإسناده ضعيف.

(٨) راجع قول البيهقي في «الشعب» (٢٣٤/٢).

خمسین ألف سنة. قال: وليس هذا من تقدير يوم القيامة بسبيل، بل هذا مقدار ما بين العرش إلى الأرض السابعة. ورجح الحلبي هذا بقوله تعالى: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: ٤، ٣) وذو المعارج: أى العلو والعظمة، كما قال تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ (غافر: ١٥). ثم فسر ذلك بقوله: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ أى فى مسافة كان مقدارها خمسین ألف سنة، أى بعدّها واتّساعها هذه المدة. (١)

فعلى هذا القول المراد بذلك: مسافة المكان. هذا قول. وقد حاول البيهقي الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ بأن الملائكة تقطع هذه المسافة في الدنيا في ألف سنة، فإذا كان يوم القيامة لا تقطعها إلا في خمسین ألف سنة! لما يشاهدون من هول ذلك اليوم، وعظمته، وغضب الرب، عز وجل، والله أعلم.

والقول الثاني: أن المراد بذلك مدة عمر الدنيا.

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في «تفسيره»: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبي زائدة، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، ذلك عمرها يوم سمّاها الله تعالى يوماً: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾. قال: اليوم الدنيا. (٢)

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وعن الحكم بن أبان، عن عكرمة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قالوا: الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، لا يدرى أحدكم مضى، ولا كم بقى، إلا الله، عز وجل (٣). وذكره البيهقي من طريق محمد بن ثور، عن معمر، به (٤). وهذا قول غريب جداً، لا يوجد في كثير من الكتب المشهورة، والله أعلم.

القول الثالث: أن المراد بذلك فصل ما بين الدنيا ويوم القيامة، وهو مدة المقام في البرزخ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن كعب القرظي، وهو غريب أيضاً.

القول الرابع: أن المراد بذلك مقدار الفصل بين العباد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن إسرائيل، عن سمالك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: يوم القيامة (٥). إسناده صحيح. ورواه الثوري عن سمالك، عن عكرمة من قوله (٦)، وبه قال الحسن، والضحاك (٧)، وابن زيد. (٨)

(١) ذكره البيهقي في «الشعب» (٣٣٩/١)، وفي «البعث» (١٣٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٢١) بهذا الإسناد.

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٤٨٦٣)، والبيهقي في «البعث» (١٢٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٣٣٢٢)، في «تفسيره» من طريق الثوري، والبيهقي في «البعث» (١٢٨)، من طريق شريك عن سمالك، وابن أبي الدنيا في «الاهوال» (٣١) عن سفيان.

(٦) أخرجه ابن جرير (٣٤٨٦٠).

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٤٨٦٦) بسند جيد.

(٨) أخرجه ابن جرير (٣٤٨٦٦) بسند جيد.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس، حدثنا الحسن بن واقع، حدثنا ضمرة، عن ابن شاذب، عن يزيد الرشتي، قال: يقوم الناس يوم القيامة أربعين ألف سنة، ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة. (١)

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: يوم القيامة جعل الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. (٢) وقال الكلبي في «تفسيره»، وهو يرويه عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لو ولي محاسبة العباد غير الله تعالى لم يفرغ في خمسين ألف سنة. (٣)

وقال البيهقي: وفيما ذكر حماد بن زيد، عن أيوب، قال: قال الحسن: ما ظنك بيوم قام العباد فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى تقطعت أعناقهم عطشاً، واحتترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية، قد أتى حرها، واشتد نضجها (٤). وقد ورد هذا في أحاديث متعددة، فالله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، قال: قيل لرسول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا» (٥). ورواه ابن جرير في «تفسيره»، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، به. ودراج أبو السّمح وشيخه أبو الهيثم سليمان بن عمرو العتاري، ضعيفان، على أنه قد رواه البيهقي بلفظ آخر، وقال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصّغاني، حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي - وكان رجلاً من الخائفين - قال: سمعت دراجاً أبا السّمح يخبر عن أبي سعيد الخدري، أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني من يقوى على القيام يوم القيامة الذي قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦). فقال: «يخفف على المؤمن حتى يكون كالصلاة المكتوبة» (٦).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إن للمؤمنين يوم القيامة كراسي من نور، يجلسون عليها، ويظلّل عليهم الغمام، ويكون يوم القيامة عليهم كساعة من نهار، أو كأحد طرفيه (٧). رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن

(١) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٢٩) وإسناده حسن.

(٢) ابن جرير (٣٤٨٦٢) وإسناده ضعيف.

(٣) الكلبي متروك.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٣٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٧٥/٣)، بسند ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٣٢).

(٧) أخرجه البيهقي برقم (١٣١)، وإسناده صحيح.

أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ كُنْزٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ إِلَّا جُعِلَ كَنْزُهُ صَفَاحٍ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُكْوَى بِهَا جِبْهَتُهُ، وَجَنْبُهُ، وَظَهْرُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.....» وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ فِي مَنَعَ زَكَاةِ الْغَنَمِ، وَالْإِبِلِ، أَنَّهُ يُبَطِّحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَتَنْطَحُّه بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. (١)

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»: أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ خَالِدٍ، وَكَانَ ثِقَةً، حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِّنْ حَدِيثِ رَوْحِ ابْنِ الْقَاسِمِ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ، كِلَاهُمَا عَنْ سُهَيْلٍ، بِهِ مِثْلُهُ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا فِي الذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَالْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ.

وقد رواه الإمام أحمد وأبو داود، من حديث شُعْبَةَ، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة، كلاهما عن قتادة، عن أبي عمر الغداني، عن أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ لَا يُعْطَى حَقُّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُهَا - يَعْنِي فِي عُسْرَهَا وَيُسْرَهَا - فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَدٍ مَا كَانَتْ وَأَكْبَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ، حَتَّى يُبَطِّحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، فَتَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ. وَإِذَا كَانَتْ لَهُ بَقَرٌ لَا يُعْطَى حَقُّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَدٍ مَا كَانَتْ وَأَكْبَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ، ثُمَّ يُبَطِّحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، فَتَطَوُّهُ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ بِظَلْفِهَا، وَتَنْطَحُّهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا عُضْبَاءٌ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ. وَإِذَا كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ لَا يُعْطَى حَقُّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَدٍ مَا كَانَتْ وَأَكْبَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ، حَتَّى يُبَطِّحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ فَتَطَوُّهُ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ بِظَلْفِهَا، وَتَنْطَحُّهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا عُضْبَاءٌ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ. (٢)

قال البيهقي: وهذا لا يحتمل إلا تقدير ذلك اليوم بخمسين ألف سنة مما تعدون، والله أعلم، ثم لا يكون ذلك كذلك إلا على الذي لا يُغْفَرُ لَهُ، فَأَمَّا مَنْ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣)، فَقَدْ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَلِيمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُوْجِّه، أَخْبَرَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ (٤). ثم قال: هذا هو المحفوظ، وقد

(١) أخرجه أحمد (٢٦٢/٢) بسند صحيح، وأخرجه مسلم (٩٨٧)، وأبو داود (١٦٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤٨٩/٢ - ٤٩٠)، وأبو داود (١٦٥٨)، والنسائي (١٢/٥)، من طريق أبي عمر، به.

وإسناده ضعيف، ولكنه يصح بما سبق.

(٣) ذكره البيهقي في «البعث» (١٢٣) (ص ٧٨).

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٢٤) موقوفًا.

رَوَى مَرْفُوعًا، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ بِمَرْوٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَاسُوَيْهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ بُصَيْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، فَذَكَرَهُ بِإِسْنَادِهِ مَرْفُوعًا. (١)
وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ: حَدَّثَنَا حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَبِي هَانِيٍّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَلْبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦). قَالَ: «كَيْفَ يَكُونُ إِذَا جَمَعَكُمْ اللَّهُ كَمَا يَجْمَعُ النَّبِيلُ فِي الْكَثَاثَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ؟». (٢)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا حَمْزَةُ بْنُ الْعَبَّاسِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَيْسَرَةَ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ هَوْلًا وَهَوْلًا، ثُمَّ قُرَأَ: (ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِأَيِّ الْجَحِيمِ). قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: هَكَذَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ. (٣)

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَيْسَرَةَ النَّهْدِيِّ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٤). قَالَ: لَا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ هَوْلًا وَهَوْلًا.

ذِكْرُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي خُصَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَمِنْ ذَلِكَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ، لِيَجِيءَ الرَّبُّ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيُفْصِلَ بَيْنَهُمْ، وَيُريحَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ الْحَالِ إِلَى حُسْنِ الْمَالِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيَّاشٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدُّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ. حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤). انْفَرَدَ بِهِ دُونِ مُسْلِمٍ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، وَهُوَ ابْنُ يُزَيْدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّعَافَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩). قَالَ: «الشَّفَاعَةُ». إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. (٥)

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَيْتِ» (١٢٥) وَهُوَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ (٥٧٢/٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ «الْبَيْتِ» (١٣١)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٣) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. فِيهِ ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْبَيْتِ»، وَابْنُ جَرِيرٍ (٢٩٤٠٨).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦١٤)، وَ(٤٧١٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١١)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٦/٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (٧٢٢).

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٧٣٥)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ.

وثبت في «الصحيحين» وغيرهما من حديث جابر وغيره، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نَصَرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً». (١)

فقوله: «وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ». يعني بذلك الشفاعة التي تُطَلَّبُ مِنْ آدَمَ، فيقول: لستُ بصاحبِ ذاكُم، اذهبوا إلى نوح، فيقول لهم كذلك ويُرْشِدُهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فيُرْشِدُهُمْ إِلَى مُوسَى، فيُرْشِدُهُمْ إِلَى عِيسَى، فيُرْشِدُهُمْ عِيسَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا». وسيأتي ذلك مبسوطًا في أحاديث الشفاعة، في إخراج العصاة مِنَ النَّارِ، وقد ذكرنا ذلك بطوله مبسوطًا عن جماعة مِنَ الصَّحَابَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ. (٢)

وفي «صحيح مسلم» عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ». (٣)

ولمسلم أيضًا، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فِي حَدِيثِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَى فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ». (٤)

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر الأزدي، حدثنا زهير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَطِيْبِهِمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ». (٥) ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثني محمد بن حرب، حدثنا الزبيدي، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى قُلٍّ، وَيَكْسُونِي رُبِّي عَزْوَجَلْ حُلَّةَ خَضْرَاءٍ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ». (٦)

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن ابن جبير، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِرَفْعِ رَأْسِهِ، فَأَنْظُرُ إِلَى بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمِنْ خَلْفِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلَ ذَلِكَ». فقال رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، (٤٣٨) (٣١٢٢)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي (٢٠٩/١)، والدارمي (١٣٨٩).

(٢) قلت: سيذكرها المؤلف في «كتاب الشفاعة».

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (١٢٨/٥)، ومسلم (٨٢٠)، وابن حبان (٧٤٠).

(٥) أخرجه أحمد (١٣٧/٥)، وإسناده لا بأس به. هو صحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٤٥٦/٣) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: «هُم غُرُّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ تَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ» (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حرب بن ميمون، أبو الخطاب الأنصاري، عن النضر بن أنس، عن أنس، قال: حدثني نبي الله ﷺ، قال: «إني لقائم أنتظر أمتي حتى تعبر الصراط إذ جاءني عيسى ابن مريم، عليه السلام، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألونك -أو قال: يجتمعون إليك- يدعون الله، عز وجل، أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله، لغم ما هم فيه، فالخلق ملجئون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت». فقال: «انتظر حتى أرجع إليك». فذهب نبي الله ﷺ، «فقام تحت العرش، فلقى ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل، فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد، وقل له: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فشفعت في أمتي، فقال: أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردد إلى ربي، عز وجل، فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت، حتى أعطاني الله، عز وجل، من ذلك أن قال: يا محمد، أدخل من خلق الله من أمتك من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً، ومات على ذلك» (٢).

وروى الإمام أحمد من حديث علي بن الحكم البناني، عن عثمان، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود، فذكر حديثاً طويلاً، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، وما ذلك المقام المحمود؟ قال: «ذاك إذا جاء بك حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول الله عز وجل: اكسوا خليلي، فيؤتى بريطتين بيضاوين، فيلبسهما، ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتي، فالبسها، فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقومه أحد، فيبطيني به الأولون والآخرون». قال: «ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض» (٣) وذكر تمام الحديث في صفة الحوض، كما سيأتي قريباً.

وذكرنا في «المسند الكبير»، عن حيدة الصحابي، عن رسول الله ﷺ قال: «تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، وأول من يكسى إبراهيم الخليل، يقول الله تعالى: اكسوا خليلي. ليعلم الناس فضله، ثم يكسى الناس على قدر أعمالهم» (٤).

وقال الإمام أحمد (٥): حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «يطول على الناس يوم القيامة، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر، فليشفع لنا إلى ربنا، فليقبض بيننا. فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، فاشفع لنا إلى ربك، فليقبض بيننا. فيقول: إني لست هناكم، ولكن اتنوا نوحاً رأس

(١) أخرجه أحمد (١٩٩/٥)، بسند ضعيف، وهو حسن.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٨/٣) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٨-٣٩٩) بإسناد ضعيف.

(٤) «جامع المسانيد» (٦٣٧/٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢٤٧-٢٤٨) وإسناده صحيح. وأخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣)، وابن ماجه (٤٣١٢) وله طرق.

النَّبِيِّينَ. فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضُ بَيْنَنَا. فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ. قَالَ: «فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضُ بَيْنَنَا. فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتُوا مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ». قَالَ: «فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضُ بَيْنَنَا. فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضُ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا، فَإِنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. وَيَقُولُ عِيسَى: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وَعَاءٍ قَدْ خْتِمَ عَلَيْهِ، هَلْ كَانَ يَقْدَرُ عَلَى مَا فِي ذَلِكَ الْوِعَاءِ حَتَّى يَفْضُ الْخَاتِمَ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضُ بَيْنَنَا. فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَآتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخَذُ بِحَلَقَةِ الْبَابِ، فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقَالُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيُفْتَحُ لِي، فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يَسْمَعُ مِنْكَ، وَسَلْ تَعْطُهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ، أَمْتَى أَمْتَى، فَيَقَالُ: أَخْرَجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، قَالَ: فَأَخْرَجَهُمْ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا. فَذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ. «فَيَقَالُ: أَخْرَجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، قَالَ: فَأَخْرَجَهُمْ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا. فَذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ. «فَيَقَالُ: أَخْرَجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، قَالَ: فَأَخْرَجَهُمْ. وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، نَحْوَهُ.

رواية أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَتَهَسَّ مِنْهَا تَهَسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفَذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطْلِقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ. فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنْ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ نُوحٌ: إِنْ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: إِنْ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ

مِثْلَهُ - وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَيَتَكَلِّمُهُ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى: إِنْ رِئِيَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحُ مِنْهُ - قَالَ: هَكَذَا هُوَ - وَكَلِمَتُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى: إِنْ رِئِيَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَأَقُومُ فَآتَى تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تَعْطُهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ. فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَبْوَابِ. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَبِينَ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»^(١). أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بْنِ حَيَّانَ، بِهِ.

ورواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال»، عن أبي خيثمة، عن جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكره بطوله، وزاد في السياق: «وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي فِي النَّارِ، انْطَلِقُوا إِلَى غَيْرِي». فِي قِصَّةِ آدَمَ، وَنُوحَ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى^(٢)، وَهِيَ زِيَادَةٌ غَرِيبَةٌ جَدًّا، لَيْسَتْ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَلَا فِي أَحَدِهِمَا، بَلْ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ بَقِيَّةِ «السُّنَنِ» وَهِيَ مُنْكَرَةٌ جَدًّا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ الْمَنْذَرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ قُطَيْبَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مَنِيرِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنْجِزُهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي اخْتَبَيْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ، وَيَبْدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، آدَمَ فَمِنْ دُونِهِ تَحْتَ لَوَائِي وَلَا فَخْرَ، وَيَطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَبِينَا، فَلْيَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنْكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا. فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَا يَهْمُنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنْ انْتَوُوا نَوْحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ،

(١) أخرجه أحمد (٤٢٥/٢-٤٣٦)، وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه البخاري (٣٣٤٠) (٣٣٦١) (٤٧١٢).

ومسلم (١٩٤) (٣٢٧)، والترمذي (٢٤٣٤) من طريق أبي حيان، به.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٥٤).

كنحو ما تقدم إلى أن قال: «فَيَا تَوْنِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضُ بَيْنَنَا. فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لِي بِشَاءٍ وَيَرْضَى، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ، أَنْ يَصْذَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ، نَادَى مُنَادٌ: أَيُّنَ أَحْمَدُ وَأَمَنَةٌ؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ، آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسِبُ، فَتُفْرَجُ لَنَا الْأُمَمُ طَرِيقًا، فَتَمْضِي غَرًا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوَضُوءِ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلِّهَا، فَاتَى بَابَ الْجَنَّةِ» (١).

وذكر تمام الحديث في الشفاعة، في عصاة هذه الأمة.

وقد ورد هذا الحديث هكذا عن جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٢)، من رواية حذيفة بن اليمان عنه، وسيأتي في أحاديث الشفاعة. والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث في أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في إتيان الرب لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور (٣)، كما تقدم، وهو المقصود في هذا المقام.

ومقتضى سياق أول الحديث؛ فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن ينصل الله، عز وجل، بين الناس، ليستريحوا من مقامهم ذلك، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى المحز إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة، وإخراجهم من النار، وكان مقصود السلف في الاختصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين ينكرون خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث، وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور، كما تقدم، أن الناس يذهبون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيذهب، فيسجد لله تحت العرش في مكان يقال له: الفحص. إلى أن قال: «فَيَقُولُونَ: شَفَعْتُكَ. أَنَا آتِيكُمْ فَأَقْضِي بَيْنَكُمْ». قال: «فَارْجِعْ، فَأَقِفْ مَعَ النَّاسِ». إلى أن قال: «فَيَضَعُ اللَّهُ كُرْسِيَهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ». وذكر الحديث كما تقدم.

وقال عبد الرزاق: أنبأ معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين زين العابدين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى وَجِيرِلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ مَا زَادَ قَبْلَهَا، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، إِنْ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ، فَيَقُولُ اللَّهُ: صَدَقَ. ثُمَّ أَشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، عِبَادُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ. فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ» (٤).

هذا مرسل من هذا الوجه، وعندى أن معنى قوله: «عِبَادُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ». أي وقوف في أطراف الأرض، أي الناس مجتمعون في صعيد واحد، مؤمنهم وكافرهم، فيشفع عند

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤٦)، وإسناده ضعيف، وله شواهد.

(٢) أخرجه أحمد (١٥)، وابن أبي عاصم (٧٥١) (٨١٢)، وأبو يعلى (٥٦) (٥٧)، والبزار (٧٦)، وابن حبان (٦٤٧٦) بسند حسن.

(٣) ضعيف؛ وقد سبق.

(٤) أخرجه الحاكم (٥٧١/٤)، وابن جرير (٢٢٦٤٠) وهو مرسل إسناده صحيح.

الله، ليأتى لفصل القضاء بين عباده، ويميز مؤمنهم من كافرهم في الموقف والمصير في الحال والمآل، ولهذا قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُمَودًا﴾. هو المقام الذي يقومه رسول الله ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

وقال البخاري: حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا أبو الأحوص، عن آدم بن علي، قال: سمعت ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع، يا فلان، اشفع، حتى تنهى الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعث الله مقاما محمودا. (١)

قال: ورواه حمزة بن عبد الله، عن أبيه، عن النبي ﷺ.

وقد أسند ما علقه ههنا في موضع آخر من «الصحيح»، فقال في كتاب الزكاة: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عبيد الله بن أبي جعفر، سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر، سمعت عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُسْأَلُ النَّاسُ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَرْعَةٌ لَحْمٌ». وقال: «إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ، فَيَبِينَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ اسْتَفَاثُوا بِأَدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ». زاد عبد الله ابن صالح، حدثني الليث، عن ابن أبي جعفر: «فَيُشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَيُؤَمِّنُ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ». (٢)

وكذا رواه ابن جرير، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شعيب بن الليث، عن أبيه، به، بنحوه. (٣)

ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي، سقانا الله منه يوم القيامة.

من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة، المتضافرة.

وان رعمت أنوف كثير من المبتدعة النافرة المكابرة، القائلين بجحوده.

المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وزوده.

كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها.

ولو اطلع المنكر للحوض على ما ستورده من الأحاديث قبل مقاتله لم يقلها

روى أحاديث الحوض جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أبي بن كعب، وأنس بن مالك، وبريدة ابن الحصيب، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وحذوب بن عبد الله البجلي، وحارثة بن وهب، وحذيفة بن أسيد، وحذيفة بن اليمان، والحسن بن علي، وحمزة بن عبد المطلب، وزيد بن أرقم، وسلمان الفارسي، وسمرة بن جندب، وسهل بن سعد،

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٤) (١٤٧٥) (٤٧١٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢٦٣٧) بهذا الإسناد.

وسويد بن جبلة، وعبد الله الصنابحي، وعبد الله بن زيد بن عاصم، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وعتبة بن عبد السلمي، وعثمان بن مظعون، والمستورد، وعقبة بن عامر الجهني، والنَّوَّاسُ بن سَمْعَانَ، وأبو أُمَامَةَ الباهلي، وأبو بَرَزَةَ الأسلمي، وأبو بَكْرَةَ، وأبو ذَرَّ الغفاري، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة الدوسي، وخولة بنت قيس، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة، وأم سلمة، رضي الله عنهم أجمعين.

رواية أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه: قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب، أن رسول الله ﷺ ذكر الحوض، فقالوا: يا رسول الله، وما الحوض؟ فقال: «ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، من شرب منه شربة لم يظم أبداً، ومن صرف عنه لم يرو أبداً». (١)

ورواه أبو بكر ابن أبي عاصم، في كتاب «السنة»: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا عبد الغفار بن القاسم، فذكره بإسناده، ولفظه: قيل: يا رسول الله، وما الحوض؟ قال: «والذي نفسي بيده، إن شرايبه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، وأنيته أكثر عدداً من النجوم، لا يشرب منه إنسان فيظم أبداً، ولا يصرف عنه إنسان فيروى أبداً». لم يخرج أحد من أصحاب الكتب، ولا الإمام أحمد.

رواية أنس بن مالك الأنصاري خادم النبي ﷺ: قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا ابن وهب، عن يونس، قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء» (٢) وكذا رواه مسلم، عن حرملة، عن ابن وهب به. (٣)

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا وهيب، حدثنا عبد العزيز، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ليردن على ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فاقول: أصحابي. فيقولون: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (٤). ورواه مسلم عن محمد بن حاتم، عن عفان، عن وهيب بن خالد، عن عبد العزيز بن صهيب به. (٥)

طريق أخرى عن أنس: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسماً، إماً قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليّ آية سورة، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم (٧١٧) وقال الألباني: موضوع.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٣) (٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٠٤).

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١)، حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْبِيَتُهُ عِدَدُ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدِّكَ»^(١). هذا ثلاثي الإسناد.

ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، من حديث ابن فضيل، وعلى بن مسهر، كلاهما عن المختار بن فلفل، عن أنس، به.

ولفظ مسلم: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ، تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». والباقي مثله. ومعنى ذلك: أَنَّهُ يَشْخُبُ مِنَ الْكَوْثَرِ - وهو في الجنة - ميزابان إلى الحوض، والحوض في موقف القيامة قَبْلَ الصِّرَاطِ، لَأَنَّهُ يُخْتَلَجُ عَنْهُ، وَيُمْنَعُ مِنْهُ أَقْوَامٌ قَدْ ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يُجَاوِزُونَ الصِّرَاطَ. كَمَا سَيَرِدُ هَذَا مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَجَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ أَنَّهُ فِي الْعَرَصَاتِ، كَمَا سَتَرَاهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَأَمَّا الْكَوْثَرُ فَإِنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ.

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، وَأَزْهَرُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِثْلُ مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي مِثْلُ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ، أَوْ مِثْلُ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ»^(٢).

ورواه مسلم، عن هارون الحمالي، عن عبد الصمد. وأخرجه مسلم أيضاً عن عاصم بن النضر الأخول، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه عن قتادة، عن أنس، بنحوه.

طريق أخرى عنه: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يُونُسُ وَحَسَنُ بْنُ مُوسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ^(٣). ورواه أحمد أيضاً عن عَفَّانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ قَوْمًا ذَكَرُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْحَوْضَ فَأَنْكَرَهُ، وَقَالَ: مَا الْحَوْضُ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ: لَا جَرَمَ، وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ. فَاتَاهُ، فَقَالَ: ذَكَرْتُمُ الْحَوْضَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً يَقُولُ: «إِنْ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ أَوْ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ، وَإِنْ أَنْبِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عِدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» انفرد به أحمد^(٤).

وقد رواه يحيى بن محمد بن صاعد، عن سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي الْعَنْبَرِيِّ، عَنْ مُعَاذِ ابْنِ مُعَاذِ الْعَنْبَرِيِّ، عَنْ أَشْعَثِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحُمْرَانِيِّ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، فِيهِ مِنَ الْأَنْبِيَةِ عِدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَرَوْا أَبَدًا»^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١١٩٩٦)، ومسلم (٤٠٠)، وأبو داود (٧٨٤) (٤٧٤٧)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٣/٣)، ومسلم (٢٣٠٣)، وابن ماجه (٤٣٠٤)، وابن حبان (٦٤٥١).

(٣) أخرجه أحمد (١٣٤٠٥)، بسند ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (١٣٤٠٦)، بسند ضعيف والحديث صحيح.

(٥) إسناده رجاله ثقات.

طريق أخرى: قال أبو يعلى: حدثنا عبد الرحمن، هو ابن سلام، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن عبيد الله بن زياد قال: يا أبا حمزة، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر الحوض؟ فقال: لقد تركت بالمدينة عجائز يكثرن أن يسألن الله أن يوردهن حوض محمد ﷺ. (١)

طريق أخرى: قال أبو يعلى أيضاً: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة، هو ابن عمار، عن يزيد الرقاشي، قال: قلت: يا أبا حمزة، إن قومًا يشهدون علينا بالكفر والشرك. فقال أنس: أولئك شر الخلق والخليقة. قلت: ويكذبون بالحوض. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي حوضاً عرضُهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْكَعْبَةِ - أو قال: صنعاء - أشدّ نياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه أنية عدد نجوم السماء، يمدّه ميزابان من الجنة. من كذب به لم يصب منه الشرب». (٢)

طريق أخرى: قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عبد الخالق البزار في «مسنده» (٣): حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود، حدثنا المسعودي، عن عدي بن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي من كذا إلى كذا، فيه من الأنية عدد النجوم، أطيب ريحاً من المسك، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً، ومن لم يشرب منه لم يروأ أبداً». ثم قال: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أنس بهذا الإسناد، ولم يرو عدي بن ثابت عن أنس سواه، ولا رواه عنه إلا المسعودي. وهذا إسناد جيد، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب، ولا أحمد بن حنبل.

طريق أخرى: قال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة، عن أبي بكر ابن عبيد الله بن أنس، عن جده أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «أريت حوضي، فإذا على حافتيه أنية مثل نجوم السماء، فأدخلت يدي، فإذا عتبر أذفر». (٤)

رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي: قال أبو يعلى: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا يحيى بن يمان، عن عائذ بن نسير العجلي، عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي كما بين عمان إلى اليمن، فيه أنية عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً». (٥)

وهكذا رواه ابن صاعد، وابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن الوضاح الأزدي اللؤلؤي، عن يحيى بن يمان به. ولفظه: «حوضي ما بين عمان واليمن، فيه أنية عدد نجوم السماء، أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وألين من الزبد، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً». لم يخرجوه.

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٣٥٥)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٠٨٥) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه البزار (١٧٨/٤) وإسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن عدي (٣٥٤/٥)، وسنده ضعيف.

رواية ثوبان: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن سالم، عن معدان، عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: «أنا بعقر حوضي يوم القيامة، أدود عنه الناس لأهل اليمن، وأضربهم بعصاي حتى يرفض عنهم». قال: قيل: يا رسول الله ﷺ، ما سعة؟ قال: «من مقامى إلى عمان، يغت فيه ميزابان يمدانه»^(١).

ورواه أحمد أيضاً عن عبد الصمد، عن هشام، عن قتادة. وعن عبد الوهاب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وعن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة به، فستل رسول الله ﷺ عن عرضه، فقال: «من مقامى إلى عمان». وقال عبد الرزاق: «ما بين بصرى وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة». أو قال: «من مقامى هذا إلى عمان». وسئل عن شرايه، فقال: «أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق».

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو بكر - هو ابن أبي شيبة - حدثنا محمد بن بشر العبدى، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن ثوبان، أن النبي ﷺ قال: «أنا عند عقر حوضي أدود عنه الناس لأهل اليمن، أنى لأضربهم بعصاي حتى يرفض». قال: وسئل رسول الله ﷺ الحوض، قال: «مثل مقامى هذا إلى عمان، ما بينهما شهر، أو نحو ذلك». فستل رسول الله ﷺ عن شرايه، فقال: «أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان، مداذه - أو مداهما - من الجنة، أحدهما ورق، والآخر ذهب»^(٢).

وهكذا رواه مسلم، عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن بشار، ثلاثتهم عن معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، بنحوه^(٣).

طريق أخرى عن ثوبان: قال أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن عياش، عن محمد بن المهاجر، عن العباس بن سالم اللخمي، قال: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي، فحمل إليه على البريد، ليسأله عن الحوض، فقدم به عليه، فسأله فقال: سمعت ثوبان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاويبه عدد النجوم، من شرب منه شربة لم يظم بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين». فقال عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد». فقال عمر بن عبد العزيز: لقد نكحت المتنعمات، وفتحت لى السدد، إلا أن يرحمني الله، والله لا أذهن رأسي، حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ^(٤).

ورواه الترمذى فى الزهد، عن محمد بن إسماعيل، عن يحيى بن صالح.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠/٥)، ومسلم (٢٣٠١).

(٢) راجع التخرىج السابق، وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٤٣/١١) وعنه أبو يعلى، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٤) إسناده فيه انقطاع كما سبق.

وابن ماجه فيه، عن محمود بن خالد الدمشقي، عن مروان بن محمد الطاطري، كلاهما عن محمد بن المهاجر، عن العباس بن سالم، عن أبي سلام به.
قال شيخنا المزني في أطرافه: ورواه الوليد بن مسلم، عن يحيى بن الحارث، وشيبة بن الأحنف وغيرهما، عن أبي سلام.

وقال أبو بكر ابن أبي عاصم: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة، حدثنا زيد بن واقد، حدثني بسر بن عبيد الله، حدثنا أبو سلام الأسود، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّيْنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، أَكَاوِيهِ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»^(١)، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيَّ وَارِدَةٌ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ». قلنا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «الشُّعْتُ رَعُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ، وَلَا تَفْتَحَ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدُودِ»^(٢)، الَّذِينَ يُعْطُونَ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يُعْطُونَ الَّذِي لَهُمْ»^(٣). وهذه طريقٌ جيدةٌ أيضًا. والله الحمد والمِنَّة.

رواية جابر بن سمرة: قال أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، حدثنا أبي، حدثنا زياد بن خيثمة، عن سمالك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنْ بَعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيْقَ فِيهِ النُّجُومُ»^(٤). وهكذا رواه مسلم عن أبي همام، به، وقال: «أَنَا فَرَطُ لَكُمْ». والباقي مثله.

طريق أخرى عن جابر بن سمرة: قال مسلم: حدثنا، قتيبة بن سعيد، وأبو بكر ابن أبي شيبة، قالوا: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلَامِي نَافِعٍ: أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قال: فَكَتَبْتُ إِلَى: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَنَا الْفَرَطُ عَلَى الْحَوْضِ»^(٥).

رواية جابر بن عبد الله: قال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا زكريا بن إسحاق، حدثنا أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ». قال: «فَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَنِي وَمِنْ أُمَّتِي». قال: «فَيَقَالُ: وَمَا يَدْرِيكَ مَا عَمَلُوا بَعْدَكَ؟ مَا بَرَحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ». قال جابر: قال رسول الله ﷺ: «الْحَوْضُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ - يَعْنِي عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ - وَكَيْزَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّيْنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٦). هذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يروه، وقد روى من طريق زكريا، عن أبي الزبير، عن جابر، سِتَّةَ أَحَادِيثَ، ليس هذا منها.

(١) إلى هنا تنتهي رواية ابن أبي عاصم (٧٠٦) وفيه انقطاع.

(٢) هذا القدر أخرجه الأجرى في «الشرية» (٨٢٤) وفيه انقطاع.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٣٧) بهذه الزيادة وفيه انقطاع.

(٤) أخرجه أبو يعلى (٧٤٠٩)، ومسلم (٢٣٠٥)، والطبراني في «الأوسط» (٧٢٤) (٦٠٣٤)، و«الكبير» (٢٠٠٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٠٥)، وابن أبي عاصم (٧٣٨)، والطبراني (١٨٠٦) (١٨٠٧).

(٦) أخرجه أحمد (٣٨٤/٣)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

طريقاً أخرى عن جابر: قال أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عمر بن هياج، حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزجبي، حدثنا عبيدة بن الأسود، عن مجالد، عن عامر - هو الشعبي - عن جابر ابن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «إني فرطكم على الحوض، وإني مكاثركم الأمم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يقتل بعضكم بعضاً». فقال رجل: يا رسول الله، ما عرضة؟ قال: «ما بين أيلة - أحسبه قال - إلى مكة، فيه مكاسي أكثر من عدد النجوم، لا يتناول مؤمن منها واحداً فيضعه من يده حتى يتناول آخر». ثم قال: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه. (١)

ورواه ابن أبي الدنيا، عن أبي عبد الرحمن القرشي، عن عبيدة بن الأسود به.
رواية جندب بن عبد الله البجلي: قال البخاري: حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة، عن عبد الملك، سمعت جندباً: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض». (٢)

ورواه مسلم من حديث شعبة وزائدة ومسعر، ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير، به. ورواه الإمام أحمد، من حديث هؤلاء عنه، وعن سفيان بن عيينة عنه، ثم قال سفيان: الفرط الذي يسبق.

رواية حارثة بن وهب الخزاعي: قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا حرمي بن عمار، حدثنا شعبة، عن معبد بن خالد، أنه سمع حارثة بن وهب، يقول: سمعت النبي ﷺ، وذكر الحوض، فقال: «كما بين المدينة وصنعاء» (٣). وزاد ابن أبي عدي، عن شعبة، عن معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب، سمع النبي ﷺ قال: «حوضه ما بين صنعاء والمدينة». فقال له المستورد: ألم تسمعه قال الأواني؟ قال: لا. قال المستورد: «تري فيه الأنية مثل الكواكب». (٤)

وقد رواه مسلم (٥)، عن إبراهيم بن محمد بن عرعرة، عن حرمي بن عمار، عن شعبة كما ساقه البخاري. ورواه عن محمد بن عبد الله بن بزيغ، عن محمد بن عبد الله - وهو ابن أبي عدي - عن شعبة، كما ذكره البخاري سواء.

والمستورد هذا هو ابن شداد بن عمرو الفهري، صحابي جليل، علق له البخاري، وأسند ذلك مسلم، وروى له أهل السنن الأربعة، وله أحاديث.

رواية حذيفة بن أسيد، أبي سريحة الغفاري: أنبأنا عن الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي، رحمه الله، أنه قال في الجزء الذي جمعه في أحاديث الحوض: أخبرنا محمد بن أحمد بن نصر الأصبهاني بها، أن الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم قراءة عليه، وهو حاضر، أنبأنا أحمد بن عبد الله - يعني أبا نعيم الأصبهاني - أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله سمويه، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا زيد بن الحسن، حدثنا معروف بن خربوذ، حدثنا أبو الطفيل، عن

(١) أخرجه البزار كما قال الهيثمي في «المجمع» (٣٦٥/١٠)، بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، وأخرجه أحمد (٣١٣/٤)، ومسلم (٢٢٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩١).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٥٩٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٩٨).

حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، قال: لما صدر النبي ﷺ عن حجة الوداع قال: «أيها الناس، إني فرطكم على الحوض، وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه أنية عدد النجوم»^(١). لم يروه من أصحاب الكتب أحد، ولا أحمد.

رواية حذيفة بن اليمان: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا ابن هبيرة، أنه سمع أبا تميم الجيشاني، يقول: أخبرني سعيد، أنه سمع حذيفة يقول: غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج، حتى ظننا أنه لن يخرج، فلما خرج سجد سجدة فظننا أن نفسه قد قبضت منها، فلما رفع رأسه قال: «إن ربي تبارك وتعالى، استشارني في أمتي: ماذا أفعل بهم؟ فقلت: ما شئت، أي رب، هم خلقك وعبادك. فاستشارني الثانية، فقلت له كذلك. فقال: لا أحزنك في أمتك يا محمد. ويشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً، ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلي، فقال: ادعُ ثجب، وسل تعط. فقلت لرسوله: أو معطي ربي سؤلي؟ فقال: ما أرسلني إليك إلا ليعطيك، وقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأنا أمشي حياً صحيحاً، وأعطاني أن لا تجوع أمتي، ولا تغلب، وأعطاني الكوثر، فهو نهر في الجنة، يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعي بين يدي أمتي شهراً، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة، وطيب لي ولأمتي الغنيمه، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا، ولم يجعل علينا من حرج»^(٢). هذا حديث حسن الإسناد والمتن.

طريق أخرى عنه: رواه الطبراني من حديث مبارك بن فضالة، عن خالد بن أبي الصلت، عن عبد الملك بن عمير، عن ربيعي، عن حذيفة، مرفوعاً: «إنها ستكون عليكم أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم يكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولن يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم يكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض غداً إن شاء الله»^(٣).

طريق أخرى: قال أبو القاسم البغوي: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن سعد ابن طارق، عن ربيعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي لأبعد من أيلة وعدن، والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد النجوم، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده، إني لأذود عنه الرجال كما يذود الراعي الإبل الغريبة عن حوضه». قال: قيل يا رسول الله، نعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء، وليست لأحد غيركم»^(٤).

ورواه مسلم عن عثمان بن أبي شيبة بنحوه، وعلقه البخاري، فقال: وقال حصين عن أبي وائل، عن حذيفة، عن النبي ﷺ. (٥)

(١) أخرجه الطبراني (٢٦٨٣) (٣٠٥٢)، وأبو نعيم (٣٥٠/١)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٢/٥) وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة والراوي عن حذيفة لم أعثر عليه واضحاً.

(٣) أخرجه الطبراني (٣٠١٩) وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٤٨/٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح. قلت: وإسناده حسن.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٢)، وابن حبان (٧٢٤١).

(٥) علقه البخاري بإثر حديث رقم (٦٥٧٦).

حديث الحسن بن علي بن أبي طالب: قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل. وعبد الرحمن بن سلم الرازي، قالا: حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، حدثنا علي بن عباس، عن بدر بن الحليل أبي الحليل، عن أبي كثير، قال: كنت جالساً عند الحسن بن علي، فجاءه رجل، فقال: لقد سب عند معاوية علياً سباً قبيحاً رجلاً، يقال له: معاوية بن حديج. فقال: تعرفه؟ قال: نعم. قال: إذا رأيته فأتني به. قال: قرأه عند عمرو بن حريث، فأراه إياه، قال: أنت معاوية بن حديج؟ فسكت، فلم يجبه، ثلاثاً، ثم قال: أنت السبب علياً عند ابن أكلة الجبذ؟ أما إنك إن وردت عليه الحوض - وما أراك تردّه - لتجدته مشمراً حاسراً عن ذراعيه يدود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ كما تذاذ غريبة الأبل عن صاحبها، قول الصادق المصدوق أبي القاسم ﷺ. ورواه من طريق أخرى عن علي بن أبي طلحة، عن الحسن مرفوعاً. (١)

حديث أبي عمارة بن عبد المطلب ﷺ: قال الطبراني: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أسامة بن زيد، أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوماً ولم يجده، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت: خرج بأبي أنت وأمي أنفاً عامداً نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أرقبة بني النجار، أفلا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيساً فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك أهتلك وأمرتك، أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا؛ في الجنة يدعى الكوثر. فقال: «أجل، وعرضته ياقوت ومرجان وزبرجد وؤلؤ». قالت: أحببت أن تصف لي حوضك بصفة أسمعها منك. فقال: «هو ما بين أيلة وصنعاء، فيه أباريق مثل عدد النجوم، وأحب وأردى علي قومك، يا بنت قهد الأنصاري». (٢)

هذا حديث عزيز جداً، من رواية حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، ثم من رواية زوجته هذه، ورواية عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أسامة بن زيد منقطعاً، وذكر أبو بكر الشافعي في «فوائده»: أن بينهما المسور بن مخرمة.

رواية زيد بن أرقم ﷺ: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شعبة، قال: عمرو بن مرة أخبرني، قال: سمعنا أبا حمزة أنه سمع زيد بن أرقم، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزل منزلاً، سمعت يقول: «ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض من أمتي». قلنا لزيد: كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة. (٣)

وكذا رواه عن هاشم، عن شعبة (٤). ورواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة. ورواه أحمد،

(١) أخرجه الطبراني (٢٧٢٧)، و (٢٧٥٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٣١/٩): رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما علي بن أبي طلحة مولى بني أمية ولم أعرفه والآخر ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني (٢٩٥٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٦٣/١٠): وفيه حرام بن عثمان وهو متروك.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣٧١/٤).

(٤) أخرجه أحمد (٣٦٩/٤)، والطيالسي (٦٧٧)، وعبد بن حميد (٢٦٦)، وأبو داود (٤٧٤٦)، واللالكائي (٢١٠٦)، من طرق عن شعبة، به.

عن أبي معاوية، عن الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مرة به. ورواه أبو داود، عن حفص ابن عمر، عن شعبة.

قلت: وأبو حمزة، هو طلحة بن يزيد الأنصاري الكوفي مولى قرظة بن كعب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

رواية أخرى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو حيان التيمي. / ح/ وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا الحسن بن يعقوب العدل، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، أنبأنا جعفر بن عون، أنبأنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي، ثم الرباب - حدثنا يزيد بن حبان التيمي، قال: شهدت زيد بن أرقم، وبعث إليه عبيد الله بن زياد، فقال ما أحاديث بلغتني عنك تحدث بها عن رسول الله ﷺ؟ تزعم أن له حوضاً في الجنة؟ فقال: حدثنا ذلك رسول الله ﷺ ووعدناه. فقال: كذبت، ولكنك شيخ قد خرفت. قال: أما إنه سمعته أذنائي من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَا كَذَبْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». (١)

وستأتي روايته عن أخ له.

وأما رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه: فروى الإمام أبو بكر ابن خزيمة، رحمه الله، من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال: «أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم مبارك...» وذكر تمام الحديث بطوله في فضل شهر رمضان، إلى أن قال: «ومن أشبع فيه صائماً، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة». (٢)

رواية سمرة بن جندب الفزاري رضي الله عنه: قال أبو بكر ابن أبي عاصم، حدثنا إبراهيم بن المستمير، حدثنا محمد بن بكار بن بلال، حدثنا سعيد - هو ابن بشير - عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا يَتْبَاهُونَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَاوَدَةً، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَاوَدَةً». (٣). وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن محمد بن نيزك، عن محمد بن بكار بن بلال، عن سعيد بن بشير، وقال: هذا حديث غريب (٤). قال: ورواه أشعث بن عبد الملك عن الحسن مرسلاً، وهو أصح.

رواية سهل بن سعد الأنصاري الساعدي رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن مطرف، حدثنا أبو حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يَحَالُ

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٥٣)، وأخرجه أحمد (٣٦٧/٤) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٧)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٧٣٤)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه الألباني لشواهد في «الصحيحة» (١٥٨٩).

بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». قال أبو حازم: فَسَمِعَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتته وهو يزيد فيها: «فأقول: إِنَّهُمْ مِتُّ». فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدِّكَ. فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»^(١). وقال ابن عباس: سَحَقًا بُعْدًا. يقال: سَحِيقٌ: بعيدٌ، سَحَقَهُ، وَأَسَحَقَهُ: أَبْعَدَهُ. تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(٢). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وأما رواية سويد بن جبلة: فذكرها القاضي عياض، وكذلك رواية عبد الله الصنابحي ذكرها عياض أيضًا.

رواية عبد الله بن زيد بن عاصم المازني رضي الله عنه: ثَبِتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَسَمَ غَنَائِمَ حَتِينَ، فَأَعْطَى مَنْ أَعْطَى مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وَالْعَرَبِ، فَتَغَضَّبَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِيمَا قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةَ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٣).

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارُ: حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ - هُوَ ابْنُ أَبِي سَلِيمٍ - عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي أَخَذْتُ بِحُجَزِكُمْ أَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - «وَإِذَا أَنَا مِتُّ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ، وَيُؤْتَى بِأَقْوَامٍ فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ - أَحْسَبُهُ قَالَ: أَصْحَابِي - فَيَقَالُ: مَا زَالُوا بِعَدِّكَ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»^(٤). ثُمَّ قَالَ: تَفَرَّدَ بِهِ لَيْثٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وقال البخاري في باب الحوض من «صحيحه»: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا أَبُو بَشِيرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْكُوْثَرُ. الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: إِنَّ أَنْاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.^(٥)

قلت: وقد تقدّم أَنَّهُ يَشْخُبُ مِنَ الْكُوْثَرِ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ إِلَى الْحَوْضِ الَّذِي فِي الْمَوْقِفِ مِيزَابَانٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ.

طريق أخرى عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما: قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ الْبَغَوِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ عَمِيرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، زَوَايَاهُ سَوَاءٌ، أَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَآوُهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ - يَعْنِي رِيحًا - مِنَ الْمَسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْلَمَ بَعْدَهَا أَبَدًا».^(٦)

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٤) (٧٠٥١)، وأخرجه أحمد (٤٠٢/١-٤٠٦)، ومسلم (٢٢٩٧)، وابن أبي عاصم (٧٣٦) (٧٦١)، من طريق أبي حازم، به.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) (٧٢٤٥)، ومسلم (١٠٦١).

(٤) أخرجه البزار (٣٤٨٠)، وإسناده ضعيف. (٥) أخرجه البخاري (٦٥٧٨).

(٦) أخرجه الطبراني (١١٢٤٩) وهو حسن.

طريق أخرى عن ابن عباس، رضى الله عنهما: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا العباس بن محمد، حدثنا حسين بن محمد المروزي، حدثنا محسن بن عقبة اليماني، عن الزبير بن شبيب، عن عثمان بن حاصر، عن ابن عباس، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ قال: «إي، والذي نفسي بيده، إن فيه ماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء». (١)

رواية عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما: قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن عبيد الله، حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «أمامكم حوض، ما بين جرياء وأذرح». (٢) ورواه أحمد، عن يحيى القطان، ورواه مسلم، من حديث عبيد الله، وأيوب، وموسى بن عقبة، وغيرهم، عن نافع.

وفي بعض الروايات: «أمامكم حوض كما بين جرياء وأذرح - وهما قريتان بالشام - فيه أبريق عدد نجوم السماء، من ورد فشرب منه لم يظلم بعدها أبدا».

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا عمر بن عمرو أبو عثمان الأحموسي، حدثني المخارق بن أبي المخارق، عن عبد الله بن عمر أنه سمعه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «حوضي كما بين عدن وعمان، أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبدا، أول الناس عليه ورودا صعا ليك المهاجرين».

قال قائل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الشعثة رؤسهم، الشحبة وجوههم، الدنسة ثيابهم، لا يفتح لهم أبواب السدد، ولا ينكحون المتنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يأخذون الذي لهم». تفرد به أحمد. (٣)

طريق أخرى عنه: قال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عوانة، حدثنا عطاء بن السائب، قال: قال لي محارب بن دثار: ما كان سعيد بن جبير يقول في الكوثر؟ قلت: كان سعيد يحدث عن ابن عباس، قال: هو الخير الكثير. قال محارب: أين يقع رأي ابن عباس؟ قال محارب: حدثنا عبد الله بن عمر، قال: لما نزلت: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر: ١). قال لنا رسول الله ﷺ: «هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب، يجري على الدر والياقوت، تربته أطيب ريحا من المسك، وطعمه أحلى من العسل، وماؤه أشد بياضا من الثلج». (٤)

ورواه البيهقي من حديث حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب بنحوه، وأخرجه الترمذي، وابن ماجه من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(١) إسناده ضعيف، فيه ثلاثة مجاهيل.

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٧)، وأخرجه أحمد (٤٧٢٣)، ومسلم (٢٢٩٩).

(٣) أخرجه أحمد (٦١٦٢)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطيالسي (١٩٣٣)، والترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤)، وهو حديث صحيح.

رواية عبد الله بن عمرو بن العاص، رضى الله عنهما: قال البخارى: حدثنا سعيد بن أبى مريم، حدثنا نافع بن عمرو، عن ابن أبى مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو: قال النبى ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أبيضٌ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومُ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْلَمُ أَبَدًا»^(١)، ورواه مسلم، عن داود بن عمرو، عن نافع بن عمرو، به. (٢)

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، حدثنا حسين المعلم، حدثنا عبد الله ابن بريدة، عن أبى سبرة - واسمه سالم بن سبرة - قال: كان عبيد الله بن زياد يسأل عن الحوض، حوض محمد ﷺ، وكان يكذب به بعد ما سأل أبا برزة، والبراء بن عازب، وعائذ بن عمرو، ورجلاً آخر، وكان يكذب به، فقال أبو سبرة: أنا أحدثك بحديث فيه شفاء هذا، إن أباك بعث معي بمال إلى معاوية، فلقيت عبد الله بن عمرو، فحدثني بما سمع من رسول الله ﷺ وأملني على، فكتبت يدي، فلم أزد حرفاً، ولم أنقص حرفاً، حدثني أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، أَوْ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ، وَالْمُتَفَحِّشَ». قال: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالتَّفَاحِشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمَجَاوِرَةِ، وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ». وقال: «أَلَا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ حَوْضِي، عَرْضُهُ وَطُولُهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَمَكَّةَ، وَهُوَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فِيهِ مِثْلُ النُّجُومِ أَبَارِيقُ، شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَبًا لَمْ يَظْلَمَ بَعْدَهُ أَبَدًا». فقال عبيد الله: ما سمعت في الحوض حديثاً أثبت من هذا. فصدق به، وأخذ الصحيفة، فحبسها عنده. (٣)

طريق أخرى عنه: قال أبو بكر البزار في «مسنده»: حدثنا محمود بن بكر بن عبد الرحمن، حدثنا أبى، حدثنا عيسى بن المختار، عن محمد بن أبى ليلى، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة، عن عبيد بن عمير الليثي، عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِي حَوْضًا فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَتُهُ شَهْرٌ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَاؤُهُ كَالْوَرَقِ، أَقْدَا حُهُ كَنْجُومُ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرِبَ لَمْ يَظْلَمَ بَعْدَهَا أَبَدًا». ثم قال: لَا تَعْلَمُ رَوَى عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو غير هذا الحديث. (٤)

طريق أخرى أيضاً: رواها الطبراني من حديث مسلم بن رثاب، عن عبد الله بن عمرو.

رواية أبو برزة: عن أبى برزة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ نَاصِيَتِي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى صَنْعَاءَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، عَرْضُهُ كَطُولِهِ، فِيهِ مَرْزَابَانِ يَنْبَعَثَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مِنْ وَرَقٍ وَذَهَبٍ، أبيض من اللبن وأبرد من الثلج، فيه أبريق عدد نجوم السماء». رواه الطبراني وابن حبان في «صحيحه» من رواية أبى الوائز واسمه جابر بن عمرو عن أبى برزة. (٥)

(١) أخرجه البخارى (٦٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢/٢-١٦٣)، وإسناده ضعيف، لكن الحديث صحيح.

(٤) إسناده ضعيف، محمد بن أبى ليلى سبى الحفظ.

(٥) أخرجه أحمد (٤٢٤/٤)، وابن أبى عاصم (٧٢٢)، والبزار (٣٨٤٩)، وابن حبان (٦٤٥٨) وإسناده حسن، وله شواهد.

رواية عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن سليمان، عن شقيق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض» (١). قال البخاري: وحدثنا عمرو بن علي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن المغيرة: سمعت أبا وائل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يارب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (٢). تابعه عاصم، عن أبي وائل، وقال حصين: عن أبي وائل، عن حذيفة، عن النبي ﷺ (٣).

طريق أخرى عنه في الحوض وغيره: قال الإمام أحمد: حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا علي بن الحكم البثاني، عن عثمان، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود، قال: جاء ابننا مليكة إلى النبي ﷺ، فقالا: إن أمنا ماتت وكانت تكرم الزوج، وتعطف على الولد - قال: وذكر الضيف - غير أنها كانت وأدت في الجاهلية، فقال: «أمكم في النار». قال: فأدبراً والشر يرى في وجوههما، فأمر بهما، فرداً، فرجعا والسرو يرى في وجوههما! رجاء أن يكون قد حدث شيء، فقال: «أمي مع أمكم». فقال رجل من المنافقين: وما يغني هذا عن أمه شيئاً، ونحن نطأ عقبه، فقال رجل من الأنصار - ولم أر رجلاً قط أكثر سؤالاً منه - يا رسول الله، هل وعدك ربك فيهما؟ قال: فظن أنه من شيء قد سمعه، فقال: «ما سألته ربي، وما أطمعني فيه، وإنني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة». فقال الأنصاري: وما ذاك المقام المحمود؟ قال: «ذاك إذا جاءكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول: اكسوا خليلى. فيؤتى بربطتين بيضاوين، فيلبسهما، ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتى، فألبسها، فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقومه أحد، يغطيني به الأولون والآخرين». قال: «ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض». فقال المنافق: إنه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضاء فقال الأنصاري: يا رسول الله، هل له حال أو رضاء؟ قال: «حاله المسك، ورضاءه التوم». فقال المنافق: لم أسمع كالיום، فلما جرى ماء قط على حال أو رضاء إلا كان له نبت. فقال الأنصاري: يا رسول الله، هل له نبت؟ قال: «نعم، قضبان الذهب». قال المنافق: لم أسمع كالיום، فإنه قلما نبت قضيب إلا أورق، وإلا كان له ثمر. قال الأنصاري: يا رسول الله، هل له ثمر؟ قال: «نعم، ألوان الجواهر، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه مشرباً لم يظم بعده، ومن حرمه لم يرو بعده» (٤). تفرد به أحمد، وهو غريب جداً.

رواية عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه: قال الطبراني: حدثنا أحمد بن خليد الحلبي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٦)، وأخرجه مسلم (٢٢٩٧)، وأحمد (٣٦٣٩).

(٣) ذكره البخاري تعليقا عقب الحديث السابق.

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٨٧)، وإسناده ضعيف.

عامر بن زَيْد البكالي، أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدِ السَّلْمَى يَقُولُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بَصْرَى، يَمْدُنِي اللَّهُ فِيهِ بِكَرَاعٍ لَا يَدْرِي إِنْسَانٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ أَيْنَ طَرَفَاهُ». (١)

قال أبو عبد الله القرطبي (٢): وخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي «نَوَادِرِ الْأُصُولِ»، مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عُثْمَانُ، لَا تَرْغَبْ عَنْ سُنَّتِي، فَإِنَّهُ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ عَنْ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٣)

رواية عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجَهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الْبَخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي إِلَّا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا». (٤)

ورواه مسلم، عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنِ اللَّيْثِ، بِهِ. وَمِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، بِهِ. وَعِنْدَهُ: «إِنِّي فَرَطْتُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنْ عَرَضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ. (٥)

ذَكَرَ مَا رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي ذَلِكَ: أَسَدُ الْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجِمَ، وَرَجِمَ أَبُو بَكْرٍ، وَرَجِمَتْ، وَسَيَكُونُ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ، وَالِدَجَّالِ، وَالْحَوْضِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ. (٦) وَأَمَّا رَوَاةُ الْمُسْتَوْدِدِ فَذَكَرَهَا الْقَاضِي عِيَّاضٌ.

رواية النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَجِيرٍ الْبَجِيرِيُّ (٧): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٢/١٢٦/١٧) وفي «الأوسط» (٤٠٤)، والحديث حسن.

(٢) «التذكرة» (ص ٣١٢).

(٣) أخرجه الحكيم في «النوادر» (ص ٣٤٦) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٩٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٩٦)، وأخرجه أحمد (١٤٩/٤)، والبخاري (١٣٤٤) (٣٥٩٦) (٤٠٨٥)، وأبو داود (٣٢٢٣)، والنسائي (٦١/٤).

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٥٩)، وإسناده ضعيف جدًا.

(٧) هو الإمام الحافظ الثبت الجوال، مصنف المسند، أبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهمداني السمرقندي، راجع «السير» (٤٠٢/١٤).

التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ حَوْضِي عَرْضُهُ وَطُولُهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى عَمَّانَ، فِيهِ أَقْدَاحٌ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، أَوَّلُ مَنْ يَرِدُهُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَسْقَى كُلَّ عَطْشَانٍ» (١).

أوردَه الضَّيَاءُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَرَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ صَحَاحِ الْبُجَيْرِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
رواية أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ: حَدَّثَنَا دُحَيْمٌ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانٌ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَبِي الْيَمَانِ الْهُوزَنِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْأَخْنَسِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا سَعَةُ حَوْضِكَ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ، فَأَوْسَعُ وَأَوْسَعُ - يُشِيرُ بِيَدِهِ - فِيهِ مِثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ». قَالَ: فَمَا مَاءُ حَوْضِكَ؟ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا» (٢).
طَرِيقُ أُخْرَى عَنْهُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سَعَةُ حَوْضِكَ؟ قَالَ: «مَا بَيْنَ عَدَنَ، وَعَمَّانَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ - وَأَوْسَعُ وَأَوْسَعُ، وَفِيهِ مِثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا شَرَابُهُ؟ قَالَ: «أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقًا مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ بَعْدَهَا أَبَدًا» (٣).

رواية أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرَزَةَ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فَلَانَ - سَمَاءَهُ مُسْلِمٌ - وَكَانَ فِي السَّمَاطِ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدَكُمْ هَذَا لَدَخْدَاحٍ. فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعِيرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ قَالَ أَبُو بَرَزَةَ: نَعَمْ، لَا مَرَّةً، وَلَا ثَلَاثِينَ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا (٤).

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَهْزَمٍ الْعَبْدِيُّ، عَنْ أَبِي طَالُوتَ الْعَبْدِيِّ، سَمِعْتُ أَبَا بَرَزَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْحَوْضِ، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ (٥). وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهْلِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدٍ مَوْلَى الْأَنْصَارِ، عَنْ أَبِي بَرَزَةَ، فِي دُخُولِهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، بَنَحُو مَا تَقَدَّمَ (٦).

(١) موضوع.

(٢) رواه ابن أبي عاصم (٧٢٩) وإسناده مضطرب.

(٣) أخرجه الطبراني (٧٦٦٥)، والبيهقي في «البعث» (١٣٤)، وإسناده قوى.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٤٩)، وإسناده قوى، وأخرجه أحمد (٤٢١/٤).

(٥) أخرجه أحمد (٤٢١/٤)، وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٥٤)، وفي «الاعتقاد» (ص ٢١٣).

طريق أخرى عن أبي برة: قال أبو بكر ابن أبي عاصم: حدثنا عبدة بن عبد الرحيم، حدثنا النضر بن شميل، حدثنا شداد بن سعيد، سمعت أبا الوائز، وهو جابر بن عمرو، سمع أبا برة الأسلمي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى صَنْعَاءَ، مَسِيرَةُ شَهْرٍ، عَرْضُهُ كَطَوْلِهِ، فِيهِ مِيزَابَانِ يَغْتَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرَقٍ وَذَهَبٍ، أبيضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ». (١)

طريق أخرى: قال ابن أبي عاصم: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا محمد بن موسى الشيباني، عن صالح، عن سيار بن سلامة الرياحي، عن أبيه، عن أبي برة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِي حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى صَنْعَاءَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا». (٢) وَمَنْ كَذَبَ بِهِ فَلَا سَقَاءَ اللَّهُ. يعني منه.

رواية أبي بكر الثقفى رحمه الله: قال أبو بكر ابن أبي الدنيا في «الأهوال»: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا روح، حدثنا حماد بن زيد، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن أبي بكر، أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ». (٣)

رواية أبي ذر الغفاري رحمه الله: قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، وابن أبي عمر المكي -واللفظ لأبي بكر ابن أبي شيبة- قال إسحاق: أخبرنا. وقال الآخرون: حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، ما آتية الحوض؟ قال: «وَأَلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِأَنِّي تَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آتِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةٍ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ». (٤) هذا لفظه إسناده ومثناه.

رواية أبي سعيد الخدري رحمه الله: قال ابن أبي عاصم: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا زكريا، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ لِي حَوْضًا طَوْلُهُ مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أبيضُ مِثْلُ اللَّبَنِ، آتِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥). ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر ابن أبي شيبة.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن سليمان الأسدي، حدثنا عيسى بن يونس، عن زكريا،

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧٢٢) وإسناده جيد.

(٢) هذه الزيادة سبق الكلام عليها.

(٣) هذا إسناده ضعيف. وأخرجه أحمد (٤٨/٥)، وابن أبي شيبة (٤٤٣/١١)، وابن أبي عاصم (٧٦٥)، والحديث صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٠) لفظًا ومثناه، وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٤٢/١١-٤٤٣)، والترمذي (٢٤٤٥)، والبزار (٣٩٦٠)، وأحمد (١٤٩/٥).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم (٧٢٣) وإسناده ضعيف.

عن عَطِيَّةَ، عن أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي حَوْضًا طَوَّلُهُ مِنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، أَنْتِيهِ عَدَدُ النُّجُومِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفَنَاءُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْعُصْبَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ النَّفَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الرَّجُلَانِ وَالرَّجُلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ، فَيَقَالُ: لَقَدْ بَلَّغْتَ. وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» (٢). ثُمَّ قَالَ: وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، عَنْ مَالِكٍ، وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ خُبَيْبٍ، بِدُونِ ذِكْرِ أَبِي سَعِيدٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

رَوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ الدُّوسِيُّ رَوَاهُ: قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ خُبَيْبٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضٍ». وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا، وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، كِلَاهُمَا عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بِهِ (٣).

طَرِيقٌ آخَرُ عَنْهُ: قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنِي هَلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ إِذَا زُمِرَتْ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلُمُّ. فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بِعَدِّكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمِرَتْ حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلُمُّ. قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بِعَدِّكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَمِ». انْفَرَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ (٤).

طَرِيقٌ آخَرُ: قَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ - يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَأُذَوِّدَنَّ عَنْ حَوْضِي رَجُلًا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ» (٥).

وَحَدَّثَنِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ (٦).

(١) إسناده ضعيف وفيه ألفاظ منكورة.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٦٠) بهذا الإسناد. وأخرجه مالك (١٩٧/١)، وعنه أحمد (٤٦٥-٤٦٦)، والطحاوي في «المشكّل» (٢٨٧٥) (٢٨٧٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٧٣/٤) بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (٧٢٢٣)، والبخاري (٧٣٣٥) وغيرهما.

(٣) راجع التخريج السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٠٢) (٣٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٠٢) عقب الرواية الماضية، وأخرجه أحمد (٧٩٦٨)، والبخاري (٢٣٦٧) عن شعبة، به.

طريق أخرى عنه: قال مسلم: حدثنا سويد بن سعيد وابن أبي عمر، جميعاً عن مروان الفزاري، قال ابن أبي عمر: حدثنا مروان الفزاري، عن أبي مالك الأشجعي سعد بن طارق، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، فهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولا تبيته أكثر من عدد النجوم، وإنني لأصد الناس عنه، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه». قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء». (١) هذا لفظه.

طريق أخرى عنه: أخرجه مسلم، من حديث إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، به. (٢)

طريق أخرى عنه: روى الحافظ الضياء من حديث يحيى بن صالح، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا إبراهيم بن أبي أسيد، عن جده، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أنا هلك فإني قرطكم على الحوض». قيل: يا رسول الله، وما الحوض؟ قال: «عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرج، بياضه بياض اللبن، وهو أحلى من العسل والسكر، أنيته مثل نجوم السماء، من ورد علي شرب، ومن شرب منه لم يظم أبداً، وإياكم أن ترد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، فيحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: بعداً وسحقاً لمن بدل عدي». (٣)

ثم قال الحافظ الضياء: لا أعلم أني سمعت بلفظ السكر عن النبي ﷺ إلا في هذا الحديث. قلت: بلى، قد ورد لفظ السكر في حديث رواه البيهقي في باب الوليمة والشار، أن رسول الله ﷺ حضر عقداً، فأثني بأطباق الجوز والسكر فنثر، فجعل يحاطفهم ويخاطفونه. الحديث بتمامه، وهو غريب جداً. (٤)

طريق أخرى عنه: قال البخاري (٥): وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي، حدثنا أبي، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيحلبون عن الحوض، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أديارهم القهقري».

قال: وقال شعيب عن الزهري: كان أبو هريرة يحدث عن النبي ﷺ: «فيحلبون». وقال عقيل: «فيحلبون». وقال الزبيدي. عن الزهري، عن محمد بن علي، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. (٦)

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧) (٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩) (٣٩).

(٣) إسناده ضعيف: وفيه نكارة.

(٤) انظر «السنن» (٧/٢٨٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٥).

(٦) ذكره البخاري عقب الحديث الآتي.

وهذا كله تعليقٌ، ولم أرَ أحداً أسنده في شيء من هذه الوجوه عن أبي هريرة، إلا أن البخاري قال بعد هذا: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، أنه كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ رَجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيَحْلُثُونَ عَنْهُ، فَأَقُولُ: يَارَبِّ، أَصْحَابِي. فيقولون: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني يعقوب بن عبيد وغيره، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن كلثوم - إمام مسجد بني بشير - عن الفضل بن عيسى، عن محمد بن المنكدر، عن أبي هريرة، قال: كَأَنِّي بَكُمْ صَادِرِينَ عَلَى الْحَوْضِ، يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فيقول: أَشْرَبْتَ؟ فيقول: نَعَمْ. ويلقى الرجل الرجل، فيقول: أَشْرَبْتَ؟ فيقول: لَا، واعطشاه. (١)

رواية أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما: قال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن عمر، قال: حدثني ابن أبي مليكة، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قال النبي ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤَخِّدُنِي دُونِي، فَأَقُولُ: يَارَبِّ، مَنِي وَمَنْ أُمَّتِي. فيقال: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ». فكان ابن أبي مليكة يقول: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ تَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابَنَا، أَوْ نَفْتَنَ عَن دِينَا. (٢)

ورواه مسلم عن داود بن عمرو، عن نافع بن عمرو، عن ابن أبي مليكة، عن أسماء، مثله. رواية أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا عبد الرحمن بن الحسن القاضي، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، قال: سألت عائشة أم المؤمنين عن الكوثر، فقالت: هو نهرٌ أُعْطِيَهِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، عَلَيْهِ مِنَ الْآثِيَةِ عَدَدُ النُّجُومِ (٣). ورواه البخاري عن خالد بن يزيد الكاهلي، عن إسرائيل، واستشهد - برواية مطرف.

وقال مسلم: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا يحيى بن سليم، عن ابن خثيم، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، أنه سمع عائشة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، وهو بين ظهرائي أصحابه: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيَقْتَطِعَنَّ دُونِي رَجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبٍّ، مَنِي وَمَنْ أُمَّتِي. فيقولون: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» (٤). انفرد به مسلم.

رواية أم المؤمنين أم سلمة، رضي الله عنها: قال مسلم: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدقي، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو، وهو ابن الحارث، أن بكيراً حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي، عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنت

(١) باطل.

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨١/٦) وإسناده صحيح، وأخرجه البخاري (٤٩٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٩٤) (٢٨).

أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك، والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس». فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال، ولم يدع النساء. فقلت: إني من الناس. فقال رسول الله ﷺ: «إني لكم فرط على الحوض، فإياي، لا يأتين أحدكم، فيذب عنكم كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً» (١).

ثم رواه مسلم والنسائي من حديث أفلح بن سعيد، عن عبد الله بن رافع عنها (٢).
رواية أخ لزيد بن أرقم: قال الإمام أحمد: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن مطر، عن عبد الله بن بريدة، قال: شك عبيد الله بن زياد في الحوض، فأرسل إلى زيد بن أرقم فسأله عن الحوض، فحدثه به حديثاً مؤثقاً فأعجبه، فقال له: سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكن حدثني أخى (٣).

فقد تلخص من مجموع هذه الأحاديث المتواترة صفة هذا الحوض العظيم، والمورد الكريم الممد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. وفي بعض الأحاديث المتقدمة أن كلماً له في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حاله - أي في طينه - من المسك، وأن رصراضه من اللؤلؤ، وأنه ينبت على جوانبه قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الله الخالق الذي لا يعجزه شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

ذكر أن لكل نبي حوضاً. وأن حوض نبينا محمد

وعليهم أجمعين، أعظمها، وأجلها، وأكثرها وارداً. جعلنا الله تعالى من وراده.

وسقانا منه شربة لا نظماً بعدها، ونعوذ بالله سبحانه أن نذاد عنه

قال الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا، رحمه الله، في كتاب (الأهوال): حدثنا محمد بن سليمان الأسدي، حدثنا عيسى بن يونس، عن زكريا، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، أشد بياضاً من اللبن، أدنى عدد النجوم، وكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبه، ومنهم من يأتيه النضر، ومنهم من يأتيه الرجال والرجل، ومنهم من لا يأتيه أحد، فيقال: لقد بلغت. وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة» (٤).

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن محمد بن بشر، عن زكريا بن أبي زائدة، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، بنحوه (٥).
حديث آخر: قال ابن أبي الدنيا (٦): حدثنا العباس بن محمد، حدثنا الحسين بن محمد المروزي،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٥) (٢٩). (٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٥) (٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٤/٤)، وإسناده ضعيف. (٤، ٥) إسناده ضعيف.

(٦) سبق تخريجه.

حدثنا محصن بن عتبة اليمامي، عن الزبير بن شبيب، عن عثمان بن حاصر، عن ابن عباس، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ فقال: «إي والذي نفسي بيده، إن فيه ماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار، يندودون الكفار عن حياض الأنبياء». هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس هو في شيء من الكتب الستة.

وتقدم ما رواه الترمذي والطبراني وغيرهما، من حديث سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وأرد، وإنني لأرجو أن أكون أكثرهم وأرد»^(١). ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رواه أشعث بن عبد الملك، عن الحسن مرسلاً، وهو أصح.

ورواه الطبراني أيضاً من حديث خبيب بن سليمان عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحاباً، وإنني أرجو أن أكون يومئذ أكثرهم وأرد، وإن كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن، معه عصا يدعو من عرف من أمته، ولكل أمة سيما يعرفهم بها نبيهم»^(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خدّاش، حدثنا حزم بن أبي حزم، سمعت الحسن البصري يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا فقدتموني فأنا فرطكم على الحوض، إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه، بيده عصا يدعو من عرف من أمته، ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، والذي نفسي بيده إنني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً»^(٣). وذكر تمام الحديث، وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن، صححه يحيى بن سعيد القطان وغيره، وقد أفتى شيخنا الحافظ المزني بصحته بهذه الطرق.

فصل

إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟

فالجواب: أن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يُدّاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أدبارهم وأعقابهم منذ فارقتهم. فإن كان هؤلاء كفاراً، فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزَه، وقيل: إن الصراط طريق ومعبّر إلى الجنة، فهو إنما ينصب للمؤمنين والعصاة والفساق والظلمة، تحطّفهم عليه الكلاب، فمنهم المخدوش المسلم، ومنهم من يأخذ الكلوب فيهن في النار على وجهه، وإن كان المشار إليهم بالردة عصاة من المسلمين فيبعد حجبتهم عن الحوض، لاسيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال رسول الله ﷺ: «أعرفكم غراً محجلين من آثار الوضوء». ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلماً، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأشبه، والله أعلم، أن الحوض قبل الصراط.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني (٧٠٥٣) وإسناده ضعيف.

(٣) مرسل: إسناده ضعيف.

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا حرب بن ميمون، عن النضر بن أنس، عن أنس، قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. قال: «أنا فاعل». قال: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله؟ قال: «أطلبني أول ما تطلبني على الصراط». قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «هنا عند الميزان». قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «هنا عند الحوض، لا أخطئ هذه الثلاث مواطن يوم القيامة» (١).

ورواه الترمذي من حديث بديل بن المحبر، وابن ماجه في (تفسيره) من حديث عبد الصمد، كلاهما عن حرب بن ميمون أبي الخطاب الأنصاري البصري، من رجال مسلم، وقد وثقه على ابن المديني وعمر بن علي الفلاس، وفرقا بينه وبين حرب بن ميمون أبي عبد الرحمن العبدي البصري أيضاً، صاحب الأغمية، وضعفاً هذا.

وأما البخاري فجعلهما واحداً، وحكى عن سليمان بن حرب أنه قال: كان هذا أكذب الخلق. وأنكر الدارقطني على البخاري ومسلم في جعلهما هذين واحداً.

وقال شيخنا الحافظ المزني (٢): جمعهما غير واحد، وفرق بينهما غير واحد، وهو الصحيح، إن شاء الله. قلت: وقد حررت هذا في (التكميل) بما فيه كفاية.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

والمقصود: أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلًا، اللهم إلا أن يكون المراد به حوضاً آخر، يكون بعد قطع الصراط، كما جاء في بعض الأحاديث، ويكون ذلك حوضاً ثانياً لا يذاد عنه أحد، والله سبحانه أعلم.

فصل

وإذا كان الظاهر كونه قبل الصراط، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي لفصل القضاء أو بعد ذلك؟ هذا مما يحتمل كلا من الأمرين، ولم أر في ذلك شيئاً فاصلاً، فالله أعلم أي ذلك يكون.

وقال القرطبي في «التذكرة» (٣): واختلف في الميزان والحوض، أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان قبل. وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القاسبي: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم - كما تقدم - فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي في كتاب «كشف علم الآخرة»: حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال. ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم عن الحوض، ثم قال: وهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط من جاز عليه سلم، كما سيأتي. قلت: وهذا التوجيه قد أسلفناه. والله الحمد.

(١) أخرجه أحمد (١٢٨٢٥)، والترمذي (٢٤٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٩٨١).

(٢) تهذيب الكمال (٥٣٦/٥).

(٣) «التذكرة» (ص ٣٦٣).

قال القرطبي^(١): وقد ظنَّ بعضُ الناس أنَّ في تحديدِ الحوضِ تارةً بجرباءٍ وأذْرَحَ، وتارةً كما بينَ الكعبةِ إلى كذا، وتارةً بغيرِ ذلك، اضطراباً. قال: وليس الأمرُ كذلك، فإنه ﷺ حَدَّثَ أصحابه به مرَّاتٍ مُتعدِّدة، فخاطبَ في كلِّ مرَّةٍ لكلِّ قومٍ بما يعرفون من الأماكن، وقد جاء في الصحيح تحديدُهُ بشهرٍ في شهرٍ. قال: ولا يخطرُ ببالِكَ أنَّه في هذه الأرض، بل في الأرضِ المبدَّلة، وهى أرضٌ بيضاءٌ كالفضة، لم يُسْفَكْ فيها دمٌ، ولم يُظْلَمْ على ظهرِها أحدٌ قطُّ، تُطَهَّرُ لنزولِ الجبارِ، جلَّ جلاله، لفصلِ القضاءِ.

قال: وقد روى أنَّ على كلِّ زاويةٍ من زوايا الحوضِ واحداً من الخلفاء الأربعة، فعلى الركنِ الأوَّلِ أبو بكرٍ، وعلى الثانى عمرٌ، وعلى الثالثِ عثمانٌ، وعلى الرابعِ عليٌّ ﷺ. قلتُ: وقد روَّيَناهُ في «الغليانياتِ»، ولا يصحُّ إسناده، لضعفِ بعضِ رجاله^(٢). والله أعلمُ.

فصل في مجيء الرب، سبحانه وتعالى،

كما يشاء يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه

ذُكر في حديثِ الصُّورِ المتقدِّم أنَّه إذا ذهبَ رسولُ الله ﷺ فشفَعَ عندَ الله، عزَّ وجلَّ، ليفصلَ بينَ العبادِ، فيقولُ الربُّ تعالى: أنا آتيتُكم فأقضى بينكم. ثم يرجعُ رسولُ الله ﷺ فيقفُ مع الناسِ في مقامِهِ الأوَّلِ، فحينئذٍ تنشقُّ السَّمَاوَاتُ بَغَمَامٍ الثَّوَرِ، وتنزلُ الملائكةُ تَنْزِيلاً، فينزلُ أهلُ السَّماءِ الدُّنْيَا، وهم قَدَرُ أهلِ الأرضِ مِنَ الجنِّ والإنسِ، فيحيطونَ بهم دائرةً، ثم تنشقُّ السَّماءُ الثَّانِيَةُ فتَنزِلُ ملائكتُها وهم قَدَرُ الجنِّ والإنسِ وقَدَرُ ملائكةِ سَماءِ الدُّنْيَا، فيحيطونَ بِمَنْ هُنَاكَ مِنَ الملائكةِ والجنِّ والإنسِ دائرةً، ثم كذلك أهلُ السَّماءِ الثَّالِثَةِ، والرَّابِعَةِ، ثم الخامسةُ، ثم السادسةُ، ثم السابعةُ، فكلُّ أهلِ سَماءٍ تُحِيطُ بِمَنْ قَبْلَهُمْ دائرةً، ثم تنزلُ الملائكةُ الكُروبيونَ وحملَةُ العرشِ، وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ المُقَرَّبِينَ، ولهم رَجُلٌ بالتسبيحِ والتقدیسِ والتعظيمِ، يقولون: سبحانَ ذی العِزَّةِ والجبروتِ، سبحانَ ذی الملكِ والمَلَكُوتِ، سبحانَ الحیِّ الذی لا یَمُوتُ، سبحانَ الذی یَمِيتُ الخَلَائِقَ ولا یَمُوتُ^(٣). ثم یأتیهم اللهُ لفصلِ القضاءِ.

وقال أبو بكرٍ ابنُ أبی الدُّنْیَا فی «الأهوال»: حَدَّثَنَا حمزةُ بنُ العَبَّاسِ، أَخْبَرَنَا عبدُ اللهِ بنُ عُثْمَانَ، أَخْبَرَنَا ابنُ المَبَارَكِ، أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، عَنِ أبی المنهالِ سَيَّارِ بنِ سَلَامَةَ الرِّیاحی، حَدَّثَنَا شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ، حَدَّثَنِي ابنُ عَبَّاسٍ، قال: إذا كانَ یومُ القِیامَةِ مَدَّتِ الأرضُ مَدَّ الأَدِیمِ، وَزِیدَ فی سَعَتِها كذا وكذا، وَجُمِعَ الخَلَائِقُ بِصَعِيدٍ واحدٍ، جَنَّتْهم وإنْسَهُمْ، فإذا كانَ كذلكَ قِیضَتِ هذه السَّماءُ الدُّنْیَا عن أَهْلِها، فَنُثِرُوا على وَجْهِ الأرضِ، ولأَهْلُ هذه السَّماءِ الدُّنْیَا وَحَدَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ جَمِیعِ أَهْلِ الأرضِ، جَنَّتْهم وإنْسَهُمْ، بِالضَّعْفِ، فإذا رَأَهم أَهْلُ الأرضِ فَرَعُوا إِلَیْهِمْ، ویقولون: أَفیکم رَبُّنا؟ فیفزعونَ مِنْ قَوْلِهِمْ، ویقولون: سبحانَ رَبِّنا لیسَ فِینا، وَهُوَ آتٍ. ثم تُقَاضُ السَّماءُ الثَّانِيَةُ، ولأَهْلُ

(١) «التذكرة» (ص ٣٠٩).

(٢) موضوع: أخرجه في كتاب «الغليانيات» (١٠٦/١/٦٣)، وهو موضوع.

(٣) سبق تخريجه.

السما الثانية أكثر من أهل هذه السما الدنيا، ومن جميع أهل الأرض بالضعف، فإذا ثثروا على وجه الأرض قزع إليهم أهل الأرض، ويقولون: أفكم ربنا؟ فيفزعون من قولهم، ويقولون: سبحان ربنا، ليس فينا، وهو آت. ثم تقاض السماوات سمااء سمااء، كلما قيضت سمااء كانت أكثر من أهل السماوات التي تحتها، ومن جميع أهل الأرض بالضعف، جنهم وإنسهم، كلما ثثروا على وجه الأرض قزع إليهم أهل الأرض، ويقولون لهم مثل ذلك، ويرجعون إليهم مثل ذلك حتى تقاض السما السابعة، ولأهلها وحدهم أكثر من أهل ست سماوات، ومن أهل الأرض بالضعف، ويحيى الله فيهم، والامم جثا صفوف، فينادى مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقيم الحمادون لله على كل حال. فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادى ثانية: ستعلمون من أصحاب الكرم اليوم، ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (السجدة: ١٦). فيقومون فيسرحون إلى الجنة.

ثم ينادى ثالثة: ستعلمون من أصحاب الكرم اليوم، ليقيم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار (النور: ٣٧). فيقومون فيسرحون إلى الجنة، فإذا لم يبق أحد من هؤلاء الثلاثة خرج عنق من النار، فأشرف على الخلائق، له عيان بصيرتان، ولسان فصيح، فيقول: إني وكلت بثلاثة، وكلت بكل جبار عنيد. فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيخس بهم في جهنم، ثم يخرج الثانية، فيقول: إني وكلت بمن آذى الله ورسوله. فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيخس بهم في جهنم، ثم يخرج الثالثة، فيقول: إني وكلت بأصحاب التصاوير. فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيخس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، ومن هؤلاء ثلاثة، نشرت الصحف، ووضعت الموازين، ودعيت الخلائق للحساب. (١)

وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًا دَكًا﴾ وجاء ربك والملك صفا صفا (٢٢) وحي يومئذ بحبهم يومئذ يتذكر الإنسان وأني له الذكرى (الفجر: ٢١-٢٣) الآيات. وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة: ٢١٠). وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهِيدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٣) ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (الزمر: ٦٩-٧٠). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزُلُ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾ (٢٤) الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا (الفرقان: ٢٥-٢٦).

وقال في حديث الصور: «فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه». يعني بذلك كرسى فصل القضاء، وليس هذا بالكرسى المذكور في آية الكرسي، ولا المذكور في «صحيح ابن حبان»: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وما الكرسي في العرش إلا كتلك الحلقة بتلك الفلاة، والعرش لا يقدر قدره إلا الله، عز وجل». (٢)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (١٧٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١)، وإسناده ضعيف جدا.

وقد يُطلق على هذا الكرسي اسمُ العرش، فقد ورد ذلك في بعض الأحاديث، كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ» - وفي رواية: «في ظلِّ عرشه» - «يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» الحديث (١) بتمامه.

وثبت في «صحيح البخاري» من حديث الزُّهري، عن أبي سلمة، وعبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرَى أَصْعَقُ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟» (٢).

فقلوه: «أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ». يدلُّ على أنَّ هذا الصَّعَقُ الذي يَحْصُلُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبَبُهُ تَجَلَّى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ، فَيَصْعَقُ النَّاسُ مِنْ تَجَلَّى الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، كما صَعَقَ مُوسَى يَوْمَ الطُّورِ حِينَ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، وَخَرَّ مُوسَى صَعَقًا. فموسى، عليه السلام، إذا صُعِقَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ فَلَا يُصْعَقُ يَوْمَئِذٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صُعِقَ فَأَفَاقَ، أَيْ صُعِقَ صَعْقَةً خَفِيفَةً، فَأَفَاقَ قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد ورد في بعض الأحاديث، أنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، كما ثبت في «الصحيحين»، واللفظُ لِلْبُخَارِيِّ مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ». وفي رواية لِلْبُخَارِيِّ (٣): «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا». (٤)

وجاء أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَئِذٍ، كما قال ابنُ ماجه: حَدَّثَنَا جُبَارَةُ بْنُ الْمَغْلَسِ الْحِمَّانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي الْمَسَاوِرِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذِنَ لِأَمَةِ مُحَمَّدٍ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُونَ لَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَقَالُ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، فَقَدْ جَعَلْنَا عِدَّتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّارِ» (٥). وله شواهدٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، كما سيأتي.

وقال البزار: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «حَتَّىٰ إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَلْتَفَتْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَيَقْعُونَ سُجُودًا، وَتَرْجَعُ أَصْلَابُ الْمُنَافِقِينَ حَتَّىٰ تَكُونَ عَظْمًا، كَأَنَّهَا صِيَاصِي الْبَقَرِ» (٦). ثم قال: لَا نَعْلَمُ حَدَّثَ بِهِ عَنِ الْأَعْمَشِ إِلَّا أَبَا عَوَانَةَ، قلت: وسيأتي له شاهدٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

وذكر في حديث الصُّور: «إِنَّ اللَّهَ يَنَادِي الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ أَنْصَتُ لَكُمْ مِنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا، أَرَىٰ أَعْمَالَكُمْ وَأَسْمَعُ أَقْوَالَكُمْ، فَأَنْصِتُوا لِي، فَإِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ، وَصُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ: فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

(١) متفق عليه : وقد سبق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٨)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥١) (٧٤٣٤) (٧٤٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩١) وإسناده ضعيف جداً.

(٦) إسناده صحيح : وسيأتي.

وروى الإمام أحمد، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله، أنه اشترى راحلة، وسار إلى عبد الله بن أنيس شهراً لسمع منه حديثاً بلغه عنه، فلما سأل عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أو قال: العباد - عُرَاةً غُرَلاً بَهُمَا». قلنا: وما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء، ثم يُناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة». قال: قلنا: وكيف وإنا إنما نأتى الله بهما؟ قال: «بالحسنات والسيئات» (١).

وفى صحيح مسلم، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ فى الحديث الإلهى الطويل: «يا عبادى، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفىكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه» (٢).

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (٣) وما نُؤخِّره إلا لأجل معدود (٤) يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (٥) (هود: ١٠٣-١٠٥). ثم ذكر سبحانه ما أعدّه للأشقياء، وما أعدّه للسعداء، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا: ٣٨).

وثبت فى «الصحيحين» (٣): «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ». وقد عقد البخارى، رحمه الله، باباً فى ذلك، فقال فى كتاب التوحيد من «صحيحه»: «باب كلام الرب، سبحانه وتعالى، يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ثم أورد فيه حديث أنس فى الشفاعة (٤) بتمامه، وحديث عدى (٥): «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ» الحديث، وحديث ابن عمر فى النجوى (٦).

ونحن نورد فى هذه الترجمة أحاديث آخر، مناسبة لهذا الباب. وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوَا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١٠٩). وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين (٨) (الاعراف: ٦-٧). وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩) عما كانوا يعملون (١٠) (الحجر: ٩٢-٩٣).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا حمزة بن العباس، أخبرنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا رشدين بن سعد، أخبرنى ابن أنعم الماعفرى، عن حبان بن أبى جبلة، يُسندُه إلى النبى ﷺ قال: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِسْرَافِيلُ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: مَا فَعَلْتَ فِي عَهْدِي؟

(١) حسن: أخرجه أحمد (٤٩٥/٣)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠/٥)، ومسلم (٢٥٧٧)، والترمذى (٢٤٩٥)، وابن ماجه (٤٢٥٧)، وابن حبان (٦١٩)، عن أبى ذر.

(٣) انظر كتاب التوحيد الباب رقم (٣٢) لعله هو.

(٤) هو الباب رقم (٣٦) من كتاب «التوحيد».

(٥) برقم (٧٥١٠).

(٦) أخرجه البخارى (٧٥١٢)، وأخرجه (٦٥٣٩) (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦)، من طرق عن الأعمش، به.

هَلْ بَلَغَتْ عَهْدِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، قَدْ بَلَغَتْهُ جِبْرِيلُ، فَيَدْعِي جِبْرِيلُ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغَكَ إِسْرَافِيلُ عَهْدِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَدْ بَلَغَنِي. فَيُخَلِّي عَنْ إِسْرَافِيلَ، وَيَقَالُ لَجِبْرِيلَ: هَلْ بَلَغْتَ عَهْدِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَدْ بَلَغْتُ الرُّسُلَ. فَيَدْعِي الرُّسُلُ فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغَكُمْ جِبْرِيلُ عَهْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُخَلِّي عَنْ جِبْرِيلَ، وَيَقَالُ لِلرُّسُلِ: مَا فَعَلْتُمْ بِعَهْدِي؟ فَيَقُولُونَ: بَلَغْنَا أَمَمًا. فَيَدْعِي الْأَمَمَ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغَكُمْ الرُّسُلُ عَهْدِي؟ فَمِنْهُمْ الْمُكَذِّبُ، وَمِنْهُمْ الْمَصْدُقُ، فَيَقُولُ الرُّسُلُ: إِنْ لَنَا عَلَيْهِمْ شُهَدَاءُ يَشْهَدُونَ أَنْ قَدْ بَلَغْنَا مَعَ شَهَادَتِكَ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَمَّةٌ أَحْمَدُ. فَيَدْعِي أَمَّةٌ أَحْمَدُ، فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُونَ أَنْ رُسُلِي هَؤُلَاءِ قَدْ بَلَغُوا عَهْدِي إِلَى مَنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، رَبِّ، شَهِدْنَا أَنْ قَدْ بَلَغُوا. فَتَقُولُ تِلْكَ الْأَمَمُ: كَيْفَ يَشْهَدُ عَلَيْنَا مَنْ لَمْ يَدْرِكْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَى: كَيْفَ تَشْهَدُونَ عَلَى مَنْ لَمْ تَدْرِكُوا؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَأَنْزَلْتَ إِلَيْنَا عَهْدَكَ وَكِتَابَكَ، وَقَصَصْتَ عَلَيْنَا أَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا، فَشَهِدْنَا بِمَا عَهِدْتَ إِلَيْنَا. فَيَقُولُ الرَّبُّ: صَدَقُوا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

قَالَ ابْنُ أَنْعَمٍ: فَبَلَغَنِي أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَشْهَدُ، إِلَّا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَنَّةٌ عَلَى أَخِيهِ. (١)

ذِكْرُ كَلَامِ الرَّبِّ تَعَالَى مَعَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ، فَيَقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لُبَيْكَ وَسَعْدِيكَ. فَيَقُولُ لَهُ رَبَّنَا: أَخْرِجْ نَصِيبَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَكَمْ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا أَخَذَ مَنَا مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، فَمَاذَا يَبْقَى مَنَا؟ قَالَ: «إِنْ أُمِتِّي فِي الْأَمَمِ، كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ». (٢)

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ ثَوْرٍ بْنِ زَيْدٍ الدَّبَلِيِّ، عَنْ سَالِمِ أَبِي الْغَيْثِ، مَوْلَى ابْنِ مَطِيحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ، فَتُرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيَقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ. فَيَقُولُ: لُبَيْكَ وَسَعْدِيكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثْ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ» (٣). وَذَكَرَ تَمَامَهُ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، قُمْ فَابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ. فَيَقُولُ: لُبَيْكَ وَسَعْدِيكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارُ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الْمَوْلُودُ، ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ كُلُّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ٢). قَالَ: فَيَقُولُونَ: قَائِنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ:

(١) أَخْرَجَهُ فِي «الْأَهْوَالِ» (٢٣٧)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٩١٣)، وَهُوَ حَسَنُ الْإِسْنَادِ، وَيَصِحُّ بِطَرَفِهِ. وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٢٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٢٩).

فقال رسول الله ﷺ: «تَسْعُمَائَةُ وَتِسْعَةُ وَتِسْعُونَ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ». قال: فقال الناس: اللَّهُ أَكْبَرُ. فقال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». قال: فكَبَّرَ الناسُ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ» (١).

ورواه البخاري، عن عمر بن حفص بن غياث، عن أبيه، عن الأعمش، به.
ورواه مسلم، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن وكيع، به، وأخرجه من طريق آخر، عن الأعمش، به.
وفى «صحيح البخاري» (٢) عن بُنْدَارٍ، عن غُنْدَرٍ، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو ابن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَبَةٍ، فَقَالَ: «اتَّارِضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا: نعم. قال: «اتَّارِضُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا: نعم. قال: «اتَّارِضُونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا: نعم. قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِّ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ».

كلام الرب تعالى مع نوح، عليه السلام، وسؤاله إياه عن البلاغ

كما قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الاعراف: ٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيَقَالُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ» أَوْ: «مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ». قَالَ: «فَيَقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ». قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).
قال: «وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ»، قال: «فَيُدْعَوْنَ، فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ». قَالَ: «ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ» (٣). وهكذا رواه البخاري، والترمذي، والنسائي، من طريق عن الأعمش، به، وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقد رواه الإمام أحمد، بلفظ أعم من هذا، فقال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغْتُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُدْعَى وَأُمَّتُهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغَ هَذَا قَوْمُهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقَالُ: وَمَا عَلِمْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيًّا، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٢)، وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه مسلم (٢٢٢) (٣٨٠)، وأخرجه البخاري (٣٣٤٨) (٣٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٢)، وإسناده صحيح على شرطهما، وأخرجه البخاري (٣٣٣٩)، والترمذي (٢٩٦١)، وأبو يعلى (١١٧٣).

الرَّسُلَ قَدْ بَلَغُوا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ قال: يقول: عدلاً، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). (١) وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي كُرَيْبٍ، وأحمد بن سنان، كلاهما عن أبي معاوية.

قلت: ومضمون هذا أن هذه الأمة يوم القيامة يكونون عدولاً عند سائر الأمم والأنبياء، ولهذا يستشهد بهم سائر الأنبياء على أممهم، ولولا اعتراف أممهم بشرف هذه الأمة لما حصل إلزامهم بشهادتهم. وفي حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده معاوية بن حيدة، أن رسول الله ﷺ قال: «أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٢).

ذكر تشریف إبراهيم الخليل، عليه السلام.

يوم القيامة على رءوس الأشهاد

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنكوت: ٢٧). وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب، فقال: «إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ حَضَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» كما بدأنا أول خلق نعيده الآية (الأنبياء: ١٠٤). وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وأنه سيُجاء برجال من أمته فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي. فيقول: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَهْدَتْكَ بَعْدَكَ. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٧-١١٨). قال: «فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» (٣).

ذكر موسى ﷺ وظهور شرفه وجلالته وكرامته يوم القيامة

ووجاهته عند الله، وكثرة أتباعه، وانتشار أمته

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (الأحزاب: ٦٩). وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًا﴾ (٥١) ونادينه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً (٥٢) ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً (مريم: ٥١-٥٣). وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف: ١٤٤). وقال: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾. إلى قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٣٩-٤١) والقرآن مملوء بذكر موسى والثناء عليه من الله، عز وجل، وقال النبي ﷺ: «لَا تَفْضُلُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْنَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ، فَإِذَا مُوسَى بِأُطَشٍ بِالْعَرْشِ». الحديث.

(١) أخرجه أحمد (٥٨/٣-٥٩)، وابن ماجه (٤٢٨٤) وإسناده صحيح على شرطهما.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٣/٥-٥)، وعبد بن حميد (٤٠٩)، والدارمي (٢٧٦٠)، وابن ماجه (٤٢٨٧) (٤٢٨٨)، والترمذي (٣٠٠١)، والطبراني (١٩/١٠١٢، ١٠٢٣)، والطبراني (١/٢٦٥) من طريق بهز بن حكيم بهذا الإسناد. وهو حسن.

(٣) سبق تخريجه.

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). وثبت في الصحيح^(١) في حديث الإسراء أن النبي ﷺ مر بموسى ليلة الإسراء وهو قائم يصلي في قبره، ورآه في السماء السابعة - وفي رواية: في السادسة - ليلة الإسراء، وكانت شريعة موسى عظيمة جدًا، وأمته كثيرة جدًا، وكان فيها الأنبياء والعلماء والربانيون والأحبار والعباد والزهاد والصالحون والمؤمنون والمسلمون والملوك والسادات والكبراء، وطالت أيامهم في أرغد عيش وأطيبه، مع القهر والغلبة لأهل الأرض قاطبة، ولا سيما في زمن داود وسليمان، عليهما السلام، وقد مدح الله بعضهم وأثنى عليه في القرآن، فقال تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (الأعراف: ١٥٩)، وقال: ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾ (الأعراف: ١٦٨). وقال: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبنينا﴾ (مريم: ٥٨). وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ (٢٠) وآتيناهم بينات من الأمر﴾ (الحج: ١٦-١٧). وقد ذكرهم الله كثيرًا في القرآن. وقد رأى النبي ﷺ سوادًا عظيمًا قد سد الأفق، فظنها أمته، فقيل: هذا موسى وقومه. والآيات والأحاديث في فضل موسى ﷺ في الدنيا والآخرة كثيرة جدًا.

ذكر عيسى، عليه الصلاة والسلام، وكلام الرب معه يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ١١٦) إلى آخر السورة. وهذا السؤال من الله تعالى يوم القيامة لعيسى ابن مريم - مع علمه تعالى أنه لم يقل شيئًا من ذلك، ولا خطر ذلك بقلبه قط، ولا حدثته به نفسه - إنما هو على سبيل التقرير والتوبيخ لمن اعتقد فيه ذلك، من ضلال النصارى، وجهلة أهل الكتاب، فيترا إلى الله تعالى من هذه المقالة، ومن قالها فيه وفي أمه، كما تتبرأ الملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون (٢) قالوا ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سبا: ٤٠-٤١). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾. إلى قوله: ﴿نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ١٧-١٩). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٢٨-٣٠).

وأما المقام المحمود المحمدي يوم القيامة فلا يساويه، بل ولا يدانيه أحد فيه، ويحصل له من التشریفات ما يغبطه بها الخلائق كلهم.

وقد تقدم ما ورد في المقام المحمود من الأحاديث، وأنه ﷺ أول من يسجد بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وأول من يشفع فيشفع، وأول من يكسى بعد الخليل حلتين خضرأوين، ويجلس الخليل بين يدي العرش، ومحمد ﷺ عن يمين العرش، فيقول: «يا رب، إن هذا - ويشير إلى جبريل - أخبرني عنك أنك أرسلته إلي». فيقول الله تعالى: «صدق جبريل». (٢)

(١، ٢) سبق تخريجهما.

وقد روى ليث بن أبي سليم، وأبو يحيى القنات، وعطاء بن السائب، وجابر الجعفي، عن مجاهد، أنه قال في تفسير المقام المحمود: إنه يجلسه معه على العرش^(١). وروى نحو هذا عن عبد الله بن سلام^(٢)، وجمع فيه أبو بكر المروزي جزءاً كبيراً، وحكاه هو وغيره عن غير واحد من السلف وأهل الحديث، كأحمد وإسحاق بن راهويه وخلق. وقال ابن جرير: وهذا شيء لا ينكره مثبت ولا ناف. وقد نظمه الحافظ أبو الحسن الدارقطني في قصيدة له.

قلت: ومثل هذا لا ينبغي قبوله إلا عن معصوم، ولم يثبت في هذا حديث يعول عليه، ولا يصار بسببه إليه، وقول مجاهد وغيره في هذا: إنه المقام المحمود. ليس بحجة بمجرده، وكذلك ما روى عن عبد الله بن سلام لا يصح، ولكن قد تلقاه جماعة من أهل الحديث بالقبول، ولم يصح إسناده إلى ابن سلام. والله سبحانه أعلم بالصواب.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا^(٣): حدثنا سريج بن يونس، حدثنا أبو سفيان العمري، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدميه». قال النبي ﷺ: «فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: يا رب، إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي. فيقول الله تعالى: صدق. ثم أشفع فأقول: يا رب، عبادك في أطراف الأرض. فهو المقام المحمود».

قلت: قد ورد في المقام المحمود أنه الشفاعة العظمى في الخلق ليقضى بينهم حين يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى، فإذا جاءوا لدى النبي صلى الله عليه وعليهم، قال: «أنا لها، أنا لها». فهذا هو المقام المحمود الذي يحمد به الأولون والآخرون، كما روى في الأحاديث الصحيحة.

ذكر ما ورد في كلام الرب سبحانه مع العلماء يوم فصل القضاء

قال الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا العلاء بن مسleme، حدثنا إبراهيم الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن ثعلبة بن الحكم، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى للعلماء إذا جلس على كرسيه لفصل القضاء: إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم، إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم، ولا أبالي»^(٤).

قلت: ولا يصح، ولو صح كان المراد به العلماء العاملون. والله أعلم.

ذكر أول كلامه، عز وجل، للمؤمنين

قال أبو داود الطيالسي^(٥): حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثني يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢٦٣٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢٦٤٣)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (١٥٠) وهو مرسل.

(٤) أخرجه الطبراني (١٣٨١)، وهو موضوع.

(٥) أخرجه الطيالسي (٥٦٤)، وإسناده ضعيف.

زَحْر، عن خالد بن أبى عمران، عن أبى عيَّاش، عن مُعَاذ بن جَبَل، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ بِأَوَّلِ مَا يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلِ مَا يَقُولُونَ لَهُ». قالوا: نَعَمْ يا رسولَ الله. قال: «هَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ يَا رَبَّنَا. فيقول: وَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: عَفْوُكَ وَرَحْمَتُكَ وَرِضَاؤُكَ. فيقول: فَإِنِّي قَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ رَحْمَتِي».

فصل

وَأَمَّا الْكَفَّارُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَرْكَبُهُمُ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَرْكَبُهُمُ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ (٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (البقرة: ١٧٤-١٧٥) والمرادُ من هذا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، كَلَامًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَنَظَرًا يَرْحَمُهُمْ بِهِ. كما أَنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مِثْوَاكُمُ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٢٨).

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٠) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (٣١) وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ (المرسلات: ٣٨-٤٠). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ حِجَابًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة: ١٨). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (١٠) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا هُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِبْرَاءًا يَعْبدُونَ (١١) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (١٢) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْتُمِعْتُمُ السَّرْسِلِينَ (١٣) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (القصص: ٦٢-٦٦) وقال بعده: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (القصص: ٧٤-٧٥). والآياتُ في هذا كثيرةٌ جدًا.

وَبَيَّنْتُ فِي «الصَّحِيحِينَ» -كَمَا سَيَأْتِي- مِنْ طَرِيقِ خَيْمَةٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ». «فَيَلْقَى الرَّجُلُ فَيَقُولُ: أَلَمْ أَكْرَمَكَ؟ أَلَمْ أَزُوجْكَ؟ أَلَمْ أَسْخَرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَدْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعٍ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فيقول: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مَلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا. فيقول: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي». فهذا فيه تصريحٌ بِمُخَاطَبَةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْكَافِرِ.

وَأَمَّا الْعَصَاةُ فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي «الصَّحِيحِينَ» حَدِيثُ النَّجْوَى -كَمَا سَيَأْتِي- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُدْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، ثُمَّ يَقْرَأُ بِذُنُوبِهِ، فيقول: عَمِلْتَ فِي يَوْمٍ كَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَفِي يَوْمٍ كَذَا، كَذَا وَكَذَا. فيقول: نَعَمْ، يَا رَبِّ. حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ» (١).

(١) «صحيح البخارى» (٦٥٣٩) (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

فصل في إبراز النيران والجنان، ونصب الميزان، ومحاسبة الديان

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٢١) وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠-٩١). وقال: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: ١٢-١٤). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٢٤) وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (ق: ٣٠-٣١) الآيات. وقال تعالى: ﴿وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأنبياء: ٤٧) الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠). وقال لقمان لابنه فيما أخبر الله عنه: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّكَ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦). والآيات في هذا كثيرة جداً.

ذكر إبداء عنق من النار إلى المحشر فيطلع على الناس

قال الله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (الفجر: ٢٣). وقال مسلم في «صحيحه»: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، عن العلاء بن خالد الكاهلي، عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَجْرُونَهَا» (١). وكذا رواه الترمذي مرفوعاً (٢)، ومن وجه آخر هو وابن جرير موقوفاً.

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن نبي الله ﷺ، أنه قال: «يُخْرِجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ فَيَقُولُ: وَكَلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةِ: بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ. فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ، فَيَقْدِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ» (٣). تفرد به من هذا الوجه، وسأتى في باب الميزان عن خالد، عن القاسم، عن عائشة، نحوه.

وقد قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا (١٤) وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٥) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (الفرقان: ١٢-١٤). قال السدي: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾. قال: من مسيرة مائة عام (٤) ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾. من شدة حنقها وبغضها لمن أشرك بالله، واتخذ معه إلهاً آخر. وفي الحديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ، وَادَّعَى إِلَيَّ غَيْرَ أَبِييَّ، وَانْتَمَى إِلَيَّ غَيْرَ مَوَالِيهِ فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنِيْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا»، قالوا: يا رسول الله، وهل لها من عَيْنٍ؟ قال: «أَوْ مَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾» رواه ابن أبي حاتم (٥).

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: إن الرجل ليُجر إلى النار، فتنزوى وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول الرحمن: ما لك؟ فتقول: إنه يستجير مني. فيقول: أرسلوا

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٧٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤٠/٣) وسنده ضعيف، ولكن يصح لشواهد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٠٠)، بلفظ: «مسيرة مائة عام».

(٥) أخرجه الطبراني (٧٥٩٩)، وإسناده ضعيف جداً.

عَبْدِي. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَجْرُ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هَذَا الظَّنَّ بِكَ. فَيَقُولُ: فَمَا كَانَ ظَنُّكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْ تَسْعَى رَحْمَتَكَ. فَيَقُولُ: أَرْسَلُوا عَبْدِي. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَجْرُ إِلَى النَّارِ فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ النَّارُ شُهْقًا بَغْلَةً إِلَى الشَّعِيرِ، وَتَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ (١). إسناده صحيح.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن المنصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قال: إنَّ جَهَنَّمَ تَزْفِرُ زَفْرَةً، لَا يَبْقَى مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا خَرَّ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَيَقُولُ: رَبِّ، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي. (٢)

وقال في حديث الصور: «ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَيُخْرِجُ مِنْهَا عُنُقَ سَاطِعٍ مُظْلِمٍ، ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٤) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٥) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٧)﴾ (يس: ٦٠-٦٤). وقال: «وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ» (يس: ٥٩). فَيَمِيزُ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَتَجْثُو الْأُمَمُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِبٍ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩)﴾ (الجاثية: ٢٨-٢٩). (٣)

ذكر الميزان

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأنبياء: ٤٧). وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢)﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (المؤمنون: ١٠٢-١٠٣). وقال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (الأعراف: ٨-٩). وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧)﴾ (القارة: ٦-٧) الْآيَات. وقال تعالى: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥).

قال أبو عبد الله القرطبي: قال العلماء: إذا انقضت الحساب، كان بعده وزن الأعمال، لأنَّ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإنَّ المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكونَ الجزاء بحسبها. (٤)

وقال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. يحتمل أن يكونَ ثمَّ موازين متعدّدة تُوزَنُ فيها الأعمال، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة. والله أعلم.

بيان كون الميزان له كفتان حسبتان مشاهدتان

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن ليث بن سعد،

(١) أخرجه ابن جرير (٢٦٢٩٠) وإسناده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٩)، وعنه ابن جرير (٢٦٢٨٨)، وابن أبي حاتم (١٦٢/٧)، وإسناده صحيح.

(٣) لا يصح: وسبق مراراً.

(٤) «التذكرة» (ص ٣١٧).

حدثني عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلى، واسمه عبد الله بن يزيد: سمعت عبد الله ابن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبته الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم. فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. فيقول: أحضروه. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة^(١). قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يتحمل شيء مع اسم الله الرحمن الرحيم^(٢). وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه، وابن أبى الدنيا، من حديث الليث - زاد الترمذى: وابن لهيعة - كلاهما عن عامر بن يحيى، به. قال الترمذى: حسن غريب.

سياق آخر لهذا الحديث: قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلى، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصى عليه، فيتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر به، إذا صائح من عند الرحمن تعالى، يقول: لا تعجلوا، لا تعجلوا، فإنه قد بقي له. فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله. فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان^(٣). وهذا السياق فيه غرابة، فيه فائدة جلية، وهى أن العامل يؤزن مع عمله.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا أحمد بن محمد بن البراء المقرئ، حدثنا يعلى بن عبيد، عن عبد الرحمن بن زياد، عن أبى عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو - رفعه - قال: «يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيها ذنوبه وخطاياها، فتوضع في كفة، ثم يخرج له قرطاس مثل الأنملة، فيه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فتوضع في الكفة الأخرى، فترجح بخطاياها^(٤).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثنا حجاج، عن فطر بن خليفة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الموت أرسل إلى عمر، فقال: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفت عليهم، وحق لميزان إذا وضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً^(٥).

(١) ليست في «المسند».

(٢) أخرجه أحمد (٦٩٩٤) بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢١/٢-٢٢٢)، وإسناده جيد.

(٤) إسناده ضعيف، لضعف الأفرقي.

(٥) إسناده ضعيف، حجاج سيئ الحفظ، وهو مرسل.

وقال الإمام أحمد: عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «أثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن» (١).

وقد وردت الأحاديث بوزن الأعمال أنفسها، كما في «صحيح مسلم»، من طريق أبي سلام، عن أبي مالك الأشعرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها». فقوله: «والحمد لله تملأ الميزان» (٢). فيه دلالة على أن العمل نفسه يوزن، وذلك بأحد شيئين، إما أن العمل نفسه وإن كان عرصاً قد قام بالفاعل، يُحييه الله تعالى يوم القيامة، فيجعل له ذاتاً توضع في الميزان، كما ورد في الحديث الذي رواه ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، ومحمد بن سليمان، وغيرهما، قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «أثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن» (٣).

وكذا رواه الإمام أحمد، عن سفيان بن عيينة، به (٤). ورواه أحمد، عن غندر، ويعلى بن سعيد، عن شعبة، عن القاسم بن أبي بزة، عن عطاء الكيخاراني، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن» (٥). وقد رواه الإمام أحمد أيضاً من حديث الحسن بن مسلم، عن عطاء (٦)، وأخرجه أبو داود من حديث شعبة، به (٧)، والترمذي من حديث مطرف، عن عطاء الكيخاراني، به (٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد، عن أبي سلام، عن مولى لرسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «بخ بخ لخمس، ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده. وقال: بخ بخ لخمس، من لقي الله مستيقناً بهن دخل الجنة: يؤمن بالله، واليوم الآخر، وبالجنة والنار، وبالبعث بعد الموت، والحساب» (٩). انفرد به أحمد.

وكما ثبت في الحديث الآخر: «تأتي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان،

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٥٣) وإسناده ضعيف، ولكن له طرق وشواهد يصح بها.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٠٢)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والدارمي (٦٥٣)، والنسائي «عمل» (١٦٨).

(٣) إسناده ضعيف، ولكنه صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٤٥١/٦-٤٥٢)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد (٤٤٦/٦) وإسناده صحيح.

(٦) أحمد (٢٧٤٩٦) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢) (٢٠٠٣) وقد سبق.

(٩) صحيح: أخرجه أحمد (٤٤٣/٣)، وهو صحيح.

أَوْ فَرَقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ، يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا»^(١). والمرادُ مِنْ ذَلِكَ ثَوَابُ تِلَاوَتِهِمَا يَصِيرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا يَذَاتُهُمَا يُحَاجَّانِ عَنْهُ، لَا ثَوَابَهُمَا.

الْأَمْرُ الثَّانِي: إِنَّ الْعَمَلَ نَفْسَهُ يُوزَنُ بِوَضْعِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كُتِبَ فِيهَا الْعَمَلُ، فَيُوزَنُ الْعَمَلُ بِالصَّحِيفَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبُطَاقَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ جَاءَ أَنَّ الْعَامِلَ نَفْسَهُ يُوزَنُ، كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا الْمَغِيرَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ». وَقَالَ: أَقْرَأُوا إِنَّ شَتْتُمْ: ﴿فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (الكهف: ١٠٥). قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَعَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، مِثْلَهُ. وَقَدْ أَسْنَدَ مُسْلِمٌ مَا عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ، فَذَكَرَهُ^(٣). وَقَدْ رَوَى مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَامَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْأَكُولِ الشَّرْبِ الْعَظِيمِ، فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فَلَا يَزْنُهَا». قَالَ: وَقَرَأَ ﴿فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٤).

وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ الصَّلْتِ، عَنْ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَرْفُوعًا بِلَفْظِ الْبُخَارِيِّ سِوَاهُ^(٥). وَقَدْ قَالَ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَخْطُرُ فِي حَلَّةٍ لَهُ، فَلَمَّا قَامَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ، هَذَا مِمَّنْ لَا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا»^(٦). ثُمَّ قَالَ: تَفَرَّدَ بِهِ عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ، وَلَيْسَ بِالْحَافِظِ، وَلَمْ يُتَابِعْ عَلَيْهِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، وَحَسَنُ بْنُ مُوسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيشٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تُكْفِئُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ. فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٧). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، فَقَدْ جَاءَتْ الرِّوَايَاتُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» فِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ الْبُطَاقَةِ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهِيْعَةَ، أَنَّ الْعَامِلَ يُوزَنُ مَعَ عَمَلِهِ وَصَحِيفَتِهِ^(٨). وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٤٩/٥-٢٥٤)، وَمُسْلِمٌ (٨٠٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٢٩).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٥) (١٨).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدَى (٢٢٣٥/٦)، وَابْنُ جَرِيرٍ (٣٥/١٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٥٢٨٢) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٣٥/١٦).

(٦) إِسْنَادُهُ مُنْكَرٌ: عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ الْبُخَارِيُّ: يَعْرِفُ وَيَنْكَرُ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ.

(٧) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٩٩١)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٨) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا القاسم بن الفضل، قال: قال الحسن: قالت عائشة: يا رسول الله، هل تذكرون أهلكم يوم القيامة؟ قال: «أما في مواطن ثلاثة فلا: الكتاب، والميزان، والصراط» (١).

فقوله: «الكتاب» يحتمل أن يكون كتاب الأعمال ليشهد على الأنفس بأعمالها، ويحتمل أن يكون ذلك عند تطاير الصحف في أيدي الناس؛ فأخذ يمينه، وأخذ شماله، كما قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، حدثنا محمد بن منهل، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، أن عائشة ذكرت النار فبكت، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا عائشة؟» قالت: ذكرت النار فبكت؛ هل تذكر أهلكم يوم القيامة؟ قال: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: حيث يوضع الميزان، حتى يعلم أثقل ميزانه أم يخف، وحيث يقول: ﴿هاؤم أقرءوا كتابيه﴾ (الحاقة: ١٩). حيث تطاير الصحف، حتى يعلم كتابه في يمينه، أم في شماله، أو من وراء ظهره، وحيث يوضع الصراط على جسر جهنم». قال يونس: أشك هل قال الحسن: حافته كلاليب وحسك، يخس الله به من يشاء من خلقه، حتى يعلم أينجو أم لا ينجو؟ (٢)

ثم قال البيهقي: أخبرنا الروذباري، أخبرنا ابن داسة، حدثنا أبو داود، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، وحُميد بن مسعدة، أن إسماعيل بن إبراهيم حدثهم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، عن عائشة، أنها ذكرت النار فبكت، وذكر الحديث بنحوه، إلا أنه قال: «وعند الكتاب، حين يقال: ﴿هاؤم أقرءوا كتابيه﴾. حتى يعلم أين يقع كتابه، أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره، وعند الصراط، إذا وضع بين ظهري جهنم». قال يعقوب عن يونس: وهذا لفظ حديثه (٣).

طريق أخرى عن عائشة، رضي الله عنها: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «يا عائشة، أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، ثم حين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم، ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر، وكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، وكلت بكل جبار عنيد». قال: «فينطوى عليهم، ويرمي بهم في غمرات، ولجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم، رب سلم، فجاج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه» (٤).

(١) أخرجه أحمد (١٠١/٦)، وسنده فيه انقطاع.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٨١) وفيه انقطاع.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٨٢) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (١١٠/٦) وسنده ضعيف.

وتقدم من رواية حرب بن ميمون، عن النضر بن أنس، عن أنس، أنه قال: اشفع لي يا رسول الله، قال: «أنا فاعل». قال: فأين أطلبك؟ قال: «اطلبنى أول ما تطلبني عند الصراط». قال: فإن لم ألقك؟ قال: «فعد الحوض». قال: فإن لم ألقك؟ قال: «فعد الميزان فإنني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة». رواه أحمد والترمذي.

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن إبراهيم المهراني، حدثنا أحمد بن سلمان الفقيه ببغداد، حدثنا الحارث بن محمد، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، عن جعفر بن زيد، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: «يؤتى يابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان، ويؤكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً. وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً» (١). ثم قال: إسناده ضعيف بمرّة.

وقد رواه الحافظان البزار، وابن أبي الدنيا، عن إسماعيل بن أبي الحارث، عن داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، عن ثابت البناني، وجعفر بن زيد، زاد البزار: ومنصور بن راذان، عن أنس بن مالك، يرفعه، بنحوه. وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا مالك بن مغول، عن عبيد الله بن العيزار، قال: عند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى: ألا إن فلان ابن فلان ثقلت موازينه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ألا إن فلان ابن فلان خفت موازينه، وشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. (٢)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا يوسف بن صهيب، حدثنا موسى بن أبي المختار، عن بلال العيسى، عن حذيفة، قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل، يرد بعضهم على بعض، ولا ذهب يومئذ ولا فضة. قال: فيؤخذ من حسنات الظالم، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فردت على الظالم. (٣)

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن العباس بن محمد، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، حدثنا أبو الأحوص، قال: افتخرت قريش عند سلمان، فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة قدرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم يؤتى بى إلى الميزان، فإن ثقلت فانا كريم، وإن خفت فانا لثيم. قال أبو الأحوص: تدري من أى شيء يخاف؟ إذا ثقلت ميزان عبد نودى فى مجمع فيه الأولون والآخرين: ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإذا خفت ميزانه نودى على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. (٤)

وقال البيهقي: حدثنا أبو الحسن علي بن أبي علي السقاء، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فى حديث الإيمان،

(١) أخرجه البيهقي (١٧٨) فى «البعث» وإسناده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه المروزي فى «زوائد الزهد» (٣٧٢) وإسناده معضل.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده فيه انقطاع.

قال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال: «نعم». قال: صدقت^(١). وقال شعبة: عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، هو ابن مسعود، قال: للناس عند الميزان تجادل وزحام^(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو نصر التمار، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، قال: يوضع الميزان وله كفتان، لو وُضع في إحدهما السموات والأرض وما فيهن، لو سعتها، فتقول الملائكة: يا ربنا، من يزن بهذا؟ فيقول تعالى: من شئت من خلقي. فيقولون: ربنا، ما عبدناك حقَّ عبادتك^(٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يوسف بن موسى: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ (الأنبياء: ٤٧). قال: يُجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه، ويُجاء بشيء مثل الغمامة، أو مثل السحاب كثرة فيوضع في كفة أخرى في ميزانه، فيرجع، فيقال: أتدري ما هذا؟ هذا العلم الذي تعلمته، وعلمته الناس، فعملوه وعملوا به بعدك^(٤).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك، عن أبي بكر الهذلي، قال: قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذاك عن ابن مسعود، قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسنة أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسنة بواحدة دخل النار. ثم قرأ: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ (١٠٣-١٠٢). ثم قال: إن الميزان يخف بمقال حبة من خردل أو يرجح^(٥).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن سفيان، حدثنا السهمي، حدثنا عباد بن شيبه، عن سعيد ابن أنس، عن الحسن، قال: يعتذر الله يوم القيامة إلى آدم ثلاث معاذير، يقول: يا آدم، لولا أني لعنت الكاذبين، وأبغض الكذب والخلف، لرحمت ذريتك اليوم من شدة ما أعددت لهم من العذاب، ولكن حق القول مني، لمن كذب رسلي وعصى أمري، لأملأن جهنم منهم أجمعين. ويا آدم، اعلم أني لا أعذب بالنار أحداً من ذريتك، وأدخل النار أحداً منهم، إلا من قد علمت في علمي أنه لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان عليه، ولن يرجع. ويا آدم، أنت اليوم عدل بيني وبي ذريتك، فم عند الميزان، فانظر ما يرجع إليك من أعمالهم، فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى تعلم أني لا أعذب إلا كل ظالم^(٦).

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٧٧) وأصله في «صحيح مسلم» كما سبق.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٧٩)، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٧)، والآخرى (٨٩٥)، وابن أبي شيبه (١٧٨/١٣) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع العلم» (ص ٨٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه المروزي في «زوائد الزهد» (٤١١) بسند ضعيف جداً.

(٦) إسناده ضعيف.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن يوسف بن الصباح، حدثنا عبد الله بن وهب، عن معاوية ابن صالح، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَتِ ثَلَاثَةٌ مِنَ النَّاسِ، يَسُدُّونَ الْأَفْقَ، نُورُهُمْ كُنُورُ الشَّمْسِ، فَيَقَالُ: لِلنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ. فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيَقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأَمَّتُهُ. ثُمَّ تَقُومُ ثَلَاثَةٌ أُخْرَى تَسُدُّ مَا بَيْنَ الْأَفْقِ، نُورُهُمْ كُنُورُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَيَقَالُ: لِلنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ. فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيَقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأَمَّتُهُ. ثُمَّ تَقُومُ ثَلَاثَةٌ أُخْرَى، نُورُهُمْ مِثْلُ كُلِّ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، فَيَقَالُ: لِلنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ. فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيَقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأَمَّتُهُ، ثُمَّ يَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ مِثْلِي يَا مُحَمَّدُ، وَهَذَا لَكَ مِثْلِي يَا مُحَمَّدُ. ثُمَّ يُوَضَّعُ الْمِيزَانُ، وَيُؤْخَذُ فِي الْحِسَابِ» (١).

فصل

وقد نقل القرطبي عن بعضهم أن الميزان له كفتان عظيمتان، لو وضعت السماوات والأرض في كل واحدة منهما لوسعتهما، فأما كفة الحسنات فنور، وأما الأخرى فظلمة، وهو منصوب بين يدي العرش، وعن يمينه الجنة، وكفة النور من ناحيتها، وعن يساره جهنم، وكفة الظلمة من ناحيتها. قال: وقد أنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: الأعمال أعراض لا جرم لها، فكيف توزن؟ قال: وقد روى عن ابن عباس: أن الله يخلق الأعراض أجساماً، فتوزن. قال: والصحيح أنه توزن كتب الأعمال. قلت: قد تقدم ما يدل على الأول، وعلى الثاني، وعلى أن العامل نفسه يوزن مع عمله. قال القرطبي: وقد روى عن مجاهد، والضحاك، والأعمش، أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرباً مثل، كما يقال: هذا الكلام في وزن هذا. قلت: لعل هؤلاء إنما فسروا هذا عند قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧) ألا تطفؤا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) (الرحمن: ٧-٩). فهنا المراد بالميزان أنه تعالى وضع العدل بين عباده، وأمر عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم، فأما الميزان الموضوع يوم القيامة فقد تواترت بذكره الأحاديث كما رأيت، وهو، ظاهر القرآن العظيم: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (الأعراف: ٨). ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (الأعراف: ٩). وهذا إنما يكون لشيء محسوس.

قال القرطبي: فالميزان حق، وليس هو في حق كل أحد، بدليل قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٤١). وقوله ﷺ: «فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أَمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْبُيُوتِ» (٢).

قلت: وقد تواترت الأخبار في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لكن يلزم من هذا أن لا توزن أعمالهم، وفي هذا نظر، والله أعلم. وقد توزن أعمال السعداء، وإن كانت راجحة، لإظهار شرفهم وفضلهم على رؤوس الأشهاد، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم، وإن كانوا لا حساب عليهم. وأما الكفار فتوزن أعمالهم، وإن لم يكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بها كفرهم، فإن

(١) أخرجه الطبراني (٧٧٨٠) وهو منكر.

(٢) سبق تخريجه.

حَسَنَاتِهِمْ - وَلَوْ بَلَغَتْ مَا بَلَغَتْ - لَا تَقَابِلُ كُفْرَهُمْ وَلَا تَوَازُنُهُ، وَهِيَ غَيْرُ نَافِعَةٍ لَهُمْ، فَتَوَزَنُ لِإِظْهَارِ شَقَائِهِمْ وَتَوْبِيخِهِمْ وَقَضِيحَتِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ.

وقد جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا حَسَنَةً، أَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعِمُهُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُوَافِيَ اللَّهَ وَلَيْسَ لَهُ حَسَنَةٌ يَجْزِيهِ بِهَا» (١).

وقد ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرِ» أَنَّ الْكَافِرَ قَدْ يُوَافَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَدَقَةٍ وَصَلَةِ رَحِمٍ وَعَتَقٍ، فَيُخَفَّفُ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَضِيَّةِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي ضَحَضَاخٍ مِنْ نَارٍ يَغْلَى مِنْهُ دِمَاغُهُ (٢)، وَفِي هَذَا نَظَرٌ، إِذْ قَدْ يَكُونُ هَذَا خَاصًّا بِهِ، لِأَجْلِ حِيَاطَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنُصْرَتِهِ لَهُ، كَمَا سَقَى أَبُو لَهَبٍ فِي النُّقْرَةِ الَّتِي هِيَ فِي ظَهْرِ الْإِبْهَامِ، بِسَبِّ عَتَاقَتِهِ تُوَيْبَةَ الَّتِي أَرْضَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَاسْتَدَلَّ الْقُرْطُبِيُّ عَلَى ذَلِكَ بِعَمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (الأنبياء: ٤٧).

قُلْتُ: وَقَصَارَى هَذِهِ الْآيَةِ الْعَمُومُ، فَيُخَصَّصُ مِنْ ذَلِكَ الْكَافِرُونَ، وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَى الضَّيْفَ، وَيُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُعْتِقُ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْضُرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» (٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣). وَقَالَ عَنْ أَعْمَالِ الْكَافَرِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩).

فصل

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ: مَنْ ثَقُلَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، وَلَوْ بِصُورَةِ دَخَلِ الْجَنَّةَ، وَمَنْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ أَثْقَلَ وَلَوْ بِصُورَةِ دَخَلِ النَّارَ، إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنْهُ، وَمَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَعْرَافِ. وَرَوَى مِثْلُ هَذَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤).

قُلْتُ: يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٠). لَكِنْ مَا الْحُكْمُ فِيمَنْ ثَقُلَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِحَسَنَاتٍ؟ هَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَرْتَفِعُ فِي دَرَجَاتِهَا بِجَمِيعِ حَسَنَاتِهِ، وَتَكُونُ قَدْ أَحْبَطَتِ السَّيِّئَاتِ الَّتِي وَازَنَتْهَا وَقَابَلَتْهَا؟ أَوْ يَرْتَفِعُ بِمَا بَقِيَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ الرَّاجِحَةِ عَلَى السَّيِّئَاتِ، وَتَكُونُ السَّيِّئَاتُ قَدْ أَسْقَطَتْ مَا وَازَنَهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَأَبْطَلَتْهَا؟ وَكَذَلِكَ إِذَا رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ بِسَيِّئَةٍ أَوْ بِسَيِّئَاتٍ، هَلْ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ بِجَمِيعِ سَيِّئَاتِهِ، أَوْ بِمَا رَجَحَ عَلَى حَسَنَاتِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ؟

(١) جزء من حديث أنس الذي رواه مسلم (٢٨٠٨)، وأحمد (١٢٣/٣).

(٢) سيأتي من حديث العباس إن شاء الله.

(٣) أخرجه أحمد (٩٣/٦)، ومسلم (٢١٤)، والطحاوي (٤٣٥٧)، وابن حبان (٣٣١) من حديث عائشة.

(٤) هو في «زوائد الزهد» (٤١١) وسيأتي.

ذكر العرض على الله، عز وجل، يوم القيامة

وتطابير الصحف، ومحاسبة الرب، عز وجل، عباده

قال الله تعالى: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لِّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۚ﴾ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴿(الكهف: ٤٨-٤٩)﴾، وقال تعالى: ﴿وَجِئَءَ بِالنَّاسِ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ (الزمر: ٦٩) إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ الآية (الأنعام: ٩٤)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَيْلًا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا بَنَاءُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٢٨-٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ الآية (الأنعام: ١٢٨-١٣٠)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨). والآيات في هذا كثيرة جدا، وسيأتى في كل موطن ما يتعلّق به من آيات القرآن.

وتقدّم في «صحيح البخاري» عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاءٍ عُرَاءًا» ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ (الأنبياء: ١٠٤). وعن عائشة وأمّ سلمة وغيرهما نحو ما تقدّم (١).

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدّثنا أبو نصر التمار، حدّثنا عقبه الأصم، عن الحسن، قال: سمعت أبا موسى الأشعري، يقول: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَعَرَضَتَانِ جِدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ، وَعَرَضَةٌ تَطَايِيرُ الصُّحُفِ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَحُوسِبَ حِسَابًا يَسِيرًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ دَخَلَ النَّارَ». (٢)

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا علي بن علي بن رفاعه، عن الحسن، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَهَا تَطَايِيرُ الصُّحُفِ فِي الْأَيْدِي، فَأَخَذَ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ بِشِمَالِهِ». (٣) وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن وكيع، به.

والعجب أن الترمذي روى هذا الحديث عن أبي كريب، عن وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكر مثله، ثم قال الترمذي: ولا يصح هذا، من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. قال: وقد رواه بعضهم عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧١٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧) وإسناده ضعيف.

(٣) إسناده فيه انقطاع.

قلت: الحسن قد روى له البخاري عن أبي هريرة مقروناً بغيره.

وقد وقع في «مسند الإمام أحمد» التصريح بسماع الحسن من أبي هريرة^(١)، فالله أعلم. وقد يكون الحديث عنده عن أبي موسى، وأبي هريرة، والله أعلم.

وأما الحافظ البيهقي فرواه من طريق مروان الأصغر، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود، من قوله مثله سواء^(٢). وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك أنه أنشد في ذلك شعراً:

وَصَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَّةً	*	فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْجِبَارُ مُطْلَعُ
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ	*	عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِي بِمَا تَقَعُ
إِمَّا الْجَنَانُ وَفَوْزٌ لَا انْقِطَاعُ لَهُ	*	أَوِ الْجَحِيمُ فَلَا تَبْقَى وَلَا تَدْعُ
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ	*	إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمَعُوا
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَرْحَمْ تَضَرُّعُهُمْ	*	فِيهَا وَلَا رَقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لَيَنْفَعُ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ	*	قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرَّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمِلَاقِيهِ﴾ (١) فَمَا مِنْ أَوْتَىٰ كِتَابِهِ بِمِثْنِهِ (٢) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٣) وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٤) وَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (٥) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (٦) وَيَصْلِي سَعِيرًا (٧) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٨) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (٩) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٠) (الانشقاق: ٦-١٥).

قال البخاري في «صحيحه»: حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا روح بن عباد، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، حدثنا عبد الله بن أبي مليكة، حدثني القاسم بن محمد، حدثتني عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ». فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا مِنْ أَوْتَىٰ كِتَابِهِ بِمِثْنِهِ (٢) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧، ٨). فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَذَبَ» (٣). أشار إلى أن الله تعالى لو ناقش العباد في حسابهم لهم، لعذبهم كلهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح ويغفر، ويستتر في الدنيا والآخرة، كما في حديث ابن عمر في النجوى: «يُدْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، ثُمَّ يَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ، حَتَّىٰ إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ» (٤).

فصل: قال الله تعالى: ﴿كَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الآيات (الواقعة: ٦-١٢)).

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٤٩)، وقال الحافظ: إسناده حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٧)، وأخرجه (٤٩٣٩) (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٣٣٣٧) من طريق ابن أبي مليكة، به.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨)، وأحمد (٥٨٢٥) عن ابن عمر.

فإذا نُصِبَ كُرْسِيُّ فَصَلَ الْقَضَاءُ اِنَّمَا الْكَافِرُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ، وَبَقِيَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ عِمِينَ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا يَوْمَ الْيَوْمِ أَنبَأَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يس: ٥٩). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَيْلًا بَيْنَهُمْ﴾ (الآية: يونس: ٢٨). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلِّ أُمَّةٍ تَدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجنات: ٢٨). فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ قِيَامٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْعَرَقُ قَدْ غَمَرَ أَكْثَرَهُمْ، وَبَلَغَ الْجَهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، وَالنَّاسُ فِيهِ بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْأَحَادِيثِ، خَاضِعِينَ، صَامِتِينَ، لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ تَعَالَى، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلُ، حَوْلَهُمْ أُمَمُهُمْ، وَكِتَابُ الْأَعْمَالِ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى عَمَلِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، مَوْضُوعٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، مِمَّا كَانَ يَعْمَلُ الْخَلْقُ وَأَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ، وَكَتَبَتْهُ عَلَيْهِمُ الْحَقِيقَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) (القيامة: ١٣-١٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْنَا طَائِرَهُ فِي عَقِبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) (الإسراء: ١٣، ١٤). قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَقَدْ أَنْصَفَكَ يَا بَنِي آدَمَ، مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ. وَالْمِيزَانُ مَنْصُوبٌ لَوْزْنِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالصِّرَاطُ قَدْ مَدَّ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَالْمَلَائِكَةُ مُخَدِّقُونَ بَنِي آدَمَ وَبِالْجَنِّ، وَقَدْ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ، وَأُزْلِفَتِ دَارُ النَّعِيمِ، وَتَجَلَّى الرَّبُّ سُبْحَانَهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَقُرِئَتِ الصُّحُفُ، وَشَهِدَتِ عَلَى بَنِي آدَمَ الْمَلَائِكَةُ بِمَا فَعَلُوا، وَالْأَرْضُ بِمَا عَمَلُوا عَلَى ظَهَرِهَا، فَمِنْ اعْتَرَفَ مِنْهُمْ، وَإِلَّا خَتَمَ عَلَى فِيهِ، وَنَطَقَتْ جَوَارِحُهُ بِمَا عَمِلَ بِهَا فِي أَوْقَاتِ عَمَلِهِ، مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ.

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْأَرْضِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تَحْدُثُ أَخْبَارَهَا﴾ (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) (الزلزلة: ٤، ٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٣) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَصْحَبَتْهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ١٩-٢٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥، ٢٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٦٥-٦٧)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢، ١١١). طه: (١١٢، ١١١). أَيْ لَا يُنْقَضُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ الْهَضْمُ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتٍ غَيْرِهِ، وَهُوَ الظُّلْمُ.

فصل

فَأَوَّلُ مَا يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَوَانَاتُ، قَبْلَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَهُمَا الثَّقَلَانِ، فَالْإِنْسُ ثَقُلٌ وَالْجِنُّ ثَقُلٌ، وَالْدَّلِيلُ عَلَى حَشْرِ الْحَيَوَانَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَأَبُو يَحْيَى الْبَزَّازُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ

ابن نَصِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْعَوَّامِ بْنِ مُرَاجِمٍ، مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْجَمَاءَ لَتَقْصُ مِنَ الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (١)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدَى، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتَوْدَنَّ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ تَنْطَحُّهَا». (٢). وَهَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُقْتَصُّ لِلْخَلْقِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ». (٣). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ: وَجَدْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ أَبِي بَخْطُّ يَدِهِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثُرَوَانَ، عَنْ الْهَزَلِيِّ بْنِ شُرَجْبِيلٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا وَشَاتَانِ تَعْتَلِفَانِ، فَنَطَحَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَأَجْهَضَتْهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَقَادَنَّ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٤)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَلِيمَانَ، هُوَ الْأَعْمَشُ، عَنْ مُنْذِرِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَشْيَاخٍ لَهُمْ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ /ح/ (٥) وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مُنْذِرِ بْنِ يَعْلَى، عَنْ أَشْيَاخِهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، فَذَكَرَ مَعْنَاهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْطَحَانِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْطَحَانِ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا». (٦). وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ حَسَنٌ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَرَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ. (٧)

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَرَوَى لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثُرَوَانَ، عَنْ الْهَزَلِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَاتَيْنِ تَنْطَحَانِ، فَقَالَ: «لَيَقْضِيَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجُلْحَاءِ مِنْ هَذِهِ الْقَرْنَاءِ». (٨) قَالَ: وَذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ، وَعَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ، أَنَّ أَبَا سَالِمٍ الْجَيْشَانِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ طَرِيفٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ، فَسَمِعَهُ رَافِعًا صَوْتَهُ، يَقُولُ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا يَوْمُ الْخُصُومَةِ لَسَوَّأْتُكَ. فَدَخَلْتُ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا ذَرٍّ؟ فَقَالَ: هَذِهِ. قُلْتُ: وَمَا

(١) أخرجه عبد الله في «الزوائد» (٥٢٠) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٥/٢)، والترمذي (٩٤٢٠)، وابن حبان (٧٣٦٣)، وإسناده صحيح.

(٣) صحيح: دون «الذرة». وأخرجه أحمد (٣٦٣/٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٢/٥-١٧٣) وإسناده ضعيف.

(٥) (ح) رمز لتحويل السند.

(٦) أخرجه أحمد (١٦٢/٥)، وإسناده ضعيف، والخديث حسن.

(٧) في «التذكرة» (ص ٢٨١) ورواه ابن أبي داود في «البعث» (٣٦) وإسناده ضعيف.

(٨) أخرجه البزار (٤٠٣٢) (٤٠٣٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦١١٠) وإسناده ضعيف.

عليك أن تضرّبها؟ فقال: أما والذي نفسي بيده - أو قال: والذي نفس محمد بيده - لتسألن شاءت فيم تطحن صاحتها، وليسألن الجماد فيم نكب أصبع الرجل. (١)

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إنه ليختصم الخلق يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا». (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن عليّة، حدثنا أبو حيان، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله، أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء، فيقول: يا رسول الله، أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله، أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رفاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك». (٣) وأخرجه في «الصحيحين» من حديث أبي حيان، واسمه يحيى بن سعيد بن حيان التيمي، به.

وتقدم في حديث أبي هريرة: «ما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر، فتطوّه بأخفافها، كلما مرّت عليه أخرها ردت عليه أولاهها». (٤). وذكر تمام الحديث في البقر والغنم. فهذه الأحاديث مع الآيات فيها دلالة على حشر الحيوانات كلها.

وتقدم في حديث الصور: «فيقضي الله تعالى بين خلقه، إلا الثقلين الإنس والجن، فيقضي بين الوحوش والبهائم، حتى إنه ليقيّد الجماء من ذات القرن، حتى إذا فرغ الله من ذلك، فلم يبق لواحدة تبعة عند أخرى، قال الله تعالى لها: كوني تراباً. (٥) فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ (النبا: ٤٠)».

وقد قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيّار، أنبأنا جعفر بن سليمان، سمعت أبا عمران الجوني يقول: حدثت أن البهائم إذا رأت بني آدم يوم القيامة وقد تصدّعوا من بين يدي الله عز وجل، صنفوا إلى الجنة، وصنفوا إلى النار، أن البهائم تناديهم: الحمد لله يا بني آدم، الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم، فلا جنة نرجو، ولا عقاب نخاف. (٦)

وذكر القرطبي عن أبي القاسم القشيري في «شرح الأسماء الحسنى» عند قوله: المقسط الجامع.

(١) أخرجه أسد في «الزهد» (١٠٣) وإسناده صحيح.

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق.

(٣) أخرجه أحمد (٤٢٦/٢) وإسناده صحيح على شرطهما، وأخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٤) سبق تخريجهما.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (١٨٦) وسنده حسن.

(٦)

قال: وفي خبر الوحوش والبهائم، تُحْشَرُ يومَ القيامةِ فَتَسْجُدُ لله سَجْدَةً، فتقولُ الملائكةُ: ليس هذا يومَ سجود، هذا يومُ الثواب والعقاب. فتقولُ البهائمُ: هذا سجودُ شكر، حيثُ لم يجعلنا الله عز وجل، من بني آدم. قال: ويقال: إنَّ الملائكةَ تقولُ للبهائم: إنَّ اللهَ لم يحْشركم لثواب ولا لعقاب، وإنما حْشركم تشْهدون فضائِحَ بني آدم.

وحكى القرطبي أنها إذا حُشِرَتْ وحُوسِبَتْ تعودُ تراباً، ثم يُحْثَى بها في وجهه فجرة بني آدم، قال: وذلك قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (عبس: ٤٠). والله سبحانه أعلم، وفيما ذكره نظر.

فصل

قال في حديث الصور: «ثُمَّ يَقْضَى اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَقْضَى فِيهِ الدِّمَاءُ». وهذا هو الواقع يومَ القيامة، وهو أنه بعد أن يَفْرُغَ اللهُ سبحانه من الفصلِ بين البهائم، يَشْرَعُ في القضاء بين العباد، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ (يونس: ٤٧).

ويكون أولُ الأُممِ يَقْضَى بينهم هذه الأُمَّة، لشرف نبيها ﷺ وفضلها، كما أنهم أولُ مَنْ يَجُوزُ على الصُّرَّاطِ، وأولُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، كما ثبت في «الصَّحِيحَيْنِ» من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وفي رواية: «الْمُقْضَى لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»^(٢).

وقال ابن ماجه^(٣): حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نضرة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَحْاسَبُ، يُقَالُ: أَيُّنَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ وَنَبِيِّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ».

ذكر أول ما يقضى بين الناس فيه يوم القيامة،

ومن يناقش في الحساب، ومن يسامح فيه

قد تقدّم في الحديث: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقْتَضِيَ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ»^(٤). وفي حديث أبي هريرة: «وَحَتَّى لِلدَّرَّةِ مِنَ الدَّرَّةِ»^(٥). والمراد بالدرّة هاهنا النملة، والله أعلم.

وإذا كان هذا حكمَ الحيوانات التي ليست مُكَلَّفَةً، فَلَتَخْلِيصُ الْحُقُوقِ مِنَ الْأَدْمِيَّةِ، والجَانِّ بعضهم من بعض يومَ القيامةِ أولى وأحرى.

وقد ثبت في «الصَّحِيحَيْنِ»، و«مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ»، و«النَّسَائِيِّ»، و«ابنِ ماجه»، من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يَقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»^(٦).

وقد تقدّم في حديث الصور أن المقتول يأتي يومَ القيامة تشخّب أوداجه دماً - وفي بعض

(١) (٥، ٤، ٢، ١) سبق تخريجها.

(٢) سبق تخريجها وراجع «الصحيحة» (٢٣٧٤).

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٣٣) (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

الاحاديث: «وَرَأْسُهُ فِي يَدِهِ» - فَيَتَعَلَّقُ بِالْقَاتِلِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ قَتَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلْتُهُ لَتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: صَدَقْتَ. وَيَقُولُ الْمَقْتُولُ ظُلْمًا: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لَتَكُونَ الْعِزَّةُ لِي - وفي رواية: «لَتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ» - فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تَعَسْتَ. ثُمَّ يَقْتَصُّ مِنْهُ لِكُلِّ مَنْ قَتَلَهُ ظُلْمًا، ثُمَّ يَبْقَى فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ.

وهذا دليل على أَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَتَّعِنُ عَذَابُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا يُنْقَلُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، حَتَّى نَقَلَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ: أَنَّ الْقَاتِلَ لَا تَوْبَةَ لَهُ. (١) وهذا إذا حُمِلَ عَلَى أَنَّ الْقَتْلَ مِنْ حَقِيقِ الْأَدْمِيَّةِ - وَهِيَ لَا تَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ - صَحِيحٌ، وَإِنْ حُمِلَ عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ عِقَابِهِ فَلَيْسَ بِلَازِمٍ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، ثُمَّ أَكْمَلَ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ أَتَيْتَ بَلَدًا كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّهُ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى بِهَا فَأَعْبَدَ اللَّهَ مَعَهُمْ. فَلَمَّا تَوَجَّهَ نَحْوَهَا، وَتَوَسَّطَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَتَنَّى بِصَدْرِهِ نَحْوَ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا، فَتَوَفَّتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ (٢). الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ، وَفِي سُورَةِ «الْفِرْقَانِ» نَصٌّ عَلَى قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ الآية (الفرقان: ٦٨-٧٠)، وَالتَّيَّابُ بَعْدَهَا، وَمَوْضِعُ تَقْرِيرِ هَذَا فِي كِتَابِ «الْأَحْكَامِ» وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: يَجِيءُ الْمَقْتُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْلِسُ عَلَى الْجَاذَةِ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ الْقَاتِلُ قَامَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بَتَلَابِيهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: أَمَرَنِي فُلَانٌ. فَيُؤْخَذُ الْأَمْرُ وَالْقَاتِلُ، فَيُلْقَيَانِ فِي النَّارِ (٣). وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخَرَابُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - وَفِي رِوَايَةٍ: لَزَوَالُ الدُّنْيَا - أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ». (٤)

وَقَالَ فِي حَدِيثِ الصُّورِ: «ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ، حَتَّى لَا تَبْقَى مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَخَذَهَا مِنْهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُكَلِّفُ شَائِبَ اللَّبَنِ بِالمَاءِ ثُمَّ يَبِيْعُهُ، أَنْ يُخْلَصَ اللَّبَنُ مِنَ الْمَاءِ». وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١)، وَفِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، وَغَيْرِهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَيْءٍ مِنْ أَرْضٍ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٥)

(١) لَكِنِ الْمَقُولُ عَنْهُ أَنَّهُ رَجَعَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ وَقَالَ: لَهُ تَوْبَةٌ.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٣٤٧٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٦٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٥٨/٩-٣٥٩)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الزُّهْدِ» (١٤٠)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الشَّعْبِ» (٥٩٤٤) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٨٢/٧)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الزُّهْدِ» (١٤٠)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الشَّعْبِ» (٤٩٥٦)، وَإِسْنَادُهُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَكِنِ لَهُ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ مِنْ حَدِيثِ بَرِيدَةَ، وَابْنِ أَبِي عَاصِمٍ، وَغَيْرِهِمَا يَقْوَى بِهِ وَيُصَحِّحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، خَاصَّةً أَنَّ حَدِيثَ بَرِيدَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٨٣/٧) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٥٠٧٧) وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ (٥٠٧٨).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٥٢) (٣١٩٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦١٠).

وفي «الصحيحين»: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَتَيْسَ بِنَافِخٍ»^(١). وفي رواية: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٢). وفي «الصحيح»: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ»^(٣). وتقدّم حديث أبي هريرة في أمر الغلول، وأنّ مَنْ غَلَّ شَيْئًا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، وهو في «الصحيحين» بطوله^(٤).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن بكّار البصري، ثنا أبو مخصن حصين بن نمير، عن حسين بن قيس، عن عطاء، عن ابن عمر، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِكَ فِيمَ أَفْنَيْتَ؟ وَعَنْ شَبَابِكَ فِيمَ أَبْلَيْتَ؟ وَعَنْ مَالِكَ، مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقْتَهُ؟ وَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ»^(٥)؟ وروى البيهقي من طريق عبد الله ابن المبارك، عن شريك بن عبد الله، عن هلال، عن عبد الله بن عكيم، قال: كان عبد الله بن مسعود إذا حدّث بهذا الحديث قال: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو اللَّهُ بِهِ، كَمَا يَخْلُو أَحَدَكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فيقول: يَا عَبْدِي، مَا غَرَّكَ بِي؟ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟^(٦)

هكذا أورده البيهقي بعد الحديث الذي رواه من طريق مَحَلِّ بْنِ خَلِيفَةَ، عن عدى بن حاتم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَلْيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ، وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أَرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ يَشِقُّ ثَمَرَةً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(٧). وقد رواه البخاري في «صحيحه».

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز، وعفان، قالا: حدثنا همام، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، قال: كنت أخذًا بيد ابن عمر، فجاءه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتَرْهُ مِنَ النَّاسِ، وَيَقْرَأُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْضِيهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ هـ ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ١٨)»^(٨). وأخرجه في «الصحيحين» من حديث قتادة.

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٣)، والبخاري (٧٠٤٢)، والطبراني (١١٩٦٠) عن ابن عباس.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٦٦)، والبخاري (٧٠٤٢)، وأبو داود (٥٠٢٤).

(٣) هو الحديث الماضي عن ابن عباس.

(٤) مضى تخريجه.

(٥) أخرجه أبو يعلى (٥٢٤٩)، والترمذي (٢٤١٦) وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٦٠) وإسناده ضعيف، وأخرجه أسد في «الزهد» (٩٦)، وابن المبارك «زهد» (٣٨)، والدينوري في «المجالسة» (٨)، والحديث حسن.

(٧) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥) (١٨٤٣)، وأحمد (٢٥٦/٤).

(٨) «المسند» (٧٤/٢)، وإسناده صحيح على شرطهما. وأخرجه البخاري (٦٠٧٠) (٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان، حدثنا حماد، حدثنا إسحاق بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بَنَ آدَمَ، حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ، وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبِعَ وَتَرَأْسَ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟» (١).

وروى مسلمٌ من حديث سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في حديث طويل قال فيه: «فَيَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ قُلٍّ، أَلَمْ أَكْرَمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِعَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيُّ رَبٍّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَيُّ قُلٍّ، أَلَمْ أَكْرَمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِعَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيُّ رَبٍّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصَمَّمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَهُنَا إِذَا». قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. فَيَفْكَرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْدِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطَلِقِي. فَتَنْطَلِقُ فَخْدُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ: بِعَمَلِهِ كَانُوا مَا كَانَ، وَذَلِكَ لِيَعَذَّرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمَنَاقِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: تَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» (٢). وسيأتي الحديث بطوله.

وقد روى البزار عن عبد الله بن محمد الزهري، عن مالك بن سَعِيدٍ بن الخُمَيسِ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وأبي سعيد، رفعاه إلى رسول الله ﷺ، فذكر مثله إلى قوله: «فَالْيَوْمَ أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي» (٣).

وروى مسلم، والبيهقي واللفظ له، من حديث سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عن عُبَيْدِ بْنِ الْمُكَتَبِ، عن فضيل ابن عمرو، عن عامر الشعبي، عن أنس بن مالك، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحَكَ، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَقُولُ: يَا رَبُّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهَدَاً. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لَأَرْكَانِهِ: انْطَلِقِي. فَتَنْطَلِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنْ وَسَحَقًا! فَعَنْكَ كُنْتُ أَنَاضِلُ» (٤).

وقال أبو يعلى: حدثنا زهير، حدثنا الحسن، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُرِفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ، وَخَاصَمَ،

(١) أحمد (٤٩٢/٢) وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه مسلم (٢٩٦٨)، وابن حبان (٤٦٤٢) (٧٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦/١) (١٦).

(٣) إسناده ضعيف، وربما يحسن.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٦٩) (١٧).

فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ. فَيَقُولُ: كَذَبُوا. فَيَقُولُ: أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ. فَيَقُولُ: كَذَبُوا. فَيَقُولُ: احْلِفُوا. فَيَحْلِفُونَ، ثُمَّ يَصْمَتُهُمُ اللَّهُ وَتَشْهَدُ أَسْبَتُهُمْ، وَيَدْخُلُهُمُ النَّارُ. (١)

وروى أحمد، والبيهقي، من حديث يزيد بن هارون، عن الجريري، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «تَجِثُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ، فَأُولُو مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَخِذُهُ وَكَفَّهُ». (٢)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن الوليد بن أبان، حدثنا محمد بن الحسن المخزومي، حدثني عبد الله بن عبد العزيز الليثي، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي أيوب، عن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يَخْتَصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ وَأَمْرَأَتُهُ، وَاللَّهُ مَا يَتَكَلَّمُ لِسَانَهَا، وَلَكِنْ يَدَاها وَرِجْلَاهَا، يَشْهَدَانِ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ تَغِيْبُ لِرَوْجِهَا، وَتَشْهَدُ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ بِمَا كَانَ يُوَلِّيها، ثُمَّ يَدْعَى بِالرَّجُلِ وَخَدَمِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَدْعَى بِأَهْلِ الْأَسْوَاقِ، فَمَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ دَوَانِيقٌ وَلَا قَرَارِيطٌ، وَلَكِنْ حَسَنَاتٌ هَذَا تُدْفَعُ إِلَى هَذَا الَّذِي ظَلِمَ، وَتُدْفَعُ سَيِّئَاتُ هَذَا إِلَى الَّذِي ظَلَمَهُ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَبَّارِينَ فِي مَضَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَقَالُ: سَوْفَوْهُمْ إِلَى النَّارِ. فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَيْدِخُلُونَهَا، أَمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٣) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَادَى الطَّالِبِينَ فِيهَا جَنِيًّا (مریم: ٧١، ٧٢)» (٣).

ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن صالح والحسن بن يعقوب، حدثنا السري بن خزيمة، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثنا يحيى ابن أبي سليمان، عن سعيد المقرئ، عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: «... نَحْدُثُ أَخْبَارَهَا» (الزلزلة: ٤). قال: «أَتَذَرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «فَإِنْ أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ أَخْبَارُهَا». (٤)

وقد رواه الترمذي والنسائي، من حديث عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب، به، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.

وروى البيهقي من حديث الحسن البصري، حدثنا صَعْصَعَةُ عُمُ الْفَرَزْدَقِ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٥) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزلة: ٨، ٧) فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا، حَسْبِيَ حَسْبِي. (٥)

(١) أخرجه أبو يعلى (١٣٨٨) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٥) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (١٩٧) وهو موضوع.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٤٨)، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٩) (٣٣٥٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٩٣)، وابن حبان (٧٣٦٠)، والحاكم (٢٥٦/٢)، وهو منكر.

(٥) أخرجه البيهقي في «الزهد» (٧٦٨)، وأخرجه أحمد (٥٩/٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد» (١١٩٧) (١١٩٨)، والنسائي «كبرى» (١١٦٩٤)، والطبراني (٧٤١١) وهو صحيح.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن عيسى، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدني، أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفيًا حدثه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة. فقال: فدنوت منه، حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكث وخلا، قلت له: أنشدك بحق وحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عقلتُه وعلمته. ثم نشغ أبو هريرة نشغًا، فمكث طويلًا، ثم أفاق، ثم قال: لأحدثنك حديثًا حدثني رسول الله ﷺ في هذا البيت، ما معنا أحدٌ غيري وغيره. ثم نشغ أبو هريرة نشغًا أخرى، فمكث طويلًا كذلك، ثم أفاق ثم مسح وجهه، فقال: أفعُل، لأحدثنك حديثًا حدثني رسول الله ﷺ في هذا البيت، ما معنا أحدٌ غيري وغيره. ثم نشغ أبو هريرة نشغًا شديدة، ثم مال خارًا على وجهه، وأسندته طويلًا، ثم أفاق، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليَقْضَى بَيْنَهُمْ، وكلُّ أمةٍ جاثية، فأول من يدعى رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به أنااء الليل، وأنااء النهار. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: إنما أردت أن يقال: فلان قارئ. فقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله تعالى له: ألم أوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرِّحِم، وأتصدق. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى له: بل أردت أن يقال: فلان جواد. فقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقال له: فيم قُلت؟ فيقول: أُمِرْتُ بالجهاد في سبيلك، فقَاتَلْتُ حتى قُلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى له: بل أردت أن يقال: فلان جريء. فقد قيل ذلك. قال أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعربهم النار يوم القيامة».

قال الوليد أبو عثمان: فأخبرني عقبة أن شفيًا - وكان سيافًا لمعاوية - دخل على معاوية، فأخبره بحديث أبي هريرة هذا، فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا، حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق، ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون﴾ (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴿١٦﴾ (١).

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأحوال» (١٩٤) بهذا الإسناد. وإسناده حسن. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٦٩)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٣٣٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، والحاكم (٤١٨/١)، وغيرهم من طريق حيوة بن شريح، به. وأخرجه أحمد (٣٢٢/٢)، ومسلم (١٩٠٥)، والنسائي (٢٤-٢٣/٦) من طريق آخر.

وهذا الحديث له شاهدٌ صحيحٌ في «صحيح مسلم» من طريقٍ أخرى عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : «أول ما تُسَعَّرُ النارُ يومَ القيامةِ بثلاثة: بالعالم والمتصدق والمجاهد، الذين أرادوا بأعمالهم الدنيا» (١).

وقال ابنُ أبي الدنيا: أخبرنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ معبد، أنبأنا محمدُ بنُ بكَّارٍ بنُ بَلَّالٍ، قاضي دِمَشَقَ، حدَّثنا سَعِيدُ بنُ بَشِيرٍ، عن قَتَادَةَ، عن الحسن، عن حُرَيْثِ بنِ قَبِيصَةَ، عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أول ما يُحَاسَبُ بِهِ الرَّجُلُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي نَافِلَةٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ نَافِلَةٌ أَتَمَّتْ بِهَا الضَّرِيضَةُ. ثُمَّ سَائِرُ الضَّرَائِضِ كَذَلِكَ» (٢). ورواه الترمذِيُّ والنسائي، من حديثِ هَمَّامٍ، عن قتادة. وقال الترمذِيُّ: حسنٌ غريبٌ.

ورواه النسائي أيضاً، من حديثِ عِمْرَانَ بنِ داودَ أبي العوَّام، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة.

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا أبو النضر، حدَّثنا المبارك - هو ابنُ فضالة - عن الحسن، عن أبي هريرة، أراه ذَكَرَهُ عن النبي ﷺ : «إِنَّ الْعَبْدَ الْمَمْلُوكَ لِيُحَاسَبَ بِصَلَاتِهِ، فَإِذَا نَقَصَ مِنْهَا قِيلَ: لِمَ نَقَصْتَ مِنْهَا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلَطْتَ عَلَيَّ مَلِيكًا شَغَلَنِي عَنْ صَلَاتِي. فَيَقُولُ: قَدْ رَأَيْتَكَ تَسْرِقُ مِنْ مَالِهِ لِنَفْسِكَ، فَهَلَّا سَرَقْتَ لِنَفْسِكَ مِنْ عَمَلِكَ؟ - أَوْ عَمَلِهِ؟ - قال: فَيَتَّخِذُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِجَّةَ» (٣).

وقال ابنُ أبي الدنيا: حدَّثنا عليُّ بنُ الجعد، أنبأنا مَبَّارُكُ بنُ فضالة، حدَّثنا الحسن، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «أول ما تُسألُ عنه المرأةُ يومَ القيامةِ: عَنْ صَلَاتِهَا، ثُمَّ عَنْ بَعْلِهَا، كَيْفَ فَعَلَتْ إِلَيْهِ؟» وهذا مُرْسَلٌ جيدٌ (٤).

وقال أحمد: حدَّثنا أبو سعيد مَوْلى بنى هاشم، حدَّثنا عَبَّادُ بنُ راشد، قال: حدَّثنا الحسن، حدَّثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحنُ بالمدينة، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلَاةُ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ. فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ أَخُذُ، وَبِكَ أُعْطَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥). (٥).

وقال ابنُ أبي الدنيا: حدَّثنا عَبْدَةُ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ المَرْوَزِيُّ، حدَّثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليد الكَلَاعِيُّ، حدَّثنا سَلَمَةُ بنُ كُلْثُومٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْحَكَّامِ يَوْمَ

(١) «صحيح مسلم» (١٩٠/٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاهوال» (١٩٦)، وأخرجه الترمذِيُّ (٤١٣)، والنسائي وهو صحيح.

(٣) هذه رواية عند أحمد (٣٢٨/٢) وفيه انقطاع.

(٤) إسناده ضعيف مع إرساله.

(٥) أخرجه أحمد (٣٦٢/٢)، وأبو يعلى (٦٢٣١)، وإسناده ضعيف.

القيامة، يَمَنْ قَصُرَ، وَيَمَنْ تَعَدَّى، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَنْتُمْ خَزَانُ أَرْضِي، وَرِعَاةُ غَنَمِي، وَعَبْدُكُمْ بُغِيَّتِي. فَيَقُولُ لِلَّذِي قَصُرَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: الرَّحْمَةُ. فَيَقُولُ اللَّهُ جَلُّ جلاله: أَنْتَ أَرْحَمُ عِبَادِي مِنْنِي؟ وَيَقُولُ لِلَّذِي تَعَدَّى: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: غَضِبْتُ لَكَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: أَنْتَ أَشَدُّ غَضَبًا مِنْنِي؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: انْطَلِقُوا بِهِمْ، فَسُدُّوا بِهِمْ رُكْنَا مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ»^(١).

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا رَجَعْتُ مُهَاجِرَةً الْحَبِشَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا تُخْبِرُونَنِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُمْ فِي أَرْضِ الْحَبِشَةِ؟»، فَقَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ مَرَّتْ عَلَيْنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، وَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ، وَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَدْرُ، إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدَى وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، سَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقْتُ، كَيْفَ يَقْدُسُ اللَّهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ مِنْ شِدِيدِهِمْ لَضَعِيفِهِمْ؟»^(٢).

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّينُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا تَقَدَّمَ^(٣)، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

وقال الإمام مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ»^(٤). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّذَرُونَ مِنَ الْمَفْلِسِ؟» قَالُوا: مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ. فَقَالَ: «بَلِ الْمَفْلِسُ مَنْ أَمَّتْ مِنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ»^(٥).

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شَجَاعٍ السَّكُونِيُّ أَبْنَانَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكِ الْمُزْنِيِّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمُوتَنَّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٤١) وفيه انقطاع.

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٤٣) وإسناده ضعيف، والحديث صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٤٩٥/٣) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٤٣٥/٢)، والبخاري (٦٥٣٤)، والطحاوي (١٨٩) من طريق مالك.

(٥) أخرجه أحمد (٣٠٣/٢)، والترمذي (٢٤١٨)، وابن حبان (٤٤١١) (٧٣٥٩)، من طريق العلاء، به. وأخرجه

أحمد (٣٧٢/٢)، ومسلم (٢٥٨١).

دينار ولا درهم، إنما هي الحسنات، جزاء بجزاء، ولا يظلم ريك أحداً^(١). وروى من وجهين آخرين، عن ابن عمر مرفوعاً مثله.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا ابن أبي شيبه، حدثنا بكر بن يونس بن بكير، عن موسى بن علي ابن رباح، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي العبد يوم القيامة، وقد سرتة حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا رب، ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته، فيجعل في حسنات الذي سألته، فما يزال كذلك حتى ما تبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله، نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفي من حسناته، وترد عليه سيئات من ظلمه، فما يزال يستوفي منه حتى يدخل النار»^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا صدقة بن موسى، حدثنا أبو عمران الجوني، عن يزيد ابن بابنوس عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله، عز وجل، ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (المائدة: ٧٢)، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك، ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»^(٣).

وروى البيهقي من حديث زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري، عن أنس مرفوعاً: «الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وهو الشرك، وظلم يغفره، وهو ظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وظلم لا يترك الله منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يدين بعضهم من بعض». ثم ساقه من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس، مرفوعاً بنحوه، وكلا الطريقين ضعيف^(٤).

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الله تميم بن المنتصر، أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن شريك، عن الأعمش، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء» - أو قال: يكفر الذنوب كلها - إلا الأمانة. قال: «يؤتى بصاحب الأمانة، فيقال له: أدامتلك. فيقول: أنى يا رب، وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية. فيذهب به إليها، فيهوى حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهيئتها، فيحملها فيضعها على عاتقه، فيصعد بها في نار جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت فهوت، وهوى في إثرها، فهو كذلك أبداً الأبدين». قال: «والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الوضوء،

(١) إسناده ضعيف: والحديث صحيح أخرجه أحمد (٥٣٨٥)، والحاكم (٢٧/٢) بإسناد صحيح.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٠/٦) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطيالسي (٢١٠٩) وإسناده ضعيف.

وَالْأَمَانَةُ فِي الْحَدِيثِ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَاعُ. قَالَ: فَلَقِيتُ الْبَرَاءَ، فَقُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالَ: صَدَقَ. (١)

قَالَ شَرِيكٌ: وَحَدَّثَنَا عَبَّاسُ الْعَامِرِيُّ، عَنْ زَادَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ (٢). وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَمَانَةَ فِي الصَّلَاةِ، وَالْأَمَانَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، وَلَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدِيرٍ، يُكْفَرُ اللَّهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِلَّا الدَّيْنَ». (٣) وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عمرو، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿ (الزمر: ٣٠، ٣١) قَالَ الزُّبَيْرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيكْرُرُ عَلَيْنَا مَا يَكُونُ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لِيُكْرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ، حَتَّى تُؤَدُّوا إِلَى كُلِّ دِي حَقِّ حَقِّهِ». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ. (٥)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَنَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ زَادَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: الْأُمَمُ جَائُونَ لِلْحِسَابِ، فَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ تَعَلُّقًا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، الْأَبُ بَابَتِهِ، وَالْأَبْنُ بِأَبِيهِ، وَالْأَخْتُ بِأَخِيهَا، وَالْأَخُ بِأَخْتِهِ، وَالزَّوْجُ بِأَمْرَأَتِهِ، وَالْمَرْأَةُ بِزَوْجِهَا. ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١). (٥) وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْبَزَارُ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْمَلِكِ وَالْمَمْلُوكِ، وَالزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، فَيُحَاسَبُ الْمَلِكُ وَالْمَمْلُوكُ، وَالزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: شَرِيتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا عَلَى لَذَّةٍ. وَيُقَالَ لِلزَّوْجِ: خَطَبْتَ فَلَانَةَ مَعَ خَطَّابٍ فَزَوَّجْتَهَا وَتَرَكْتَهُمْ» (٦). وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي عمرو بْنُ حَبَّانٍ مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَدْعُو الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَذْكُرُهُ وَيَعْدُ عَلَيْهِ: دَعَوْتِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَأَجَبْتِكَ. حَتَّى يَعْدُ عَلَيْهِ فِيمَا يَعْدُ، وَقُلْتُ: يَا رَبِّ، زَوَّجْنِي فَلَانَةَ - وَاسْمُهَا بِاسْمِهَا - فَزَوَّجْتَاكُمَا» (٧). وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، مَوْفُوقًا، بِنَحْوِهِ. (٨)

(١) ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٥٠)، وإسناده ضعيف.

(٢) انظر التحقيق السابق.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٨٥) عن قتادة.

(٤) أخرجه أحمد (١٤٠٥)، والحميدي (٦٠) (٦١)، والترمذي (٣٢٣٦)، وابن ماجه (٣٣٥٦)، والبخاري (٩٦٣) (٩٦٥)، وأبو يعلى (٦٧٦) من طريق سفيان، به. وهو حديث حسن الإسناد.

(٥) إسناده حسن؛ وأخرجه ابن المبارك (١٤١٦)، وابن جرير (٢٥٦٦٨)، وأبو نعيم (٢٠٢/٤) من طريق آخر بإسناد حسن.

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) «كشف»، وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه مسدد (٥١٠٨) «مطالب»، وإسناده ضعيف وله شاهد من حديث عبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وبهما يحسن.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٢)، وإسناده ضعيف.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثني الفضل بن عيسى، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَارَ لَيَلْزَمُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقُولَ: يَا رَبِّ لِإِسْرَافِكَ بِي إِلَى النَّارِ أَيْسَرُ عَلَيَّ مِمَّا أَلْقَى مِنَ الْعَارِ. وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ» (١). وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨).

وفى «الصحيح» أن رسول الله ﷺ لما أكل هو وأصحابه في حديقة أبي الهيثم ابن التيهان من تلك الشاة التي ذبحت له، وأكلوا من الرطب، وشربوا من ذلك الماء، قال: «هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَسْأَلُونَهُ» (٢). أى عن القيام بشكره، وماذا عملتم في مقابلة ذلك، كما ورد في الحديث: «أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَبِالصَّلَاةِ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ، فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ» (٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا وكيع، أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن ثابت - أو أبي ثابت - أن رجلاً دخل مسجد دمشق، فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، وارزقني جليسا صالحا. فسمعه أبو الدرداء، فقال: لئن كنت صادقا لأنا أسعد بما قلت منك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ (فاطر: ٣٢) قال: الظالم الذي يؤخذ منه في مقامه ذلك، وذلك الحزن والغم، ﴿وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ﴾ قال: يحاسب حسبا يسيرا. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال: يدخل الجنة بغير حساب» (٤). وستأتي الأحاديث فيمن يدخل الجنة بغير حساب، وكم عدتهم.

حديث فيه أن الله تعالى يصالح عن عبده الذي له به عناية،

من ظلمه بما يريه من قصور الجنة ونعيمها

قال أبو يعلى: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثنا عبد الله بن بكر، حدثنا عباد بن شيبه الحبطي، عن سعيد بن أنس، عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: «رَجُلَانِ، جَنِيًّا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي». قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ يَوْمٌ عَظِيمٌ، يَوْمٌ يَحْتَاجُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى أَنْ يَحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصْرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجَنَّةِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مَكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لَأَيُّ نَبِيٍّ هَذَا؟ لَأَيُّ صَدِيقٍ هَذَا؟ لَأَيُّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ. قَالَ: بِمَاذَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَإِنِّي

(١) الفضل بن عيسى منكر الحديث، وأخرجه عنه ابن عدى (١٣/٦).

(٢) القصة في «صحيح مسلم» (١٤٠/١٦٠٩/٢).

(٣) أخرجه ابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٩-٢٠)، والعقيلي (ص ١٥٦/١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٩٥٢)، وابن عدى (٥٩/٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٩٦/١)، وابن السني في «عمل اليوم» (٤٨٢) عن عائشة وهو موضوع.

(٤) أخرجه أحمد (١٩٤/٥) وغيره وإسناده ضعيف.

قَدْ عَمَوْتُ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عِنْدَ ذَلِكَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْلَحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١). إسناده غريب، وسياق غريب، ومعنى حسن عجيب.

وقد رواه البيهقي، من حديث عبد الله بن بكر، به (٢)، وحكى عن البخاري أنه قال: سعيد بن أنس عن أبيه في المظالم لا يتابع عليه (٣). ثم أورده البيهقي من طريق زياد بن ميمون البصري، عن أنس مرفوعاً، بنحوه (٤)، وفيه نظر أيضاً، وقد يستشهد له بما رواه البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ» (٥).

وقد روى أبو الوليد الطيالسي، عن عبد القاهر بن السري، ورواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي، من حديثه، عن ابن لكتانة بن عباس بن مرداس السلمى، وفي رواية ابن ماجه، عن عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس، عن أبيه، عن جده عباس بن مرداس أن رسول الله ﷺ دعا عشيّة عرفة لأُمّته بالمغفرة والرحمة، فأكثر الدعاء، فأجابه الله تعالى: «إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ إِلَّا ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا». فَقَالَ: «يَا رَبِّ، إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُثِيبَ هَذَا الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ، وَتَغْفِرَ لِهَذَا الظَّالِمِ». فلم يُجِبْهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةُ الْمَزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ: «إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ». فتيسم رسول الله ﷺ، فقال بعض أصحابه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَبَسَّمتَ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَبَسِّمُ فِيهَا؟ فقال: «تَبَسَّمتُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، إِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِي أُمْتِي أَهْوَى يَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ، وَيَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ» (٦).

قال البيهقي: وهذا العفو يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ عَذَابٍ يَمَسُّهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَاصًّا بِبَعْضِ النَّاسِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا فِي كُلِّ أَحَدٍ (٧).

وقال أبو داود الطيالسي: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ -أَوْ زَيْدِ بْنِ قَيْسٍ- عَنْ قَاضِي الْمَصْرِيِّنِ شُرَيْحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَدْعُو صَاحِبَ الدِّينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا بَنَ آدَمَ، فِيمَ أَضَعْتَ حَقُوقَ النَّاسِ؟ فِيمَ أَذْهَبْتَ أَمْوَالَهُمْ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَمْ أَفْسِدْ، وَلَكِنِّي أَصَيْتُ، إِمَّا غَرَقًا، وَإِمَّا سَرَقًا. فَيَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ مَنْ قَضَى عَنْكَ الْيَوْمَ، فَتَرْجِعْ حَسَنَاتَهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَيُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ» (٨).

(١) أخرجه أبو يعلى (٥١٥٩) «مطالب»، وإسناده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٧٢) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٧٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٧٤).

(٥) أخرجه أحمد (٨٧٣٣) (٩٤٠٧)، والبخاري (٢٣٨٧)، وابن ماجه (٢٤١١)، والبيهقي (٢١٤٦) عن أبي هريرة، به.

(٦) أخرجه أحمد (١٥٠٤/٤)، وأبو داود (٥٢٣٤)، وابن ماجه (٣٠١٣)، وإسناده ضعيف.

(٧) ذكره البيهقي في «البعث» (١٧٦).

(٨) أخرجه الطيالسي (١٣٢٦) بإسناد ضعيف.

وَبُتَّ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الرَّجُلِ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ صِغَارَ ذُنُوبِي، وَاتْرَكُوا كِبَارَهَا». فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ تَنْكُرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا. وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا قَدْ أَبَدْنَاكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٍ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي قَدْ عَمِلْتُ ذُنُوبًا لَا أَرَاهَا هَهُنَا؟ قَالَ: وَصَحَّحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. (١)

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ عَمَرَ فِي حَدِيثِ النُّجُودِ: «يُدْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَقْرُرَهُ بِذُنُوبِهِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. وَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ». (٢)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سَيَّارُ بْنُ حَاتِمٍ، أَنبَأَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَنبَأَنَا أَبُو عَمْرٍانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: يُدْنِي اللَّهُ تَعَالَى الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ لِيَسْتَرَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، وَيَدْفَعُ إِلَيْهِ كِتَابَهُ، فِي ذَلِكَ السِّرِّ، فَيَقُولُ تَعَالَى: «اقْرَأْ يَا بَنَ آدَمَ كِتَابَكَ». فَيَمُرُّ بِالْحَسَنَةِ فَيَبْيُضُّ لَهَا وَجْهَهُ، وَيُسِرُّ بِهَا قَلْبَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَتَعْرِفُ يَا عَبْدِي؟» فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، أَعَرَفْتُ. فَيَقُولُ: «إِنِّي قَدْ تَقَبَّلْتُهَا مِنْكَ». قَالَ: فَيَخِرُّ سَاجِدًا، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَعُدْ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِكَ». فَيَمُرُّ بِالسَّيِّئَةِ، فَتَسْوُهُ وَيَسْوُدُّ لَهَا وَجْهَهُ، وَيُوجَلُّ مِنْهَا قَلْبَهُ، وَتُرْعَدُ مِنْهَا فَرَأْسُهُ، وَيَأْخُذُهُ مِنَ الْحَيَاءِ مِنْ رَبِّهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: «أَتَعْرِفُ يَا عَبْدِي؟» فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، أَعَرَفْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «هَإِنِّي قَدْ غَضَرْتُهَا لَكَ». فَيَخِرُّ سَاجِدًا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ». فَلَا يَزَالُ فِي حَسَنَةٍ تُقْبَلُ، وَسَيِّئَةٍ تُغْفَرُ، وَسُجُودٍ عِنْدَ كُلِّ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ، لَا يَرَى الْخَلَائِقُ مِنْهُ إِلَّا ذَاكَ السُّجُودَ، حَتَّى يَنَادِيَ الْخَلَائِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا: طُوبَى لِهَذَا الْعَبْدِ الَّذِي لَمْ يَعْصِ اللَّهَ قَطُّ. وَلَا يَدْرُونَ مَا قَدْ لَقِيَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِمَّا قَدْ وَقَّعَهُ عَلَيْهِ. (٣)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: وَقَالَ أَبُو يَاسِرٍ عَمَّارُ بْنُ نَصْرٍ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ، أَوْ غَيْرُهُ، قَالَ: مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ أُتِيَ بِكِتَابٍ فِي بَاطِنِهِ سَيِّئَاتِهِ، وَفِي ظَاهِرِهِ حَسَنَاتِهِ، فَيَقَالُ لَهُ: اقْرَأْ كِتَابَكَ. فَيَقْرَأُ بَاطِنَهُ، فَيَسَاءُ بِمَا فِيهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى آخِرِهَا قَرَأَ فِيهِ: «هَذِهِ سَيِّئَاتُكَ، وَقَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَغَضَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ». وَيَغْطِي بِهَا الْأَشْهَادَ - أَوْ قَالَ: أَهْلَ الْجَمْعِ - مِمَّا يَقْرَءُونَ فِي ظَاهِرِ كِتَابِهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَيَقُولُونَ: سَعِدَ هَذَا. ثُمَّ يُؤْمَرُ بِتَحْوِيلِهِ، وَقِرَاءَةِ مَا فِي ظَاهِرِهِ، فَيُحَوِّلُهُ، وَيَبْدِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي بَاطِنِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ حَسَنَاتٍ، وَيَقْرَأُ حَسَنَاتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يَقُولُ: «هَذِهِ حَسَنَاتُكَ، قَدْ قَبِلْتُهَا مِنْكَ». فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ: «هَؤُلَاءِ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ» (٤) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حَسَابِيهِ (الحاقة: ١٩، ٢٠). قَالَ: وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ يَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: اقْرَأْ كِتَابَكَ. فَيَقْرَأُ كِتَابَهُ فِي بَاطِنِهِ حَسَنَاتِهِ، وَفِي ظَاهِرِهِ سَيِّئَاتِهِ، فَيَقْرَءُهَا أَهْلُ الْمَوْقِفِ - أَوْ قَالَ: أَهْلُ الْجَمْعِ - وَيَقُولُونَ: هَلَكَ هَذَا.

(١) أخرجه أحمد (١٧٠/٥)، ومسلم (١٩٠) (٣١٥)، والترمذي (٢٥٩٦).

(٢) البخاري (٤٦٨٥) ومسلم وغيرهما.

(٣) إسناده ضعيف: لضعف سيار بن حاتم، وفيه انقطاع.

فإذا أتى على آخر حسنته، قيل: «هذه حسنتك، وقد رددتها عليك». ويؤمر بتحويله، فيقرأ سيئاته، حتى يأتي على آخرها، فعند ذلك يقول لأهل الجمع: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيهِ﴾ (٢٥) ولم أدر ما حسابه (٢٦) يا ليتها كانت القاضية (٢٧) ما أغنى عني ماله (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) (الحاقة: ٢٥-٢٩). (١)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بدج - والبدج ولد الشاة - فيقول له ربه عز وجل: أين ما خولت؟ أين ما ملكت؟ أين ما أعطيتك؟ فيقول: يا رب، جمعتُه وثمرته، وتركته أكثر ما كان. فيقول: ما قدمت منه؟ فلا يرى قدم شيئاً، فيطلب من الله الرجعة إلى الدنيا وليس يرجع إلى الدنيا أبداً». (٢)

وحدثني حمزة بن العباس، أنبأنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أخبرنا إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، وقادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، نحوه، وزاد فيه: «فيقول: يا رب أرجعني إليك به كله. فإذا أعيد لم يقدم شيئاً، فيمضى به إلى النار». ثم ساقه من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ بنحوه. (٣) وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَنَّمْنَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَكُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٤).

وفي «صحيح مسلم»: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي. وهل لك من مالي إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس» (٤). وقال تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَا (٥) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (البلد: ٦، ٧).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا سريج بن يونس، حدثنا سيف بن محمد، ابن أخت سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عدي بن عدي، عن الصنابحي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره: فيم أفناه؟ وعن جسده: فيم أبلاه؟ وعن علمه: ما عمل فيه؟ وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيما أنفق؟» (٥) وقد تقدم عن ابن مسعود نحوه. وروى عن أبي ذر قريب منه، والله أعلم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا سريج بن يونس، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الغصوري بن عتيق، عن مكحول، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عويمر، يا أبا الدرداء، كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة: علمت أو جهلت؟ فإن قلت: علمت. قيل لك: فماداً عملت فيما علمت؟ وإن قلت: جهلت. قيل: فماداً كان عندك فيما جهلت؟ ألا تعلمت؟» (٦) وقد روى من وجه آخر موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه، فآله أعلم.

(١) موقوف: إسناده ضعيف.

(٢) مرسل: إسناده ضعيف، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٧) بإسناد ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف لضعف يزيد.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٩) عن أبي هريرة.

(٥) صحيح بطريقه وشواهد، وقد تقدم تخريجه.

(٦) مرسل: إسناده ضعيف.

ورواه ابن أبي الدنيا، عن العباس بن محمد، عن عبيد الله بن موسى العباسي، به.
 وروى أبو داود من طريق أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن
 النبي ﷺ قال: «إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم
 القيامة لمكانهم من الله». قالوا: يا رسول الله، فخيرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله
 سبحانه على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن لوجوههم لنورا، وإنهم لعلى كراسي
 من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس». وقرأ هذه الآية: ﴿إِن أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا
 حُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٢٣) لهم البشراى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل
 لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿يونس: ٦٢-٦٤﴾ (١).

وروى ابن أبي الدنيا، عن بعض السلف، وهو الحسن البصري، أنه قال: إذا قال الله تعالى
 للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠). ابتدره سبعون ألف ملك، فتسلط السلسلة من فيه، فتخرج
 من دبره، فينظم في السلسلة كما ينظم الخرز في الخيط، ويغمس في النار غمساً، فيخرج عظماً،
 فتقعقع، ثم تسجر تلك العظام في النار، ثم يعاد غصاً طرياً. (٢)

وقال بعضهم: إذا قال الله: ﴿خُذُوهُ﴾ ابتدره أكثر من ربعة ومضّر (٣). وعن معتمر بن
 سليمان، عن أبيه، أنه قال: لا يبقى شيء إلا ذمه، فيقول: أما ترحمني؟ فيقول: كيف أرحمك،
 ولم يرحمك أرحم الراحمين؟ (٤)

فصل

قال ابن ماجه في الرقائق، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة:
 حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا عبد الملك، عن عطاء، عن
 أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة، قسم منها رحمة بين جميع الخلائق، فيها
 يتراحمون، وبها يتعاطفون، وبها تعطف الوحش على أولادها، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها
 عباده يوم القيامة». (٥)

ورواه مسلم، عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن أبيه، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن
 عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه. (٦)
 وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو،

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٧)، وصححه الألباني.

(٢) قال المؤلف في «تفسيره» (٤١٦/٤): أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن المنهال بن عمرو، وأخرج نحوه الفضيل،

رواه ابن أبي الدنيا في «الأحوال».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٢٤٠)، عن النضر بن إسماعيل النضر.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٢٤١).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٣) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٥٢)، وأحمد (٤٣٤/٢)، وابن حبان (٦١٤٧).

عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ خلقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ يَكُلُ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَبِاسُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُسْلِمُ يَكُلُ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ» (١). انفرد به البخاري من هذا الوجه.

ثم قال ابنُ ماجه حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، وأحمد بن سنان، قالَا: حَدَّثَنَا أَبُو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا رَحْمَةً، فِيهَا تَعَطَّفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْبَهَائِمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَالطَّيْرُ، وَأَخْرَجَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ» (٢). انفرد به، وهو على شرط «الصحيحين».

ثم أورد ابنُ ماجه ما أخرجه في «الصحيحين» من طرق عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» (٣). وفي رواية: «سَبَقَتْ غَضَبِي». وفي رواية: «فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ». وفي رواية: «فَوْقَ الْعَرْشِ» (٤). وكلُّها رواياتٌ صحيحةٌ.

وقد قال تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ (الأنعام: ٥٤). وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الآية (الأعراف: ١٥٦). ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر: ٧). هذا إخبار من الملائكة عن الله سبحانه أَنَّهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا. وقال: ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٤٧).

ثم أورد ابنُ ماجه حديثَ ابنِ أبي ليلى، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عن النبي ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا». ثم قال: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». وهو ثابتٌ في «صحيح البخاري» (٥)، من طريق الأسود بن هلال، وأنس بن مالك، عن معاذ.

وقال ابنُ ماجه: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَابِ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخُو حَزْمِ الْقُطَيْيِّ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عن أنس بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قرأ -أو: تلا- هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (المذثر: ٥٦). قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَهْلُ أَنْ تُتَّقَى فَلَا يُجْعَلُ مَعِيَ إِلَهٌ آخَرُ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يُجْعَلَ مَعِيَ إِلَهًا آخَرًا أَنَا أَهْلُ أَنْ أُغْفَرَ لَهُ» (٦).

وقال ابنُ ماجه: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٤)، وأحمد (٥٥/٣)، وأبو يعلى (١٠٩٨) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٧/٢)، والبخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥٣).

(٤) أخرجه أحمد (٨٩٥٨)، والبخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٥٦)، ومسلم (٣٠٠) (٤٩)، وأبو داود (٢٥٥٩)، والنسائي (٥٨٧٧)، وأبو عوانة (٢٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٩) وإسناده ضعيف.

الشَّيْبَانِيُّ، عن عبد الله بن عمر بن حفص، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ فَقَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ. وَامْرَأَةٌ تَحْصِبُ ثَوْرَهَا، وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا، فَإِذَا ارْتَفَعَ وَهَجَ الثَّوْرُ تَنَحَّتْ بِهِ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَتْ: يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟ قَالَ: «بَلَى». قَالَتْ: أَوَلَيْسَ اللَّهُ أَرْحَمَ بَعَادِهِ مِنَ الْأُمِّ بَوَلَدِهَا؟ قَالَ: «بَلَى». قَالَتْ: إِنَّ الْأُمَّ لَا تُلْقَى وَلَدُهَا فِي النَّارِ. فَأَكْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الْمَارِدَ الْمُتَمَرِّدَ، الَّذِي يَتَمَرَّدُ عَلَى اللَّهِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (١). إسناده فيه ضعف، وسيأخذه فيه غرابة.

وقد قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (الليل: ١٥، ١٦)، وقال تعالى: ﴿فَلَا صَدْقَ وَلَا صُلَى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة: ٣١، ٣٢).

وقال البخاري: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَلَمَّا أَمْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَتْ تَدْيِهَا تَسْعَى، فَلَمَّا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، فَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّزَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»، قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: «لَهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوَلَدِهَا» (٢).

ورواه مسلمٌ عن حسن الحلواني، ومحمد بن سهل بن عسكر، كلاهما عن سعيد بن أبي مريم، عن أبي غسان محمد بن مطرف، به (٣). وفي رواية: «وَاللَّهُ لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوَلَدِهَا» (٤). ثم قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الدَّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ الشَّقِيُّ؟ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَعْمَلْ لِلَّهِ بِطَاعَةٍ، وَلَمْ يَتْرَكْ لَهُ مَعْصِيَةً» (٥). وفي إسناده ضعف أيضاً.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي بردة ابن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فَكَانَكَ مِنَ النَّارِ» (٦). وفي رواية: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ إِلَى النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا». قال: فَاسْتَحْلَفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبَا بُرْدَةَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَنْ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَحَلَفَ لَهُ (٧).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٧) وإسناده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٩). (٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٤).

(٤) أخرجه البزار (٢٨٩)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن» (١٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٢٨/٣)، والصالحي في «الأربعين في فضل الرحمة» (٥) من طريق ابن أبي مريم، به. نحوه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٨)، وأحمد (٨٥٩٤) وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٦٧) (٤٩).

(٧) أخرجه مسلم (٢٧٦٧) (٥٠)، وأخرجه أحمد (٣٩١/٤) (٣٩٨/٤)، وأبو يعلى (٧٢٨١)، وابن حبان (٦٣٠٠)، والبيهقي في «البعث» (٩٢).

وفى رواية لمسلم أيضاً، قال رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْضَرُهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» (١).

وقال ابن ماجه: حَدَّثَنَا جُبَارَةُ بْنُ الْمَغْلَسِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي الْمَسَاوِيرِ، عَنْ أَبِي بَرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جُمِعَ اللَّهُ الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذِنَ لِأَمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُونَ لَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، قَدْ جَعَلْنَا عَبْدَتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّارِ» (٢).

وقال الطبراني: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا سَعْدُ أَبُو غِيلَانَ الشَّيْبَانِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَلَةَ بْنِ زُفَرٍ، عَنْ حَذِيفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الضَّاجِرُ فِي دِينِهِ، الْأَحْمَقُ فِي مَعِيشَتِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الَّذِي قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنْبِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْضَرَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْضَرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءً أَنْ تُصِيبَهُ» (٣).

ذكر من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب

قال البخاري: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ / ح / وَحَدَّثَنَا أَسِيدُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأَمَمِ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأَمَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخُمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَتَنْظُرُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جُبَيْرِيلُ، هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَنْظُرِي إِلَى الْأَفْقِ. فَتَنْظُرُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدْ أَمَّهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ إِلَيْهِ عَكَاشَةُ بْنُ مُحَصَّنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْهُمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْهُمْ. قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ» (٤).

ورواه مسلم، عن سعيد بن منصور، عن هُشَيْمٍ به، بنحوه، وهو أطول من هذا. ثم أورد البخاري ومسلم أيضاً من طريق يونس، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه، وقال فيه: ثم قام رجل من الأنصار، فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْهُمْ. فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ» (٥).

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، فَوَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩١)، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) منكر: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٠٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، وأخرجه مسلم (٢٢٠) (٣٧٤)، وأحمد (٢٤٤٨) من طرق.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٤٢)، وأخرجه أحمد (٩٢٠٢)، ومسلم (٢١٦٠) (٣٦٩)، من طرق.

مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَاسْتَزِدْتُ فَرَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَقُلْتُ: أَيُّ رَبٍّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ مِنْهَا جَرَى أُمَّتِي؟ قَالَ: إِذَنْ أَكْمَلَهُمْ لَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ. (١)

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا إسماعيل، عن زياد المخزومي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوَّلُ زُمْرَةٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، صُورَةُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ ضَوْءٍ كَوُكَبٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ». (٢)

ثم رواه أحمد، عن حسن، عن ابن لهيعة، عن أبي يونس سليم بن جبير، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحو ما تقدم. (٣) وكذا رواه أحمد، عن ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، وفيه ذكر عكاشة. (٤) ورواه الطبراني من حديث إسماعيل بن عياش، عن محمد بن زياد، عن أبي أمية، كما سيأتي. (٥)

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، قال: حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال النبي ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - شَكٌّ فِي أَحَدِهِمَا - مَتَمَّاسِكِينَ أَخَذَ بَعْضُهُمْ بَبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ، وَجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». (٦) وقد رواه البخاري ومسلم، عن قتيبة، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المسعودي، حدثني بكير ابن الأنس، عن رجل، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزِدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَرَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا». قال أبو بكر رضي الله عنه: فرأيت أن ذلك آتٍ على أهل القرى، ومصيب من حافات البوادي. (٧)

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ أَرَى الْأُمَّمَ بِالْمَوْسِمِ، فَرَأَتْ عَلَيْهِ أُمَّتَهُ، قَالَ: «فَأَرَيْتُ أُمَّتِي، فَأَعْجَبَنِي كَثَرَتُهُمْ، قَدْ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، فَقِيلَ لِي: إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَنْتَطِرُونَ، وَعَلَى رِيحِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فقال عكاشة: يا رسول الله، ادْعُ

(١) شاذ بهذا اللفظ: أخرجه أحمد (٨٧٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥٠٤/٢)، وإسناده ضعيف، وأخرجه أحمد (٤٧٣/٢)، وهناد في «الزهد» (٥٦) (٥٧)، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به. وللحديث طرق وشواهد كثيرة يصح بها.

(٣) راجع التخریج السابق.

(٤) سيأتي قريباً.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٤٣)، وأحمد (٣٣٥/٥)، والبخاري (٣٢٤٧) (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩) (٣٧٣)، وأبو عوانة (٣٧٠) (٣٧١) من طريق أبي حازم، به.

(٦) أخرجه أحمد (٢٢) وإسناده ضعيف.

اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَامَ - يَعْنِي آخَرَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةٌ»^(١). قَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ: هَذَا عِنْدِي عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ^(٢).

طَرِيقٌ أُخْرَى عَنْهُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَكْثَرْنَا الْحَدِيثَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، ثُمَّ غَدَوْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «عَرَضْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ اللَّيْلَةَ بِأَمَمِهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعَصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّقَرُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى مَرَّ عَلَى مُوسَى مَعَهُ كَبْكِبَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ لِي: هَذَا أَخَوُكَ مُوسَى، مَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ. فَتَنَظَّرْتُ، فَإِذَا الظَّرَابُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا الْأَفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقِيلَ لِي: أَرْضَيْتَ؟ فَقُلْتُ: رَضِيتُ يَا رَبِّ، رَضِيتُ يَا رَبِّ. فَقِيلَ لِي: إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِدَى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَافْعَلُوا، فَإِنْ قَصَرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظَّرَابِ، فَإِنْ قَصَرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفُقِ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ ثُمَّ نَاسًا يَتَهَاوِشُونَ». فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا. فَدَعَا لَهُ، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «قَدْ سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةٌ». قَالَ: ثُمَّ تَحَدَّثْنَا فَقُلْنَا: مَنْ تَرَوْنَ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ أَلْفَ؟ قَوْمٌ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، حَتَّى مَاتُوا؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٣).

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَدُّوعِيُّ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٤).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ خَلْفٍ، عَنِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، بِهِ، وَعِنْدَهُ ذِكْرُ عَكَاشَةَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ: «يَتَطَيَّرُونَ».

وَقَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ: وَقَدْ رَوَى عَنْ عِمْرَانَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ.

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ حَدِيثًا، وَفِيهِ: «فَتَنْجُوا أَوَّلَ زُمْرَةٍ».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٨١٩)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَلَهُ طَرَقٌ يَصِحُّ بِهَا.

(٢) لَيْسَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، لَكِنْ إِسْنَادُهُ حَسَنٌ كَمَا سَبَقَ.

(٣) صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٨٠٦) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَلَهُ طَرَقٌ يَصِحُّ بِهَا.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٤٢٧/١٨٣/١٨) بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٤١/٤)، وَمُسْلِمٌ (٢١٨) (٣٧١)،

وَأَبُو عَوَانَةَ (٨٦/١-٨٧) مِنْ طَرَقٍ عَنْ هِشَامٍ، بِهِ.

وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأُنُوفٍ يَنْفُسُ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ.. وَذَكَرَ بَقِيَّتَهُ. (١)

ورواه مسلم، من حديث رَوْحٍ، فلم يَرْفَعُهُ. (٢) وَقَدْ رَوَى الْبَزَّازُ عَنْ عُمَرَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، نَحْوَ الَّذِي قَبْلَهُ سِوَاءً. (٣) حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُرْدَاسٍ، حَدَّثَنَا مَبَارَكُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رِيهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». (٤)

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الْعَبْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعُونَ أَلْفًا». (٥) وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَلُوفِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْآحَادِ، وَهُوَ أَشْمَلُ وَأَكْثَرُ.

وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ -أَوْ عَنْ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَهَكَذَا». وَجَمَعَ كَفَيْهِ. فَقَالَ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَهَكَذَا». فَقَالَ عُمَرُ: حَسْبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: دَعْنِي يَا عُمَرُ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يَدْخُلَنَا اللَّهُ الْجَنَّةَ كُلَّنَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللَّهَ إِنْ شَاءَ أَذْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفِّ وَاحِدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ عُمَرُ». (٦) طَرِيقٌ آخَرٌ عَنْهُ: قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ السَّرِيِّ السَّلْمِيُّ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا». قَالُوا: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لِكُلِّ رَجُلٍ سَبْعُونَ أَلْفًا». قَالُوا: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَكَانَ عَلَى كَتِفٍ، فَحَثَّ بِيَدِهِ، قَالُوا: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «وَهَكَذَا». وَحَثَّ بِيَدِهِ. قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَبْعَدَ اللَّهُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ هَذَا. (٧)

قَالَ الْحَافِظُ الضَّيَّاءُ: لَا أَعْلَمُهُ رَوَى عَنْ أَنَسٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ مَعِينٍ عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ، فَقَالَ: صَالِحٌ.

حَدِيثٌ آخَرٌ غَرِيبٌ: قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ الْوَلِيدِ النَّرْسِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ مَنْدَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي،

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨٣-٣٨٤)، ومسلم (١٩١).

(٢) انظر تعليق النووي في «شرح مسلم» (٤٧/٣).

(٣) أخرجه البزار (٣٥٤١) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه البزار (٣٥٤١) بسند ضعيف جداً.

(٥) أخرجه البزار (٣٥٤٧) بسند ضعيف جداً.

(٦) أخرجه أحمد (١٦٥/٣) وإسناده صحيح.

(٧) أخرجه أبو يعلى (٣٧٧١) وإسناده حسن. وله شواهد.

عن قتادة، عن أبي بكر بن أنس، عن أبي بكر ابن عُمَيْر، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة». فقال عُمَيْر: يا رسول الله، زدنا. فقال: «وهكذا». بيده. فقال عُمَيْر: يا رسول الله، زدنا. فقال عُمَيْر: حسبك يا عُمَيْر. فقال: ما لنا ولك يا بن الخطّاب، وما عليك أن يدخلنا الله تعالى الجنة؟ فقال عُمَيْر: إن الله تعالى إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة. فقال رسول الله ﷺ: «صدق عُمَيْر». (١)

قال الحافظ الضياء: لا أعرف لعُمَيْر حديثاً غيره.

حديث آخر: قال أبو بكر ابن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، سمعت محمد بن زياد يحدث عن أبي أمامة الباهلي، عن النبي ﷺ / ح / وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسين بن إسحاق التستري قالا: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، أخبرني محمد بن زياد، قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل». واللفظ لابن أبي شيبة، وليس عند الطبراني: «مع كل ألف سبعين ألفاً». (٢)

طريق أخرى عنه: قال أبو بكر ابن أبي عاصم: حدثنا دحيم، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، وأبي اليمان الهوزني، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب». قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب في الدبان. فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله قد وعدني سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعين ألفاً، وزادني ثلاث حثيات». (٣)

قال الضياء: رجاله رجال الصحيح إلا الهوزني، واسمه عامر بن عبد الله بن الحُي، وما علمت فيه جرحاً.

حديث آخر: قال الطبراني: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عامر بن زيد البكالي، أنه سمع عتبة بن عبد السلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف سبعين ألفاً، ثم يحثي ربي تعالى بكفيه ثلاث حثيات». فكبر عُمَيْر، وقال: إن السبعين الأولى يشفعهم الله في آبائهم، وأبنائهم، وعشائهم، وأرجو أن يجعلني الله في أحد الحثيات الأواخر. (٤)

قال الحافظ الضياء: لا أعلم لهذا الإسناد علّة، والله أعلم.

- (١) أخرجه الطبراني (١٧/٦٤/١٢٣) بسند ضعيف.
- (٢) أخرجه الطبراني (٧٥٢٠)، وإسناده حسن. وأخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٢٦٨/٥).
- (٣) أخرجه ابن أبي عاصم (٥٨٩) من طريق إسماعيل؛ به.
- (٤) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنّة) (٥٨٨)، وأحمد (٢٥٠/٥)، وابن حبان (٦٤٥٧)، والطبراني (٧٦٧٢)، وغيرهم وهو صحيح.
- (٥) أخرجه الطبراني (١٧/١٢٦/٣١٢)، وأخرجه أحمد (٤/١٨٣-١٨٤)، وابن أبي عاصم (١١٦)، والطبراني (١٧/١٢٨/٣١٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣/٣٢٠)، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن يحيى عن عامر، به. والحديث حسن.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام - يعني الدستوائي - حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، أن رفاعة الجهني حدثه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد، أو قال: بقديد. فذكر حديثاً فيه: ثم قال: «وعندي ربي، عز وجل، أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، وإنني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبتوءوا أنتم، ومن صلح من أزواجكم وذرائعكم مساكن في الجنة». (١)

ورواه يعقوب بن سفيان، عن آدم بن أبي إياس، عن شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، به. قال الحافظ الضياء: هذا عندي على شرط الصحيح، والله سبحانه أعلم.

حديث آخر: قال الطبراني: حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني أبي، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ربي وعندي من أمتي سبعين ألفاً لا يحاسبون، مع كل ألف سبعون ألفاً». (٢)

حديث آخر: قال الطبراني: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن عامر، أن قيساً الكندي حدثه أن أبا سعيد الأنصاري (٣) حدثه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي، عز وجل، وعندي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحصى ربي ثلاث حفات يكفيه».

قال قيس: فقلت لأبي سعيد (٤): أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، بأذني، ووعاه قلبي. قال أبو سعيد (٥): فقال رسول الله ﷺ: «وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي، ويوفى الله بقيته من أعرابنا». (٦)

قال الطبراني: لم يرو عن أبي سعيد الأنصاري إلا بهذا الإسناد، تفرد به معاوية بن سلام. وقال الحافظ الضياء: وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر، عن أبي توبة الربيع بن نافع، بإسناده، قال أبو سعيد: فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ، فبلغ أربعة آلاف ألف وتسعمائة ألف، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن ذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي».

حديث آخر: قال البزار: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم». فقام عكاشة فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «اللهم اجعله منهم». فقال رجل آخر: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «اللهم اجعله منهم». فسكت

(١) أخرجه أحمد (١٦/٤) وإسناده صحيح. وأخرجه الطيالسي (١٢٩١) (١٢٩٢)، والدارمي (٣٤٨/١)، والبزار (٣٥٤٣)، وابن خزيمة «توحيد» (ص ١٣٢-١٣٣) من طريق هشام، به.

(٢) أخرجه الطبراني (١٤١٣)، وإسناده ضعيف وأخرجه أحمد (٢٨٠/٥) وله شواهد يصح بها.

(٣) في «الأوسط» كما هنا، وفي «الكبير»: أبو سعد الأنصاري وهما واحد.

(٤، ٥) في «الأوسط» كذلك، وفي «الكبير» أبو سعد.

(٦) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٦)، وفي «الكبير» (٧٧١/٣٠٤/٢٢)، وهو صحيح.

الْقَوْمُ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ. قَالَ: «سَبَقَكُمْ بِهَا عَكَاشَةٌ وَصَاحِبُهُ، أَمَّا أَنْتُمْ لَوْ قُلْتُمْ لَقُلْتُ، وَلَوْ قُلْتُ لَوَجَّيْتُ». (١)

حديث آخر: رواه البيهقي في كتاب «البعث والنشور»، من حديث الضحّاك بن نيرّاس، حدثني ثابت بن أسلم البنانى، عن أبى يزيد المدنى، عن عمرو بن حزم الأنصارى، قال: تَغَيَّبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا، لَا يَخْرُجُ إِلَّا لَصَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الرَّابِعِ خَرَجَ إِلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْتَبَسْتَ عَنَّا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ حَدَّثًا؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا خَيْرٌ، إِنَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ، وَعَدَنى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتى سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى فِى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ الْمَزِيدَ، فَوَجَدْتُ رَبِّى وَاجِدًا مَاجِدًا كَرِيمًا، فَأَعْطَانِى مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعِينَ أَلْفًا». قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَبِّ، وَتَبْلُغُ أُمَّتى هَذَا؟ قَالَ: أَكْمِلُ لَكَ الْعَدَدَ مِنَ الْأَعْرَابِ» (٢). الضحّاك هذا قد تكلّموا فيه، وقال النسائى: متروك. وتقدّم فى أحاديث الخوض من حديث سعيد، عن حذيفة، عن النبى ﷺ فى حديث طويل، وفيه: «وَيُشَرِّئُنِى أَنْ مَعِى سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ». رواه أحمد.

وذكر ابن الأثير فى ترجمة عامر بن عمير، وكان قد شهد حجة الوداع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّى وَجَدْتُ رَبِّى مَاجِدًا، أَعْطَانِى سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا. فَقُلْتُ: إِن أُمَّتى لَا تَبْلُغُ هَذَا؟ فَقَالَ: أَكْمِلُهُمْ لَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ». قال: رواه ثابت البنانى، عن أبى يزيد المدنى عنه. (٣)

حديث آخر: قال الطبرانى: حدثنا هاشم بن مرثد الطبرانى، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثنا أبى، حدثنى ضَمَضَمُ بْنُ زُرْعَةَ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ مِثْلَ اللَّيْلِ الْأَسْوَدِ زُمْرَةً، جَمِيعُهَا يَخِيطُونَ الْأَرْضَ، تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: لَمَّا جَاءَ مَعَ مُحَمَّدٍ أَكْثَرُ مِمَّا جَاءَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ». (٤)

ذكر كيفية تفرق العباد عن موقف الحساب، وما إليه أمرهم يصير،

فَضْرِيْقُ فِى الْجَنَّةِ، وَفَرِيْقُ فِى السَّعِيرِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُونَ بَلْ يَتَفَرَّقُونَ﴾ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (الروم: ١٤-١٦). وقال تعالى:

(١) أخرجه البزار (٣٥) وهو شاذ ضعيف.

(٢) «أسد الغابة» (١٣٥/٣)، قال الحافظ فى «الإصابة» (١٤/٤): رواه الطبرانى من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت

عن أبى يزيد المدنى عن عامر بن عمير، به. ثم قال: وهذا اختلف فيه على ثابت ثم على سليمان - ثم ذكر هذا الاختلاف، ثم قال: واختلف فى صحابى هذا المتن - وذكره. فالإسناد فيه اضطراب. والله أعلم.

(٣) أخرجه البيهقى فى «البعث» (١٦٤) وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه الطبرانى كما فى «المجمع» (٤٠٤/١٠) وإسناده ضعيف.

﴿فَاقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَیْمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ یَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ یَوْمَئِذٍ یَصْدَعُونَ﴾ (الروم: ٤٣). وقال تعالى: ﴿وِیَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ یَوْمَئِذٍ یُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الآیات إلى قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِینَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آیَاتِی تَنْتَلِیْ عَلَیْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِینَ﴾ (الجاثية: ٢٧-٣١) إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿وَوَفَّیْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا یَفْعَلُونَ﴾ (الزمر: ٧٠، ٧١) الآیات إلى آخر السورة، وذكر أن هؤلاء سيقوا إلى الجنة، وهؤلاء سيقوا إلى جهنم، بعد موقف الحساب وانصرافهم عنه. وقال تعالى: ﴿یَوْمَ یَا تِ لَا تَكْلَمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَنُفِثَتْ شَقِیٌّ وَسَعِیدٌ﴾ (١٠٥) فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١٠٧) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (١٠٨-١٠٥). وقال تعالى: ﴿وَتَنْزِيلُ یَوْمِ الْجُمُعِ لَا رَیْبَ فِیهِ فَرِیقٌ فِی الْجَنَّةِ وَفَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ﴾ (الشورى: ٧). وقال تعالى: ﴿یَوْمَ یُجْمَعُكُمُ لَیَوْمِ الْجُمُعِ ذَلِكَ یَوْمُ التَّعَابِیْنِ وَمَنْ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَیَعْمَلْ صَالِحًا یُكَفِّرْ عَنْهُ سَیِّئَاتِهِ وَیُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِینَ فِیْهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ﴾ (٢) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (١٠٩، ١٠)، وقال تعالى: ﴿یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٢٥) ونسوق السجمرین إلى جهنم وردا (مریم: ٨٥، ٨٦). وقال تعالى: ﴿یَوْمَ تَبْیَضُ وَجُوهُ وَتَسْوَدُ وَجُوهُ فَأَمَّا الَّذِینَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِیْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) وأما الذين ابیضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (آل عمران: ١٠٦، ١٠٧).

والآیات فی هذا كثيرة جدًا، ولنذكر من الأحادیث ما یناسب هذا المقام، وهی مُشتملة على مقاصد كثيرة غیر هذا الفصل، وسنشیر إليها.

وقال ابن أبی الدنیا: حدثنا محمد بن عثمان العجلی، حدثنا أبو أسامة، عن مالك بن مغول، عن القاسم بن الولید، فی قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (النارعات: ٣٤). قال: حین سیق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار. (١)

إیراد الأحادیث فی ذلك: قال البخاری: حدثنا أبو الیمان، أخبرنا شعیب، عن الزهري، أخبرني سعيد وعطاء بن یزید، أن أبا هريرة أخبرهما عن النبي ﷺ / ح/ وحدثنی محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن یزید اللیثی، عن أبي هريرة، قال: قال أناس: یا رسول الله، هل نرى ربنا یوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون فی الشمس نیس دونها سحاب؟» قالوا: لا یا رسول الله. قال: «هل تضارون فی القمر لیلة البدر، نیس دونه سحاب؟» قالوا: لا یا رسول الله. قال: «فإنکم ترونه یوم القيامة كذلك، یجمع الله الناس فیقول: مَنْ كَانَ یَعْبُدُ شَیْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ یَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَیَتَّبِعُ مَنْ كَانَ یَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَیَتَّبِعُ مَنْ كَانَ یَعْبُدُ الطَّوَاغِیْتَ الطَّوَاغِیْتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِیْهَا مُنَافِقُوها، فِیَاتِیْهِمُ اللَّهُ فِی غَیْرِ الصُّورَةِ الَّتِی یَعْرِفُونَ، فِیَقُولُونَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فِیَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى یَأْتِیَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا

(١) رواه ابن أبی شیبة، وعنه ابن جریر (٤٧/٣٠) عن مالك بن مغول، به.

عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ. وَدَعَاءُ الرَّسْلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِيهِ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَّا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُبِقُّ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُّ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبْتَنِي رِيحَهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَاصْصِرْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنِ اعْطَيْتَكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ، قَرَيْتَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ وَيَلْكَ: يَا بَنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرْتُكَ؟ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنِ اعْطَيْتَكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهُ، فَيَقْرُبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَوْ لَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ وَيَلْكَ: يَا بَنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرْتُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَا تَجْعَلْنِي، أَشَقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا. فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا. فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. قَالَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَغْيُرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»^(١).

وهكذا رواه البخاري من حديث إبراهيم بن سعد، عن الزهري، به^(٢)، وزاد: فقال أبو سعيد: أشهد أنني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ»، وهذا الإثبات من أبي سعيد مُقَدِّمٌ عَلَى مَا لَمْ يَحْفَظْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، حتى ولو نفاه أبو هريرة قدما إثبات أبي سعيد، لما معه من زيادة الثقة المقبولة، لاسيما وقد تابعه غيره من الصحابة، كابن مسعود، كما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى.

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله، هل ترى ربنا؟ قال: «هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صُحُوفًا؟» قلنا: لا. قال: «فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَاهُمَا». قال: «ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ: لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣) بهذا الإسناد. وأخرجه (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٢) (٢٩٩).

(٢) البخاري (٧٤٣٧) (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢) (٢٩٩) وغيرهما.

فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيْبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغَيْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تَعْرُضُ كَانَتْهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزْرِيَّا ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. قَالَ: فَيَقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ. فَيَقَالُ: مَا تَرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيَقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِيهَا حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَجْلِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا إِلَهًا كُنَّا نَعْبُدُهُ، فَارْقُنَا النَّاسَ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: «فَيَأْتِيهِمْ الْجِبَارُ سَبْحَانَهُ، فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؟ وَلَا يَكْلَمُهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقَالُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عِلَاقَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَبِاقِي مَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ، وَكَلَالِيْبٌ، وَحَسَكَةٌ مَفْلُطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيْقَةٌ تَكُونُ يَنْجِدُ، يُقَالُ لَهَا: السُّعْدَانُ. الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالْجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرُّكَّابِ، فَتَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَتَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاسِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ لِلْجِبَارِ، إِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُمْ. وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَيَعْضُبُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نَصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تَصَدَّقُونِي فَأَقْرَأُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يِضَاعُفَهَا﴾ (النساء: ٤٠). «فَيَسْمَعُ النَّبِيُّونَ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجِبَارُ: عَزَّ وَجَلَّ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَّا الشَّمْسُ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا الظِّلُّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيُخْرِجُونَ كَانَتْهُمْ اللَّوْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عِتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدْ مَوَّهَ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» (١).

وَقَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كِلَاهُمَا عَنْ رُوْحٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رُوْحُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُسَآلُ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) (٣٠٢) وغيرهما.

عن الورود، فقال: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا -انظر: أَيْ ذَلِكَ قَوْقِ النَّاسِ- قال: فَتَدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَلَا أَوَّلَ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْتَظِرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْتَظِرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبِّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، مُتَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَصْوَابِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحُلُّ الشَّقَاعَةُ، فَيَشْفَعُونَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِنَاءَ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتُ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا، وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا. (١)

وقال مسلم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفٍ بْنُ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ حَظِيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ تَزْلَفُ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ أَدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتَحَ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ أَدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ». قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، ااعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى. فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُومُ وَيُؤَدِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَيَقُومَانِ جَنِبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أُولَئِكَ كَالْبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: بِأَبَى أَنْتَ وَأُمِّي، أَى شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ، كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ، وَشِدَّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيَّتُكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا». قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ، تَأْخُذُ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشُ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنْ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسِعُونَ خَرِيفًا. (٢)

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا عَفَانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عُمَارَةَ الْقُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي بَرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَحْشُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْأُمَّمَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ مِثْلَ لِكْلِ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَتَّبِعُونَهُمْ حَتَّى يَقْحِمُونَهُمُ النَّارَ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا وَنَحْنُ فِي مَكَانٍ رَفِيعٍ، فَيَقُولُ: مَا أَنْتُمْ؟ فَتَقُولُ: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُولُ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَتَقُولُ: نَنْتَظِرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَتَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَبْهَمُوهُ؟ فَتَقُولُ: إِنَّهُ لَا عِدَلَ لَهُ. فَيَتَجَلَّى لَنَا ضَاحِكًا، فَيَقُولُ: أَبْشَرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ جَعَلْتُ مَكَانَهُ فِي النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا». (٣)

(١) أخرجه مسلم (١٩١) (٣١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥) (٣٢٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤٠٧/٤-٤٠٨) وإسناده ضعيف جدًا.

وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عبد الصمد وعفان، عن حماد بن سلمة، به مثله، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، ولكن روى مسلم من حديث سعيد بن أبي بردة وعون ابن عبد الله بن عتبة، عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا» (١).

فصل في ذكر الصراط غير ما ذكر آنفا من الأحاديث الصحيحة

ثم ينتهي الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط - وهو جسر على جهنم - كما تقدم عن عائشة، أن رسول الله ﷺ سئل: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» (٢). وفي هذا الموضع يميز المنافقون عن المؤمنين، ويخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم، وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَتَخَرَّكُمُ النَّارُ﴾ (٣). يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (٤) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وعرثكم الأُماني حتى جاء أمر الله وعرثكم بالله الغرور (٥) فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (الحديد: ١٢-١٥). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحریم: ٨).

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني في كتاب «الأفراد»: حدثنا محمد بن مخلد بن حفص، ومحمد بن أحمد المطيري، قالا: حدثنا محمد بن حمزة بن زياد الطوسي، حدثنا أبي، حدثنا قيس بن الربيع، عن عبيد المكتب، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «جَهَنَّمُ مُحِيطَةٌ بِالدُّنْيَا، وَالْجَنَّةُ مِنْ وَرَائِهَا، وَلِذَلِكَ صَارَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». ثم قال: غريب من حديث مجاهد، عن ابن عمر، لم يروه عن عبيد المكتب، غير قيس، وتفرد به حمزة بن زياد، عنه.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن صالح بن هاني، والحسن بن يعقوب، وإبراهيم بن عصمة، قالوا: حدثنا السري بن خزيمة، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن أبو خالد الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنَادِي مَنَادٌ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَنْ كَانَ يَتَوَلَّى فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عَزِيزًا شَيْطَانًا عَزِيزًا، حَتَّى يُمَثَّلَ لَهُمُ الشَّجَرَةُ وَالْعُودُ وَالْحَجَرُ وَيَبْقَى أَهْلُ الْإِسْلَامِ جُثُومًا، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَمْ تَنْتَلِقُوا، كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبًّا مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ. قَالَ: فَيَقَالُ: فَبِمَ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا:

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلامَةٌ إِنْ رَأَيْنَاهُ عَرَفْنَاهُ. قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالُوا: فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ. قَالِ: فَيَكْشِفُ عَنْ ذَلِكَ عَنْ سَاقٍ. قَالِ: فَيَخْرُجُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُهُ سَاجِدًا، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصِيَاصِي الْبَقَرِ، يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. قَالِ: ثُمَّ يُؤْمَرُونَ فَيَرُفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، فَيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ. قَالِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يَضِيءُ مَرَّةً وَيَطْفَأُ مَرَّةً، إِذَا أَضَاءَ قَدَمُ قَدَمِهِ، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ. قَالِ: فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَخَضَ مَزَلَّةٌ. قَالِ: فَيَقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَى قَدَرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِصَاضِ الْكُوكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْمَلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، تَخِرُّ يَدٌ وَتَعْلُقُ يَدٌ، وَتَخِرُّ رِجْلٌ وَتَعْلُقُ رِجْلٌ وَتَصِيبُ جَوَانِبُهُ النَّارُ. قَالِ: فَيَخْلُصُونَ، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا».

قال مسروق: فما بلغ عبد الله هذا المكان من الحديث إلا ضحك، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لقد حدثت بهذا الحديث مرارًا، كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت؟! فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يحدثه مرارًا، فما بلغ هذا المكان من الحديث إلا ضحك، حتى تبدو لهوائه، ويبدو آخر ضرس من أضراسه، لقول الإنسان: أتهزأ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: لا، ولكني على ذلك قادر. (١)

قال البيهقي: هكذا وجدته في كتابي. وقد رواه غيره، فذكر آخر من يدخل الجنة، وقوله تعالى له: «يَا بَنَ آدَمَ، أَرْضِيكَ أَنْ أَعْطِيكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟» فيقول: أتهزأ بي وأنت رب العالمين؟ قال ابن مسعود: فيقول الله سبحانه: «لا، ولكني على ذلك قادر».

وقد أورده البيهقي بعد هذا من حديث حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، فذكره موقوفًا. (٢)

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن زياد التميمي، عن أنس بن مالك، سمعت النبي ﷺ يقول: «الصِّرَاطُ كَحَدِّ الشُّفْرَةِ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَنْجُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِنْ جَبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَأَخَذَ بِحُجْرَتِي، وَإِنِّي لَأَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَالزَّالُونَ، وَالزَّالَاتُ يُؤَمِّدُ كَثِيرٌ». (٣) وروى البيهقي من حديث سعيد بن زربي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، مرفوعًا نحو ما تقدم بأبسط منه، وإسناده ضعيف، ولكن يتقوى بما قبله (٤). والله أعلم.

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (١٨٤) استدراك بهذا الإسناد. والحديث صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي (١٨٧) استدراك وإسناده حسن.

(٣) أخرجه البيهقي (١٨٩) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي (١٩٠)، و«الشعب» (٣٦١) وهو منكر.

وقال الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية، قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيمائكم، وحلائكم، ونجوائكم، ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك، يا فلان، لا نور لك. وقرأ: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (الحديد: ١٢)، (١) وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفق نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم، كما طفق نور المنافقين، فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفُ رُبَّنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحریم: ٨) (٢). وقال إسحاق بن بشر أبو حذيفة: حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتَرًا مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا، وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ، وَالْمُنَافِقَاتِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلْمُؤْمِنِينَ: «انظُرُوا نَفْسَ مَنْ نُورِكُمْ» (الحديد: ١٣). وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا﴾ (التحریم: ٨). فَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ أَحَدًا. (٣)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب، أخبرنا عمى، أنبأنا يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن مسعود، أنه سمع عبد الرحمن بن جبير، يحدث أنه سمع أبا الدرداء، وأبا ذر يخرجان عن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَانْظُرَ بَيْنَ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ». فقال له رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ قال: «أَعْرِفُهُمْ، مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَوُجُوهِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ». (٤)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صفوان بن عمرو، وحدثني سليم بن عامر، قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة، وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل، تَقْتَسِمُونَ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَتُوشِكُونَ أَنْ تَقْطَعُوا مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ، وهو هذا - يشير إلى القبر - بَيْتُ الْوَحْدَةِ، وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ، وَبَيْتُ الدُّودِ، وَبَيْتُ الضَّيْقِ، إِلَّا مَا وَسَّعَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ، ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَوَاطِنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمِنْكُمْ لَفَى بَعْضُ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَتَّى يَغْشَى النَّاسَ أَمْرٌ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ، فَتَبْيَضُ وَجُوهُ، وَتَسْوَدُ وَجُوهُ، ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ، فَيَغْشَى النَّاسَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ يُقَسَمُ النُّورُ، فَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ نُورًا، وَيُتْرَكَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَلَا يُعْطِيَانِ شَيْئًا، وَهُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠). وَلَا

(١) ذكره المؤلف في «تفسيره» (٣٠٨/٤)، وأخرجه ابن جرير (٣٤٤٥٩) بإسناد صحيح.

(٢) ذكره المؤلف في «التفسير» (٣٠٨/٤).

(٣) موضوع: أخرجه الطبراني (١١٢٤٢).

(٤) أخرجه البزار (٣٤٥٧)، وفي «الأوسط» للطبراني (٣٢٥٨)، وأخرجه أحمد (٢١٧٣٩) وهو ضعيف.

- (١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦٨)، وعنه الحاكم، والبيهقي في «الأسماء» (ص ٦١٥-٦١٦) وإسناده حسن.
- (٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/٣٣٣٧) وإسناده ضعيف.
- (٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧١٥٧) عن الحسن.
- (٤) أخرجه ابن جرير (٣٣٦٢٢) من طريق ابن وهب، به.
- (٥) أخرجه ابن جرير (٣٣٦٢٥) وسنده ضعيف.
- (٦) أخرجه ابن جرير (٣٣٦٢٦).
- (٧) أخرجه أبو نعيم (٢١٤/١) وفيه انقطاع.

مِنَ الرَّجُلِ بِصَاحِبِهِ وَصَدِيقِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُؤْخَذُ بِالْكَتُوبِ الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ رُبْعَةِ وَمِصْرَةٍ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا. (١)

وعن سعيد بن أبي هلال، قال: بَلَّغْنَا أَنَّ الصَّرَاطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْجِسْرُ، يَكُونُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ، وَبَعْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْوَادِي الْوَاسِعِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَهَذَا الْكَلَامُ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (٢)

وقال غيره: بَلَّغْنِي أَنَّ الصَّرَاطَ إِنَّمَا يَرَاهُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ الْهَالِكِ الَّذِي لَيْسَ بِنَاجٍ، وَيَكُونُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَوْسَعُ مِنَ الْقَاعِ وَالْمِيدَانِ الْمَتَّعِ، يَمْضِي عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ. وقال ابنُ أَبِي الدُّنْيَا أَيْضًا: حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا ابْنُ السَّمَّاكِ، الْوَاعِظُ الزَّاهِدُ، قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ الصَّرَاطَ ثَلَاثَةُ آلَافِ سَنَةٍ، أَلْفُ سَنَةٍ يَصْعَدُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَلْفُ سَنَةٍ يَسْتَوِي النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَأَلْفُ سَنَةٍ يَهْبِطُ النَّاسُ. (٣)

وقال آخر: مَنْ وَسَّعَ عَلَى نَفْسِهِ الصَّرَاطَ فِي الدُّنْيَا، ضَاقَ عَلَيْهِ صِرَاطُ الْآخِرَةِ، وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ الصَّرَاطَ فِي الدُّنْيَا، اتَّسَعَ لَهُ الصَّرَاطُ فِي الْآخِرَةِ.

وقال أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: إِنْ لَجَّهْتُمْ ثَلَاثَ قَنَاطِرٍ، قَنَظَرَةٌ عَلَيْهَا الْأَمَانَةُ، وَقَنَظَرَةٌ عَلَيْهَا الرَّحْمُ، وَقَنَظَرَةٌ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْمُرْصَادُ، فَمَنْ نَجَا مِنْ هَاتَيْنِ لَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلْمرْصَادٌ﴾ (الفجر: ١٤). (٤)

وقال عبيد الله بن العيزار: يُمَدُّ الصَّرَاطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْأَمَانَةِ وَالرَّحِمِ، وَيُنَادَى مُنَادٍ: أَلَا مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَوَصَلَ الرَّحِمَ فَلْيَمْضِ أَمَّا غَيْرَ خَائِفٍ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الفضيل بن عياض قال: بَلَّغْنِي أَنَّ الصَّرَاطَ مَسِيرَةُ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، خَمْسَةُ آلَافِ صُعُودٍ، وَخَمْسَةُ آلَافِ اسْتِواءٍ عَلَى ظَهْرِهِ، وَخَمْسَةُ نِزُولٍ، وَهُوَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، لَا يَجُوزُهُ إِلَّا كُلُّ ضَامِرٍ مَهْزُولٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، سَبَّحَانَهُ. ثُمَّ يَبْكِي الْفَضِيلُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعِ الْحَلَبِيِّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ أَخِيهِ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابٌ، فَقُلْتُ: إِنْ فِي نَفْسِي حَاجَةٌ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَشْفِينِي مِنْهَا. فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ كِنْدَةَ. قَالَتْ: مِنْ أَى الْأَجْنَادِ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ حِمَصٍ. قَالَتْ: مَاذَا حَاجَتُكَ؟ قُلْتُ: أَحَدْتُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ تَأْتِي عَلَيْهِ سَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَمْلِكُ لِأَحَدٍ فِيهَا شَفَاعَةً؟ قَالَتْ: نَعَمْ، لَقَدْ سَأَلْتُهُ عَنْ هَذَا، وَأَنَا وَهُوَ فِي شِعَارٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ:

(١) أخرجه أبو نعيم (٣/ ٢٧٠) وإسناده صحيح. وأخرجه هناد في «الزهد» (٣٢١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٦)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٢٣) بسند ضعيف.

(٣) أظنه لا يصح.

(٤) أخرجه أسد في «الزهد» (٤٧)، وإسناده حسن، لكن إسناده المؤلف ضعيف لضعف شريك.

«نَعَمْ، حِينَ يَوْضَعُ الصِّرَاطُ لَا أَمَلُكَ لِأَحَدٍ شَيْئًا حَتَّى أَعْلَمَ أَيْنَ يَسْلُكُ بِي، وَحِينَ تَبْيَضُ وَجُوهُ وَتَسْوَدُ وَجُوهُ، حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَفْعَلُ بِي، وَعِنْدَ الْجِسْرِ حَتَّى يَسْتَحِدَّ وَيَسْتَحِرَّ». قُلْتُ: وَمَا يَسْتَحِدُّ وَيَسْتَحِرُّ؟ قَالَ: «يَسْتَحِدُّ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ شَفْرَةِ السَّيْفِ، وَيَسْتَحِرُّ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْجَمْرَةِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُجِيزُ لَا يَضُرُّهُ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَتَعَلَّقُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَوْسَطُهُ حَزَفَ فِي قَدَمَيْهِ، فَيَهْوِي بِيَدَيْهِ إِلَى قَدَمَيْهِ»، قَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ مَنْ يَسْعَى حَافِيًا فَتَأْخُذَهُ شَوْكَةٌ حَتَّى تَكَادَ تُنْفِذَ قَدَمَيْهِ؟ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يَهْوِي بِيَدَيْهِ وَرَأْسِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ، فَتَضْرِبُهُ الزَّبَانِيَةُ بِخُطَافٍ فِي نَاصِيَتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، فَيَقْدِفُ بِهِ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهَا مِقْدَارَ خَمْسِينَ عَامًا». فَقُلْتُ: مَا يَثْقُلُ الرَّجُلُ! قَالَتْ: بَلْ يَثْقُلُ ثِقَلُ عَشْرِ خَلْقَاتِ سِمَانٍ، فَيَوْمِئِذٍ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿(الرحمن: ٤١)﴾. غريب. (١)

فصل

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَنُنْجِيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٦٨-٧٢). أقسم سبحانه بنفسه الكريمة أنه سيجمع بني آدم ممن كان يطيع الشياطين ويعبدها مع الله، عز وجل، ويطيعها فيما تأمره به من معاصي الله عز وجل، فإن طاعة الشياطين هي عبادتها، فإذا كان يوم القيامة جمع الشياطين ومن أطاعهم وأحضرهم حول جهنم جثيًّا، أي جلوسًا على الركب، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيًّا﴾ (الحج: ٢٨).

وعن ابن مسعود: قيامًا. وهم يُعَايِنُونَ هَوْلَهَا، وبشاعة منظرها، وقد جَزَمُوا أَنَّهُمْ دَاخِلُوهَا لَا مَحَالَةَ، كما قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (الكهف: ٥٣)، وقال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُتَشَفِّعِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (الشورى: ٢٢). وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلاً﴾ (الفرقان: ١٢-١٦). وقال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر: ٦، ٧).

ثم أقسم تعالى أن الخلق كلهم سيردون جهنم، فقال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧١). قال ابن مسعود: قَسَمًا وَاجِبًا.

وفى «الصحيحين» من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ». (٢)

وروى الإمام أحمد، عن حسن، عن ابن لهيعة، عن زبَّان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مُتَطَوِّعًا لَا يَأْجُرُ سُلْطَانٌ لَمْ يَرِ النَّارَ يَبْعِيْنِيهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾» (٣). وذكر تمام الحديث. (٤)

(١) إسناده ضعيف وفيه نكارة.

(٢) أخرجه الحميدي (١٠٢٠)، وأحمد (٧٢٦٥) (٧٧٢١)، والبخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢) وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٧/٣-٤٣٨)، وإسناده ضعيف.

(٤) الحديث ينتهي إلى هنا عند أحمد.

وقد اختلف المفسرون في المراد بالورود ما هو، والأظهر، كما قررناه في «التفسير»، أنه المرور على الصراط. والله أعلم. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ (مريم: ٧٢).

وقال مجاهد: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (١)

وقد روى ابن جرير في «تفسيره» (٢) حديثاً يشبه هذا، فقال: حدثني عمران بن بكار الكلاعي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ يعوذ رجلاً من أصحابه وعكاً، وأنا معه، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أَسْلَطْتُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ لِيَتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ». وهذا إسناد حسن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله ابن مسعود: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ كُلَّهُمْ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ» (٣)

وهكذا رواه الترمذي من حديث إسرائيل، عن السدي، به، مرفوعاً، ثم رواه من حديث شعبة، عن السدي به، فوقه، وهكذا رواه أسباط عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود، قال: يَرِدُ النَّاسُ جَمِيعًا الصَّرَاطَ، وَوَرُودُهُمْ قِيَامُهُمْ حَوْلَ النَّارِ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنِ الصَّرَاطِ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَمَرِّ الْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الطَّيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَجُودِ الْخَيْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَجُودِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَعَدُوِّ الرَّجُلِ، حَتَّى إِنْ آخَرَهُمْ مَرًّا رَجُلٌ نَوْرُهُ عَلَى مَوْضِعِ إِبْهَامِي قَدَمِيهِ، يَمُرُّ يَتَكَفَّأُ بِهِ الصَّرَاطُ، وَالصَّرَاطُ دَحْضُ مَزَلَّةٍ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ الْقَتَادِ، حَافَتَاهُ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ كَلَالِبُ مِنْ نَارٍ يَخْتَطِفُونَ بِهَا النَّاسَ (٤). وذكر تمام الحديث. وله شواهد مما مضى، ومما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود، قال: يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم، فيمر الناس عليه على قدر أعمالهم، أولهم كلمح البرق، ثم كمر الريح، ثم كاسرع البهائم، ثم كذلك، حتى يمر الرجل سعيًا، حتى يمر الرجل ماشيًا، ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه، ثم يقول: يا رب، لِمَ أَبْطَأْتُ بِي؟ فيقول: لِمَ أَبْطَأْتُ بِكَ، إِنَّمَا أَبْطَأْتُ بِكَ عَمَلُكَ (٥).

وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً، والموقوف أصح. والله أعلم.

وقال الجاهلي أبو نصر الوائلي في كتاب «الإبانة»: أخبرنا محمد بن محمد بن الحجاج، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الربيعي، حدثنا علي بن الحسين، أبو عبيد، حدثنا زكريا بن يحيى

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣٨٥٠) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٩٦٧٦)، والترمذي (٢٠٨٨)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم (٣٤٥/١)، وابن جرير (٢٣٨٥١) وهو حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٥/١) وإسناده حسن.

(٤) سبق الكلام عليه.

(٥) أخرجه الحاكم (٥٩٨/٤ - ٦٠٠)، وعنه البيهقي في «البعث» (٦٥٧) من طريق سفيان، به. موقوفاً.

وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: ما أحججا بأبي الزعراء. لكن أخرجه أحمد (٤١٢٨)، والترمذي (٣١٦٠)، بنحوه بإسناد حسن.

أبو السكين، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا أبو همام القرشي، عن سليمان بن المغيرة، عن قيس بن مسلم، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حديثاً يرأيك». ثم قال: وهذا غريب الإسناد، والمتن حسن. أورده القرطبي^(١).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد بن معدان، قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ فيقال: قد مررتم عليها وهي خامدة^(٢).

وقد ذهب آخرون إلى أن المراد بالورود الدخول، قاله ابن عباس، وعبد الله بن راحة، وأبو ميسرة، وغير واحد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية، قال: اختلنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن. وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت له: إنا اختلنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً - وقال سليمان مرة: يدخلونها جميعاً. وأهوى بأصبعه إلى أذنيه، وقال: صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى برؤ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم» ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً^(٣). (مريم: ٧٢). لم يخرجوه في كتبهم، وهو حسن^(٣).

وقال أبو بكر أحمد بن سلمان التجادي، حدثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدة السليطي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، حدثنا سليم بن منصور بن عمار، حدثني أبي منصور ابن عمار، حدثني بشير بن طلحة الجذامي، عن خالد بن دريك، عن يعلى بن منية، عن رسول الله ﷺ قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزياً مؤمناً، فقد أطفأ نورك لهبي»^(٤). وهذا حديث غريب جداً.

وقال ابن المبارك، عن سفيان، عن رجل، عن خالد بن معدان، قال: قالوا: ألم يعدنا ربنا أننا نرد النار؟ فيقال: إنكم مررتم عليها وهي خامدة^(٥).

وفى رواية عن خالد بن معدان، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يقل ربنا أننا نرد النار؟ فيقال: إنكم وردتموها فألفيتموها رماداً.

(١) أورده القرطبي في «التذكرة» (ص ٣٧٢). وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ٣٨٠)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٦٤)، و«العلل» (١/ ٢٦٤)، وهو موضوع - راجع «الضعيفة» (٢٦٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣٨٣٦) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٨-٣٢٩) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني (٢٢/ ٢٥٨/ ٦٦٨)، وابن عدي (٦/ ٣٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٢٩) وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٤٠٧) وفيه انقطاع.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن الجريري، عن أبي السليل، عن غنيم ابن قيس، قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة، حتى يستوى عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد أن أمسكي أصحابك، ودعي أصحابي. قال: فتخسف بكل وكلى لها، فلهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم. وروى مثله أيضاً عنه. (١)

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة، فقال: «لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية». قالت حفصة: أليس الله عز وجل، يقول: «وإن منكم إلا واردها»؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: «هقهه» ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً» (٢). ورواه الإمام أحمد أيضاً، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، عن النبي ﷺ، فذكر مثله. (٣)

ورواه مسلم من حديث ابن جريج، عن أبي الزبير، سمع جابراً، عن أم مبشر (٤)، فذكر نحوه، وقد تقدم، وسيأتي في أحاديث الشفاعة كيفية جواز المؤمنين على الصراط، وتفاوت سيرهم عليه، بحسب أعمالهم، وقد تقدم من ذلك جانب، وتقدم عنه، عليه السلام، أنه أول الأنبياء إجازة بأمرته على الصراط.

وعن عبد الله بن سلام قال: محمد ﷺ أول الرسل إجازة على الصراط، ثم عيسى، ثم موسى، ثم إبراهيم، حتى يكون آخرهم إجازة نوح، عليه السلام. قال: فإذا خلص المؤمنون من الصراط تلقى خزنة الجنة يهدونهم إلى الجنة، فإنهم إذا خلصوا من الصراط وأتوا على آخره، فليس بعد ذلك إلا دخول الجنة (٥). كما سيأتي.

وثبت في «الصحيح»: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة: يا عبد الله، هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة، ومن كان من أهل الزكاة دعي من باب الزكاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان». فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على أحد يدعي من أيها شاء من ضرورة، فهل يدعي أحد منها كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر، فإذا دخلوا الجنة هُدوا إلى منازلهم، فلهم أعرف بها من منازلهم التي كانت في الدنيا» (٦). كما سيأتي بيانه في «الصحيح» عند البخاري.

وقد قال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديبري، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري،

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣٨٣٨) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٢/٦) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٤٤٠)، وهناد في «الزهد» (٢٣٠)، وابن ماجه (٤٢٨١) وإسناده ضعيف معلول.

(٤) مسلم (٢٤٩٦).

(٥) أخرجه نعيم في «زوائد الزهد» (٣٩٨)، والبيهقي في «الشعب» (٣٦٦) مطولاً.

(٦) أخرجه البخاري (١٨٩٧) (٩٦٦٦) (٢٨٤١) (٣٢١٦)، ومسلم (١٠٢٧).

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَازٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابِي مِنَ اللَّهِ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، أَدْخُلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» (١).

وقد رواه الحافظ الضياء، من طريق سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، أن رسول الله ﷺ قال: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ جَوَازًا عَلَى الصِّرَاطِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، أَدْخُلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» (٢).

وقد روى الترمذي في «جامعه»، عن المغيرة بن شعبه قال: قال رسول الله ﷺ: «شِعَارُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الصِّرَاطِ، رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (٣) ثم قال: غريب.

وفى «صحيح مسلم»: «وَنَبِّيْكُمْ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (٤). وتقدم أن الأنبياء كلهم يقولون ذلك، وكذلك الملائكة كلهم يقولون ذلك.

وثبت في «صحيح البخاري» من حديث قتادة، عن أبي التوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حَبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَأَقْتَصَّ لَهُمْ مَخَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نَفَّسُوا وَهَدَّبُوا أُذُنَ لَهُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَلَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» (٥).

وقد تكلم القرطبي على هذا الحديث في «التذكرة»، وجعل هذه القنطرة صراطًا ثانيًا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار (٦).

قلت: هذه القنطرة تكون بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، ولا تعلمه نحن. والله أعلم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا صالح بن موسى، عن ليث، عن عثمان، عن محمد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ: جُوزُوا النَّارَ بِعَفْوِي، وَأَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَأَقْتَسِمُوهَا بِفَضَائِلِ أَعْمَالِكُمْ» (٧). وهذا حديث غريب.

وقد رواه أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن قتادة، عن عبد الله، من قوله، مثله، وهو منقطع، بل معضل، وقد قال بعض الوعاظ، فيما حكاه القرطبي في «التذكرة» (٨): فَتَوَهَّم نَفْسُكَ يَا أَخِي إِذَا صِرْتَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَنَظَرْتَ إِلَى جَهَنَّمَ تَحْتَكَ سَوْدَاءَ مَظْلَمَةٍ مُدْلِهِمَّةٍ، وَقَدْ تَلَطَّى سَعِيرُهَا، وَعَلَا لَهْيُهَا، وَأَنْتَ تَمْشِي أَحْيَانًا، وَتَزْحَفُ أُخْرَى. ثم أنشد:

(١) أخرجه الطبراني (٦١٩١)، وفي «الأوسط» (٣٠١١) وإسناده ضعيف.

(٢) الإسناد صحيح من عند سليمان التيمي.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٣٢) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٥) (٣٢٩).

(٥) أخرجه أحمد (١١٠٩٥) (١١٠٩٨)، والبخاري (٢٤٤٠)، وفي «الأدب المفرد» (٤٨٦).

(٦) انظر «التذكرة» (ص ٣٧٤). (٧) إسناده واه.

(٨) (ص ٣٦٤).

أَبَتْ نَفْسِي تَتُوبُ فَمَا اخْتَالِي	*	إِذَا بَرَزَ الْعِبَادُ لَدَى الْجَلَالِ
وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ حَيَارَى	*	بِأَوْزَارِ كَامُثَالِ الْجِبَالِ
وَقَدْ نَصَبَتِ الصَّرَاطُ لَكِي يَجُوزُوا	*	فَمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ عَلَى الشَّمَالِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسِيرُ لِدَارِ عَدْنٍ	*	تَلْقَاهُ الْعَرَائِيسُ بِالْغَوَالِي
يَقُولُ لَهُ الْمُهَيِّمِينَ يَا وَلِيِّي	*	غَضَرْتُ لَكَ الذُّنُوبَ فَلَا تَبَالِي

فصل

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا (مريم: ٨٥، ٨٦). وَرَدَ فِي حَدِيثٍ سَيَأْتِي أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ بِنَجَائِبٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَرْكَبُونَهَا، وَأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ بِهَا عِنْدَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ (١). وَفِي صَحِّحَتِهِ نَظَرٌ، إِذْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُحْشَرُونَ مَشَاءَ حَقَاءَ عَرَاءَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْشَرُ رَاكِبًا وَحَدَهُ نَاقَةٌ حُمْرَاءَ، وَبِلَالٌ يُنَادِي بِالْأَذَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. صَدَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ. (٢)

فَإِذَا كَانَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّمَا يَكُونُ إِتْيَانُهُمُ بِالنَّجَائِبِ بَعْدَ جَوَازِ الصَّرَاطِ، وَهُوَ الْأَشْبَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى فِي حَدِيثِ الصُّورِ (٣) أَنَّ الْمُتَّقِينَ يُضْرَبُ لَهُمْ حِيَاضٌ يَرْدُونَهَا بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصَّرَاطِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، يَسْتَشْفَعُونَ بِأَدَمَ، ثُمَّ بَنُوحَ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَسَلَمَ، فَيَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، كَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي النَّضْرِ هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ (٤)، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْهُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». (٥)

وَقَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ قُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ». (٦)

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ، حِينَ تَزُولُ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ أَدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتَحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ أَدَمَ، لَسْتُ

(١) أَخْرَجَهُ فِي «زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ» (١٣٣٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١١٩/١٣)، وَالْحَاكِمُ (٣٧٧/٢)، وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي «الْبَيْتِ» (ص ٥٢ - ٥٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْبَيْتِ» (١٠٥)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُمَا.

(٤) «الصَّحِيحُ» (٣٣٣) (١٩٧).

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢٣٩٧)، وَمُسْلِمٌ (١٩٧).

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٦) (٣٣١).

بصاحب ذلك،^(١). وذكر تمام الحديث كما تقدم، وهو شاهد قوي لما ذكر في حديث الصور من ذهب الناس إلى الأنبياء مرة ثانية يستشفعون إلى الله بهم في دخولهم الجنة، فتتخسر القسمة أيضا ويتعين لها رسول الله ﷺ، كما تعين للشفاعة الأولى العظمى في الفصل بين الخلائق، كما تقدم.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا سويد بن سعيد، أنا على بن مسهر، عن عبد الرحمن ابن إسحاق، حدثنا النعمان بن سعد، قال: كنا جلوسا عند علي، فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥). قال: لا والله، ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشُر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها، حتى يضربوا أبواب الجنة. (٢)

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، وزاد: عليها رحائل من ذهب، وأزمتها الزبرجد. والباقي مثله. (٣)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا مسلم بن جعفر البجلي، سمعت أبا معاذ البصري، قال: كان علي بن أبي طالب يوما عند رسول الله ﷺ فقرأ علي هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾. فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون -أو يؤتون- بنوق بيض لها أجنحة وعليها رجال الذهب، شراك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها من البصر، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما، فتغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى، فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا، وتجري عليهم نضرة النعيم، فينتهون -أو قال: يأتون- باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء، على صفائح الذهب، فيضربون بالحلقة على الصفيحة، فيسمع لها طنين يا علي، لم يسمع الخلائق مثله، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتبعث قيمها فيفتح له، فإذا رآه خر له -قال مسلمة: أراه قال: ساجدا- فيقول: ارفع رأسك، إنما أنا قيمك، وكلت بأمرك. فيتبعه ويقفوا أثره، فتستخف الحوراء العجلة، فتخرج من خيام الدار والياقوت، حتى تعتنقه، ثم تقول: أنت حبي وأنا حيك، وأنا الخالدة التي لا أموت، وأنا الناعمة التي لا أبأس، وأنا الراضية التي لا أسخط، وأنا المقيمة التي لا أظعن. فيدخل بيتا من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع، بني على جندل اللؤلؤ والياقوت، طرائق حممر وخضر وصفر، ليس منها طريقة تشاكل صاحبها، وفي البيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون حشية، على كل حشية سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل، يقضي جماعهن في مقدار ليلة من لياليكم هذه، الأنهار من تحتهم تظرد، أنهار من ماء غير آسن -قال: صاف لا كدر فيه- وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من ضروع الماشية، وأنهار من خمر لذة للشاربين، لم تعصرها الرجال بأقدامها، وأنهار من عسل مصفى، لم يخرج من بطون النحل، فيستحلي الثمار، فإن شاء أكل قائما، وإن شاء قاعدا، وإن

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) (٣٢٩).

(٢، ٣) إسناده ضعيف وسبق.

شَاءَ مُتَكِنًا. ثم تلا: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ (الإنسان: ١٤). فَيَشْتَهَى الطَّعَامَ، فَيَأْتِيهِ طَيْرٌ أَيْبُضٌ - قَالَ: وَرَبِّمَا قَالَ: أَخْضَرُ - فَتَرْفَعُ أَجْنَحَتَهَا، فَيَأْكُلُ مِنْ جُثُوبِهَا أَيْ الْأُلُوانِ شَاءَ، ثُمَّ تُطِيرُ فَتَذْهَبُ، فَيَدْخُلُ الْمَلِكُ، فَيَقُولُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، تَلِكُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْثَقْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَلَوْ أَنَّ شَعْرَةَ مِنْ شَعْرِ الْحَوَارِءِ وَقَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ الْأَرْضُ مِنْهَا، وَلَكَانَتْ الشَّمْسُ مَعَهَا سَوَادًا فِي نَوْرٍ. (١)

وقد رُوِيَناهُ فِي «الْجَعْدِيَّاتِ» (٢) مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصَّحَّةِ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أَخْبَرَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: ذَكَرَ النَّارَ فَعَظَّمَ أَمْرَهَا، ذَكَرَهَا لَا أَحْفَظُهَا. قَالَ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣) حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا وَجَدُوا عِنْدَهُ شَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا سَاقِهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ، فَعَمَدُوا إِلَى إِحْدَاهُمَا، كَأَنَّمَا أَمْرُوا بِهَا، فَشَرِبُوا مِنْهَا، فَأَذْهَبَتْ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ قَذَى أَوْ أَذَى أَوْ بَأْسٍ، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى الْأُخْرَى، فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا، فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، وَلَمْ تَغْبِرْ أَشْعَارُهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَلَا تَشَعَّتْ رُءُوسُهُمْ، كَأَنَّمَا ذُهِنُوا بِالذَّهَانِ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالُوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ثُمَّ تَلَقَّاهُمُ الْوِلْدَانُ فَيُطِيفُونَ بِهِمْ، كَمَا يُطِيفُ وَلِدَانُ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْحَمِيمِ يَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، يَقُولُونَ: أَبْشِرُوا بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ. ثُمَّ يَنْطَلِقُ غُلَامٌ مِنْ أَوْلَئِكَ الْوِلْدَانِ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحَوَارِءِ، فَيَقُولُ: جَاءَ فَلَانٌ. بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يُدْعَى بِهِ فِي الدُّنْيَا. قَالَتْ: أَنْتِ رَأَيْتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَنَا رَأَيْتُهُ، وَهُوَ بِإِثْرِي. فَيَسْتَخَفُّ إِحْدَاهُمَا الْفَرْحُ، حَتَّى تَقُومَ عَلَى أَسْكَفَةٍ بِإِيهَا، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أَسَاسِ بَنِيَانِهِ، فَإِذَا جَنَدَلُ اللَّوْلُؤِ فَوْقَهُ صَرَخَ أَحْمَرُ وَأَخْضَرُ وَأَصْفَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِ، فَإِذَا مِثْلُ الْبَرْقِ، وَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ أَنْ لَا يَذْهَبَ بَصَرُهُ لَأَلَمَ أَنْ يَذْهَبَ بِبَصَرِهِ، ثُمَّ طَاطَأَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَزْوَاجُهُ، وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ، وَغَمَارُ مَصْفُوفَةٌ، وَزُرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ، ثُمَّ اتَّكَفُوا، فَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: تَحْيَوْنَ فَلَا تَمُوتُونَ أَبَدًا، وَتُقِيمُونَ فَلَا تَطْعَنُونَ أَبَدًا، وَتَصِحُّونَ فَلَا تَمْرَضُونَ أَبَدًا.

وَهَذَا الْأَثَرُ يَقْتَضِي أَنْ تَغْيِيرَ الشَّكْلِ مِنَ الْحَالِ الَّذِي كَانَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى طُولِ سِتْنِ ذِرَاعًا، وَعَرَضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، كَمَا هِيَ صِفَةُ كُلِّ مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ، يَكُونُ عِنْدَ هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ يَغْتَسِلُونَ مِنْ إِحْدَاهُمَا، فَتَجْرَى عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ وَيَشْرَبُونَ مِنَ الْأُخْرَى فَتَغْسِلُ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنَ الْأَذَى، فَيَتَجَدَّدُ لَهُمُ الطُّوْلُ وَالْعَرْضُ، وَذَهَابُ الْأَذَى، وَجَرِيَانُ نَضْرَةِ النَّعِيمِ بَعْدَ الْغَسْلِ وَالشَّرْبِ. وَهَذَا أَنْسَبُ وَأَقْرَبُ مِمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ، أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ، وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا مِمَّا زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ، لِمَا يُعَارِضُهُ مِنَ الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَفِيهِ انْقِطَاعٌ.

(٢) مَنْكَرٌ: وَهُوَ فِي «الْجَعْدِيَّاتِ» (٢٥٨٠).

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة، وألبس لباسهم، وحلى حليتهم، وأرى أزواجه وخدمته، يأخذ سوار فرح، لو كان ينبغي له أن يموت لمات من شدة سوار فرحه، فيقال له: أرأيت سوار فرحك هذا، فإنه قائم لك، وباق أبداً. (١)

وقال ابن المبارك: أخبرنا رشدين بن سعد، عن زهرة بن معبد القرشي، عن أبي عبد الرحمن الحلي، قال: إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم، كأنهم اللؤلؤ. (٢)

قال ابن المبارك: أخبرنا يحيى بن أيوب، حدثني عبيد الله بن زحر، عن محمد بن أيوب، عن أبي عبد الرحمن المعافري، قال: إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سباطان، لا يرى طرفاهما من غلمانته، حتى إذا مر مشوا وراءه. (٣)

وروى أبو نعيم، عن سلمة، عن الضحاک بن مزاحم، قال: إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك، فيأخذ به في سكرها، فيقول له: انظر، ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة، وأكثر أنيس. فيقول الملك: إن هذا أجمع لك. حتى إذا دفع لهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان: نحن لك. ثم يقول: امش. فيقول: ماذا ترى؟ فيقول: أكثر عساكر رأيتها من خيام، وأكثر أنيس. فيقول: إن هذا أجمع لك. فإذا دفع لهم استقبلوه: نحن لك. (٤)

وقال أحمد بن أبي الحواري، عن أبي سليمان الداراني، أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُ رَأَيْتُ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠). قال: الملك الكبير أن الملك يأتي إلى ولي الله بالتحفة من عند الله سبحانه، فلا يصل إليه إلا بإذن بعد إذن، يقول الملك لحاجبه: استأذن لي على ولي الله. فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر، وحاجباً بعد حاجب، ومن دار إلى دار حتى ينتهي إلى ولي الله، عز وجل، بما أمر به، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه الولي على ربه، متى شاء بلا إذن، ورسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خدش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن محمد بن عبد الله ابن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف قال: كنا جلوساً إلى عبد الله بن سلام، فقال: إن أكرم خليفة على الله أبو القاسم عليه السلام، وإن الجنة في السماء، وإن النار في الأرض، فإذا كان يوم القيامة بعث الله الخليقة أمة أمة، ونبياً نبياً، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادي مناد: أين أحمد وأمته؟ فيقوم وتتبعه أمته، برها وفاجرها، فيأخذون على الجسر، ويطمس الله تعالى أبصار أعدائه، فيتهاقنون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة،

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٢٩)، وعنه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٤)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٢٧)، وعنه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٥)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤١٥)، وعنه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٦)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٧)، وإسناده صحيح.

وَيُؤْتُونَهُمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَى يَمِينِكَ، عَلَى يَسَارِكَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّهِ، فَيُلْقَى لَهُ كُرْسِيُّ عَلَى يَمِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُنَادِي الْمُنَادِي: أَيْنَ عِيسَى وَأَمْتُهُ؟ فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ إِلَى أَنْ قَالَ: فَيُلْقَى لَهُ كُرْسِيُّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُمُ الْإِنْبِيَاءُ وَالْأُمَمُ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَذَا مَوْقُوفٌ عَلَى ابْنِ سَلَامٍ رحمته الله. (١)

وتقدم في حديث سلمان الفارسي الذي رواه ابن أبي الدنيا عن أبي نصر التمار، حدثنا حمادُ ابن سلمة، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، قال: يُوَضَّعُ الصَّرَاطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ الْمَوْسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا، مَنْ يَطِيقُ أَنْ يَجُوزَ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي». فيقولون: رَبَّنَا مَا عَبْدُنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. (٢)

فصل: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، أَنْيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَى مِنْ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحَسَنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِكُرَّةٍ وَعَشِيَاءٍ». (٣)

وهكذا رواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، وأخرجه البخاري عن محمد بن مقاتل، عن ابن المبارك، كلاهما عن معمر، به.

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن عُمارة بن القَعْقَاعِ، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُوبِقُهُمْ عَلَى صُورَةِ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دَرَى فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَفَلَّوْنَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ». (٤)

ورواه مسلم عن أبي خيثمة، واتفقا عليه، من حديث جرير.

وروى الإمام أحمد، والطبراني، واللفظ له، من حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد ابن جُدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا، بِيَضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وَهُمْ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أذْرُعٍ». (٥)

(١) أخرجه ابن المبارك (٣٩٨) «زوائد»، وابن أبي الدنيا في «وصف النار» (١٧٩)، وإسناده صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٣١٦/٢)، وعبد الرزاق (٢٠٨٦٦)، وعنه مسلم (٢٨٣٤)، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري (٣٢٤٥)، والترمذي (٢٥٣٧)، من طريق معمر.

(٤) أخرجه أبو يعلى (٦٠٨٤)، وأخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٥) أخرجه أحمد (٧٩٣٣)، وإسناده ضعيف وله طرق وشواهد يتقوى بها.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن إسماعيل العدوي، حدثنا عمرو بن مرزوق، أنا عمران القطان، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا، مَكْحَلِينَ بَنَى ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ»^(١). ورواه الترمذي من حديث عمران بن داود القطان، ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثني رواد ابن جراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ سِتِينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ، عَلَى حُسْنِ يُوسُفَ، وَعَلَى مِيلَادِ عِيسَى، ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ، جُرْدًا مُرْدًا مَكْحَلُونَ»^(٢).

وقد رواه أبو بكر ابن أبي داود، حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد، قالوا: حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فِي مِيلَادِ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، جُرْدًا مُرْدًا مَكْحَلِينَ، ثُمَّ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَيَكْسُونَ مِنْهَا، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ»^(٣).

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يَرْدُونَ بَنَى ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الْجَنَّةِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ»^(٤).

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، فذكره^(٥). والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف العجلي، عن سعيد، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن معاذ، قال: قال نبي الله ﷺ: «يُبْعَثُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُرْدًا مُرْدًا مَكْحَلِينَ بَنَى ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ»^(٦). وهذا منقطع بين شهر ومعاذ انقطاعاً لو كان ساقه لكانت أبعد من شهر، وهو يُفْهِمُ بَعْثَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ كَذَلِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تُغَيَّرُ حُلَاهُمْ إِلَى الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، كُلُّ أَحَدٍ بِحَسَبِهِ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَلَى مَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) أخرجه الطبراني (١١٨/٢٠)، وإسناده ضعيف، وله طرق وشواهد يتحسن بها.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٢٠)، وهو ضعيف جداً.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٦٥)، وفيه انقطاع.

(٤) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٧٩)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٦٢)، وإسناده ضعيف جداً.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٩/٥) وإسناده ضعيف وفيه انقطاع، كما قال المؤلف - والضعف من قبل شهر بن حوشب، وفيه تدليس قتادة وقد عنعنه.

كتاب صفة النار - أجازنا الله منها - وما فيها من العذاب الأليم

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤). وقال تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٩١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (٥٦) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ١٦٨، ١٦٩). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٥) يَرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٦)﴾ (المائدة: ٣٦، ٣٧). وقال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١). وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)﴾ (هود: ١٠٦). وقال تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الاسراء: ٩٧). وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (٢٠) يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢١) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (الحج: ١٩-٢١). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٥٦) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْعُخُوفِ﴾ (المؤمنون: ١٠٣، ١٠٤). وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (الفرقان: ١١). وقال تعالى: ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء: ٩١). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ (السجدة: ٢٠). ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ (الاحزاب: ٦٦). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر: ٣٦). قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٣) أَصْلُوهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (يس: ٦٣، ٦٤). وقال تعالى: ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٢، ٢٣). وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ إِلَيْهَا قُلُوبَهُمْ﴾ (إِنْ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (ص: ٥٥-٦٤). وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ (إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَيَنْسِفُ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٧١، ٧٢). وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (الأنعام: ٤٥-٥٢). وقال تعالى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (الأنعام: ٧١، ٧٢). وقال تعالى: ﴿فَإِنْ يَصْرَوْا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (الأنعام: ٧١، ٧٢). وقال تعالى: ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: ٢٤-٢٩). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: ٧٤). وقال تعالى: ﴿خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سُوءِ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان: ٤٧). وقال تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ لِمَنْ هَلْ أَمْتَلَأْتُ وَقُلْتُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (ق: ٣٠). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (الطور: ١٣). وقال تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَنُفْسُ

المصير ﴿الحديد: ١٥﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ﴾ الآية (التحریم: ٦). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرِ﴾ (التحریم: ٩). وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَنِيسَ الْمَصِيرِ﴾ الآيات (الملك: ٦). وقال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٢٦-٣١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَدُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (النبا: ٢١-٣٠). وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ الآيات (الليل: ١٤). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (البلد: ١٩، ٢٠). وقال تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزَّةٌ﴾ (٢٠) الَّذِي جُمِعَ مَالًا وَعَدَدُهُ (٢١) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٢٢) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٢٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٢٤) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٢٥) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿إلى آخر السورة (الهمزة: ١-٧).

وقال ابن المبارك، عن خالد بن أبي عمران بسنده، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُ أَهْلَهَا، حَتَّى إِذَا اطَّلَعَتْ عَلَى أَهْنَدَتِهِمْ انْتَهَتْ، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُهُ أَيْضًا، فَتَأْكُلُهُ حَتَّى تَطْلُعَ عَلَى فُؤَادِهِ، فَهُوَ كَذَلِكَ أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ﴾ (٢٥) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿(الهمزة: ٦-٧)» (١).

وقد تركنا إيراد آيات كثيرة خوف الإطالة، وفيما ذكرنا إرشادًا لما تركنا، وبالله المستعان، وستأتي الأحاديث الواردة في صفة جهنم -أجارتنا الله منها آمين- مرتبة على ترتيب حسن، وبالله التوفيق. وقال ابن المبارك: أنبأنا معمر، عن محمد بن المنكدر، قال: لما خلقت النار فرعت الملائكة، وطارت أفندتها، فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم، وذهب ما كانوا يجدون (٢).

وقال ابن المبارك (٣): أنبأنا محمد بن مطرف، عن الثقة، أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فجاءه في البيت، فلما دخل نبي الله ﷺ اعتنقه الفتى، وخر ميتًا، فقال رسول الله ﷺ: «جَهَنُّوا صَاحِبَكُمْ، فَإِنَّ النَّارَ فَتَنُ كَبِيدَهُ».

قال القرطبي: وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان، وعليهن مدارع الشعر والصوف، فقال عيسى: ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة؟ قلن: ذكر النار غير ألواننا يا بن مريم، إن من دخل النار لا يذوق فيها بردًا ولا شربًا. ذكره الخرائطي في كتاب «القبور» (٤).

وروى أن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٤٣). قرأ ثلاثة أيام هاربًا من الخوف، لا يعقل، فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنزلت هذه

(١) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٣٠٦)، وعنه ابن أبي الدنيا في «وصف النار» (١٣٩)، وإسناده ضعيف معضل.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٣٢١)، وعنه ابن أبي الدنيا في «وصف النار» (٢١٨)، عن زيد بن أبي أنيسة عن محمد بن المنكدر، به.

(٣) أخرجه ابن المبارك «زوائد» (٣٢٠)، وأحمد في «الزهد» (٣٩٧)، والحاكم (٤٩٤/٢)، والبيهقي «شعب» (٩٠٨)، وصححه الحاكم ورده الذهبي والحديث شبه موضوع.

(٤) ذكره في «التذكرة» (ص ٤٢٠) الأول بغير إسناد، والثاني لا أراه يصح.

الآية ﴿وَأَن جَهَنَّمَ لَمُوعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآية (الحجر: ٤٥). ذكره الثعلبي. (١)

ذكر جهنم وشدة سوادها، أجازنا الله منها

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (قائمة هاولية) (٢) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ (٣) نار حامية ﴿(القارعة: ٨-١١). وقال تعالى: ﴿تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (الغاشية: ٥). وقال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤) يطوفون بينها وبين حميم آن ﴿(الرحمن: ٤٣-٤٤). أى حار قد تنهى حره، وبلغ الغاية في الحرارة. وقال مالك في «موطئه»، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً» (٥).

ورواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك، به. وأخرجه مسلم، عن قتيبة، عن المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي، عن أبي الزناد، به، نحوه.

وقال أحمد: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» (٦). على شرط «الصحيحين».

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد، عن محمد بن زياد، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقال رجل: إن كانت لكافية. فقال: «لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حراً فحراً» (٧).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه، ما يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم». قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها» (٨).

طريق أخرى: قال البزار: حدثنا بشر بن خالد العسكري، حدثنا سعيد بن مسلمة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناركم هذه، وكل نار أوقدت - أو هم يوقدونها - جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» (٩).

طريق أخرى بلفظ آخر: قال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز، عن سهيل، عن أبيه،

(١) ذكره في «التذكرة» (ص ٤٢٠) الأول بغير إسناد، والثاني لا أراه يصح.

(٢) أخرجه مالك (٩٩٤/٢)، والبخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، والترمذي (٢٥٨٩)، وابن حبان (٧٤٦٢) وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد (٧٣٢٧)، وإسناده صحيح على شرطهما.

(٤) أخرجه أحمد (٤٦٧/٢) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) أخرجه أحمد (٨١٢٦)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٦) إسناده ضعيف، لضعف سعيد بن مسلمة وشيخه.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «هذه النارُ جزءٌ من مائةِ جزءٍ من جهنم». وهذا الإسناد على شرط مسلم. وفي لفظه غرابة، وأكثر الروايات عن أبي هريرة: «جزءٌ من سبعين جزءاً» (١). وقد ورد الحديث عن غيره كذلك، من طريق ابن مسعود، كما قال البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا عبيد بن إسحاق العطار، حدثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة بشرى، وهي جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة، وإن ناركُم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من سموم جهنم، وما دام العبد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما لم يحدث». (٢) قال البزار: وقد روى موقوفاً.

ومن طريق أبي سعيد، كما قال البزار: حدثنا محمد بن الليث، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناركُم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نارجهنم، لكل جزء منها حرها». (٣)

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معن بن عيسى القزاز، عن مالك بن أنس، عن عمه أبي سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركُم هذه من نارجهنم؟ لهن أشد سواداً من دخان ناركُم هذه بسبعين ضعفاً». (٤)

قال الحافظ الضياء: وقد رواه أبو مضعب، عن مالك، وفرعه، وهو عندي على شرط الصحيح. وروى الترمذي وابن ماجه، كلاهما عن عباس الدوري، عن يحيى ابن أبي بكير، عن شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة». (٥) قال الترمذي: ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بكير، عن شريك. كذا قال الترمذي، وقد رواه أبو بكر ابن مردويه الحافظ، عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن الحسين بن مكرم، عن عبيد الله بن سعد، عن عمه، عن شريك، به، مثله.

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد ابن أبي عمرو، قالوا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «النار لا يطفأ جمرها، ولا يضيء لهبها». قال: ثم قرأ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠). قال البيهقي: ورفعته ضعيف. ثم رواه من وجه آخر موقوفاً (٧). وقال

(١) أخرجه أحمد (٣٧٨/٢) بسند حسن.

(٢) حديث ابن مسعود جاء مرفوعاً وموقوفاً والمرفوع أخرجه البزار (١٨٦٤)، وهيثم بن كليب في «مسنده» (٨٢٩)، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٩٠)، وأبو يعلى (١٣٣٤)، وابن أبي الدنيا في «وصف النار» (١٤٨) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٩) وإسناده حسن.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٩١)، وابن ماجه (٤٣٢٠)، وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٥٧٦)، وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبه (٣/٩٠/٨)، وهناد في «الزهد» (٢٤٨)، وابن المبارك في «الزوائد» (٣١٠)، وابن جرير (١٠١/١٧)، والبيهقي في «البعث» (٥٧٥)، وابن أبي الدنيا في «النار» (١٩)، والحاكم (٣٨٧/٢)، وهو صحيح والإسناد موقوف.

ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أبو عتاب الدال، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس، قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحریم: ٦). قال: «أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى اسودت، فهي سوداء لا يضيء لها بها» (١).

وقال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم، حدثنا الحكم بن مروان، حدثنا سلام الطويل، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن عدي بن عدي، قال: قال عمر بن الخطاب: أتى جبريل النبي ﷺ في حين لم يكن يأتيه فيه، فقال: «يا جبريل، ما لي أراك متغير اللون؟» فقال: إني لم أتك حتى أمر الله عز وجل، بفتح أبواب النار. فقال النبي ﷺ: «يا جبريل، صف لي النار وانعت لي جهنم» فقال: إن الله أمر بها، فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لا يضيء شررها، ولا يطفأ لها. وقال: والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلقات السلسلة التي نعت الله عز وجل، في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأذابتها. فقال النبي ﷺ: «حسبي يا جبريل، لا ينصدق قلبي». فنظر النبي ﷺ إلى جبريل فإذا هو يبكي. فقال: «يا جبريل، أتبكي وأنت من الله بالمكان الذي أنت به منه؟» قال: وما يمنعني أن أبكي، وأنا لا أدري لعلني أن أكون في علم الله على غير هذه الحال، فقد كان إبليس مع الملائكة، وقد كان هاروت وماروت من الملائكة. فلم يزل النبي ﷺ يبكي وجبريل، حتى نوديا: «يا محمد، ويا جبريل، إن الله عز وجل، قد أمركما أن تعصياه». قال: فارتفع جبريل، وخرج النبي ﷺ فمر بقوم من أصحابه يتحدثون ويضحكون. فقال: «أتضحكون وجهنم من ورائكم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله، عز وجل». فأوحى الله تعالى إليه: يا محمد، إني بعثتك مبشراً. فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا، وسددوا، وقاربوا» (٢). قال الضياء: قال الحافظ أبو القاسم -يعني إسماعيل بن محمد بن الفضل-: هذا حديث حسن، وإسناده جيد.

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثنا ابن أبي حازم والدرأوري، عن يزيد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبه، يغلي منه أم دماغه» (٣). ورواه مسلم من حديث يزيد بن الهادي.

وقال مسلم (٤): حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا زهير بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بتعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه».

(١) رواه البيهقي في «البعث» (٥٠٦)، وفي «الشعب» (٧٧٨) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٠٤)، وابن أبي الدنيا في «النار» (١٥٧)، وسنده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٦٤)، وأخرجه (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠)، وأحمد (٨/٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢١١).

وقال أحمد: حدثنا حسن وعفان، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا رَجُلٌ فِي رَجْلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»^(١). وساق أحمد تمام الحديث.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، سمعت أبا إسحاق، سمعت الثعمان، سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَجُلٍ تَوَضَّعَ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةً يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ»^(٢). ورواه مسلم من حديث شعبة^(٣).

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الثعمان بن بشير، سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ، أَوْ يَغْلِي الضَّمَقُ»^(٤).

وقال مسلم: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»^(٥).

وقال أحمد: حدثنا يحيى، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا عَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»^(٦). وبهذا الإسناد، أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(٧).

وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا زائدة، عن المختار بن قنفل، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا». قالوا: يا رسول الله، وما رأيت؟ قال: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»^(٨).

ورواه أحمد أيضًا من حديث شعبة، عن موسى بن أنس، عن أبيه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(٩).

وقال أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا ابن عياش، عن عمارة بن غزيرة الأنصاري: أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني المعلى، يقول: سمعت ثابتًا البناني يحدث عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، أنه قال لجبريل: «مَا لِي لَمْ أَرِ مِكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟ قَالَ: مَا ضَحِكَ مِكَائِيلُ مِنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ»^(١٠).

(١) أخرجه أحمد (١٣/٣)، وعبد بن حميد (٨٧٥)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٣) (٣٦٣)، وأحمد (٢٧١/٤)، والترمذي (٢٦٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٦٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥٧/١٣)، ومسلم (٣٦٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢١٢) (٣٦٢). (٦) أخرجه أحمد (٤٣٢/٢) وإسناده حسن.

(٧) أخرجه أحمد (٧٤٩٩)، وإسناده ضعيف، وأخرجه (٩٤١٥) بسند صحيح، وأخرجه البخاري (٦٦٣٧)، وابن حبان (٥٧٩٣).

(٨) أخرجه أحمد (١٣٢٧٨) بإسناد صحيح.

(٩) أخرجه أحمد (١٣١٩٠) بإسناد صحيح، وأخرجه البخاري (٤٦٢١) (٦٤٨٦)، ومسلم (٢٣٥٩).

(١٠) أخرجه أحمد (٢٢٤/٣) وإسناده ضعيف.

وقد قال تعالى: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ (٢٤) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (٣٠) لا طليل ولا يثني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرور كالقصر (٣٢) كأنه جمالت صفر (٣٣) ويل يومئذ للكاذبين ﴿ (المرسلات: ٢٩-٣٤).
قال الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا سعيد بن سليمان، عن حذيث بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن علقمة بن قيس، سمعت ابن مسعود يقول في قوله تعالى: ﴿إنها ترمي بشرور كالقصر﴾ (المرسلات ٣٢). قال: أما إنها ليست مثل الشجر والجبل، ولكنها مثل المدائن والحصون. (١)
وقال الطبراني: حدثنا طالب بن قرّة، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا ميسرة بن إسماعيل، عن تمام بن نجیح، عن الحسن، عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ شَرَّه مِنْ شَرِّ جَهَنَّمَ بِالْمَشْرِقِ لَوَجَدَ حَرَّهَا مِنَ الْمَغْرِبِ». (٢)

وقال أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما يكون من الحر من فيح جهنم» (٣). وبهذا الإسناد، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم». (٤)

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً فنفسني. فأذن لها في كل عام بنفسين، فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم، وأشد ما تجدون من الحر من حر جهنم» (٥). وأخرجه البخاري، ومسلم من حديث الزهري.

وقال أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: يا بن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». (٦)

وقال أحمد: حدثنا روح، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك، أن نبي الله ﷺ قال: «يُجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩١٦)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٨١)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٧٢٤٧)، والحميدي (٩٤٢)، والبخاري (٥٣٧)، وابن حبان (٧٤٦٦)، والبيهقي (٣٦١)، من طريق سفيان، به.

(٤) أخرجه أحمد (٧٢٤٦)، والحميدي (٩٤٢)، والبخاري (٥٣٦)، والنسائي (١٤٨٨)، وابن الجارود (١٥٦)، وأبو يعلى (٥٨٧١) من طريق سفيان.

(٥) أخرجه أحمد (٧٧٢٢)، والبخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

(٦) أخرجه أحمد (١٣١١٢)، وإسناده صحيح. وأخرجه مسلم (٢٨٠٧).

أَكُنْتُ مُقْتَدِيًا بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. قَالَ: فَيَقَالُ: لَقَدْ سُلِّتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ (آل عمران: ٩١). (١)

طريق أخرى: قال أحمد: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عُمَرَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ الْمِثْقَالَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي». (٢)

طريق أخرى: قال أحمد: حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا بَنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، خَيْرَ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ. فَيَقُولُ: مَا أَسْأَلُ وَأَتَمَنَّ إِلَّا أَنْ تُرَدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَأَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ. لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ. وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا بَنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، شَرَّ مَنْزِلٍ. فَيَقُولُ لَهُ: أَتَفْتَدِي مِنْهُ بِطِلَاحِ الْأَرْضِ ذَهَبًا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، نَعَمْ. فَيَقُولُ: كَذَبْتَ، قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْسَرَ فَلَمْ تَفْعَلْ. فَيُرَدُّ إِلَى النَّارِ». (٣)

وقال البراء: حَدَّثَنَا أَبُو شَيْبَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَرِ مِثْلُ النَّارِ، نَامَ هَارِبُهَا، وَلَمْ يَرِ مِثْلُ الْجَنَّةِ، نَامَ طَالِبُهَا». (٤)

وروى الحافظ أبو يعلى، وغيره، من طريق محمد بن شبيب، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَتَنْفَسُ فَأَصَابَهُمْ نَفْسُهُ لَأَحْرَقَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ فِيهِ». وهذا حديث غريب جداً. (٥)

ذكر بعد قعر جهنم واتساعها وضخامت أهلها، أجازنا الله منها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) فَأَمَّهُ هَٰوِيَّةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارة: ٨-١١). وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الاعراف: ٤١)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٦) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ (الطور: ١٣، ١٤)، وقال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كُفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (ق: ٢٤-٣٠).

- (١) أخرجه أحمد (١٣٢٨٨)، وإسناده صحيح، وأخرجه مسلم (٢٨٠٥) (٥٣)، وأخرجه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) (٥٢) وغيرهما.
- (٢) أخرجه أحمد (١٢٢٨٩)، وإسناده صحيح، وأخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).
- (٣) أخرجه أحمد (١٣١٦٢)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.
- (٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٨٤)، وإسناده ضعيف. وأخرجه القضاعي (٧٩١)، والترمذي (٢٧٢٨) وغيرهما والحديث حسن - راجع «الصحيح» (٩٥٣).
- (٥) أخرجه أبو يعلى (٦٦٤٠)، وابن أبي الدنيا في «وصف النار» (١٤٦)، وهو منكر.

وقد ثبت في «الصحيحين» من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا رَبُّ الْعِزَّةِ قَدَمَهُ، فَيَنْزِلُ بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضِ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ» (١).
وقال مسلم: حدثنا محمد بن أبي عمر المكي، حدثنا عبد العزيز الدراوردي، عن يزيد ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَنْتَبِئُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (٢).
ورواه البخاري عن إبراهيم بن حمزة، عن عبد العزيز، بنحوه، ولفظه: «يَزُلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ». ولم يذكر المغرب (٣).

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا الزبير بن سعيّد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَضْحِكُ بِهَا جُلسَاءَهُ، يَهْوِي بِهَا مِنْ أْبَعَدَ مِنَ الثَّرْيَاءِ» (٤). غريب، والزبير فيه لين.

وقال أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا خلف بن خليفة، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَسَمِعْنَا وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَالآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (٥). ورواه مسلم عن محمد بن عباد وابن أبي عمر، عن مروان، عن يزيد بن كيسان، به، نحوه (٦).

حديث آخر: وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (٧): حدثنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف السَّقَطِيُّ، حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا أبو أيوب الأنصاري أحمد بن عبد الصمد، حدثنا إسماعيل بن قيس، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الجبابر سعيد بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَوْتًا هَالَهُ ذَلِكَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: «مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا جَبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذِهِ صَخْرَةٌ هَوَتْ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ عَامًا، فَهَذَا حِينَ بَلَغَتْ قَعْرَهَا، أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يَسْمَعَكَ صَوْتُهَا. قال: فما رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ضَاحِكًا مَلَأَ فِيهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وقد رَوَى البيهقي، من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ نحوه من هذا السياق (٨).

وَبُتِّ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ، أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٨) (٦٦٦١) (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، والترمذي (٣٢٧٢) وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٨) (٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) (٤٩).

(٤) أخرجه أحمد (٩٢٢٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد (٣٧١/٢) بهذا الإسناد.

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٤٤)، وابن حبان (٧٤٦٩).

(٧) إسناده تالف.

(٨) سبق تخريجه.

من شفير جهنم فيهرى فيها سبعين عاماً، لا يدرك لها قرأ، والله لثملان، أفعجتهم؟ وقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. (١)
حديث آخر: قال أبو يعلى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن أبي بكر، عن أبيه أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ حَجْرًا قَذَفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ لَهَوَى سَبْعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهَا». (٢)

حديث آخر: روى الترمذي، والنسائي، والبيهقي، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني، واللفظ له، من حديث عبد الله بن المبارك: حدثنا عنبسة، عن حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلنا: لا. فقال: أجل، والله ما تدرون، إن ما بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجرى فيه أودية القيح والدم. قال: قلنا: أنهار؟ قال: لا، بل أودية. ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قال: قلنا: لا. قال: أجل، والله ما تدرون، حدثني عائشة أنها سألت النبي ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧). أين الناس يومئذ؟ قال: «على جسر جهنم». (٣)

وإنما روى الترمذي، والنسائي المرفوع فقط، وقال الترمذي: صحيح غريب من هذا الوجه. وثبت في «صحيح مسلم» من حديث العلاء بن خالد، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود، مرفوعاً: «يُجَاءُ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ تَقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» (٤). وروى موقوفاً على ابن مسعود (٥). قاله أعلم.

وروى في حديث، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً: «هَلْ تَدْرُونَ مَا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (٦) وجاء ربك والملك صفًا صفًا (٧) وحيء يومئذ جهنم» (الفجر: ٢١-٢٣). قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَقَادُ جَهَنَّمَ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، كُلُّ زِمَامٍ بِيَدِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ». قال: «فَتَشْرُدُ شَرْدَةً لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ حَبَسَهَا لَأَحْرَقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ». (٦)

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله، حدثنا سعيد بن يزيد، حدثنا أبو السَّمَح، عن عيسى بن هلال الصَّدْفِي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى جُمُجْمَةٍ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا». (٧) ورواه الترمذي.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٧٢٤٣) وإسناده ضعيف، لكن الحديث يصح فله طرق وشواهد.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٤١)، والنسائي (١١٤٥٣) وغيرهما وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥١/١٣)، وابن أبي الدنيا في «النار» (١٧٤) موقوفاً.

(٦) إسناده فيه انقطاع.

(٧) أخرجه أحمد (١٩٧/٢) وإسناده ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الله بن أمية، حدثني محمد بن حبيب، حدثني صفوان بن يحيى، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «البحر هو جهنم» (١).

ذكر تعظيم خلقهم في النار، أعادنا الله من النار

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦).

وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثني أبو يحيى الطويل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «يعظم أهل النار في النار، حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد» (٢). كذا رواه أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو الصحيح (٣). وكذا رواه البيهقي، ثم رواه من طريق عمران بن زيد، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، فذكر مثله، ثم صحح البيهقي الأول كما ذكرنا. والله أعلم.

وهذا الحديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهد من وجوه أخرى عن أبي هريرة. فإله أعلم. فقال الإمام أحمد: حدثنا ربيع بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وفخذه مثل ورقان، ومقعداه في النار مثل ما بيني وبين الريدة» (٤). ورواه البيهقي (٥)، من طريق بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، وزاد فيه: «وعضده مثل البيضاء».

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن عبد الله بن دينار - عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعداه من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده اثنتان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار» (٦).

طريق أخرى: قال الزائر: حدثنا محمد بن الليث الهذلي، وأحمد بن عثمان بن حكيم، قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا شيبان - يعني ابن عبد الرحمن - عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ضرس الكافر مثل أحد، وغلظ جلده أربعون ذراعاً» (٧).

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣/٤) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦/٢) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (٨٣٤٥) بإسناد حسن.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٥٦٨) وإسناده حسن.

(٦) أخرجه أحمد (٨٤١٠) وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم (٦١٠)، والترمذي (٢٥٧٧)، وابن حبان (٧٤٨٦)، وصححه الألباني.

طريق أخرى: قال البرّار: حدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا أبو عامر، حدّثنا محمد بن عمّار، عن صالح مولى التّوأمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر مثل أحد، ومقعدُه من النار مسيرة ثلاث» (١).

طريق أخرى: قال الحسن بن سفيان: حدّثنا يوسف بن عيسى، حدّثنا الفضل بن موسى، عن الفضل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين منكب الكافر مسيرة خمسة أيام للراكب المسرع» (٢).

قال الحسن: وحدّثنا محمد بن طريف البجلي، حدّثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رفعه، قال: «ما بين منكب الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» (٣). قال البيهقي: رواه البخاري، عن معاذ بن أسد، عن الفضل بن موسى. ورواه مسلم، عن أبي كريب وغيره، عن ابن فضيل، ولم يقل: رفعه (٤).

طريق أخرى: قال البرّار: حدّثنا الحسين بن الأسود، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر مثل أحد، وهخذة مثل الوركين، وغلظ جلده أربعون ذراعاً» (٥).

ثم قال البرّار: لا يروي عن أبي هريرة بأحسن من هذا الإسناد، ولم نسمعه إلا من الحسين بن الأسود.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسن بن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن عبد الله بن قيس، قال: سمعت الحارث بن أقيش، يحدث أن أبا برزة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أمتي من يشفع لأكثر من ربيعة ومضر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها» (٦). ورواه أحمد أيضاً، عن محمد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، به (٧).

وقال أحمد: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدّثنا أبو حيان، حدّثني يزيد بن حيان التيمي، قال: وحدّثنا زيد بن أرقم قال: «إن الرجل من أهل النار ليُعظم للنار حتى يكون الضرس من أضرأسه كأحد» (٨).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٧٨)، وأخرجه مسلم (٢٨٥١)، وابن حبان (٧٤٨٧).

(٢) إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٤) قلت: بل رفعه عندهما.

(٥) إسناده ضعيف: ولكن صح بطرقه وشواهد. راجع «الصحيحة» (١١٠٥).

(٦) «المسند» (٢١٢/٤)، وإسناده ضعيف، عبد الله بن قيس مجهول، قال ذلك ابن المديني وتبعه الذهبي والحافظ ابن حجر، وأخرجه ابن مناجه (٤٣٢٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد» (١٠٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦٣) (٣٣٦٤) (٣٣٦٥) (٣٣٦٦)، والحاكم (٧١/١) من طرق عن داود بن أبي هند، به. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢١٢١).

(٧) راجع التخريج السابق.

(٨) «المسند» (٣٦٧/٤) وإسناده صحيح.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرَفِ فِي صُورِ النَّاسِ يَعْلَمُهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ. فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يَسْقُونَ مِنْ طِينَةِ الْخِيَالِ، عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ» (١).

وكذا رواه الترمذی والنسائي، عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن ابن عجلان، وقال الترمذی: حسن. فالمراد أنهم يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَرَصَاتِ كَذَلِكَ، فَإِذَا سَقُوا إِلَى النَّارِ وَدَخَلُوهَا عَظُمَ خَلْقُهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي أوردناها، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَنْكَبُ وَأَشَدَّ فِي عَذَابِهِمْ، وَأَعْظَمَ فِي خَزْيِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦). وَاللَّهُ سَيِّدُهُ أَعْلَمُ.

ذكر أن البحر يسجرو يوم القيامة ويكون من جملة جهنم

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الله بن أمية، حدثنا محمد بن حبيب، حدثنا صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ». قَالُوا لِيَعْلَى. فَقَالَ: لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩)؟ قَالَ: لَا، وَالَّذِي نَفْسُ يَعْلَى بِيَدِهِ، لَا أَدْخُلُهَا أَبَدًا حَتَّى أُعْرَضَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يُصِيبُنِي مِنْهَا قَطْرَةٌ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (٢) وقد رواه البيهقي، من طريق يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو عاصم، حدثنا محمد بن حبيب، عن صفوان بن يعلى، عن يعلى قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ». ثُمَّ تَلَا: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ وهكذا رأيته بخط الحافظ ابن عساكر حدثنا أبو عاصم، حدثني محمد بن حبيب. وفي «المسند» - كما تقدم - بينهما عبد الله بن أمية. وكذلك رواه أبو مسلم الكجج، عن أبي عاصم، عن عبد الله بن أمية، حدثني رجل، عن صفوان بن يعلى، عن يعلى قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ». (٣)

وقال أبو داود: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن مطرف، عن بشر أبي عبد الله، عن بشير بن مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَرْكَبُ الْبَحْرُ إِلَّا حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنْ تَحَتَّ الْبَحْرُ نَارًا، وَتَحَتَّ النَّارُ بَحْرًا» (٤).

ذكر أبواب جهنم، وصفة خزنتها وزبانياتها أعادنا الله من ذلك بما شاء

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مَبْلُغٌ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٧١، ٧٢). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر: ٤٣، ٤٤).

(١) أخرجه الحميدي (٥٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذی (٢٤٩٢)، وأحمد (٦٦٧٧) وإسناده حسن.

(٢) سبق تخريجهما.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٨٩)، وهو منكر، راجع «الضعيفة» (٤٧٨).

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم، حدثنا سعيد بن عثمان، حدثنا بشر بن بكر، حدثني عبد الرحمن بن يزيد، حدثني أبو سعيد: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الصراط بين ظهري جهنم، دحض مزلة، فالأنبياء يقولون عليه: اللهم سلم سلم. والناس كلهم البرق، وكطرف العين، وكأجويد الخيل والبغال والركاب، وشدا على الأقدام، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومطروح فيها، ولها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم» (١).

وقال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا معمر، عن الخليل بن مرة، أن رسول الله ﷺ كان لا ينأى حتى يقرأ «تبارك»، و«حم السجدة» وقال: «الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع، جهنم، والحطمة، ولظى، وسعير، وسقر، والهوية، والجحيم». قال: «تجيء كل حم منها يوم القيامة». أحسبه قال: «تقف على باب من هذه الأبواب، فتقول: اللهم لا تدخل هذه الأبواب، من كان يؤمن بي ويقرأني». ثم قال البيهقي: وهذا منقطع، والخليل بن مرة فيه نظر (٢).

وروى الترمذي من حديث مالك بن مغول، عن جنيذ عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «لجهنم سبعة أبواب؛ باب منها لمن سل السيف على أمتي». أو قال: «على أمة محمد». ثم قال: غريب، لا تعرفه إلا من حديث مالك بن مغول (٣).

وقال كعب (٤): «لجهنم سبعة أبواب، باب منها للحرورية». وقال وهب بن منبه: بين كل باين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حرًا من الذي فوقه بسبعين ضعفًا.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الحنط، عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي، قال: إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض - وأشار أبو شهاب بأصابعه - فيملأ هذا، ثم هذا، ثم هذا. (٥)

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا حجاج، أنبأنا ابن جريج، في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾. قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، وفيها أبو جهل، ثم الهوية (٦).

وقال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ﴾ (التحریم: ٦). أي: غلاظ الأخلاق، شداد الأبدان. ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ (التحریم: ٦). أي: يعزهم، ونيتهم، فهم لا يريدون أن يخالفوه في شيء أبدًا، لا بالعزم ولا بالنية، لا ظاهرًا ولا باطنًا. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦). أي: أن فعلهم

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٥٩) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٦١) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٥٦٨٩) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق، والحكيم في «نوار الأصول» (كما في «الدر» ١٨٧/٤)، وانظر «التخويف من النار» (ص ١١٨) بتحقيقي.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٧)، وابن جرير (٢١١٨٧)، وابن أبي شيبة (١٠/٩٢/٨)، والبيهقي في «البعث» (٤٦٠) وهو صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٨) وإسناده صحيح.

ليس بإرادتهم ولا باختيارهم، بل إنما هو صادر عن أمر الله لهم بما أمروا به، بل لهم قوة على إبراز ما أمروا به من العزم إلى الفعل، فلهم عزم صادق، وأفعال عظيمة، وقوة بليغة، وشدة باهرة.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿المائدة: ٣١﴾ أى لكمال طاعتهم وقوتهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَذَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المائدة: ٣١). أى اختباراً وامتحاناً، وكأن هؤلاء التسعة عشر كالمقدمين الذين لهم أعوان وأتباع، وقد روينا عند قوله تعالى: ﴿خَذُوهُ فَعِلُوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠). أن الرب تعالى إذا قال ذلك وأمر به، ابتدره سبعون ألفاً من الزبانية. وقد قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴿الفجر: ٢٥﴾.

وروى الحافظ الضياء من حديث محمد بن سليمان بن أبي داود، عن أبيه، عن يزيد البصري، عن الحسن البصري، عن أنس مرفوعاً: «والذي نفسى بيده، لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزادون قوة إلى قوتهم، حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام» (١).

ذكر سرادق النار، وهو سورها المحيط بها، وما فيها من المقامع والأغلال

والسلاسل والأنكال، أجازنا الله تعالى من ذلك جميعه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩). وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ﴾ (أ) في عمد ممددة ﴿الهمزة: ٩، ٨﴾.

موصدة أى مطبقة. وقد رواه ابن مردويه فى «تفسيره» من طريق شريك، عن عاصم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة مرفوعاً (٢) ورواه أبو بكر ابن أبى شيبة، عن عبد الله بن أسيد الأحنسي، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن أبى صالح، قوله (٣).

وقال تعالى: ﴿إِن لَّدِينَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (٢٧) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿المزمل: ١٢، ١٣﴾. وقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿غافر: ٧٢، ٧٣﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالصُّرَى ﴿القمر: ٤٨-٥٠﴾. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر: ١٦). وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤١). وقال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (٤٣) يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿الحج: ١٩-٢١﴾.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زهير، حدثنا حسن، عن ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لسرادق النار أربع جدر كثف، كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة» (٤). ورواه الترمذي عن سويد، عن ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، به، نحوه.

(١) إسناده ضعيف جداً، به ثلاثة علل.

(٢) حديث لا يصح.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «النار» (١٠٧).

(٤) أخرجه أحمد (٢٩/٣)، وأبو يعلى (١٣٨٥) وإسناده ضعيف.

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ مَقَمًا مِنْ حَدِيدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانِ مَا أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ» (١). وقال ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَوْ ضُرِبَ بِمَقَمٍ مِنْ حَدِيدٍ جَهَنَّمَ الْجَبَلُ لَفَتَتْهُ قَعَادٌ غُبَارًا» (٢).

وروى الحافظ أبو بكر ابن مردويه في «تفسيره»، من طريق بشير بن طلحة، عن خالد بن دريكة، عن يعلى بن مئبة، عن النبي ﷺ قال: «يُنْشِئُ اللَّهُ لِأَهْلِ النَّارِ سَحَابَةً مُظْلِمَةً، فَإِذَا أَشْرَفَتْ عَلَيْهِمْ نَادَتْهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ، أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ؟ وَمَا الَّذِي تَسْأَلُونَ؟ فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابِ الدُّنْيَا، وَالْمَاءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُونَ: نَسْأَلُ يَا رَبَّنَا الشَّرَابَ. فَتَمْطُرُهُمْ أَغْلَالًا تَزَادُ فِي أَغْلَالِهِمْ، وَسَلْسِلَ تَزَادُ فِي سَلْسِلِهِمْ، وَجَمْرًا يُلْهَبُ النَّارُ عَلَيْهِمْ» (٣).

وقال الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد الكندي، حدثنا سعيد بن زريق، عن حميد بن هلال، عن أبي الأحوص، قال: قال ابن مسعود: أَيُّ أَهْلِ النَّارِ أَشَدُّ عَذَابًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: الْمُنَافِقُونَ. قَالَ: صَدَقْتَ، فَهَلْ تَدْرِي كَيْفَ يُعَذَّبُونَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: يُجْعَلُونَ فِي تَوَابِتٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَتُصَمَّدُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يُجْعَلُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ فِي تَنَانِيرٍ أَضْيَقُ مِنَ الزَّجِّ، يُقَالُ لَهُ: جَبُّ الْحَزَنِ. فَيُطَبَّقُ عَلَى أَقْوَامٍ بِأَعْمَالِهِمْ آخِرَ الْأَبَدِ. (٤)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني علي بن حسن، عن محمد بن جعفر المدائني، حدثنا بكر بن خنيس، عن أبي سلمة الثقفى، عن وهب بن مئبة، قال: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَهَمُ فِي النَّارِ لَا يَهْدُونُ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَمُوتُونَ، يَمْشُونَ عَلَى النَّارِ وَيَجْلِسُونَ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ زَقُومِ النَّارِ، لَحْمِهِمْ نَارٌ، وَفُرْشُهُمْ نَارٌ، وَقُمُصُهُمْ نَارٌ وَقَطْرَانٌ، وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ، وَجَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي سَلْسِلٍ، بِأَيْدِي الْحَزَنَةِ أَطْرَافُهَا، يَجْذِبُونَهُمْ مُقْبِلِينَ وَمُذْبِرِينَ، فَيَسِيلُ صَدِيدُهُمْ إِلَى حَقَرٍ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ شَرَابُهُمْ. قَالَ: ثُمَّ بَكَى وَهَبٌ حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ. قَالَ: وَغَلَبَ بَكَرُ بْنُ خُنَيْسٍ الْبُكَاءَ حَتَّى قَامَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَبَكَى مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بُكَاءً شَدِيدًا. (٥)

وهذا الكلام عن وهب بن مئبة اليماني، وقد كان يَنْظُرُ فِي كِتَابِ الْأَوَائِلِ، وَيَنْقُلُ مِنْ صُحُفِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْغَثِّ وَالسَّمِينِ، وَلَكِنْ لِهَذَا الْكَلَامِ شَوَاهِدٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ﴾ (الزخرف: ٧٤-٧٧). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ

(١) أخرجه أحمد (٢٩/٣)، وأبو يعلى (١٣٨٤) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف النار» (٦٢)، والحاكم (٦٠٠/٤) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني (٦٦٨/٢٥٨/٢٢)، وابن عدى (٣٩٤/٦)، وفيه انقطاع ونكارة.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (١٠٠) وهو منكر.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (١٢٣).

بَعْتَهُ فَتَبَهُتْهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ (الأنبياء: ٤٠). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾﴾ وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم نَعْمَرْكُمْ مَا يَنْذَكُرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ نَصِيرٌ ﴿٣٧﴾ (فاطر: ٣٧). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤١﴾﴾ قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴿٤٢﴾ (غافر: ٤١، ٤٢). وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿٤٣﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿٤٤﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ (الأعلى: ١١-١٣). وتقدم في الصحيح: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون» (١). وفي الحديث المتقدم في ذبح الموت بين الجنة والنار: «ثم يقال: يا أهل الجنة، خلدوا فلا موت، ويا أهل النار، خلدوا فلا موت» (٢). وكيف ينأى من هو في عذاب متواصل، لا يفتر عنه ساعة واحدة ولا لحظة، بل كلما خبت نارهم، زادهم الله سعيراً؛ قال الله تعالى: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ (الحج: ٢٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السَّمْح، عن ابن حُجْرَةَ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبَّ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَيَنْفَذُ الْجَمْعَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلَتْ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ» (٣).

وروى الترمذي، والطبراني، واللفظ له، من حديث قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عن الأعشى، عن شمير ابن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ، فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ، فَيُؤْتُونَ بِطَّعَامِ ذِي غَصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا إِذَا غَضُوا يُسَيِّغُونَهُ بِالشَّرَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ، فَيُؤْتُونَ بِالْحَمِيمِ فِي قِلَالٍ مِنْ نَارٍ، فَإِذَا أُذْنِيَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ قَشَرَتْ وَجُوهُهُمْ، فَإِذَا دَخَلَتْ بِطُونُهُمْ قَطَعَتْ أَمْعَاءَهُمْ وَمَا فِي بَطُونِهِمْ، فَيَسْتَغِيثُونَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٥٠). فَيَقُولُونَ: ادْعُوا لَنَا مَا لَيْكَ. فَيَقُولُونَ: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ (الزخرف: ٧٧). فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (المؤمنون: ١٠٦). فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿اخْسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوا﴾ (المؤمنون: ١٠٨) (٤). ورواه الترمذي عن الدارمي، وحكى عنه أنه قال: الناس لا يرفعون هذا الحديث. قال الترمذي: إنما يروى عن أبي الدرداء، قوله.

ذكر طعام أهل النار وشرابهم

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْجُوعِ﴾ (الغاشية: ٦، ٧). والضريع شوك بأرض الحجاز، يقال له: الشبرق. وفي حديث الضحَّاك، عن ابن عباس مرفوعاً:

(١) سيأتي بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٤/٢) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٨٦)، والطبري (٢٥٦٨٧) وإسناده ضعيف.

«الضَّرِيعُ شَيْءٌ يَكُونُ فِي النَّارِ، يَقَالُ: يُشْبِهُ الشَّوْكَ، أَمَرَ مِنَ الصَّبْرِ، وَأَنْتَنَ مِنَ الْجَيْفَةِ، وَأَشَدَّ حَرًّا مِنَ النَّارِ، إِذَا طَعِمَهُ صَاحِبُهُ لَا يَدْخُلُ الْبَطْنَ، وَلَا يَرْتَفِعُ إِلَى الصَّمِّ، فَيَبْقَى بَيْنَ ذَلِكَ، لَا يُسْمَنُ وَلَا يُغْنَى مِنْ جُوعٍ» (١). وهذا حديثٌ غريبٌ جداً.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١٦) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ (المزمل: ١٢، ١٣). وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿ (إبراهيم: ١٦، ١٧). وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلُهَا الضَّالُّونَ الْكَذِبُونَ﴾ (٥١) لَا تَكُونُوا مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿ (٥٢) فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ (٥٤) فَشَارِبُونَ شَرْبَ الْهَلِيمِ ﴿ (٥٥) هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ (الواقعة: ٥١-٥٦). وقال تعالى: ﴿أَذْكَى خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَاسُ الشَّيَاطِينِ ﴿ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَا كَافِرِينَ مِنْهَا فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿ (الصفات: ٦٢-٦٨).

وقال عبد الله بن المبارك: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ الْيَحْصِي، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ. قال: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ، فَيَتَكَرَّمُهُ، فَإِذَا أَذْنَى مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةٌ رَأْسِهِ فِيهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥). وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ (الكهف: ٢٩)» (٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ تَصْرِ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، بِهِ نَحْوَهُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ.

وفى حديث أبي داود الطيالسي، عن شُعْبَةَ، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢). قَالَ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قَطُرَتْ فِي بَحَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَيْهِمْ مَعَاشِيَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟» (٣) وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ غِيْلَانَ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ.

وقال أبو يَعْلَى الموصلي: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْجَبِ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنَا دَرَّاجٌ أَبُو السَّمْحِ، أَنَّ أَبَا الْهَيْثَمِ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ دَرَّاجًا مِنْ غَسَاقٍ يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا» (٤). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ دَرَّاجٍ. وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَنْظُرُ إِلَى عِيْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ غَضَبَانُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ. فَيَأْخُذُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ، أَوْ يَزِيدُونَ، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ غَضَبًا لَغَضَبِ اللَّهِ، فَيَسْجُونَهُ

(١) إسناده ضعيف جداً: الضحاك متروك ولم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٥/٥)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٥٨٣) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٠/١)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٨٣/٣-٢٨)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٥٨٤)، وإسناده ضعيف.

عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ، فَالنَّارُ عَلَيْهِ أَشَدُّ غَضَبًا مِنْهُمْ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا، فَيَسْتَفِثُ بِشَرِيَّةٍ، فَيُسْقَى شَرْبَةً يَسْقُطُ مِنْهَا لَحْمُهُ، وَعَصَبُهُ، وَيُكَدَّسُ فِي النَّارِ، فَوَيْلٌ لَهُ مِنَ النَّارِ. (١)

وعنه أيضاً أنه قال: هل تدرون ما عَسَّاق؟ قالوا: لا. قال: إنها عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، مِنْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَسْتَنْفَعُ، وَيُؤْتَى بِالْأَدْمَى، فَيَغْمَسُ فِيهِ غَمْسَةً وَاحِدَةً، فَيَخْرُجُ وَقَدْ سَقَطَ جِلْدُهُ عَنِ الْعِظَامِ، وَتَعَلَّقَ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ فِي كَعْبِيهِ، فَيَجْرُ لَحْمُهُ، كَمَا يَجْرُ الرَّجُلُ تَوْبَهُ. (٢)

ذَكَرَ أَمَاكُنَ فِي النَّارِ وَرَدَّتْ بِأَسْمَائِهَا الْأَحَادِيثُ وَبَيَانٌ صَحِيحٌ ذَلِكَ وَسَقِيمُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿(القارعة: ٨، ٩). قيل: فَأَمَّ رَأْسَهُ هَاوِيَةٌ: أَيْ سَاقِطَةٌ، مِنَ الْهَوَى فِي النَّارِ (٣). قال ابن جريج: الْهَاوِيَةُ: هِيَ أَسْفَلُ دَرَكٍ فِي النَّارِ (٤). كما ورد في الحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (٥). وفي رواية: «سَبْعِينَ خَرِيفًا» (٦). وقيل: المراد بقوله: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾: أَيْ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ، أَوْ هِيَ صِفَةُ النَّارِ مِنْ حَيْثُ هِيَ.

وقد ورد في الحديث ما يُوَقِّى هذا المعنى، واللَّهُ أَعْلَمُ.

قال أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه: حدثنا عبد الله بن خالد بن محمد بن رستم، حدثنا محمد بن طاهر بن أبي الدُمَيْك، حدثنا إبراهيم بن زياد، سَيَّلَانُ، حدثنا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ، حدثنا رَوْحُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ سَمِعَ ثَابِتَ الْبَنَانِي يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ تَلَقَّتْهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُونَهُ: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ مَا فَعَلَتْ فَلَانَةٌ؟ فَإِنْ كَانَ مَاتَ وَلَمْ يَأْتِهِمْ، قَالُوا: خُولِفَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَيُنْسَتِ الْأُمُّ، وَيُنْسَتِ الْمَرْبِيَّةُ. حَتَّى يَقُولُوا: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ هَلْ تَزَوَّجَ؟ مَا فَعَلَتْ فَلَانَةٌ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ يَسْتَرْجِعْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا» (٧).

وقال ابن جريج: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن تَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الْأَشْعَثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَى، قَالَ: إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ ذَهَبَ بِرُوحِهِ إِلَى أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُونَ: رَوْحُوا أَخَاكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا. قَالَ: وَيَسْأَلُونَهُ: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَيَقُولُ: مَاتَ، أَوْ مَا جَاءَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ. (٨)

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٨٦)، وابن أبي الدنيا في «النار» (٢٣٩).

(٢) أخرجه ابن جريج (٢٩٩٩٦)، وابن أبي الدنيا في «النار» (٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٨).

(٤) أخرجه ابن جريج (٣٧٨٦٢) عن قتادة.

(٥) (٦، ٥) سبق تخريجهما.

(٧) إسناده ضعيف جداً.

(٨) ابن جريج (٣٧٨٦٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٨٥) وإسناده صحيح.

وروى الحافظ الضياء من طريق شريك القاضي، عن الأعمش، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا - أَوْ قَالَ: يَكْفِرُ كُلَّ ذَنْبٍ - إِلَّا الْأَمَانَةَ، يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْأَمَانَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَدَّ أَمَانَتَكَ. فَيَقُولُ: أُنَى يَا رَبِّ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهَوَايَةِ، فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَيْهَا، فَيَهْوَى فِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَعْرِهَا، فَيَجِدُهَا هُنَاكَ كَهَيْئَتِهَا، فَيَحْمِلُهَا، فَيُضَعُّهَا عَلَى عَاتِقِهِ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْهَا، زَلَّتْ، فَهَوَى فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ».

قال: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الوضوء، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الودائع. قال -يعني زاذان: فلقيت البراء، فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق. (١) وهذا الحديث ليس هو في المسند، ولا في شيء من الكتب الستة.

سَجَنٌ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولْسُ

تقدم ذكره في حديث رواه الإمام أحمد، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ. (٢)

جِبُّ الْحَزَنِ

قال علي بن حرب: حدثنا عبد الرحمن بن محمد، حدثنا عمَّار بن سيف، عن أبي معاذ، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ جِبِّ الْحَزَنِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِبُّ الْحَزَنِ؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَسْتَعِيدُ جَهَنَّمَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعِمِائَةَ مَرَّةً، أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْقَرَاءِ الْمَرَاتِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِ الْقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُؤَاوِرُونَ الْأُمَرَاءَ الْجَوْرَةَ». (٣)

ورواه الترمذي، وابن ماجه، من حديث عمَّار بن سيف، عن أبي معاذ -وهو الصواب- به. اختصره الترمذي، وقال: غريب. وعنده: «مِائَةً مَرَّةً». وبسطه ابن ماجه، وعنده: «يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ الْجَوْرَةَ».

جِبُّ الْفَلَقِ

قال هشيم: عن العوام بن حوشب، عن عبد الجبار الخولاني، قال: قدم علينا رجل من أصحاب النبي ﷺ دمشق، فرأى ما فيه الناس من الحرص على الدنيا، والشهوات، وما هم فيه من زيتها، فقال: وما يغني عنهم ذلك؟ أليس من ورائهم الفلق؟! قيل له: وما الفلق؟ قال: جب في النار، إذا فتح هر منه أهل النار. كذا، ولم يقل: فر منه أهل النار، بل هر منه. كذا ذكر ابن عساكر في ترجمة رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(١) أخرجه الطبراني (١٠٥٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٧/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٨٣)، وابن ماجه (٢٥٦)، وإسناده ضعيف.

ذِكْرُ وَادِي لَمْلَمَ

قال الحسن بن سفيان: حدثنا حبان بن موسى، حدثنا ابن المبارك، حدثنا يحيى بن عبيد الله: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ نَوَادِيًا يُقَالُ لَهُ: لَمْلَمَ. إِنَّ أَوْدِيَةَ جَهَنَّمَ لَتَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ حَرِّهِ». هذا حديث غريب. (١)

ذِكْرُ نَهْرِ فِيهَا هُوَ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ نَهْرِ الْقُلُوطِ مِنْ أَنْهَارِ الدُّنْيَا

وهو مجتمع الأوساخ، والأقذار، والتَّيْنِ، أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه.
قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبيد الله، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: قرأت على الفضيل بن ميسرة، عن حديث أبي حريز، أَنَّ أَبَا بُرْدَةَ حَدَّثَهُ، عَنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنٌ خَمْرٍ، وَقَاطِعٌ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسَّحْرِ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ». قِيلَ: وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ؟ قَالَ: «نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِسَاتِ، يُوْدِي أَهْلَ النَّارِ رِيحَ فُرُوجِهِنَّ». (٢)

ذِكْرُ وَادٍ أَوْ بَثْرٍ فِيهَا يُقَالُ لَهُ: هَبْهَبٌ

قال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الأزهر بن سنان، حدثنا محمد بن واسع، قال: دخلت على بلال بن أبي بردة، فقلت له: يا بلال، إِنَّ أَبَاكَ حَدَّثَنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: هَبْهَبٌ. حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ، فَإِيَّاكَ يَا بِلَالُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَسْكُنُهُ». (٣)

وقد رواه الطبراني من حديث سعيد بن سليمان، عن أزهر بن سنان، عن محمد بن واسع، أنه دخل على بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى، فقال له: إِنَّ أَبَاكَ حَدَّثَنِي، عَنْ جَدِّكَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا، فِي الْوَادِي بَثْرٌ يُقَالُ لَهُ: هَبْهَبٌ. حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ». تفرد به أزهر بن سنان، وقد تكلم فيه بعض الحفاظ، وليَّنه. (٤)

ذِكْرُ وَيْلٍ وَصَعُودٍ

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ١٥). وقال تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا﴾ (المدثر: ١٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، قال: «وَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يَهْوَى فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيضًا قَبْلَ أَنْ

(١) إسناده ضعيف جداً: أخرجه أبو نعيم في «الزوائد» (٣٣١)، وابن أبي الدنيا في «النار» (٣٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٨/٨) من طريق ابن المبارك بهذا الإسناد. وإسناده ضعيف، يحيى بن عبيد ضعيف جداً.
(٢) أخرجه أحمد (٣٩٩/٤)، وأبو يعلى (٧٢٤٨)، وابن حبان (٥٣٤٦)، وإسناده ضعيف.
(٣) أخرجه ابن المبارك (٣٣٢)، وابن أبي الدنيا في «النار» (٣٤)، وإسناده ضعيف.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٣٥)، وابن أبي شيبة (٤٣/٩٨/٨)، والدارمي (٢٨١٦)، وأبو يعلى (٧٢٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٤٨)، وإسناده ضعيف جداً.

يَبْلُغُ قَعْرَهُ، وَالصُّعُودُ: جَبَلٌ مِنْ نَارٍ، يَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوَى بِهِ كَذَلِكَ فِيهِ أَبَدًا^(١). وكذا رواه الترمذی، عن عبد بن حمید، عن الحسن بن موسى الأشيب، عن ابن لهيعة، عن دراج، ثم قال: غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من طريق ابن لهيعة. كذا قال. وقد رواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، به. وبكل حال فهو حديث غريب، بل منكّر، والأظهر في تفسيره ويل أنه ضد السلامة والنجاة، كما تقول العرب: ويل له، ويا ويله، وويله.

وقد روى البزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من حديث شريك القاضي، عن عمارة الدهني، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَارَهُقَهُ صُعُودًا﴾. قال: «هو جبل في النار من نار، يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت»^(٢).

وقال قتادة: قال ابن عباس: صُعُودٌ: صخرة في جهنم، يسحب عليها الكافر على وجهه^(٣). وقال السدي: صُعُودٌ: صخرة ملساء في جهنم، يكلف أن يصعدها.

وقال مجاهد: ﴿سَارَهُقَهُ صُعُودًا﴾. أي مشقة من العذاب^(٤).

وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه. واختاره ابن جرير^(٥).

ذكر حياتها وعقاريها، أعادنا الله منها برحمته

قال تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠). وثبت في «صحيح البخاري» من طريق عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يأخذن بلهزمتيه فيقول: أنا مالك، أنا كنزك». وفي رواية: «يفر منه، وهو يتبعه، ويتقي منه، فيلقمه يده، ثم يطوقه»^(٦). وقرأ هذه الآية. وقد روى مثله عن ابن مسعود مرفوعاً^(٧).

وقال الأعمش: عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: ٨٨) قال: زيدوا عقارب، لها أذناب كالنخل الطوال^(٨).

(١) أخرجه أحمد (٧٥/٣)، والترمذي (٢٥٧٦) (٣١٦٤)، وأبو يعلى (١٣٨٣) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٥٤١٢) وإسناده ضعيف.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم عن ابن عباس (١٩٠٣٧).

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٥٤١٤) (٣٥٤١٥) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٣٥٤١٦) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه البخاري (١٤٠٣) (٤٥٦٥)، وأحمد (٨٦٦١)، والنسائي (٣٩/٥).

(٧) أخرجه الشافعي (٢٢٢/١)، والحميدي (٩٣)، وأحمد (٣٥٧٧)، والترمذي (٣٠١٢)، والنسائي (١١/٥)، وابن ماجه

(١٧٨٤)، مرفوعاً بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٠/١٣)، وهناد (٢٦٠)، وأسد بن موسى في «الزهد» (٢٦)، وأبو يعلى (٢٦٥٩)، والطبراني (٢٥٨/٩)، وإسناده صحيح وله حكم الرفع.

وروى البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق، عن أصبغ بن الفرج، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السَّمْح حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الزَّيْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي النَّارِ لَحَيَاتٍ أَمْثَالُ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، يَلْسَعْنَ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِيهَا لَعَقَارِبَ كَالْبَيْغَالِ الْمُؤَكَّفَةِ، يَلْسَعْنَ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا» (١).

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْخَنْزَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُسْمَانَ، أَبُو الْجَاهِرِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَوْسَفَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ، حَدَّثَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّمَالِيُّ - وَكَانَ قَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، وَحَجَّ مَعَهُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ - أَنَّ تَفْسِيرَ بَنٍ مُجِيبٍ (٢) - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - وَقَدْ مَاتَ - قَالَ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ أَلْفَ وَادٍ، فِي كُلِّ وَادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شَعْبٍ، فِي كُلِّ شَعْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دَارٍ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شَقٍّ، فِي كُلِّ شَقٍّ سَبْعُونَ أَلْفَ ثُعْبَانٍ، فِي شَذْقِ كُلِّ ثُعْبَانٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَقْرَبٍ، لَا يَنْتَهِي الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ حَتَّى يُوَاقِعَ ذَلِكَ كُلَّهُ (٣). وهذا موقفٌ، وغريبٌ جداً، بل مُكْرَرٌ نَكَارَةً شَدِيدَةً، وسعيد بن يوسف هذا - الذي حَدَّثَ عَنْهُ به إسماعيل بن عيَّاش - مجهولٌ، والله أعلم، وبتقدير رواية إسماعيل بن عيَّاش له، عن يحيى ابن أبي كثير، وهو حجازي، وإسماعيل في غير الشاميين غير مقبول، وقد ذَكَرَ هَذَا الْأَثَرُ الْبُخَارِيُّ فِي «تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ»، بِنَحْوِ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وقد ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِهِ: «غِيٌّ» وَ«أَثَامٌ»، أَنَّهُمَا وَادِيَانِ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ، أَجَارَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا (٤). وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (الكهف: ٥٢). قال: هو نَهْرٌ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ (٥). وقال عبد الله بن عمرو، ومجاهد: هو وادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ. زاد عبد الله بن عمرو: عميقٌ، فرق به يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى، وَأَهْلِ الضَّلَالَةِ (٦).

وروى البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن عباس الدوري، عن ابن معين، عن هشيم، عن العوام بن حوشب، عن عبد الجبار التولاني، قال: قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ دِمَشْقَ، فَرَأَى مَا فِيهِ النَّاسُ - يَعْنِي مِنَ الدُّنْيَا - فَقَالَ: وَمَا يُعْنَى عَنْهُمْ، أَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهِمُ الْقَلْقُ؟ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَثَرُ (٧).

وروى البيهقي، عن الحاكم وغيره، عن الأصم، عن إبراهيم بن مرزوق بمصر، عن سعيد بن عامر، عن شعبة، قال: كَتَبَ إِلَى مَنْصُورٍ وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ رَجُلًا مِنَ الزَّهَادِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الْجِيُوشِ، فَخَطَبَنَا يَوْمًا، فَحَمِدَ اللَّهَ،

(١) أخرجه أحمد (١٩١/٤)، وأسد في «الزهد» (٢٢)، وإسناده ضعيف.

(٢) في النسخ «نصر» وصوابه «نفير» أو «سفيان» والثاني أصح وهو ابن مجيب الثمالي الصحابي الجليل - انظر «الإصابة» (١٠٨/٣).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٩٧) وهو منكرو لا يصح.

(٤) عن أبي أمامة مرفوعاً: «غى وأثم بثران من أسفل جهنم يسيل منهما صديد أهل النار» أخرجه ابن أبي الدنيا (١٧)، وابن جرير (٢٣٧٩٠)، والطبراني (٧٧٣١) ولا يصح.

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٧٨)، وابن جرير (٢٣١٥٢)، والبيهقي «بعث» (٤٧٢) عن أنس بإسناد ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٧٣).

(٧) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٨٠) وهو معضل.

وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم، ما أحسن أثر نعمة الله عليكم لو تروا ما أرى من بين أحمر وأصفر ومن كل لون، وفي الرجال ما فيها، إنه إذا أقيمت الصلاة فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار، وإذا التقى الصفان فتحت أبواب الجنة وأبواب النار وزين الحور العين فيطلعن، فإذا أقبل أحدكم بوجهه إلى القتال، قلن: اللهم ثبته، اللهم أنصره. وإذا أدبر احتجب عنه، وقلن: اللهم اغفر له، فانهكروا وجوه القوم، فداكم أبي وأمي، فإن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحط الله بها عنه خطاياها، كما يحط الغصن من ورق الشجر، وتبتدره، اثنتان من الحور العين ويمسحان التراب عن وجهه، وتقولان: فداناً لك. ويقول: فداناً لكما. فيكسى مائة حلة لو وضعت بين إصبعي هاتين لوسعتهما، ليست من نسج بنى آدم، ولكنها من ثياب الجنة، إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيمائكم ونجواكم وحلالكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك، يا فلان، لا نور لك، وإن لجهنم جباً من ساحل كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبحايات، وعقارب كالغال الدلم، أو كالدلم الغال، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل. فتأخذهم تلك الهوام يشفاههم وجنوبهم، وبما شاء الله من ذلك، فتكشطها فيرجعون، فيبادرون إلى معظم النار، ويسلط عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يندو العظم، فيقال له: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين. (١)

وروى الترمذي، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ. وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ». (٢)

وروى البيهقي، عن أبي سعيد، أو عن ابن حنبل، عن أبي هريرة، أن أحدهما حدثه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ حَارِّ أَلْقَى اللَّهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لْجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدْ اسْتَجَارَ بِي مِنْكَ، وَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ أَجَرْتَهُ. وَإِذَا كَانَ يَوْمُ شَدِيدِ الْبَرْدِ أَلْقَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ بَرْدُ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهِرِ جَهَنَّمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لْجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدْ اسْتَجَارَ بِي مِنْ زَمْهِرِكَ، وَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ أَجَرْتَهُ». قالوا: وَمَا زَمْهِرُ جَهَنَّمَ؟ قال: «جُبٌّ يُلْقَى فِيهِ الْكَافِرُ فَيَتَمَيَّزُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ». (٣)

فصل

قال القرطبي: قال العلماء: أعلى الدرجات جهنم، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ،

- (١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٥٦٢) موقوفاً، وجاء مرفوعاً ولا يصح.
 (٢) أخرجه هناد (١٧٣)، وأحمد (٢٠٨/٣)، والترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٢٧٩/٨)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، والطبراني «دعاء» (١٣١٠) (١٣١١)، وابن حبان (١٠٣٤)، وهو صحيح.
 (٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم» (٣٠٦)، وإسناده ضعيف مع اضطرابه.

وهي التي تخلو من أهلها، فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. (١)

وقال الضحاك: في الدرك الأعلى المحدثون، وفي الثاني النصارى، وفي الثالث اليهود، وفي الرابع الصابئون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون (٢). قلت: هذه المراتب والمنازل، وتخصيصها بهؤلاء، مما يحتاج إثباته إلى سند صحيح إلى المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، أو قرآن ناطق بذلك، ولكن معلوم أن هؤلاء كلهم يدخلون النار، وكونهم يكونون على هذه الصفة في الأخبار، وعلى هذا الترتيب، فאלله أعلم بذلك، فأما المنافقون ففي الدرك الأسفل من النار بنص القرآن لا محالة.

قال القرطبي: فمن هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها بجملتها، نحو جهنم، وسعير، ولظى، فهذه أعلام ليست لباب دون باب. وصدق فيما قال.

وقال حرمله، عن ابن وهب، أخبرني عمرو أن دراجا أبا السمع حدثه، أنه سمع عبد الله بن الحارث بن جزة الزبيدي، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في النار لحيات أمثال أعناق البخت». وقد تقدم هذا الحديث. (٣)

وقال الطبراني: حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن الربيع، عن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ (النحل: ٨٨). قال: «عقارب أمثال النخل الطوال، تنهشهم في جهنم» (٤). وقد رواه الثوري، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود، قوله، وتقدم. (٥)

وقال ابن أبي الدنيا (٦): حدثنا شجاع بن الأشرس، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن محمد بن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن كعب الأخبار، قال: حيات جهنم أمثال الأودية، وعقاربها أمثال القلال، وإن لها لأذنانا كأمثال الرماح، تلقى إحداهن الكافر فتلسعه، فيتناثر لحمه على قدميه.

ذكر بكاء أهل النار فيهما

قال أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خداس، حدثنا محمد بن حميد، عن ابن المبارك، عن عمران بن زيد، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى

(١) راجع «التذكرة» له (ص ٣٣١).

(٢) إسناده ضعيف جداً.

(٣) سبق تخريجهما.

(٤) أخرجه أسد بن موسى في «الزهد» (٢٥).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «النار» (٩٥).

تَسِيلُ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ، حَتَّى تَنْقَطَعَ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلَ فَتَقْرَحَ الْعُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سَفَنًا أُرْسِلَتْ فِيهَا لَجَرَتْ» (١). ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن حنبل. (٢)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن العباس، حدثنا حماد الجزري، عن زيد بن رفيع، رفعه، قال: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ بَكَوْا الدُّمُوعَ زَمَانًا، ثُمَّ بَكَوْا الْقَيْحَ زَمَانًا، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ: يَا مَعْشَرَ الْأَشْقِيَاءِ، تَرَكْتُمُ الْبِكَاءَ فِي الدَّارِ الْمَرْحُومِ فِيهَا أَهْلُهَا وَتَبْكُونَ فِي الدَّارِ الَّتِي لَا يَرْحَمُ أَهْلُهَا، هَلْ تَجِدُونَ الْيَوْمَ مَنْ تَسْتَغِيثُونَ بِهِ؟» قال: «فَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَا مَعْشَرَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ، خَرَجْنَا مِنَ الْقُبُورِ عَطَاشًا، وَكُنَّا طَوَّلَ الْمَوْقِفِ عَطَاشًا، وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي النَّارِ عَطَاشًا، فَأَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ..» قال: «فَيَدْعُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يُجِيبُهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ يُجِيبُهُمُ الْمَلَكُ: ﴿إِنَّكُمْ مَأْكُونٌ﴾.» قال: «فَيَأْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.» (٣)

قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله - هو ابن المبارك - أخبرنا سعيد بن يزيد أبو شعاع، عن أبي السَّمْح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾. قال: «تَشْوِيهِ النَّارِ، فَتَقْلُصُ شَفَتَهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْرُخِي شَفَتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تَبْلُغَ سُرَّتَهُ.» (٤)

ورواه الترمذي، عن سويد، عن ابن المبارك، به، وقال: حسن صحيح غريب.

وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزازي، حدثنا الخضر بن علي بن يوسف (٥) القَطَّانُ، حدثنا عم الحارث بن الخضر القَطَّانُ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أخيه، عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ قال: «تَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً، فَتَسِيلُ لَحُومَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» (٦). أجازنا الله منها، آمين.

أحاديث شتى في صفة النار وأهلها

قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبو الشعثاء علي بن الحسن الواسطي، حدثنا خالد بن نافع الأشعري، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ، قَالَ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ الْإِسْلَامُ، وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ، فَأَخَذْنَا بِهَا. فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ

(١) أخرجه أبو يعلى (٤١٢٠)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٢٤) وإسناده ضعيف.

(٣) إسناده معضل: وهو في «النار» لابن أبي الدنيا (٢١١).

(٤) أحمد (٨٨/٣)، والترمذي (٢٥٨٧) (٣١٧٦)، وأبو يعلى (١٣٦٧)، بسند ضعيف.

(٥) في ابن كثير «تفسير» (٢٥٧/٣) يونس بدلا من يوسف.

(٦) إسناده ضعيف.

فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مَنْ بَقِيَ فِي النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ، فَخُذْ كَمَا خُذُوا. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ﴿آل تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مبینٍ﴾ ﴿رَبِّمَا يُوْذُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ﴾ (الحجر: ١، ٢). (١)

وقال الطبرانی: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا إسحاق بن راهويه قال: قلت لأبي أسامة: أحدثكم أبو روق عطية بن الحارث، حدثني صالح بن أبي طريف، سألت أبا سعيد الخدري، فقلت له هل سمعت رسول الله ﷺ، يقول في هذه الآية: ﴿رَبِّمَا يُوْذُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ﴾؟ قال: نعم، سمعته يقول: «يُخْرِجُ اللَّهُ نَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ مِنْهُمْ». وقال: «لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَمَا بِالْكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ، فَيُشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ، وَيُشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، حَتَّى يُخْرِجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتَدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ، فَتُخْرِجُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّمَا يُوْذُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ﴾. فَيُسَمُّونَ فِي الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّونَ. مِنْ أَجْلِ سَوَادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَذْهَبَ عَنَّا هَذَا الْأَسْمُ. فَيَأْمُرُهُمْ، فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرِ الْجَنَّةِ، فَيَذْهَبُ ذَلِكَ الْأَسْمُ عَنْهُمْ». فأقر به أبو أسامة، وقال: نعم. (٢)

وقال الطبرانی: حدثنا محمد بن العباس - هو الآخر - حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا صالح بن إسحاق الجهدي، وأثنى عليه يحيى بن معين، حدثنا معمر بن واصل، عن يعقوب بن أبي نباتة، عن عبد الرحمن الأغر، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ نَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ اللَّاتِ وَالْعِزَّى: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ قَوْلُكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَبْرءُونَ مِنْ حَرِّهِمْ، كَمَا يَبْرَأُ الْقَمَرُ مِنْ كُسُوفِهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمُّونَ فِيهَا الْجَهَنَّمِيِّينَ». فقال رجل: يا أنس، أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدٍ، فَلَيْتَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». نعم، أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا. (٣)

قال الطبرانی: لم يروه عن معمر بن واصل إلا صالح بن إسحاق الجهدي.

أثر غريب وسياق عجيب

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، حدثنا طلحة بن سنان، حدثنا عبد الملك بن أبجر، عن الشعبي، عن أبي هريرة قال: يؤتى بجهنم يوم القيامة ثقاد بسبعين ألف زمام، أخذ بكل زمام سبعون ألف ملك، وهي تمايل عليهم حتى توقف عن يمين العرش، ويلقى الله عليها الذل يومئذ، فيوحى الله إليها: ما هذا الذل؟ فتقول: يا رب، أخاف أن يكون لك في

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٨٤٣)، وابن جرير (٢١٠٠٥)، والحاكم (٢٤٢/٢)، والبيهقي في «البعث» (٧٩) وهو صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨١١٠)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٩٣) وإسناده ضعيف.

نقمة. فَيُوحَى اللَّهُ إِلَيْهَا: إِنَّمَا خَلَقْتُكَ نَقْمَةً، وَلَيْسَ لِي فِيكَ نَقْمَةٌ. فَيُوحَى اللَّهُ إِلَيْهَا، فَتَزْفَرُ زَفْرَةً لَا تَبْقَى دَمْعَةٌ فِي عَيْنٍ إِلَّا جَرَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَزْفَرُ أُخْرَى، فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا صَعِقَ، إِلَّا نَبِيَّكُمْ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ﷺ، يَقُولُ: يَا رَبُّ، أُمَتِّي أُمَتِّي. (١)

أَشْرَ أَخْرَمَ مِنْ أَضْرَبِ الْأَثَارِ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ (٢) الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَنِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَائِشَةَ، حَدَّثَنَا سَلَمٌ (٣) الْخَوَّاصُ، عَنْ فِرَاتِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ زَادَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَتَزَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ، فَصَارُوا صُفُوفًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا جَبْرِيلُ أَتْنِي بِجَهَنَّمَ. فَيَأْتِي بِهَا جَبْرِيلُ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ مِنَ الْخَلَائِقِ عَلَى قَدَرِ مِائَةِ عَامٍ زَفَرَتْ زَفْرَةً طَارَتْ لَهَا أَفْسَدَةُ الْخَلَائِقِ، ثُمَّ زَفَرَتْ ثَانِيَةً، فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا جِئًا لِرُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ زَفَرَتْ الثَّالِثَةَ، فَتَبْلُغُ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ، وَتَذْهَلُ الْعُقُولُ، فَيَفْزَعُ كُلُّ امْرِئٍ إِلَى عَمَلِهِ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ: يَخْلَتْنِي لَا أَسْأَلُكَ إِلَّا نَفْسِي. وَيَقُولُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَنَاجَاتِي لَا أَسْأَلُكَ إِلَّا نَفْسِي. وَإِنَّ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَيَقُولُ: بِمَا أَكْرَمْتَنِي لَا أَسْأَلُكَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ مَرِيَمَ ابْنَتِي وَلَدَتْنِي. وَمُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ: أُمَتِّي أُمَتِّي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ أُمَتِّي.

قال: فَيُجِيبُهُ الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ: أُولِيائِي مِنْ أُمَّتِكَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، فَوْعَزْتَنِي وَجَلَّالِي لِأَقْرَنَ عَيْنِكَ فِي أُمَّتِكَ. ثُمَّ تَقِفُ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَنْتَظِرُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَى وَتَقْدَسُ: مَعَاشِرَ الزَّبَانِيَّةِ، انْطَلِقُوا بِالْمُصْرِرِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ إِلَى النَّارِ، فَقَدْ اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَيْهِمْ بِتَهَاوُنِهِمْ بِأَمْرِي فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَاسْتَخْفَافِهِمْ بِحَقِّي، وَانْتِهَاكِهِمْ حُرْمَتِي، يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ، وَيُبَارِزُونِي بِالْمَعَاصِي مَعَ كَرَامَتِي لَهُمْ، وَتَفْضِيلِي إِيَّاهُمْ عَلَى الْأُمَمِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا فَضْلِي، وَعَظَّمُ نِعْمَتِي.

فَعِنْدَهَا تَأْخُذُ الزَّبَانِيَّةُ بِلِحَى الرِّجَالِ، وَذَوَائِبِ النِّسَاءِ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُسَاقُ إِلَى النَّارِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مُسَوِّدًا وَجْهَهُ، وَقَدْ وُضِعَتِ الْأُنْكَالُ فِي قَدَمَيْهِ، وَالْأَغْلَالُ فِي عُنُقِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّهُمْ يُسَاقُونَ بِالْوَانِهِمْ، فَإِذَا وَرَدُوا عَلَى مَالِكٍ قَالُ لَهُمْ: مَعَاشِرَ الْأَشْقِيَاءِ، مِنْ أَيِّ أُمَّةٍ أَنْتُمْ؟ فَمَا وَرَدَ عَلَى أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْكُمْ. فَيَقُولُونَ: يَا مَالِكُ، نَحْنُ مِنْ أُمَّةِ الْقُرْآنِ. فَيَقُولُ لَهُمْ: مَعَاشِرَ الْأَشْقِيَاءِ، أَوَلَيْسَ الْقُرْآنُ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قَالَ: فَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالنَّحِيبِ وَالْبَكَاءِ. وَامْحَمْدَاهُ، يَا مُحَمَّدُ، اشْفَعْ لِمَنْ آمَنَ بِكَ مِمَّنْ أُمِرَ بِهِ إِلَى النَّارِ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «النَّارِ» (١٨٢) وَإِسْنَادُهُ فِيهِ انْقِطَاعٌ.

(٢) فِي «الْحَلِيَّةِ»: الْحُسَيْنُ.

(٣) فِي «الْحَلِيَّةِ»: سَلَامٌ، وَالصَّوَابُ سَلَمٌ.

أَمْتُكَ. قال: فِينَادَى مَالِكُ، بِتَهْدُدٍ وَانْتِهَارٍ: يَا مَالِكُ، مَنْ أَمَرَكَ بِمُعَاتِبَةِ الْأَشْقِيَاءِ وَمَحَادَثَتِهِمْ، وَالتَّوَقُّفِ عَنْ إِدْخَالِهِمُ الْعَذَابَ؟ يَا مَالِكُ، لَا تُسَوِّدُ وُجُوهَهُمْ؟ فَقَدْ كَانُوا يَسْجُدُونَ لِي بِهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا، يَا مَالِكُ لَا تَغْلُظْهُمْ بِالْأَغْلَالِ؛ فَقَدْ كَانُوا يَغْتَسِلُونَ مِنَ الْجَنَابَةِ، يَا مَالِكُ، لَا تُقَيِّدْهُمْ بِالْأَنْكَالِ؛ فَقَدْ طَافُوا حَوْلَ بَيْتِي الْحَرَامِ، يَا مَالِكُ لَا تُلْبِسْهُمْ الْقَطْرَانَ؛ فَقَدْ خَلَعُوا ثِيَابَهُمُ لِلْإِحْرَامِ، يَا مَالِكُ، مَرُّ النَّارِ لَا تَحْرِقُ أَلْسِنَتَهُمْ؛ فَقَدْ كَانُوا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، يَا مَالِكُ، قُلْ لِلنَّارِ تَأْخُذْهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَالنَّارُ أَعْرَفُ بِهِمْ وَبِمَقَادِيرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِهَا. فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رِجْلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى سُرَّتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى صَدْرِهِ.

قال: فَإِذَا انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِ كِبَائِرِهِمْ وَعَثُوثِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ فَتَحَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَشْرِكِينَ بَابًا، وَهُمْ فِي الطَّبَقِ الْأَعْلَى مِنَ النَّارِ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدَاهُ ارْحَمْنَا مِنْ أَمْتِكَ الْأَشْقِيَاءِ، وَاشْفَعْ لَنَا؛ فَقَدْ أَكَلَتِ النَّارُ لُحُومَهُمْ وَعِظَامَهُمْ وَدُمَاءَهُمْ. ثُمَّ يُنَادُونَ: يَا رَبَّنَا، يَا سَيِّدَنَا، ارْحَمْنَا مَنْ لَمْ يَشْرِكْ بِكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسَاءَ وَأَخْطَأَ وَتَعَدَّى. فَعِنْدَهَا يَقُولُ الْمَشْرِكُونَ لَهُمْ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِيمَانُكُمْ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ؟ فَيَغْضِبُ اللَّهُ لَذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا جِبْرِيلُ، انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَنْ فِي النَّارِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيُخْرِجُهُمْ ضَبَائِرَ، قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، يَقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ. فَيَمُكِّثُونَ حَتَّى يَعُودُوا أَنْضَرَ مَا كَانُوا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ، مَكْتُوبٌ عَلَى جِبَاهِهِمْ. هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، عَتَقَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيُعْرِفُونَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ، فَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمَحُو عَنْهُمْ تِلْكَ السَّيِّئَةَ، فَيَمَحُوها اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا يُعْرِفُونَ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. (١)

لبعض هذا الأثر شواهد من الأحاديث، والله أعلم. وسيأتى بعد ذكر أحاديث الشفاعة ذكر آخر من يخرج من النار، ويدخل الجنة، إن شاء الله تعالى.

ذكر الأحاديث الواردة في شفاعة رسول الله ﷺ

يوم القيامة وبيان أنواعها وتعدادها

فالنوع الأول منها: شفاعته الأولى، وهي العظمى الخاصة به من بين سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم، حتى إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، ويتوسل الناس إلى آدم فمن بعده من المرسلين، فكل يحيد عنها، ويقول: لست بصاحبها. حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة محمد ﷺ، فيقول: «أنا لها، أنا لها». فيذهب فيشفع عند الله

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٢/٥-٣٧٤)، وهو خير إسرائيلي موضوع، فرات بن السائب متروك، ومنكر الحديث. وسلم بن ميمون، قال ابن عدي: يتفرد بمثون وبأسانيد مقلوبة وهو من كبار الصوفية. وقال ابن حبان: غفل فلا يحتج به.

سبحانه وتعالى في أن يأتي؛ لفصل القضاء بين الخلق، ويريحهم مما هم فيه، ويميز بين مؤمنهم وكافرهم، بمجازاة المؤمنين بالجنة، والكافرين بالنار.

وقد ذكرنا ذلك في تفسير سورة «سبحان» عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩). وقد قدمنا في هذا الكتاب من الأحاديث الدالة على هذا المقام المحمود ما فيه كفاية، ولله الحمد والمنة.

وثبت في «الصحيحين» من طريق هشيم، عن سيار، عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةً شَهْرًا، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْفَنَائِمُ، وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَيُعْتَذِرُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن واصل، عن مجاهد، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، بنحوه، ورواه الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر^(٢).

فقوله: «وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ»، يعنى بذلك الشَّفَاعَةُ الْعَظْمَى، وهي الأولى التي يَشْفَعُ فيها عند الله عز وجل، أن يأتي لفصل القضاء بين العباد، ويغبطه بها الأولون والآخرون، فهو مختص بهذه الشفاعة دون غيره.

وأما الشفاعة في العصاة فيشترك فيها غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، حتى القرآن والأعمال الصالحة، كما سيأتي بيانه فيما نورد من الأحاديث الصحيحة، وغيرها.

وقال الأوزاعي، عن أبي عمارة، عن عبد الله بن قروخ، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ»^(٣).

ورواه البيهقي، عن معمر بن راشد، عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ أَدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشْفَعٍ، بِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ، تَحْتَى أَدَمُ فَمَنْ دُونَهُ»^(٤).

وفى «صحيح مسلم» من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ رَأَى أَرَسَلْ إِلَى أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَّدْتُ عَلَيْهِ: يَا رَبِّ، هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ عَلَى الثَّانِيَةِ أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى حَرْفَيْنِ» قال: «قلت: يَا رَبِّ، هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ عَلَى الثَّالِثَةِ أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رُدَّتْهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلْنِيهَا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ إِلَى يَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ حَتَّى يُبْرَاهِمَ»^(٥).

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٠٤)، والبخاري (٣٣٥) (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي (١/٢٠٩).

(٢) أخرجه الطيالسي (٤٧٢)، وإسناده فيه انقطاع. وأخرجه أحمد (٥/١٦١-١٦٢)، والبخاري (٤٠٧٧)، وأبو داود (٤٨٩)، وغيرهم وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وأبو داود (٤٦٧٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «اليعتب» (٢٤٥) وإسناده ضعيف، لكن صح الحديث بطرقه وشواهد.

(٥) أخرجه أحمد (٥/١٢٧)، ومسلم (٨٢٠)، وابن حبان (٧٤٠).

النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم؛ ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

قال الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب «الأحوال»: حدثنا سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثنا محمد بن ثابت البثاني، عن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنصَّبُ لِلْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا». قال: «وَيَبْقَى مِنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مُنْتَصِبًا بِأَمْتِي، مَخَافَةَ أَنْ يَبْعَثَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ وَتَبْقَى أَمْتِي بَعْدِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَمْتِي، فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأَمْتِكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، عَجَلْ حِسَابَهُمْ، فَيَدْعَى بِهِمْ، فَيَحْأَسِبُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي، وَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطِيَ صَكَكًا بِرِجَالٍ قَدْ بَعَثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، حَتَّى إِنَّ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا تَرَكْتَ لِفَضْلِكَ لِأَمْتِكَ مِنْ نِعْمَةٍ». (١)

وحدثنا إسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبي كريمة، حدثني محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، حدثني زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن أبي هريرة، قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاءَ، فَيَجْتَمِعُونَ شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَيَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكُرْسِيِّ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَدْعَى إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَكْسَى قُبْطِيَّتَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْعُوا لِي النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ مُحَمَّدًا». قال: «فَأَقُومُ، فَأَكْسِي حُلَّةً مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ». قال: «وَيُفْجَرُ لِي الْحَوْضُ، وَعَرْضُهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْكُعْبَةِ». قال: «فَأَشْرِبُ وَأَغْتَسِلُ وَقَدْ تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُ الْخَلَائِقِ مِنَ الْعَطَشِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْكُرْسِيِّ، لَيْسَ أَحَدٌ يَوْمِنِي قَائِمًا ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي، ثُمَّ يُقَالُ: سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ». قال: فقال رجل: أترجو لو ألدنك شيئاً يا رسول الله؟ قال: «إِنِّي لَشَافِعٌ لَهُمَا، أُعْطِيَتْ أَوْ مُنِعَتْ، وَمَا أَرْجُو لَهُمَا شَيْئًا». (٢)

ثم قال المنهال: حدثني عبد الله بن الحارث أيضاً أن نبي الله ﷺ قال: «أَمْرٌ يَقُومُ مِنْ أَمْتِي قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، نَنْشُدُكَ الشَّفَاعَةَ». قال: «فَأَمْرُ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَقْضُوا بِهِمْ». قال: «فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُؤْذَنُ لِي فَأَسْجُدُ، وَأَقُولُ: يَا رَبِّ، قَوْمٌ مِنْ أَمْتِي قَدْ أَمَرْتَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ». قال: «فَيَقُولُ: أَنْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهُمْ». قال: «فَأَنْطَلِقُ، فَأَخْرِجُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْرِجَ، ثُمَّ يُنَادِي الْبَاقُونَ: يَا مُحَمَّدُ، نَنْشُدُكَ الشَّفَاعَةَ. فَارْجِعْ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لِي فَأَسْجُدُ، فَيُقَالُ لِي: أَرْقِعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ». قال: «فَأَقُومُ فَأَتُنِي عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثَنَاءً لَمْ يَنْتَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ثَنَاءً مِثْلَهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، قَوْمٌ مِنْ أَمْتِي قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. فَيَقُولُ: أَنْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهُمْ». قال: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَخْرِجْ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ». قال: «فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، لَيْسَتْ تِلْكَ تِلْكَ، تِلْكَ لِي». قال: «فَأَنْطَلِقُ فَأَخْرِجُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْرِجَ». قال:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن» (٦١)، والطبراني (١٠٧٧١)، وفي «الأوسط» (٢٩٣٧)، والحاكم (٦٥/١) وإسناده ضعيف.

(٢) إسناده فيه نكارة.

«وَيَبْقَى قَوْمٌ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ، فَيُعِيرُهُمْ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً، فَمَا الَّذِي أَذْخَلَكُمْ النَّارَ؟» قَالَ: «فَيُخْرِجُونَ وَيَحْزَنُونَ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: «فَيَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً يَكْفِ مِنْ مَاءٍ فَيَنْضَحُ بِهَا فِي النَّارِ أَلْتِي فِيهَا الْمُوحِدُونَ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا وَقَعَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْهَا قَطْرَةٌ». قَالَ: «فَيُعْرِفُونَ بِهَا. وَيَغْطِطُهُمْ أَهْلُ النَّارِ، ثُمَّ يَخْرِجُونَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا، فَتَضَيُّقُوا النَّاسَ. فَلَوْ أَنَّ جَمِيعَهُمْ نَزَلُوا بِرَجُلٍ وَاحِدٍ كَانَتْ لَهُمْ عِنْدَهُ سَعَةٌ، وَيُسَمَّوْنَ الْمُحَرَّرِينَ»^(١)

وَهَذَا السِّيَاقُ يَقْتَضِي تَعْدَادَ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ فِيْمَنْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا، وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَاخْرُجْ». أَيْ أَنْقِذْ، بِذَلِكَ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَيَبْقَى قَوْمٌ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

النَّوعُ الرَّابِعُ مِنَ الشَّفَاعَةِ: شَفَاعَتُهُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتٍ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَوْقَ مَا يَقْتَضِيهِ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ. وَقَدْ وَافَقَتِ الْمُعْتَرِظَةُ عَلَى هَذِهِ الشَّفَاعَةِ خَاصَّةً، وَخَالَفُوا فِيمَا عَدَاهَا مِنَ الشَّفَاعَاتِ، مَعَ تَوَاتُرِ الْأَحَادِيثِ فِيهَا، عَلَى مَا سَتَرَاهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَأَمَّا دَلِيلُ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ فَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِينَ» وَغَيْرِهِمَا مِنْ رَوَايَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ لَمَّا أَصِيبَ عَنْهُ أَبُو عَامِرٍ فِي غَزْوَةِ أُوطَاسٍ، فَلَمَّا أَخْبَرَ أَبُو مُوسَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ، وَاجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ»^(٢).

وَهَكَذَا حَدِيثٌ أَمَّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا لِأَبِي سَلَمَةَ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَائِبِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنُورْ لَهُ فِيهِ»^(٣). وَهُوَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ».

وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ نَوْعًا آخَرَ مِنَ الشَّفَاعَةِ، وَهُوَ خَامِسٌ، وَهُوَ فِي أَقْوَامٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَمْ أَرْ لِهَذَا شَاهِدًا فِيمَا عَلِمْتُ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْقَاضِي عِيَاضٌ لَهُ مُسْتَدَنًّا فِيمَا رَأَيْتُ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ حَدِيثَ عَكَاشَةَ بْنِ مُحْصَنٍ، حِينَ دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحِينَ»، كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ يُنَاسِبُ هَذَا الْمَقَامَ^(٤).

وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرَةِ» نَوْعًا سَادِسًا مِنَ الشَّفَاعَةِ، وَهُوَ شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُخَفَّفَ عَذَابُهُ، وَاسْتَشْهَدَ بِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ»^(٥).

(١) إِنْ كَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَلِكَ وَإِلَّا فَهُوَ مُرْسَلٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٢٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٨).

(٣) أَحْمَدُ (٢٩٧/٦)، وَمُسْلِمٌ (٩٢٠)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٤٥٤).

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٥) وَقَدْ سَبَقَ.

ثم قال: فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدر: ٤٨). قيل: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها، ويدخلون الجنة.

النوع السابع من الشفاعة: شفاعته لجميع المؤمنين قاطبة في أن يؤذن لهم في دخول الجنة، كما ثبت في «صحيح مسلم»، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ» (١).

وقال في حديث الصور بعد ذكر مرور الناس على الصراط: «فَإِذَا أَفْضَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ قَالُوا: مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ فَيَقُولُونَ: مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَيْبَكُمُ آدَمَ». فذكر الحديث إلى أن قال: «وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ». قال رسول الله ﷺ: «فَيَأْتُونِي، وَلِي عِنْدَ رَبِّي ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ، وَعِدَّتِي هِيَ، فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي الْجَنَّةَ، فَأَخَذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحْتُ، فَيُفْتَحُ لِي، فَأَحْيَا، وَيَرْحَبُ فَإِذَا دَخَلْتُ، فَتَنْظَرْتُ إِلَى رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى لِي مِنْ حَمْدِهِ وَتَمَجِيدِهِ بِشَيْءٍ مَا أَذِنَ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَسَلْ تَعْطُ. فَإِذَا رَفَعْتَ رَأْسِي قَالَ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، وَعِدَّتِي الشَّفَاعَةُ، فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ شَفِّعْتُكَ، وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» (٢). وذكر الحديث كما تقدم في حديث الصور.

ثم ذكر بعد ذلك الشفاعة في أهل الكباير، وهو النوع الثامن من الشفاعة، وهو شفاعته في أهل الكباير من أمته ممن دخل النار بذنوبه وكباير إثمهم، فيخرجون منها. وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته. وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون، وهذه الشفاعة تتكرر منه أربع مرات.

بيان طرق الأحاديث وألفاظها

رواية أبي بن كعب: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله بن وضاح، حدثنا يحيى بن يمان، عن شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِمَامُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ» (٣).

رواية أنس بن مالك: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا سعيد بن سليمان، عن منصور بن أبي الأسود، عن ليث، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُهُمْ خُرُوجًا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَقَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حَبَسُوا، وَأَنَا مَبْشَرُهُمْ إِذَا يَتَسَوَّاءُ الْكَرَامَةِ وَالْمَفَاتِيحِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلَوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يُطَوَّفُ عَلَى أَلْفِ خَادِمٍ، كَأَنَّهُمْ بَيْضُ مَكْنُونٍ، أَوْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤُ مَنْثُورٍ» (٤).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٠)، ومسلم (١٩٦) (٣٣٢)، والدارمي (٥١).

(٢) سبق مراراً.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٧-١٣٨) وإسناده ضعيف، ولكنه صحيح لطرقه وشواهد.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦١٠)، والدارمي (٤٨)، والبيهقي (٣٦٢٤) وإسناده ضعيف.

ثم رواه عن خلف بن هشام، عن حبان بن علي العنزي، عن ليث بن أبي سليم، عن عبيد الله ابن زحر، عن الربيع بن أنس، فذكره مرفوعاً كما تقدم.

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا بسطام بن خريث، عن أشعث الحداني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (١) وهكذا رواه أبو داود، عن سليمان، عن بسطام، عن أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني، عن أنس.

طريق أخرى: قال البزار في «مسنده»: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو داود، حدثنا الخزرج بن عثمان، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٢). ثم قال: لم يروه عن ثابت إلا الخزرج بن عثمان.

وهكذا رواه أبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٣).

طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا معتمر، سمعت أبي يحدث عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «كل نبي قد سأل سؤالاً». أو قال: «لكل نبي دعوة قد دعاها، فاستخبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» (٤) أو كما قال.

ورواه البخاري تعليقا، فقال: وقال معتمر، عن أبيه. وأسندته مسلم، فرواه عن محمد بن عبد الأعلى، عن معتمر، عن أبيه سليمان بن طرخان التيمي، عن أنس، به نحوه. (٥)

طريق أخرى عنه: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا أبو بكر ابن عياش، عن حميد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٦).

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن يزيد العجلي، حدثنا أبو بكر ابن عياش، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أملت الشفاعة، فأشفع لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، حتى لا يبقى أحد في قلبه من الإيمان مثل هذا». وحرك الإيهام والمسيحة. (٧) طريق أخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان، قالا: حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي دعوة قد دعا بها، فاستجيب له، وإنني استخبات دعوتي

(١) أخرجه أحمد (٢١٣/٣)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٧٠)، وابن حبان (٦٤٦٨)، وإسناده حسن وهو صحيح.

(٢) راجع التحقيق السابق.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤١٠١)، والآجري في «الشرعية» (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٩/٣)، وإسناده صحيح على شرطهما.

(٥) علقه البخاري (٦٣٠٥)، ووصله مسلم (٩١٨)، وأخرجه أحمد (٢١٨/٣)، ومسلم (٢٠٠) (٣٤٣)، وأبو عوانة (٩١/١) من طريق قتادة عن أنس.

(٦) صحيح: وانظر التحقيق السابق.

(٧) أخرجه الآجري (٧٩٦) وإسناده ضعيف، لكن له شواهد.

شَفَاعَةُ لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١). وهذا الحديث على شرطهما، ولم يُخرجه من حديث همام، وإنما أخرجه الشيخان من حديث أبي عوانة الوضّاح بن عبد الله الشُّكْرِيُّ، عن قتادة.

ثم رواه مسلم من حديث سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِيهِمْ مَنْ يَذَلُّكَ، أَوْ يُلْهِمُونَ ذَلِكَ». بمثل حديث أبي عوانة. وقال في الحديث: «ثُمَّ أَتِيَهُ الرَّابِعَةُ - أَوْ أَعُودُ الرَّابِعَةَ - فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ إِلَّا مِنْ حَبْسَةِ الْقُرْآنِ» (٢).

طريق آخرى عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِيهِمْ مَنْ لَدَيْكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا. وَلَكِنْ اتَّبَعُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ: سَأَلَهُ رَبُّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، وَلَكِنْ اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ كَذَبَهُنَّ: قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ. وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا. وَأَتَى عَلَى جَبَّارٍ مُتْرَفٍ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: أَخْبِرِيهِ أَنِّي أَخُوكَ، فَأَتَى مُخْبِرُهُ أُنْكَ أَخْتِي. وَلَكِنْ اتَّبَعُوا مُوسَى، عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: قَتَلَهُ الرَّجُلَ. وَلَكِنْ اتَّبَعُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَلَكِنْ اتَّبَعُوا مُحَمَّدًا: عَبْدًا غَضِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: «فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقُلْ تَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَاسْلُ تَعْطُ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - قَالَ: «ثُمَّ أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، الثَّانِيَةَ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ مُحَمَّدُ، وَقُلْ تَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَاسْلُ تَعْطُ. قَالَ: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي، وَأَحْمَدُ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» - قَالَ همام: «وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» - قَالَ: «ثُمَّ أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، الثَّالِثَةَ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ مُحَمَّدُ، وَقُلْ تَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَاسْلُ تَعْطُ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» - قَالَ همام: «وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» - «فَمَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبْسَهُ الْقُرْآنُ، أَوْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». ثُمَّ تَلَا قَتَادَةُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) قال: هو المقام المحمود الذي وعد الله عز وجل، نبيه ﷺ. (٣)

(١) أخرجه أحمد (١٣٤/٣) وإسناده صحيح على شرطهما، وأخرجه أحمد (٢٠٨/٣)، ومسلم (٢٠٠) (٣٤٢)، وأبو يعلى (٣٢٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣) (٣٢٢).

(٣) صحيح: دون قوله: «في داره» أخرجه أحمد (٢٤٤-٢٤٥).

وقد رواه البخاري في كتاب التوحيد معلقاً، فقال: وقال حجاج بن منهال، عن همام. فذكره نحوه. طرق آخر متعددة عن أنس: قال البخاري في كتاب التوحيد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا ب ثابت البنانى يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو فى قصره، فوافقناه يصلّى الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا، وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة. فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة، جاءوا يسألونك عن حديث الشفاعة. فقال: حدثنا محمد بن عيسى قال: «إذا كان يوم القيامة مآج الناس بعضهم فى بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك. فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم؛ فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى؛ فإنه كليم الله. فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد بن عبد الله؛ فيأتوني، فأقول: أنا لها. فأستأذن على ربي، فيؤذن لى، ويلهمنى محمداً أحمد به، لا تحضرنى الآن، فأحمد بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعطه. فأقول: يا رب، أمتى أمتى. فيقال: انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان. فأنطلق فأفعل: ثم أعود، فأحمد بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع. فأقول: يا رب، أمتى أمتى. فيقال: انطلق فأخرج من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار. فأنطلق فأفعل».

قال: فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابى: لو مررنا بالحسن وهو متوار فى منزل أبى خليفة، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك. فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثلاً ما حدثنا فى الشفاعة، فقال: هيه. فحدثناه بالحديث، فأنتهينا إلى هذا الموضع فقال: هيه. فقلنا: لم يزد لنا على هذا. فقال: لقد حدثنى وهو جميع منذ عشرين سنة، فما أدري أنسى أم كره أن تتكلموا؟ فقلنا: يا أبا سعيد، فحدثنا. فضحك وقال: وخلق الإنسان عجولاً، ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثنى كما حدثكم، قال: «ثم أعود الرابعة، فأحمد بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأقول: يا رب، ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقول: وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله» (١).

وهكذا رواه مسلم، عن أبى الربيع الزهرانى وسعيد بن منصور، كلاهما عن حماد بن زيد، به نحوه. (٢)

وقد رواه الإمام أحمد، عن عقبان، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ، فذكر الحديث بطوله، وقال: «فأحمد ربي بمحمد لم يحمده بها أحد كان قبلي، ولا يحمده بها أحد بعدي». وفيه: «فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة». ثم يعود، فيقال: «مثقال برة». ثم يعود، فيقال: «مثقال ذرة»^(١). ولم يذكر الرابعة.

وكذا رواه البرار، عن محمد بن بشار ومحمد بن معمر، كلاهما عن حماد بن مسعدة، عن محمد بن عجلان، عن جوثة بن عبيد المدني، عن أنس بن مالك، فذكر الحديث بطوله، وفيه الشفاعة ثلاثاً، ثم قال: لم يرو عن جوثة بن عبيد إلا ابن عجلان.

وكذا رواه أبو يعلى من حديث الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، فذكر الحديث بطوله، وفيه ثلاث شفاعات، وقال في آخرهن: «فأقول: أمتي. فيقال لي: لك من قال: لا إله إلا الله. مخلصاً»^(٢).

طريق أخرى: قال البرار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا حماد بن مسعدة، عن عمران العمي، عن الحسن، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أشفع وأشفع -أو قال: ويشفعني ربي، عز وجل- حتى أقول: أي رب، شفّعني فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقال: يا محمد، هذه ليست لك ولا لأحد، هذه لي، وعزّتي ورحمتي لا أدع في النار أحداً يقول: لا إله إلا الله». ثم قال: لا تعلمه يروى إلا بهذا الإسناد^(٣). ورواه ابن أبي الدنيا، عن أبي حفص الصيرفي، عن حماد بن مسعدة، به.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري، عن النضر بن أنس، عن أنس قال: حدثنا نبي الله ﷺ: «إني لقائم أنتظر أمتي تعب الصراط، إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون -أو قال: يجتمعون إليك- ويدعون الله عز وجل أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله، لغم ما هم فيه، فالخلق ملجمون في العرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت». قال: «يا عيسى، انتظر حتى أرجع إليك». قال: «فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش، فلقى ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل، فأوحى الله، عز وجل، إلى جبريل. اذهب إلى محمد، فقل: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع». قال: «فشفعت في أمتي: أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً». قال: «فما زلت أتردد على ربي، عز وجل، فلا أقوم مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله تعالى من ذلك أن قال: يا محمد، أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً، ومات على ذلك»^(٤). تفرّد به أحمد، وقد حكّم الترمذي بالحسن لهذا الإسناد.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨/٣) وهو صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤١٦٦) وإسناده ضعيف.

(٣) صحيح: وهذا إسناده ضعيف لضعف عمران العمي، وأخرجه ابن أبي عاصم (٨٢٨)، وابن خزيمة (٢٩٠)، من طريق حماد، به.

(٤) أخرجه أحمد (١٧٨/٣)، وإسناده رجاله رجال الصحيح.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو يوسف القُلُوسِيُّ^(١)، حدثنا عبد الله بن رجاء، أنبأنا حربُ ابنِ ميمون، حدثني النَّضرُ بن أنس، عن أنس قال: جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ وقد حضر من أمر العباد ما حضر، فقال: اذُنْ إلى ربِّك، فسَلْ لأمتك الشفاعة. قال: «فَدَنُوتُ مِنَ الْعَرْشِ، فَقُمْتُ عِنْدَ الْعَرْشِ، فَلَقَيْتُ مَا لَمْ يَلِقْ نَبِيٌّ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، فَقَالَ: سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ». قال: «أمتي». (٢) وذكر تمام الحديث، كنحو ما ساقه الإمام أحمد.

رواية بُرَيْدَةَ بنِ الْحُصَيْبِ: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن معبد، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا أبو إسرائيل، عن الحارث بن حصيرة، عن ابن بُرَيْدَةَ، عن أبيه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُشْفَعَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدْرٍ لأُمَّتِي». (٣)

رواية جابر بن عبد الله: قال الإمام أحمد: حدثنا يَحْيَى، حدثنا يَحْيَى، حدثنا عبد الله، حدثنا هشام قال: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَذْكُرُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا، وَإِنِّي اسْتَحْبَبْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةَ لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

طريق آخر: قال الحافظ البيهقي: حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، حدثنا محمد بن حمدويه بن سهل المروزي، أبو نصر الغازي، حدثنا عبد الله بن حماد الأملي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد، حدثنا زهير بن محمد، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». فقلت: ما هذا يا جابر؟ قال: نعم يا محمد، إنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً، ثم يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لِمَنْ أُوْبِقَ نَفْسُهُ، وَأَغْلَقَ ظَهْرُهُ. (٥)

وقد رواه البيهقي أيضاً، عن الحاكم، عن أبي بكر محمد بن جعفر بن أحمد المزكي، عن محمد بن إبراهيم العبدى، عن يعقوب بن كعب الحلبي، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، أن رسول الله ﷺ تلا: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ»^(٦) (الأنبياء: ٢٨). ثم قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٦). قال الحاكم: هذا حديث صحيح. قال البيهقي: وظاهره يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الشفاعة في أهل الكبائر مختصة برسول الله ﷺ، والملائكة إنما يشفعون في أهل الصغائر، وزيادة الدرجات، وقد يكون المراد من الآية بيان كون المشفوع فيه مُرْتَضًى بإيمانه، وإن كانت له كبائر وذنوب دون الشرك، فيكون المراد بالآية نفى الشفاعة للكفار لأن الله تعالى لم يأذن فيها، ولم يرض اعتقادهم.

(٢) إسناده فيه غرابة.

(١) أظنه (البصري) والعلوي خطأ.

(٣) أخرجه أحمد (٣٤٧/٥) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (٣٩٦/٣)، وإسناده ضعيف، وهو صحيح.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٧٦)، وفي «الشعب» (٣٠٧)، وابن ماجه (٤٣١٠)، وابن حبان (٦٤٦٧)، والحاكم (٦٩/١) وغيرهم، وهو صحيح.

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٠٧)، والحاكم (٣٨٢/٢)، وله شاهد من حديث ابن عباس. وهو صحيح.

الفتن والملاحم

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول: «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبات دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة». يعني النبي ﷺ. (١) ورواه مسلم، عن محمد بن أحمد بن أبي خلف، عن روح ابن عباد به.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا زهير، حدثنا أبو الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ميز أهل الجنة وأهل النار، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قامت الرسل فشفعوا، فيقول: انطلقوا - أو اذهبوا - فمن عرفتم فأخرجوه. فيخرجونهم قد امتحشوا، فيلقونهم في نهر - أو على نهر - يقال له: الحياة». قال: «فيسقط محاشهم على حافتى النهر، ويخرجون بيضا كالشعير، ثم يشفعون فيقول: اذهبوا - أو انطلقوا - فمن وجدتم في قلبه مثقال حيراط من إيمان، فأخرجوه». قال: «فيخرجون بشرًا، ويشفعون، فيقول: اذهبوا - أو انطلقوا - فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه». قال: «فيخرجون بشرًا. ثم يقول الله عز وجل: أنا الآن أخرج بعلمي ورحمتي. فيخرج أضعاف ما أخرجوا وأضعافه، فيكتب في رقابهم: عتقاء الله تعالى، ثم يدخلون الجنة، فيسمون فيها الجهنميين». (٢) تفرد به الإمام أحمد.

طريق أخرى: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، حدثني سعيد بن المهلب قال: قال طلق بن حبيب: كنت من أشد الناس تكذيبًا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية أفدر عليها فيها ذكر خلود أهل النار، فقال لي: يا طلق، أترك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة نبيه ﷺ؟ قلت: لا. قال: إن الذى قرأته هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبًا عذبوا بها، ثم أخرجوا من النار. ثم أومأ بيديه إلى أذنيه، ثم قال: صمتا، إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقوله، ونحن نقرأ الذى تقرأ. (٣)

حديث عبادة بن الصامت: قال الإمام أحمد (٤): حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن راشد بن داود الصنعاني، عن عبد الرحمن بن حسان، عن روح بن زبنا، عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبي ﷺ ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه وسطهم، ففزعوا وظنوا أن الله اختار له أصحابًا غيرهم، فإذا هم بخيال النبي ﷺ فكبروا حين رأوه، وقالوا: يا رسول الله، أشفقنا أن يكون الله تعالى اختار لك أصحابًا غيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «لا، بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة، إن الله تعالى أيقظني، فقال: يا محمد، إنى لم أبعث نبيًا ولا رسولًا إلا وقد سألتني مسألة أعطيته إياه، فسأل يا محمد تعطه. فقلت: مسألتى شفاعة لأمتى». فقال أبو بكر: يا رسول الله، وما الشفاعة؟ قال: «أقول: يا رب شفاعة التى اختبأت عندك. فيقول الرب سبحانه: نعم. فيخرج ربي بقية أمتى، فينبذهم في الجنة». تفرد به الإمام أحمد.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٤) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٥-٣٢٦)، وإسناده على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٥-٣٢٦) وإسناده ضعيف.

رواية عبد الله بن عباس: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، قال: خطبنا ابن عباس على منبر البصرة، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإنني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيني ولواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر، ويطول يوم القيامة على الناس، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر، فيشفع لنا إلى ربنا، فليقض بيننا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، اشفع لنا إلى ربنا، فليقض بيننا. فيقول: إني لست هناكم، إني قد أخرجت من الجنة يخطيئتي، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا نوحاً رأس النبيين. فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، اشفع لنا إلى ربنا فليقض بيننا. فيقول: إني لست هناكم، إني دعوت بدعوة أغرقت أهل الأرض، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الله. فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، اشفع لنا إلى ربنا، فليقض بيننا. فيقول: إني لست هناكم، إني كذبت ثلاث كذبات في الإسلام - والله إن حاول بهن إلا عن دين الله؛ قوله: ﴿إني سقيم﴾ (الصفات: ٨٩). وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألهم إن كانوا ينطقون﴾ (الأنبياء: ٦٣). وقوله لامرأته حين أتى على الملك: أختي - وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا موسى الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه. فيأتونه فيقولون: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، فاشفع لنا إلى ربك، فليقض بيننا. فيقول: لست هناكم، إني قتلته نفساً بغير نفس، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، اشفع لنا إلى ربك، فليقض بيننا. فيقول: إني لست هناكم، إني اتخذت إلهاً من دون الله، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن أرايتم لو كان متاع في وعاء مختوم عليه أكان يقدر على ما في جوفه حتى يفض الخاتم؟ قال: «فيقولون: لا. فيقول: إن محمداً خاتم النبيين، وقد حضر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال رسول الله ﷺ: «فيأتوني، فيقولون: يا محمد، اشفع لنا إلى ربك، فليقض بيننا. فأقول: أنا لها. حتى ياذن الله لن يشاء ويرضى، فإذا أراد أن يصعد بين خلقه نادى مناد: أين أحمد وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، آخر الأمم، أول من يحاسب، فتفرج لنا الأمم طريقاً، فنمضي غراً محجلين من أثر الطهور، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها، فأتى باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد. فيفتح لي فأتي ربي، عز وجل، وهو على كرسيه - أو سريره شك حماد - فأخبره ساجداً، فأحمد به محامداً لم يحمده بها أحد كان قبلي، وليس يحمده بها أحد بعدي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطه، وهل يسمع لك، واشفع تشفع». قال: «فأرفع رأسي، فأقول: أي رب، أمتي أمتي. فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا - لم يحفظ حماد - ثم أعود فأسجد، فأقول ما قلت، فيقال: ارفع رأسك، وهل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأقول: أي رب، أمتي أمتي. فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا. دون الأول، ثم أعود فأسجد، وأقول مثل ذلك، فيقال

لِي: اَرْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تَسْمَعْ، وَسَلْ تَعْطُهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ. فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أُمْتِي أُمْتِي. فَيَقُولُ: أَخْرَجَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا. دُونَ ذَلِكَ. (١)

وقد روى ابن ماجه بعضه، من رواية حماد بن سلمة، عن سعيد بن إياس الجري، عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة، عن ابن عباس به. وتقدم في الصنف الثاني والثالث من أصناف الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

طريق أخرى: وقد روى الطبراني في «معجمه الكبير»، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمْتِي».

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا. (٢)

طريق أخرى: قال الطبراني: حدثنا. . .

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا معمر بن سليمان الرقي أبو عبد الله، حدثنا زياد بن خزيمة، عن علي بن النعمان بن قراد، عن رجل، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، أَوْ يَدْخُلُ نِصْفُ أُمْتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُنْقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَاءُونَ». قال زياد: أما إنها لحن، لكن هكذا حدثنا الذي حدثنا. (٣)

ورواه ابن أبي الدنيا، عن الحسن بن عرفة، عن عبد السلام بن حرب، عن نعمان بن قراد، عن عبد الله بن عمر، فذكره بنحوه. هكذا رأيته في كتاب «الأهوال»، وكذا رواه البيهقي في «البعث والنشور»، من طريق الحسن بن عرفة. (٤)

رواية عبد الله بن عمرو بن العاص: قال مسلم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكر بن سودة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ، تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٣٦). وقول عيسى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨). فرفع يديه، وقال: «اللَّهُمَّ أُمْتِي أُمْتِي». وبكى، فقال الله تعالى: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبِّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ: مَا يَبْكُوكَ؟» فأناه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسْؤُوكَ». (٥)

رواية عبد الله بن مسعود: قد تقدم رواية علقمة عنه في الحوض والمقام المحمود، وفيه في ذكر الشفاعة.

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤٦) وإسناده ضعيف.

(٢) هذا الحديث ساقط من جميع النسخ، ولم أعثر عليه، ولم أعثر على حديث رواه البزار عن ابن عمر في «الشفاعة».

(٣) أخرجه أحمد (٧٥/٢)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص ١١٩) من طريق الحسن بن عرفة، به.

(٥) أخرجه مسلم (٣٠٢) (٣٤٦).

رواية عبد الرحمن بن أبي عَاقِلٍ: قال البيهقي: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ الْأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ أَبِي جَحْفَةَ السَّوَّائِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُلْقَمَةَ الثَّقَفِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَاقِلٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي وَفْدٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَأَتَخْنَا بِالْبَابِ، وَمَا فِي النَّاسِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا مِنْ رَجُلٍ نَلِجَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَلَمَّا خَرَجْنَا خَرَجْنَا وَمَا فِي النَّاسِ رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ رَجُلٍ دَخَلْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا سَأَلْتَ رَبَّكَ مُلْكًا كَمُلْكِ سُلَيْمَانَ؟ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «فَلَعَلَّ لَصَاحِبِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا أَعْطَاهُ دَعْوَةً، فَمِنْهُمْ مَنْ اتَّخَذَهَا دُنْيَا فَأَعْطَاهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا بِهَا عَلَى قَوْمِهِ إِذْ عَصَوْهُ، فَأَهْلَكُوا بِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي دَعْوَةً فَاخْتَبَأْتُهَا عِنْدَ رَبِّي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). قلتُ: إسناده غريبٌ قوى، وحديثٌ غريبٌ.

رواية أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال الحافظ أبو يعلى: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَنبَسَةَ الْقُرَشِيُّ، عَنْ عِلَاقِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»^(٢).

وقال البزار: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدُ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عِلَاقِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ: وَرَأَيْتُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عِنْدِي، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عِلَاقٍ، عَنْ أَبَانَ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يُشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ»^(٣). قال البزار: عَنبَسَةُ هَذَا لَيْسَ الْحَدِيثُ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عِلَاقٍ لَا نَعْلَمُ رَوَى عَنْهُ غَيْرُ عَنبَسَةَ.

رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال أبو بكر البزار: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْمَذَارِيُّ^(٤)، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ سُرَيْجٍ الْبَزَارِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ بِهَا أَهْلُ الْعِرَاقِ، أَحَقُّ هِيَ؟ قَالَ: شَفَاعَةُ مَاذَا؟ قُلْتُ: شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ: حَقٌّ إِي وَاللَّهِ، وَاللَّهُ لَخَدَّتْنِي عَمَى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ، عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَشْفَعُ لَأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِيَنِي رَبِّي، عَزَّوَجَلَّ، فَيَقُولُ: أَرْضَيْتَ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَأَقُولُ: رَبِّ رَضِيتُ»^(٥). ثم قال: لَا نَعْلَمُهُ يَرَوِي إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

رواية عوف بن مالك: قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ وَخَلْفُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَا:

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٤١)، وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٨٢٤)، والبخاري في «الكبير» (٢٤٩/٥)، والبزار (٣٤٥٩)، وغيرهم، والحديث بطرقة وشواهد حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣)، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه البزار (٣٧٢)، وابن عدي (٢٦٢/٥)، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) عند البزار: (محمد بن يزيد المذاري)، وفي «معجم الطبراني» (محمد بن أحمد بن زيد المذاري) والمذاري نسبة إلى مزار وهي قرية بأسفل أرض البصرة كما في «الأنساب». ولكن لم أعر عليه.

(٥) أخرجه البزار (٦٣٨)، وإسناده ضعيف.

حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أبي المليح، عن عوف بن مالك الأشجعي، أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني الملائكة أت من ربي عز وجل، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة». فقالوا: يا رسول الله، ننشدك الله والصحة لما جعلتنا من أهل شفاعتك. قال: «فإني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتي» (١).

وقد رواه يعقوب بن سفيان، عن يحيى بن صالح الوحاظي، عن جابر بن غانم، عن سليم بن عامر، عن معديكرب بن عبد كلال، عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام بأن ربي خيرني بين خصلتين: أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة» (٢).

وقد رواه البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن بحر بن نصر، عن بشر بن بكر، عن ابن جابر، عن سليم بن عامر، سمعت عوف بن مالك، فذكر الحديث، وفيه قصة (٣).

ورواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، رد الحديث إلى عوف بن مالك (٤).

رواية كعب بن عجرة: قال البيهقي: أنبأنا محمد بن موسى بن الفضل، أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا جعفر بن أبي عمار الطيالسي، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا عنبسة بن عبد الواحد، عن واصل مولى أبي عيينة، عن أمي أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن كعب بن عجرة. قال: قلت: يا رسول الله، الشفاعة الشفاعة. فقال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٥).

رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثني النضر بن شميل المازني، حدثنا أبو نعمة، حدثنا أبو هنيئة البراء بن نوفل، عن والآن العدوي، عن حذيفة، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة، ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم، حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط. فسأله، فقال: «نعم، عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، يجمع الأولون والآخرين بصعيد واحد، ففطع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر، أنت اصطفاك الله، اشفع لنا إلى ربك. فقال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح، عليه السلام، إن الله اصطفى آدم ونوحاً، قال: فينطلقون إلى نوح، عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله، واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً. فيقول: ليس ذاكم

(١) أخرجه أحمد (٢٨/٦)، والترمذي (٢٤٤١)، والطبراني (١٣٤/١٨)، وابن حبان (٢١١) (٦٤٦٣) (٦٤٧٠) من طريق أبي عوانة، والحديث صحيح.

(٢) أخرجه في «المعرفة والتاريخ» (٣٣٧/٢)، والبخاري في «تاريخه» (٤١/٨)، وابن أبي عاصم (٨٢٩)، والطبراني (١٥٦/١٨)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٢٢) بهذا الإسناد.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» عقب الحديث الماضي.

(٥) أخرجه في «البعث» (٢٧٥) وهو حسن على أقل الأحوال.

عَنْدِي، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا. فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ تَكَلِيمًا. فَيَقُولُ مُوسَى: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى مَرْيَمَ فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى. فَيَقُولُ عِيسَى: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ، فَيَأْتِي جِبْرِيلُ رَبَّهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ائْذَنْ لَهُ وَيُسِّرْهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ، فَيُخْرِجُ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ. قَالَ: فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَرَّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى، فَيَقُولُ اللَّهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ. قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ سَاجِدًا، فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ بِضَبْعِيهِ، وَيُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، خَلَقْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ. ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ. قَالَ: فَجِئِيَ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعَصَايَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْخُمْسَةُ وَالسُّتَّةُ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الصَّادِقِينَ. فَيَشْفَعُونَ. ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الشُّهَدَاءَ، فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا. قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ الشَّهَادَةَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئًا. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا فِي النَّارِ هَلْ تَلْقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْمَحُوا لِعَبْدِي كَأَسْمَاحِي إِلَى عِبِيدِي. ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُ وَلَدِي إِذَا مِتَ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ، ثُمَّ أَطْحَنُونِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الْكُجْلِ، فَأَذْهَبُوا بِي إِلَى الْبَحْرِ فَأَذْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَبَدًا. فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ مَخَافَتِكَ. قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرْ إِلَى مُلْكٍ أَعْظَمَ مُلْكٍ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ. قَالَ: فَيَقُولُ: لِمَ تَسْخَرُ بِي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَلِكَ الَّذِي ضَحِكْتَ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى»^(١). وقد تكلّمنا على هذا الحديث في آخر مُسْنَدِ الصَّدِيقِ ﷺ.

رواية أبي سعيد الخدري: قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتوّاري، قال أحمد: وهو أبو الهيثم - أحد بني ليث - وكان يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري، قال: سمعتُ أبا سعيد يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسَ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ، وَمَجْرُوحٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ فَمَنْكُوسٌ فِيهَا، فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رَجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيَزْكُونَ بِزَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحْجُونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ رَبَّنَا، عِبَادُ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيَزْكُونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحْجُونَ حَجَّنَا،

(١) أخرجه أحمد (١٥) وإسناده حسن. وأخرجه ابن أبي عاصم (٧٥١) (٨١٢)، والروزي (١٥)، واليزار (٧٦)، وأبو يعلى (٥٦) (٥٧)، والدولابي في «الكنى» (١٥٥/٢)، وابن حبان (٦٤٧٦) وهو حديث حسن.

وَيَعْرَوْنَ غَرْوَنَا، لَا نَرَاهُمْ؟ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ. قَالَ: فَيَجِدُونَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى أَرْزَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى شِدْيَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقَيْهِ، وَلَمْ تَغْشَ الْوُجُوهُ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ.. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحَيَاةُ؟ قَالَ: «غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعَةِ..» وَقَالَ مَرَّةً: «كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا..» قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا» (١) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

ورواه ابن أبي الدنيا، من حديث ابن إسحاق به، قال: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ..» قال محمد: فلا أعلمه قال: إِلَّا كَحَرْفَةِ السَّيْفِ. وذكر تمام الحديث.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا ابن أبي عدي، عن سليمان، يعني التَّيْمِيَّ، عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أَنَسٌ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمُ الرَّحْمَةَ، فَيَمِيتُهُمْ فِي النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعَاءُ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الضَّبَّارَةَ فَيَبْشُرُهُمْ - أَوْ قَالَ: فَيَبْشُرُونَ - عَلَى نَهْرِ الْحَيَاةِ - أَوْ قَالَ: الْحَيَوَانِ. أَوْ قَالَ: نَهْرُ الْجَنَّةِ - فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..» قَالَ: فقال النبي ﷺ: «أَمَّا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضِرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ أَوْ قَالَ: تَكُونُ صَفْرَاءَ ثُمَّ تَكُونُ خَضِرَاءَ» قَالَ: فقال بعضهم: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ (٢).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سعيد بن يزيد، عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ أَنَسٌ - أَوْ كَمَا قَالَ - تُصَيِّبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ - فَيَمِيتُهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أَذِنَ فِي الشُّفَاعَةِ، فَجَبَّ بِهَمِ ضَبَائِرِ ضَبَائِرٍ، فَيَبْشُرُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..» فقال رجل من القوم: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ (٣) وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يُخرِجَاهُ من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عثمان بن غياث، حدثني أبو نَضْرَةَ، عن أبي سعيد الخدري قال: يُعْرَضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلَالِيْبٌ، وَخَطَاطِيفٌ تَخْطِفُ النَّاسَ. قَالَ: فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمَجْرَى، وَآخَرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْيًا، وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مَشْيًا، وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْوًا، وَآخَرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفًا، فَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَلَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أَنَسٌ فَيُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ فَيُحْرَقُونَ، فَيَكُونُونَ فَحْمًا، ثُمَّ يَأْذُنُ اللَّهُ فِي الشُّفَاعَةِ، فَيُؤْخَذُونَ ضَبَارَاتٍ ضَبَارَاتٍ، فَيَقْدَفُونَ عَلَى نَهْرِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ

(١) أخرجه أحمد (١١/٣) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (١١/٣)، وإسناده على شرط مسلم، وأخرجه مسلم (١٨٥) (٣٠٦)، وابن ماجه (٤٣٠٩).

فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ رَأَيْتُمُ الصَّبْغَاءَ؟» قَالَ: وَعَلَى النَّارِ ثَلَاثُ شَجَرَاتٍ، فَيُخْرَجُ - أَوْ يَخْرُجُ - رَجُلٌ مِنَ النَّارِ، فَيَكُونُ عَلَى شَفَتِهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: وَعَهْدُكَ وَذِمَّتُكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: فَيَرَى شَجْرَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرَتِهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: وَعَهْدُكَ وَذِمَّتُكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: فَيَرَى شَجْرَةً أُخْرَى أَحْسَنَ مِنْهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، حَوِّلْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرَتِهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: وَعَهْدُكَ وَذِمَّتُكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: فَيَرَى الثَّلَاثَةَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، حَوِّلْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرَتِهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: وَعَهْدُكَ وَذِمَّتُكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: فَيَرَى سَوَادَ النَّاسِ، وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَرَجُلٌ آخَرُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، اخْتَلَفَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِي الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا. وَقَالَ الْآخَرُ: فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِي الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. (١)

وقد رواه النسائي، من حديث عثمان بن غياث به نحوه.

رواية أبي هريرة: قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان، يعني ابن داود، حدثنا إسماعيل، حدثنا عمرو، عن سعيد، عن أبي هريرة. قال: قلت للنبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ، لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. خَالِصَةً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ». (٢)

هذا إسناد صحيح، على شرطهما، ولم يخرجاه من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، ويعلى بن عبيد، قالا: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي - يَعْنِي شَفَاعَةَ - لِأُمَّتِي، فَهِيَ تَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا». قال يعلى: شَفَاعَةٌ. (٣)

ورواه مسلم، من حديث أبي معاوية محمد بن خازم الضرير، عن الأعمش به.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، والحزاعي، يعني أبا سلمة، قالا: حدثنا ليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن سالم بن أبي سالم، عن معاوية بن معتب الهذلي، عن أبي هريرة، أنه سمعه يقول: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ردَّ إليك ربُّك في الشفاعة؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي، لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَّا يَهْمُنِي مِنْ انْقِصَافِهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَهْمٌ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ». (٤) تفرد به أحمد من هذا الوجه.

(١) أخرجه أحمد (٢٥-٢٦/٣)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٥٨)، وإسناده قوي، وأخرجه البخاري (٦٥٧٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (٩٥٠٤)، وهو على شرط مسلم. وأخرجه مسلم (١٩٩) (٣٣٨)، والترمذي (٣٦٠٢)، وابن ماجه (٤٣٠٧).

(٤) حسن: دون قوله: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ... إلخ». وأخرجه أحمد (٨٠٧٠).

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: قرأت على عبد الرحمن عن مالك، وحدثنا إسحاق، حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوُ بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَّ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي فِي الْآخِرَةِ». قال إسحاق: «فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْتَبِيَّ». (١) وقد رواه البخاري من حديث مالك به.

طريق أخرى: قال مسلم: حدثني حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب، حدثني يونس، عن ابن شهاب، أن عمرو بن أبي سفيان ابن أسيد بن جارية الثقفي، أخبره أن أبا هريرة قال لكعب الأحبار: إن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوُ بِهَا، فَأَنَا أُرِيدُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَنْ أَخْتَبِيَّ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فقال كعب لأبي هريرة: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال أبو هريرة: نعم. تفرد به مسلم. (٢)

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، أخبرني القاسم بن محمد قال: اجتمع أبو هريرة وكعب، فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي ﷺ، وكعب يحدث أبا هريرة عن الكتب. فقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنِّي اخْتَبَيْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٣) انفرد به أحمد، وإسناده صحيح على شرطهما، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة ومحمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، قال غندر في حديثه: قال: سمعت أبا هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً دَعَا بِهَا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْخِرَ دَعْوَتِي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال ابن جعفر: «فِي أُمْتِي». (٤) وقد رواه مسلم من حديث شعبة به.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ تُسْتَجَابُ لَهُ، فَأُرِيدُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَنْ أَدْخِرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٥) وهذا إسناده صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه.

طريق أخرى: قال مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن عمارة، وهو ابن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُوُ بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَيْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٦) انفرد به مسلم.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا أبو أوس، قال: قال الزهري:

(١) أخرجه أحمد (١٠٣١١)، وأخرجه مالك (٢١٢/١)، وعنه البخاري (٦٣٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٨) (٣٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٧٧١٤)، وإسناده صحيح على شرطهما.

(٤) أخرجه أحمد (٩٥٥٣)، وإسناده صحيح على شرطهما.

(٥) أخرجه أحمد (٨١٣٢)، وإسناده صحيح على شرطهما.

(٦) أخرجه مسلم (١٩٩) (٣٣٩).

أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- أَنْ أَخْتَبِي دَعْوَتِي لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً لَأُمَّتِي»^(١). تَقَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزَّهْرِيِّ^(٢).

وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الزَّهْرِيِّ بِهِ^(٣).

طَرِيقٌ آخَرُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ الْأَوْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» (الإسراء: ٧٩). قَالَ: «هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لَأُمَّتِي فِيهِ»^(٤).

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ وَكَيْعٍ، عَنْ دَاوُدَ، وَقَالَ: حَسَنٌ.

طَرِيقٌ آخَرُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ يَعْقُوبَ، عَنْ ابْنِ دَارَةَ مَوْلَى عَثْمَانَ قَالَ: إِنَّا لِبَالِقِيعٍ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِذْ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَتَدَاكَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: إِيْهِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. قَالَ: يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ عَبْدٍ لَقِيكَ يُؤْمِنُ بِي لَا يُشْرِكُ بِي»^(٥). تَقَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

رَوَايَةُ أُمِّ حَبِيبَةَ: قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، الْمَزْكِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ يَحْيَى الْأَدْمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، وَسَفَلَكَ بَعْضُهُمْ دِمَاءً بَعْضٌ فَأَحْزَنْتَنِي ذَلِكَ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُؤَلِّينِي فِيهِمْ شَفَاعَةً، فَفَعَلَ»^(٦). قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

ذِكْرُ شَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَهْلِيهِمْ

قَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ فِي شَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الشُّهَدَاءِ، ثُمَّ الْمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَابْنُ مَاجَهَ^(٧).

وَأَمَّا مَا أَوْرَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرَةِ»^(٨) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ السَّمَّاكِ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ الزُّبَيْرِ قَانٍ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ،

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩١٤٣) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٣٥٩) وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٧٤)، وَمُسْلِمٌ (١٩٨) (٣٣٤)، وَالدَّارِمِيُّ (٢٨٠٥).

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٦٨٤)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَهُوَ حَسَنٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٨٥٢)، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَعْثِ» (٢٤٠)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَلَهُ طَرُقٌ يَصِحُّ بِهَا.

(٧) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(٨) «التَّذَكُّرَةُ» (ص ٣٧٨).

عن أبي الزعراء، قال: قال ابن مسعود: يشفعُ نبيُّكم ﷺ رابعَ أربعة: جبريلُ، ثم إبراهيمُ، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيُّكم، ثم الملائكةُ، ثم الصديقون، ثم الشهداء. (١)

وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه به، وزاد أبو داود في روايته: لا يشفعُ أحدٌ بعده أكثرَ منه، وهو المقامُ المحمودُ الذي قال الله تعالى: ﴿عسى أن يعطكَ ربك مقاماً محموداً﴾. فإنه حديثٌ غريبٌ جداً، ويحيى بن سلمة بن كهيل ضعيفٌ.

وفي «الصحيح» من طريق عطاء بن يسار، عن أبي سعيد مرفوعاً: «إذا خلص المؤمنون من الصراط ورأوا أنهم قد نجوا فما أنتم بأشدَّ مناشدةً في الحق بعد ما تبين منهم لربهم عز وجل في إخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا، ويقضون معنا، فيقال لهم: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرجوه من النار، ثم يقول: نصف دينار. ثم يقول: مثقالَ ذرةٍ. فأخرجوه من النار». قال أبو سعيد: اقرءوا إن شئتم ﴿إن الله لا يظلم مثقالَ ذرة﴾ (النساء: ٤٠). قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له: نهر الحياة. فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل». «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم، يعرفهم أهل الجنة فيقولون: هؤلاء عتقاء الله، أدخلهم الله الجنة بغير عملٍ عملوه، ولا خيرٍ قدموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة، فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا، أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. فيقال: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبداً». (٢)

وفي حديث إسماعيل بن رافع، عن محمد بن كعب، عن رجل، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ -بعد ذكر دخول أهل الجنة الجنة-: «فأقول: يا رب، شفعن فيمن وقع في النار من أمتي. فيقول: نعم، أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمانٍ، من كان في قلبه ثلثا دينارٍ نصف دينارٍ، ثلث دينارٍ ربع دينارٍ، حتى بلغ قيراطين، أخرجوا من لم يعمل خيراً قط». قال: «ثم يؤذن في الشفاعة، فلا يبقى أحدٌ إلا شفّع، إلا اللعان فإنه لا يشفع، حتى إن إبليس ليتطاول يومئذ في النار رجاء أن يشفع له، مما يرى من رحمة الله تعالى، حتى إذا لم يبق أحدٌ إلا شفّع». قال: «فيقول الله عز وجل: بقيت أنا وأنا، أرحم الراحمين، فيخرج منها ما لا يحصى عدتهم غيره سبحانه، كأنهم الخشب المحترق، فيطرحون على شط نهر على باب الجنة، يقال له: الحيوان. فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل» (٣). رواه ابن أبي الدنيا.

وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا العباس بن الوليد النرسي، حدثنا يوسف بن خالد -هو السمتي- عن الأعمش، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «يعرض أهل النار صفوفاً، فيمرُّ

(١) منكر: أخرجه الطيالسي (٣٨٩)، والطبراني (٩٧٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ضعيف جداً.

بهم المؤمنون، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين قد عرفه في الدنيا، فيقول: يا فلان، أما تذكر يوم استعنتني على حاجة كذا وكذا فأعنتك؟ ويقول الآخر: يا فلان، أما تذكر يوم أعطيتك - قال: أراه قال: - كذا وكذا؟ فيذكر ذلك المؤمن، فيعرفه، فيشفع له إلى ربه، فيشفعه فيه^(١). في إسناده ضعف.

طريق أخرى عن أنس: قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، وعلى بن محمد، قالوا: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا - وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ - فَيَمُرُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا فَلانُ. أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاولتَكَ طهوراً؟ فَيُشْفَعُ لَهُ. وَيَمُرُ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَنِي فَسَقَيْتَكَ شَرِبَةً؟ قَالَ: فَيُشْفَعُ لَهُ وَيَمُرُ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فَلانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي لِحَاجَةٍ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتَ لَكَ؟ فَيُشْفَعُ لَهُ»^(٢). ورواه الطحاوي بلفظ آخر قريب من هذا المعنى.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني علي بن عبد الله بن موسى، حدثنا حفص بن عمر، أنبا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا رَبِّ، إِنَّ فَلاناً سَقَانِي شَرِبَةً مِنْ مَاءٍ فِي الدُّنْيَا، فَشَفَعْنِي فِيهِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَيَذْهَبُ فَيَتَحَسَّسُ عَلَيْهِ فِي النَّارِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْهَا»^(٣).

وهذا مرسل من مراسيل الحسن الحسان.

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي شَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَهْلِيهِمْ:

حكى بعضهم عن زبور داود عليه الصلاة والسلام أن فيه مكتوباً: يقول الله عز وجل: إِنَّ عِبَادِي الزَّاهِدِينَ أَقُولُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنِّي لَمْ أَزُودْ عَنْكُمْ الدُّنْيَا لِهَوَانِكُمْ عَلَيَّ، وَلَا لِعِزَّةِ الدُّنْيَا عِنْدِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ ذَلِكَ بِكُمْ لِتَسْتَوْفُوا نَصِيبَكُمْ الْيَوْمَ كَامِلاً مَوْفُوراً عِنْدِي، لَمْ تَكَلِّمُوا الدُّنْيَا، وَلَمْ تُشَعِّثُوا الشَّهَوَاتِ فَتَخْلَلُوا الصُّفُوفَ، فَمَنْ أَحْبَبْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ قَضَى لَكُمْ حَاجَةً، أَوْ رَدَّ عَنْكُمْ غِيبَةً، أَوْ كَسَاكُمْ خِرْقَةً، أَوْ أَطْعَمَكُمْ لُقْمَةً، أَوْ سَقَاكُمْ شَرِبَةً؛ ابْتَغَاءً وَجْهِي وَطَلَبَ مَرْضَاتِي، فَخَذُّوا بِيَدِهِ، وَأَدْخَلُوهُ الْجَنَّةَ.

وروى الترمذي والبيهقي من طريق مالك بن مغول، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مِنْ أُمَّتٍ رَجُلٌ لَا يَشْفَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي الْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ لِلْقَبِيلَةِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِلرَّجُلِ وَأَهْلِهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ»^(٤).

(١) موضوع: أخرجه أبو يعلى (٣٩٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥١١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٨٥)، وإسناده ضعيف.

(٣) مرسل إسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٦٦)، وإسناده ضعيف، وقد أخرجه أحمد (٢٠/٣)، والترمذي (٢٤٤٠)، وأبو يعلى (١٠١٣)، وله شاهد يصح به.

وروى البزار بسنده، عن أنس بن مالك، مرفوعاً: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ» (١).
وله من حديث سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عن آدم بن عليٍّ، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ:
«يُقَالُ لِلرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قُمْ يَا فَلَانُ فَاشْفَعْ. فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة، ولأهل البيت، وللرجل، وللرجلين، على قدر عمله» (٢).

ومن حديث الحسين بن واقد، عن أبي غالب: أن أبا أُمَامَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ مُضَرٍّ، وَيُشْفَعُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَيُشْفَعُ عَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ» (٣). وروى البيهقي عن الحاكم، عن الأصم؛ عن الحسن بن مكرم، عن يزيد بن هارون، أنبأنا حريز، عن عبد الرحمن -أو عبد الله- بن ميسرة، عن أبي أُمَامَةَ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيِّ مِثْلِ الْحَيَيْنِ -أو مثل أحد الحيين- ربيعةً، ومُضَرَ». فقال رجلٌ: يا رسول الله، أوما ربيعةٌ من مُضَرَ؟ فقال: «إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ» (٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق قال: جلستُ إلى رَهْطٍ أنا رابعهم بإيلياء، فقال أحدهم: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ». قلنا: سواك يا رسول الله؟ قال: «سِوَايَ». قلتُ: أنت سمعته؟ قال: نعم. فلما قام قلتُ: من هذا؟ قالوا: ابنُ أبي الجَدْعَاءِ. (٥) ثم رواه الإمام أحمد، عن عُثْمَانَ بْنِ شُعْبَةَ، وعن عفان عن وهيب، كلاهما عن خالد الحذاء، به، نحوه. (٦)

ورواه أبو عمرو ابن السَّمَّاك، عن يحيى بن جعفر، عن شبابة، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، وحبیب بن عُبيد الرَّحْبِيِّ، عن أبي أُمَامَةَ، قال: قال رسول الله ﷺ:
«يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَيْنِ ربيعةً ومُضَرَ». قيل: يا رسول الله، وما ربيعةٌ ومُضَرٌ. قال: «إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ». قال: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه. (٧)

وقال محمد بن يوسف الفريابي: حدثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق العقيلي، قال: جلستُ إلى نفرٍ من أصحاب النبي ﷺ فيهم عبد الله بن أبي الجَدْعَاءِ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ». قالوا: سواك يا رسول الله؟ قال: «سِوَايَ». قال الفريابي: يقال: إنه عثمان بن عفان رضي الله عنه. (٨)
رواه البيهقي، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، من طرقٍ متعددة، عن خالد الحذاء، به.

(١) أخرجه البزار (٣٤٧٣) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٦٥) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه الطبراني (٨٠٥٩)، وإسناده ضعيف، ولكن الحديث صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم، وعنه البيهقي في «البعث» (٢٦٣)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه أحمد (٤٦٩/٣ - ٤٧٠) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٣٦٦/٥). وإسناده صحيح.

(٧) ذكره في «التذكرة» (ص ٣٧٩)، وأخرجه ابن عساكر (٢٠٨/١١).

(٨) سبق تخريجه.

وقال الترمذی: حسنٌ صحيحٌ، وليس لابن أبي الجَدعاء حديثٌ سواه، وله من حديث أبي معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عبد الله بن قيس الأسدي، عن الحارث بن أقيش، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرٍّ، وَإِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ سَيَعُظَّمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدُ زَوَابِهَا»^(١). وكذا رواه أحمد وابن ماجه، من غير وجه عن داود ابن أبي هند، وفي لفظ لأحمد: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَشْفَعُ لَأَكْثَرِ مِنْ رِبْعَةِ وَمُضَرٍّ، وَإِنْ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَعُظَّمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهَا»^(٢).

وروى البيهقي من حديث أبي بكر ابن عياش عن هشام، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِنْ رِبْعَةِ وَمُضَرٍّ». قال هشام: أخبرني حوشب، عن الحسن أنه أُويس القرني. قال أبو بكر ابن عياش: قلت لرجلٍ من قومه: أُويس بأي شيء بلغ هذا؟ قال: فضل الله يؤتيه من يشاء»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا سعيد بن زيد، سمعت أبا سليمان العصري، حدثني عقبة بن صُهبان، سمعت أبا بكرة عن النبي ﷺ، قال: «يَحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَاتُ الصِّرَاطِ تَقَادَعُ الْقِرَاشُ فِي النَّارِ، فَيَنْجِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ يُؤَدِّنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ - زَادَ عَفَانُ مَرَّةً، فَقَالَ: وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ - مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ»^(٤).

وقال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد ابن أبي عمرو قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الخضر بن أبان، حدثنا سيار، حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - حدثنا أبو ظلال، حدثنا أنس بن مالك، حدثنا رسول الله ﷺ قال: «سَلَكَ رَجُلَانِ مَفَازَةً، أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالْآخَرُ بِهِ رَهَقٌ، وَمَعَ الَّذِي بِهِ رَهَقٌ إِدَاوَةٌ، فِيهَا مَاءٌ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَابِدِ مَاءٌ، فَعَطِشَ الْعَابِدُ، فَقَالَ: أَيُّ فَلَانٍ، اسْقِنِي فَهُوَ ذَا أَمُوتَ. فَقَالَ: إِنَّمَا مَعِيَ إِدَاوَةٌ، وَنَحْنُ فِي مَفَازَةٍ، فَإِنْ سَقَيْتُكَ هَلَكْتَ. فَسَلَكَا، ثُمَّ إِنَّ الْعَابِدَ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ، فَقَالَ: أَيُّ فَلَانٍ، اسْقِنِي فَهُوَ ذَا أَمُوتَ. فَقَالَ: إِنَّمَا مَعِيَ إِدَاوَةٌ، وَنَحْنُ فِي مَفَازَةٍ، فَإِنْ سَقَيْتُكَ هَلَكْتَ. فَسَلَكَا، ثُمَّ إِنَّ الْعَابِدَ سَقَطَ، فَقَالَ: أَيُّ فَلَانٍ، اسْقِنِي فَهُوَ ذَا أَمُوتَ. قَالَ الَّذِي بِهِ رَهَقٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَمُوتُ ضِيَاعًا، إِنْ تَرَكْتَهُ وَلَمْ أَسْقِهِ لَا تَبْلُغُنِي عِنْدَ اللَّهِ بِأَلَّةٍ أَبَدًا. فَرَشَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ وَسَقَاهُ، ثُمَّ سَلَكَا الْمَفَازَةَ، فَفُطِعَاهَا، قَالَ: فَيُوقَفَانِ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْمَرُ بِالْعَابِدِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُؤْمَرُ بِالَّذِي بِهِ رَهَقٌ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَيَعْرِفُ الَّذِي بِهِ رَهَقٌ الْعَابِدَ، وَلَا يَعْرِفُ الْعَابِدُ الَّذِي بِهِ رَهَقٌ، فَيُنَادِيهِ. أَيُّ فَلَانٍ، أَنَا الَّذِي أَتَرَكْتُ عَلَى نَفْسِي يَوْمَ الْمَفَازَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي إِلَى النَّارِ،

(١) أخرجه أحمد (٢١٢/٤)، وابن ماجه (٤٣٢٣)، وانظر «صحيح ابن ماجه» (٣٤٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٢/٤) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الحاكم (٤٠٥/٣)، وهو مرسل إسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٤٣/٥) وإسناده حسن.

فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّكَ. فَيَقُولُ الْعَابِدُ: أَيُّ رَبٍّ، إِنَّهُ قَدْ أَثَرَنِي عَلَى نَفْسِهِ، أَيُّ رَبٍّ هَبْهُ لِي الْيَوْمَ. فَيَهْبُهُ لَهُ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ. زاد فيه: «فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، مَا أَشَدَّ مَا غَيَّرْتُكَ نِعْمَةً رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ» (١).

ثم قال البيهقي: وهذا الإسناد، وإن كان غير قوي فله شاهد من حديث أنس بن مالك؛ حدثنا أبو سعد الزاهد إماماً، حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسن بن الحسين بن منصور، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، حدثنا محمد بن أبي بكر المديني، حدثنا علي بن أبي سارة، عن ثابت البناني، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُشْرَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّارِ، فَيُنَادِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي مَرَرْتُ بِي فِي الدُّنْيَا، فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرِبَةً مِنْ مَاءٍ، فَسَقَيْتُكَ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُكَ. قَالَ: فَاشْفَعْ لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ. قَالَ: فَيَسْأَلُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَشْرَفْتُ عَلَى النَّارِ، فَتَادَانِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ، مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي مَرَرْتُ بِي فِي الدُّنْيَا، فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرِبَةً مِنْ مَاءٍ، فَسَقَيْتُكَ فَاشْفَعْ لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ. فَشَفَعَنِي فِيهِ، فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ» (٢).

أُتْبَانَا أَبُو طَالِبٍ طَاهِرُ الْفَقِيهِ، أُتْبَانَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو قَبِيصَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ الضَّبِّيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ الْأَخْنَسِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ ابْنَ عَيَّاشٍ جَارَ ابْنِ هَارُونَ يُحَدِّثُ، عَنْ سُلَيْمَانَ التِّيمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ صُفُوفًا، وَأَهْلَ النَّارِ صُفُوفًا، فَيَنْظُرُ الرَّجُلُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ النَّارِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، مَا تَذْكُرُ يَوْمَ اصْطَنَعْتُ إِلَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ هَذَا اصْطَنَعَ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا. فَيُقَالُ: خُذْ بِيَدِهِ، وَادْخُلْهُ الْجَنَّةَ». قَالَ أَنَسٌ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ (٣). قَالَ: وَكَذَا رَوَاهُ السَّمْعَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِمْرَانَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حديث فيه شفاعت الأعمال الصالحة لصاحبها عند الله يوم القيامة

قال عبد الله بن المبارك: أخبرنا رشدين بن سعد، عن حبي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: إن الصيام، والقرآن، ليسفَعان للعبد؛ يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار، فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. (٤)

وروى نعيم بن حماد، عن إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن أبي قلابة، قال: كان ابن أخي يتعاطى الشراب، فمرض، فبعث إلي ليلاً أن الحق بي فأتيته، فرأيت أسودين قد دنوا منه، فقلت: إنا لله، وإنا إليه راجعون، هلك ابن أخي. فاطلع أبيضان من الكوة التي في البيت،

(١) أخرجه أبو يعلى (٤١٩٧)، والطبراني «الأوسط» (٢٩٢٧)، وإسناده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٤٧٧)، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (١٩)، والخطيب في «تاريخه» (٣٣٢/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧٦٨٧)، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥)، وإسناده ضعيف. والحديث حسن.

فقال أحدهما لصاحبه: انزل إليه. فلما نزل تحيى عنه الأسودان، فشم فاه، فقال: ما أرى فيه ذكراً. ثم شم بطنه، فقال: ما أرى فيها صيماً، ثم شم رجله، فقال: ما أرى فيها صلاة. فقال له صاحبه: إنا لله وإنا إليه راجعون، رجل من أمة محمد ﷺ ليس له من الخير شيء ويحك، عد فانظر. فعاد فنظر فلم يجد شيئاً، فنزل الآخر فشم، فلم يجد شيئاً، ثم عاد، فإذا في طرف لسانه تكبيرة في سبيل الله، قالها ابتغاء وجه الله بأنطاكية، فقبضوا روحه، فشموا في البيت رائحة المسك، وشهد الناس جنازته. (١) حديث غريب جداً.

قال العلامة أبو عبد الله محمد القُرطبي في «التذكرة» (٢): وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم (٣) بن محمد الحسني في كتاب «الديباج» له، حدثنا أحمد بن أبي الحارث، حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد، عن معمر بن راشد، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين». قال: «فيخرج من النار مثل أهل الجنة». أو قال: «مثل أهل الجنة». قال: وأكثر ظني أنه قال: «مثل أهل الجنة، مكتوب بين أعينهم عتقاء الله». (٤)

وروى الترمذي، عن أنس، مرفوعاً: «يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من ذكرتي يوماً، أو خافني في مقام» (٥). وقال: حسن غريب.

وله عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الرب تعالى: أخرجوهما. فلما أخرجاً قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ فقالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: إن رحمتي مما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار. فبتطلقان فيلقى أحدهما نفسه، فيجعلها عليه برداً وسلاماً، ويقوم الآخر، فلا يلقى نفسه، فيقول الرب، عز وجل: ما منعك أن تلقى نفسك، كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني منها. فيقول الرب سبحانه: لك رجاؤك. فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله». (٦)

وفى إسناده ضعف لحال رشدين بن سعد، عن ابن أنعم، وهما ضعيفان، ولكن تغتفر رواية مثل هذا في هذا الباب؛ لأنه من الترغيب والترهيب. والله أعلم.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا رشدين بن سعد، حدثنا أبو هاني الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي، أن فضالة بن عبيد، وعبادة بن الصامت حدثاه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة، وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان، فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار: ردوه فيردونه، فيقول له: لم التفت؟ فيقول: كنت أرجو أن تدخلني الجنة. فيؤمر به إلى الجنة،

(١) إسناده ضعيف: لضعف إبراهيم بن الحكم وأبوه.

(٢) «التذكرة» (ص ٣٨٢).

(٣) في «التذكرة» (ص ٣٨٢): إسحاق بن إبراهيم، بدلاً من (يحيى) وفي نسخ كثيرة كذلك.

(٤) إسناده ضعيف.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٩٤)، وابن أبي عاصم (٨٣٣) وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٥٩٩) وإسناده ضعيف.

فَيَقُولُ: لَقَدْ أَعْطَانِي رَبِّي حَتَّى لَوْ أَنِّي أَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي شَيْئًا.. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور في وجهه. (١)

فصل: في أصحاب الأعراف

قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف: ٤٦). قال ابن عباس وغيره: الأعراف سور بين الجنة والنار، وعليه رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار. (٢) وقال الشعبي، عن صله بن زفر، عن حذيفة قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وإذا صرقت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك، عز وجل، فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فإني قد غفرت لكم. (٣) رواه البيهقي، ومن وجه آخر، عن الشعبي، عن حذيفة مرفوعاً، وفيه نظر. (٤)

وقال سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: أصحاب الأعراف رجال تستوي حسناتهم وسيئاتهم، فيذهب بهم إلى نهر يقال له: الحياة. تربته ورس وزعفران، وحافته قصب من ذهب مكلل باللؤلؤ، فيغتسلون فيه فيبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثم يغتسلون فيزدادون بياضاً، ثم يقال لهم: تمنوا ما شئتم. فيتمنون ما شاءوا، فيقال لهم: لكم ما تمنيتم سبعين مرة. فأولئك مساكن الجنة. (٥) وقد وردت أحاديث فيها غرابة في شأن أصحاب الأعراف، وصفاتهم، تركناها لضعفها، والله أعلم.

ذكر آخر من يخرج من النار

ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا. يا رسول الله. قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعة، فيتبّع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله، تبارك وتعالى، في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبّعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم،

(١) أخرجه في «زوائد الزهد» (٤٠٩)، وأحمد (٣٣٠/٥)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق «تفسير» (٩٠٥) عن ابن عباس، وهو صحيح.

(٣) أخرجه ابن المبارك (١٣٧٠)، وابن جرير (١٤٦٩٤)، والبيهقي في «البعث» (١٠١).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٣٧/٨)، والبيهقي في «البعث» (١٠٣)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (١٩٨)، وابن أبي شيبه (١٢٩/١٣) وله طرق يصح بها.

سَلَّمَ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَابِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟. قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمَوْبِقُ يَعْمَلُهُ، وَمِنْهُمْ الْمَجَارِزُ حَتَّى يَنْجَى، حَتَّى إِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصْبُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِبْحَهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا. فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدْ مَنَى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطَيْتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَ؟ وَيَلْكَ يَا بَنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ. وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخَلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ سبحانه: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطَيْتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ مَا أُعْطَيْتَ. وَيَلْكَ يَا بَنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ، حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّنْ. فَيَسْأَلُ اللَّهَ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِذَا لِيَذْكُرَهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. (١)

قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه شيئاً من حديثه، حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل: «ومثله معه». قال أبو سعيد: «وعشرة أمثاله معه، يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه». فقال أبو سعيد: أشهد أنني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله». قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة. هذا لفظ مسلم.

ثم ساقه من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، ثم أورد الحديث من رواية عطاء بن يسار، وغيره، عن أبي سعيد وساقه بطوله، نحوه، وفيه: أنه يعطي ذلك وعشرة أمثاله. (٢) وفي بعض سياقاته: أنه يتنقل من النار إلى باب الجنة في ثلاث مراحل، كل مرحلة يجلس تحت شجرة، كل واحدة هي أحسن من أختها التي قبلها. (٣)

(١) أخرجه مسلم (١٨٢) (٢٩٩).

(٢، ٣) سبق تخريجهما.

وكذلك رواه مسلمٌ أيضاً، من حديث ابن مسعودٍ، وفيه: «عَشْرَةُ أَمْثَالِهِ». كما حفظه أبو سعيدٍ. والله سبحانه وتعالى أعظمُ وأكرمُ وأرأفُ وأرحمُ.

وهكذا رواه البخاريُّ، عن ابن مسعودٍ، فقال: حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ منصورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَيًّا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. (١)

فصل

روى الدارقطنيُّ في كتابه «الرواة عن مالك»، والخطيبُ البغداديُّ، من طريق غريبة، عن عبد الملك بن الحكم، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، يُقَالُ لَهُ: جُهَيْنَةُ. فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ، سَلَوْهُ: هَلْ بَقِيَ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ؟». وهذا الحديث لا تصحُّ نسبته إلى الإمام مالك؛ لجهالة روايته عنه، ولو كان محفوظاً من حديثه لكان في كتبه المشهورة عنه، كـ «الموطأ» وغيره مما رواه عنه الثقات. والعجيبُ أنَّ القرطبي ذكره في «التذكرة»، وجزم به، فقال: قال ابن عمر: قال رسولُ الله ﷺ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، يُقَالُ لَهُ: جُهَيْنَةُ. فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ». (٢)

وكذلك ذكره السهيليُّ، ولم يضعفه، وحكى السهيليُّ قولاً آخرَ أنَّ اسمه هَنَادٌ. فالله أعلم. وقال مسلمٌ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا: رَجُلٌ يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرَضُوا عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتَعَرَّضَ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْكُرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَهُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. (٣)

وقال الطبرانيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ يَحْيَى الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو فُرُوةَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦) (١٨٧)، والترمذي (٢٥٩٥)، وابن ماجه (٤٣٣٩).

(٢) موضوع: راجع «الضعيفة» (٣٧٧)، و«الفوائد المجموعة» (٥١١).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠) (٣١٤)، وأخرجه أحمد (١٧٠/٥)، والترمذي (٢٥٩٦).

ابن سنان الرهاوي، حدثني أبي عن أبيه، حدثني أبو يحيى الكلاعي، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آخِرَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ عَلَى الصَّرَاطِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، كَالْغُلَامِ يَضْرِبُهُ أَبَوُهُ، وَهُوَ يَفْرُ مِنْهُ يَعْجِزُ عَنْهُ عَمَلُهُ أَنْ يَسْعَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ بَلِّغْ بِي الْجَنَّةَ وَنَجِّنِي مِنَ النَّارِ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي، إِنَّ أَنَا نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلْتُكَ الْجَنَّةَ أَتَعْتَرِفُ لِي بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ؟ فَيَقُولُ الْعَبْدُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ لَنْ نَجَّيْتَنِي مِنَ النَّارِ لِأَعْتَرِفَ لَكَ بِذُنُوبِي وَخَطَايَايَ. فَيَجُوزُ الْجِسْرَ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: لَنْ أَعْتَرِفَ لَهُ بِذُنُوبِي وَخَطَايَايَ لِيَرُدَّنِي إِلَى النَّارِ. فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي، اعْتَرِفْ لِي بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ أَغْفِرْهَا لَكَ، وَأَدْخِلْكَ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ الْعَبْدُ: لَا وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ، مَا أَذْنِبْتُ ذَنْبًا قَطُّ، وَلَا أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً قَطُّ. فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَلَيْكَ بَيْنَةً. فَيَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى أَحَدًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَرْنِي بَيْنَتَكَ، فَيَسْتَنْطِقُ اللَّهُ جِلْدَهُ بِالْمَحْضَرَاتِ، فَإِذَا رَأَى الْعَبْدُ ذَلِكَ يَقُولُ: يَا رَبِّ، عِنْدِي وَعِزَّتِكَ الْعِطَائِمُ. فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي أَنَا أَعْرِفُ بِهَا مِنْكَ، اعْتَرِفْ لِي بِهَا أَغْفِرْهَا لَكَ وَأَدْخِلْكَ الْجَنَّةَ. فَيَعْتَرِفُ الْعَبْدُ بِذُنُوبِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. ثُمَّ ضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، يَقُولُ: «هَذَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةً، فَكَيْفَ بِالَّذِي. فَوْقَهُ» (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا سلام - يعني ابن مسكين - عن أبي ظلال، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ، يَا مَنَّانُ». قَالَ: «فَيَقُولُ اللَّهُ لَجَبْرِئِيلَ: اذْهَبْ فَانْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا. فَيَنْطَلِقُ جَبْرِئِيلُ فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُنْكَبِينَ يَبْكُونَ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ، فَيُخْبِرُهُ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَانْتِنِي بِهِ، فَإِنَّهُ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا. فَيَجِيءُ بِهِ، فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا عَبْدِي، كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، شَرَّ مَكَانٍ وَشَرَّ مَقِيلٍ. فَيَقُولُ: رُدُّوْا عَبْدِي. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ تَرُدَّنِي فِيهَا. فَيَقُولُ: دَعُوا عَبْدِي» (٢). انفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت وأبو عمران الجوني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «يُخْرِجُ أَرْبَعَةَ مِنَ النَّارِ - قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: أَرْبَعَةَ. وَقَالَ ثَابِتٌ: رَجُلَانِ - فَيُعَرِّضُونَهُ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِمُ إِلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا. فَيُنْجِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهَا» (٣) وهكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة، به.

وقال عبد الله بن المبارك: حدثني رشدين بن سعد، حدثني ابن أنعم، عن أبي عثمان، أنه حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ يَشْتَدُ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: أَخْرِجُوهُمَا. فَأَخْرَجَا، فَقَالَ لَهُمَا: لَأَيُّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالَا: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا. قَالَ: رَحِمْتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتَلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَيَنْطَلِقَانِ، فَيَلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَيَقُومُ الْآخَرُ، فَلَا يَلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ تَعَالَى:

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني (٧٦٦٩)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٠/٣)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٥/٣). وأخرجه مسلم (١٩٢)، وأحمد (٢٢٢/٣).

مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِي نَفْسَكَ، كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ، إِنِّي أَرْجُوكَ أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا. فَيَقُولُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ. فَيَدْخُلَانِ جَمِيعًا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. (١)

وذكر بلال بن سعد في خطبته أن الله تعالى إذا أمرهما بالرجوع إلى النار يَنْطَلِقُ أَحدهما في أغلاله وسلاسله حتى يَفْتَحَهما، وَيَتَلَكَّأُ الْآخَرُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلأَوَّلِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي خَبَرْتُ مَنْ وَبَالَ مَعْصِيَتِكَ مَا لَمْ أَكُنْ أَتَعَرَّضُ لِسَخَطِكَ ثَانِيًا. وَيَقُولُ لِلْآخَرِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَلَكَّأْتَ؟ فَيَقُولُ: حَسَنَ ظَنِّي بِكَ إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا. فِيرْحَمُهُمَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَيُدْخِلُهُمَا الْجَنَّةَ. (٢)

فصل

إذا خَرَجَ أَهْلُ الْمَعَاصِي مِنَ النَّارِ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُ الْكَافِرِينَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا، وَلَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، بَلْ هُمْ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ حَبَسَهُمُ الْقُرْآنُ، وَحُكِمَ عَلَيْهِمُ بِالْخُلُودِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن: ٢٣). وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٢٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (الأحزاب: ٦٤، ٦٥). وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ» فِي آخِرِهَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ (٢٥) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (النساء: ١٦٨، ١٦٩).

فهذه ثلاث آيات، فيهنَّ الحكمُ عليهم بالخُلُودِ في النَّارِ أَبَدًا، ليس لهنَّ رابعةٌ مثلهنَّ في ذلك. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٢٨). وَقَوْلُهُ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧). فَقَدْ تَكَلَّمَ بِنُ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ بِكَلَامٍ يَطُولُ بَسْطُهُ، وَجَاءَتْ آثَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ غَرِيبَةً، وَوَرَدَتْ أَخْبَارٌ عَجِيبَةٌ، وَلِلْكَلامِ عَلَى ذَلِكَ مَوْضِعٌ آخَرُ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ وَأَكْرَمُ.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك، عن عمر بن محمد بن زيد، حدثني أبي، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ جِئَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يَوْقِفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَذْبَحُ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ. فَازْدَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ». (٣)

وهكذا رواه البخاري، عن مُعَاذِ بْنِ أَسَدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، بِهِ مِثْلُهُ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا غَسَّانُ بْنُ الرَّبِيعِ، مَوْصِلِيٌّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَبِشًا أَغْبَرُ، فَيُوقَفُ

(١) إسناده ضعيف وقد سبق.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٦/٥) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٥٩٩٣)، وإسناده جيد، وأخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠)، وابن حبان (٧٤٧٤)، والطبراني (١٣٣٣٧).

بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيُرَوْنَ أَنَّ قَدْ جَاءَ الصَّرَاحُ، فَيَذْبَحُ وَيَقَالُ: خُلُودٌ لَا مَوْتَ،^(١) وهذا إسنادٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد وابنُ نُمَيْرٍ، قالا: حدثنا محمد بنُ عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصَّرَاطِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيُطْلَعُونَ خَائِفِينَ وَجَلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا - وَقَالَ يَزِيدُ: أَنْ يُخْرَجُوا - مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ فَيَقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ رَبَّنَا، هَذَا الْمَوْتُ. ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيُطْلَعُونَ فَرَحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيَقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ عَلَى الصَّرَاطِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلضَّرِيقَيْنِ كُلِّهِمَا: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهِ أَبَدًا»^(٢) إسناده جيدٌ قوى على شرط الصحيح، ولم يُخرجه أحدٌ من هذا الوجه.

وقال البزار: حدثنا بشر بنُ آدم، حدثنا نافع بنُ خالد الطَّاحِي، حدثنا نوح بنُ قيس الطَّاحِي، عن أخيه خالد بنِ قيس، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَذْبَحُ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ»^(٣). ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى عن أنسٍ إلا من هذا الوجه. والله سبحانه أعلم.

ذكر صفة الجنة وما فيها من التعيم المقيم الدائم على الأبد،

لا يفنى ولا يضمحل ولا يببئ أبدا بل كلما له في ازدياد وبهاء وحسن،

نسأل الله سبحانه الجنة، ونعوذ به من النار

قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظَلَّهَا﴾ (الرعد: ٣٥). والمنقطع ولو بعد ألوف من السنين ليس بدائم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص: ٥٤). والمنقطع ينفد، وقال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦). فأخبر أن الدنيا وما فيها ينفد، وما عند الله باق لا ينفد، فلو كان له آخر لكان ينفد كما ينفد نعيم الدنيا. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق: ٢٥). أي: غير مقطوع. قاله طائفة من المفسرين؛ غير مقطوع ولا منقوص، ومنه المنون، وهو قطع عمر الإنسان، وعن مجاهد: غير محسوب. وهو مثل الأول؟ لأن ما ينقطع محسوب مقدر، بخلاف ما لا نهاية له.

ذكر ما ورد في عدد أبواب الجنة واتساعها وعظمت جنتاتها

قال الله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: ٧٣). وقال تعالى: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥٠). وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (الرعد: ٢٣). وقد تقدم أن المؤمنين إذا انتهوا إلى باب الجنة وجدوه مغلقا، فيستشفعون الله؛ ليفتح لهم،

(١) أخرجه أحمد (٩٤٤٩)، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٧٥٤٦)، وإسناده جيد وهو صحيح.

(٣) أخرجه البزار (٢١٣/٤)، وأبو يعلى (٢٨٩١) وهو حديث صحيح.

بمحمد ﷺ، فيأتي باب الجنة ثم يُقَعِّعُ حَلَقَةَ الباب، فيقول الحازن: مَنْ أَنْتَ؟ فيقول: «محمد». فيقول: بك أمرت أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ.

وَبُثِّتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقَعِّعُ بَابَ الْجَنَّةِ (١)، وَسَيَأْتِي فِي الْحَدِيثِ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَهْلُ السَّنَنِ، مِنْ رِوَايَةِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (٣).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُدْعَى الرِّيَّانُ، يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الصَّائِمِينَ؟ فَإِذَا دَخَلُوهُ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ غَيْرُهُمْ». قَالَ بَشْرٌ: فَلَقِيتُ أَبَا حَازِمٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَحَدَّثَنِي بِهِ، غَيْرَ أَنِّي لِحَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْفَظُ (٤).

وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ؛ بَابٌ مِنْهَا يُسَمَّى الرِّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» (٥).

وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، بِهِ (٦). وَرَوَاهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَهْلِ، بِهِ (٧).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعَى مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ (٨) أَبْوَابٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ ضَرُورَةٍ دُعِيَ، مِنْ أَيِّهَا دُعِيَ، فَهَلْ يَدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» (٩). وَأَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ، وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ شَيْبَانَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُهُ (١٠).

(١) أخرجه مسلم (١٩٦) (٣٣٠) (٣٣١). (٢) إسناده ضعيف وسيأتي.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٤)، وأبو داود (١٦٩)، والنسائي (٩٥/١).

(٤) أخرجه أحمد (٣٣٣/٥)، وإسناده حسن، وأخرجه البخاري (١٨٩٦) (٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢)، وابن ماجه (١٦٤٠).

(٥) أخرجه الطبراني (٥٧٩٥) وإسناده حسن.

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٥٧).

(٧) أخرجه البخاري (١١٥٢).

(٨) زيادة ليست في «المسند».

(٩) أخرجه أحمد (٧٦٣٣) إسناده صحيح على شرطهما.

(١٠) أخرجه البخاري (٢٨٤١) (٣٢١٦)، ومسلم (١٠٢٧) (٨٦).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا حريز بن عثمان، عن شرحبيل بن شفعة قال: لقيت عتبة بن عبد السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ إِلَّا تَلَقَّوهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيَّهَا شَاءَ دَخَلَ» (١). ورواه ابن ماجه، عن ابن نمير أيضاً.

وروى البيهقي من حديث الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن أبي المثنى الأملوكي، أنه سمع عتبة بن عبد السلمي، عن النبي ﷺ، في حديث ذكره في قتال المخلص والمذنب والمنافق، قال فيه: «وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَإِنَّ السَّيْفَ مَحَاءٌ لِلذُّنُوبِ، وَلَا يَمَحُو النَّفَاقَ» (٢). الحديث بطوله.

وتقدم الحديث المتفق عليه، من حديث أبي زرعة، عن أبي هريرة، في حديث الشفاعة، قال فيه: «فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ، ادْخُلْ مِنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي سَائِرِ الْأَبْوَابِ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ وَمَا بَيْنَ عِضَادَتِي الْبَابِ لَكُمْ بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» (٣).

وفي «صحيح مسلم»، عن خالد بن عُمير العدوي، أن عتبة بن غزوان خطبهم، فقال بعد حمد الله، والثناء عليه: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصُرمٍ، وولت حذاءً، وإنما بقي منها صُبابَةٌ كصُبابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنكُمْ مُتَقَلِّوْنَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهُ لَتَمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظْلِظٍ مِنَ الزَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرَحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَّقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنَصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنَصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِمَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوءَةً قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ وَتَجْرِبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا» (٤).

وفي «المسند» من حديث حماد بن سلمة، عن الجريري، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ، وَمَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِلِظٌ» (٥).

ورواه البيهقي، من طريق علي بن عاصم، عن سعيد الجريري، عن حكيم بن معاوية، به، وقال: «مَسِيرَةُ سَبْعِ سِنِينَ» (٦).

(١) أخرجه أحمد (١٨٣/٤)، والطبراني (٣٠٩/١٢٥/١٧)، وابن ماجه (١٦٠٤)، والحديث صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٣٥)، وأحمد (١٨٦/٤)، وإسناده ضعيف.

(٣) سبق مراراً. (٤) أخرجه مسلم (٢٩٦٧) (١٤).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد» (١٤٧٥) وإسناده حسن.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٣٩)، وابن عدي (٥٠٠/٢) عن الجريري، به.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا الفضل بن الصَّبَّاح أبو العباس، حدثنا مَعْنُ بن عيسى، حدثنا خالد بن أبي بكر ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَابُ أُمْتِي الَّتِي تَدْخُلُ مِنْهُ الْجَنَّةُ عَرْضُهُ مَسِيرَةُ الرَّكَّابِ الْمَجُودِ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيُضْغَطُونَ عَلَيْهِ حَتَّى تَكَادَ مَنَاكِهُمُ تَزُولُ» (١).

وقد رواه الترمذی من حديث خالد هذا، ثم قال: وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث، فلم يعرفه، وقال: لخالد بن أبي بكر منكير عن سالم (٢). قال البيهقي: وحديث عتبة بن غزوان: «أربعين سنة» أصح (٣).

وروى عبد بن حميد في «مسنده»، عن الحسن بن موسى الأشيب، عن ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (٤).

فأما حديث لقيط بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهُمْ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا» (٥). وكذلك قال في بُعد ما بين أبواب الجنة، فهو حديث مشهور، وحمله بعض العلماء على بُعد ما بين الباب إلى الباب الآخر، لا على ما بين المصراعين اللذين في باب واحد، بل الباب يدور في طول الجدار كما يدور حول صدور البلد إلى الباب الآخر! لئلا يعارض ما تقدم. والله أعلم.

وقد ذكر القرطبي وادعى أن للجنة ثلاثة عشر بابًا، ولكن لم يقيم على ذلك دليلاً قوياً أكثر من أنه قال: وما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..» وفي آخره قال: «فَتَحَّ لَهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (٦). خرجه الترمذی وغيره. قال: وروى الأجرى في كتاب «النصيحة» عن أبي هريرة مرفوعاً: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: بَابُ الضُّحَى. يُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا يَدَاوِمُونَ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى؟ هَذَا بَابُكُمْ فَادْخُلُوا» (٧). قال: وقال الترمذی الحكيم أبو عبد الله: أبواب الجنة منها باب محمد ﷺ وهو باب التوبة، وباب الصلاة، وباب الصوم، وباب الزكاة، وباب الصدقة، وباب الحج، وباب العمرة، وباب الجهاد، وباب الصلوة. وزاد غيره باب الكاظمين، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه الذين لا حساب عليهم. وجعل القرطبي الباب الذي عرضه مسيرة ثلاثة أيام للراكب المجود - كما وقع عند الترمذی - باباً ثالثاً عشر. فאלله أعلم.

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان وعنه البيهقي في «البعث» (٢٣٧)، وأبو يعلى (٥٥٢٩)، والترمذی (٢٥٤٨) وهو حديث منكر.

(٢) «سنن الترمذی» (٤/٥٩٠-٥٩١).

(٣) انظر «البعث» (ص ١٦٨).

(٤) ليس بهذا اللفظ في مسند «عبد بن حميد»، وانظر إلى ما رواه أحمد (٢٩/٣) وغيره.

(٥) لم أعثر عليه حتى يكون مشهوراً؟!

(٦) إسناده ضعيف، وقد مضى نحوه.

(٧) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٠٦٠) وإسناده ضعيف جداً.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل! قال: قال رسول الله ﷺ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

وفى «صحيح البخاري» قال: وقيل لو هب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن إن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. يعني: لا بد أن يكون مع التوحيد أعمالاً صالحة من فعل الطاعات وترك المحرمات. والله أعلم^(٢).
وتقدم في حديث على، قال: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زبراً، حتى إذا انتهوا إلى أول باب من أبوابها، وجدوا عنده شجرة. وذكر الحديث.

ذكر تعداد محال الجنة وارتفاعها واتساعها

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦، ٤٧) الآيات إلى آخر السورة.

وثبت في «الصحيحين» من حديث عبد العزيز بن عبد الصمد، عن أبي عمران الجوني، عن أبي بكر ابن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رَدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(٣).

وروى البيهقي من حديث مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي بكر ابن أبي موسى، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ لِلْسَّابِقِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ وَرَقٍ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ»^(٤).

وقال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس بن مالك، أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثه يوم بدر؛ أصابه سهم غرب، فقالت: يا رسول الله، قد علمت موقع حارثه من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع. فقال لها: «أهبلت؟ أجنت؟ واحدة هي؟! إنها جنات كثيرة، وأنه في الفردوس الأعلى»^(٥). وقال: «عدوة في سبيل الله أو روضة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم -أو موضع قدم- من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاعت ما بينهما، ولألت ما بينهما ريحاً ولنصيفها -يعنى الخمار- خير من الدنيا وما فيها»^(٦).

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢/٥)، والبخاري (٢٦٦٠)، والطبراني «دعاء» (١٤٧٩)، وإسناده ضعيف.

(٢) علقه البخاري في «الجنائز» كما سبق.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) (٤٨٨٠)، ومسلم (١٨٠)، والترمذي (٢٥٢٨).

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (ص ١٠٦)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٦٧).

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٦٨)، ومسلم (١٨٨٠) (١١٢).

وفى رواية، عن قتادة أنه قال: «الْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا» (١). وقد رواه الطبراني من حديث سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً (٢).
قال الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الغاشية: ١٠). وقال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (طه: ٧٥). وقال تعالى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وقال تعالى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ حَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قالوا: يا رسول الله، أفلا نخبر الناس؟ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ - أَوْ تَفْجَرُ - أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». شك أبو عامر (٣).

ورواه البخاري، عن إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن فليح، عن أبيه بمعناه (٤).
وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو همام الدَّالُّ، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن معاذ بن جبل قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَصَامَ رَمَضَانَ - لَا أَدْرِي ذَكَرَ زَكَاةً أَمْ لَا؟ - كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، هَاجِرًا أَوْ قَعْدًا حَيْثُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». قلت: يا رسول الله، ألا أخرج فأوزن الناس؟ فقال: «لَا، ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْهَا الْفِرْدَوْسُ. وَعَلَيْهَا يَكُونُ الْعَرْشُ، وَهِيَ أَوْسَطُ شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ، وَمِنْهَا تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ» (٥). وهكذا رواه الترمذي، عن قتيبة وأحمد بن عبد الله، عن الدَّرَاوَرْدِيِّ، عن زيد بن أسلم، به. وأخرجه ابن ماجه، عن سويد، عن حفص بن ميسرة، عن زيد مختصراً.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عقان، حدثنا همام، حدثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ». وقال عقان: «كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْهَا تَخْرُجُ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْعَرْشُ مِنْ فَوْقِهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ».

(١) لكن عند أحمد (١٣٧٤١) أنه من كلام قتادة، وعند الترمذي (٣١٧٤)، أنه من كلام النبي ﷺ والراجح أنه من كلام قتادة، ورواه عنه البيهقي (١٦٧/٩) لكنه صح مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/١٦)، والطبراني (٦٨٨٦)، وإسناده ضعيف ولكن صح بشواهد.

(٣) أخرجه أحمد (٨٤١٩) (٤٨٢٠) (٤٨٢١)، بإسناد يقوى بعضها بعضاً، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند النسائي (٢٠/٦)، بإسناد حسن. وبه يصح الحديث.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) (٧٤٢٣).

(٥) أخرجه الطبراني (٣٢٧/١٥٧/٢٠) بإسناد ضعيف، والحديث صحيح.

ورواه الترمذی، عن أحمد بن منیع، عن یزید بن ہارون، عن ہمام بن یحیی، به (۱). قلت: ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب، فإن أعلى القبّة هو أوسطها، فالجنة والله أعلم كذلك. وقال أبو بكر ابن أبي داود: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا یزید بن ہارون، أخبرنا شريك، عن محمد بن جحادة، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام» (۲).

ورواه الترمذی، عن عباس العنبري، عن یزید بن ہارون، فذكره، وعنده: «ما بين كل درجتين مائة عام». وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال أبو يعلى: حدثنا زهير، حدثنا حسن، عن ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة مائة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن توسعتهم» (۳). ورواه الترمذی، عن قتيبة، عن ابن لهيعة، ورواه أحمد أيضاً.

ذكر ما يكون لأدنى أهل الجنة منزلة وأعلامهم

من اتساع الملك العظيم، والتعيم المقيم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ۲۰). وقد تقدم في حديث ابن مسعود، في آخر من يدخل الجنة، أن الله يقول له: «أما ترضى أن يكون لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها» (۴) وكذلك في غيره من الأحاديث الصحيحة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن ثوير، هو ابن أبي فاختة، عن ابن عمر، رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي ينظر إلى جنانه ونعيمه وخدمته وسريره مسيرة ألف سنة، وإن أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَجْهٌ يُؤْمِنُ نَاضِرَةٌ﴾ (الت) إلى ربها ناظرة ﴿﴾ (القيامة: ۲۲، ۲۳). (۵)

وقال أيضاً: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن أبجر، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألقى سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر أزواجه وخدمته، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجهه الله تعالى كل يوم مرتين» (۶).

ورواه الترمذی، عن عبد بن حميد، عن شابة، عن إسرائيل، عن ثوير، به. قال: وقد روي من غير وجه، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً. قال: ورواه الثوري، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر قوله (۷). قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر موقوفاً. كذا قال.

(۱) أخرجه أحمد (۳۱۶/۵)، والترمذی (۲۵۳۱).

(۲) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (۶۲)، وأحمد (۲/۲۹۲)، والترمذی (۲۵۲۹)، وإسناده ضعيف.

(۳) أخرجه أبو يعلى (۱۳۹۴)، والترمذی (۲۵۳۲)، وإسناده ضعيف.

(۴) أخرجه البخاري (۶۵۷۱)، ومسلم (۱۸۶)، والترمذی (۲۵۹۵).

(۵) أخرجه أحمد (۵۳۱۷)، وإسناده ضعيف جداً.

(۶) أخرجه أحمد (۴۶۲۳)، وأبو يعلى (۵۷۲۹) وإسناده ضعيف.

(۷) أخرجه الترمذی (۶۸۸/۴)، والطبري (۱۹۳/۲۹)، وإسناده ضعيف.

وقد تقدّم رواية أحمد بهذه الطريق مرفوعاً.

وروى مسلم والطبراني - وهذا لفظه - من حديث سفيان بن عيينة، حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن سعيد بن أبجر، عن الشعبي، عن المغيرة بن شعبة - رفعه ابن أبجر، ولم يرفعه مطرف - قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب، أخبرني عن أدنى أهل الجنة منزلة». قال: نعم، هو رجل يجيء بعدما نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: يا رب، وكيف أدخلها، وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقول: أما ترضى أن يكون لك مثل ما كان للملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: إن لك مثله ومثله - وعقد سفيان أصابعه الخمس - فيقول: رضيت رب. فيقول: إن لك هذا وما اشتئت نفسك، ولدت عينك. فيقول: رضيت رب. قال موسى: يا رب، فأخبرني عن أعلى أهل الجنة منزلة. قال: نعم، أولئك الذين أردت، وسأخبرك عنهم، غرست كرامتهم ببدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر. ومصدق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧). (١)

وثبت في «الصحيحين» - واللفظ لمسلم - من حديث الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، حدثني أبو صخر، أن أبا حازم حدثه قال: سمعت سهل بن سعد يقول: شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهت، ثم قال في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» (السجدة: ١٦، ١٧). (٣). ورواه مسلم، عن هارون بن معروف.

ذكر غرف الجنة وارتضاعها وعظمتها،

نسأل الله من فضله المبسوط على خلقه في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: ﴿لَكِن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مِّنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ (الزمر: ٢٠). وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبا: ٣٧). وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ (العنكبوت: ٥٨). وقال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (الفرقان: ٧٥).

وثبت في «الصحيحين» - واللفظ لمسلم - من حديث مالك، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة لبيترأء وأهل الغرف من

(١) أخرجه مسلم (١٨٩) (٣١٢)، والطبراني (٩٨٩/٤١٢/٢٠)، بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه الحميدي (١١٣٣)، والبخاري (٣٢٤٤) (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٣٤/٥)، وإسناده حسن.

فَوَقَّعَهُمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ.. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١).

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ»^(٢).

وقال أحمد: حدثنا قزارة، أخبرني فليح، عن هلال -يعني ابن علي- عن عطاء، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ -أَوْ تَرَوْنَ- الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأَفْقِ، الطَّالِعَ، فِي تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ». قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٣). قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط البخاري^(٤).

وقال أحمد: حدثنا علي بن عيَّاش، حدثنا محمد بن مطرف، حدثنا أبو حازم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ لَتَرَى غُرْفَهُمْ فِي الْجَنَّةِ كَالْكَوْكَبِ الطَّالِعِ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْغَرْبِيِّ، فَيَقَالُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، عَزَّوَجَلَّ»^(٥).

وفي حديث عطية، عن أبي سعيد مرفوعاً: «إِنَّ أَهْلَ عَلِيَّينَ لَيَرَاهُمْ مَنْ سِوَاهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا»^(٦).

ذكر أعلى منزلة في الجنة وهي الوسيلة: مقام الرسول ﷺ

ثبت في «صحيح البخاري»، عن علي بن عيَّاش، عن شعيب بن أبي حمزة، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٧).

وفي «صحيح مسلم» عن محمد بن سلمة، عن ابن وهب، عن حيوة وسعيد بن أبي أيوب، عن كعب بن علقمة، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٨).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، والترمذي (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٠) (٢٨٣١)، والدارمي (٢٨٣٠) (٢٨٣١) (٦٥٥٥)، وأبو يعلى (٧٥٢٨) من طريق أبي حازم، به.

(٣) أخرجه أحمد (٨٤٧١)، وإسناده ضعيف وفيه شذوذ، ولكن المتن صحيح.

(٤) كيف يكون على شرط البخاري، ولم يخرج البخاري لفزارة بن عمر، بل هو مجهول، ولا يعرف!! ثم إنه شاذ.

(٥) أخرجه أحمد (٨٧/٣)، وإسناده فيه انقطاع.

(٦) أخرجه أحمد (١١٥٨٨)، وإسناده ضعيف، والمتن صحيح.

(٧) أخرجه البخاري (٦١٤) (٤٧١٩)، وأبو داود (٥٢٩)، والترمذي (٢١١).

(٨) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والنسائي (٢٥/٢)، والترمذي (٣٦١٤)، وابن خزيمة (٤١٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان، عن ليث، عن كعب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ». قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: «أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ». (١)

وقال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن موسى بن وردان، سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: «الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ». (٢)

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني، حدثنا موسى بن أعين، عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهَا لِي عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا - أَوْ شَهِيدًا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٣) قال الطبراني: لم يروه عن ابن أبي ذئب إلا موسى بن أعين.

ذكر بيتان الجنة ومم قصورها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر وأبو كامل، قالا: حدثنا زهير، حدثنا سعد، أبو مجاهد الطائي، حدثنا أبو المدلة - مولى أم المؤمنين - سمع أبا هريرة يقول: قلنا: يا رسول الله، إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا، وشممتنا النساء والأولاد. فقال: «لَوْ تَكُونُونَ - أَوْ قَالَ: لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ - عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَكْفِهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بَيْوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تَذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَي يَغْفِرَ لَهُمْ». قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنَةٌ فَضَّةٌ وَلَبِنَةٌ ذَهَبٌ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ وَحَصْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتَرَابُهَا الزُّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبَاسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْتَنُ شَبَابُهُ». (٤)

رواه الترمذي من حديث عبد الله بن نُمَيْرٍ، عن سعدان القُبيّ - وكان ثقةً - عن سعد أبي مجاهد الطائي - وكان ثقةً - به، وقال: حسن.

ووقع توثيق هذين الرجلين في رواية ابن ماجه، وهما من رجال البخاري.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثنى البزار، حدثنا محمد بن زياد الكلبي، حدثنا بشر بن حسين، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةً عَدَنَ بَيْدِهِ، لَبِنَةٌ مِنْ دَرَّةٍ بَيْضَاءَ، وَلَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، وَلَبِنَةٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ خَضْرَاءَ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ، وَحَشِيشُهَا الزُّعْفَرَانُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْطَقِي. فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. فَقَالَ

(١) أخرجه أحمد (٧٥٩٨)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣/٣) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٣٧) وإسناده حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٨٠٤٣)، وإسناده ضعيف.

اللَّهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَنْ يَوْقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). (١)

وقال أبو بكر ابن مَرْدُويه: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الْمَرِّي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي رَبِيعَةَ، يَعْنِي عَمْرَ بْنَ رَبِيعَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَا لَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لَا يَبْئَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بَنَآؤُهَا؟ قَالَ: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتَرْتِيبُهَا الرَّعْفَرَانُ». (٢)

وقال الْبَزَارُ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ، حَدَّثَنَا عَدِيُّ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا الْجَرِيرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ، فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي. فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. فَقَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَاكَ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ». (٣)

وقد رواه البيهقي، وعنده: «فَقَالَ اللَّهُ: طُوبَى لَكَ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ». (٤). وقد رواه وَهْبٌ، عَنِ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا. (٥)

وفى حديث داودَ بن أبي هند، عن أنسٍ مرفوعًا: «إِنَّ اللَّهَ بَنَى الْفِرْدَوْسَ بَيْدَهُ، وَحَظَرَهَا عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ وَعَلَى كُلِّ مُدْمِنٍ خَمْرٍ سَكِيرٍ». (٦)

وقال أبو بكر ابن أبي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا معاويةُ بنُ هشامٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بَنَاءُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، مِلَاطُهَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتَرَابُهَا الرَّعْفَرَانُ». (٧)

وقال الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَلِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ؛ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ مُهَاجِرِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيْنَ أُمَّتَا خَدِيجَةُ؟ قَالَ: «فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا لَغْوُ فِيهِ وَلَا نَصَبٌ، بَيْنَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ».

قَالَتْ: أَمِنْ هَذَا الْقَصَبِ؟ قَالَ: «لَا، مِنَ الْقَصَبِ الْمَنْظُومِ بِالْأُذُنِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ». (٨)

قال الطَّبْرَانِيُّ: لَا يُرَوَّى عَنْ فَاطِمَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو.

(١) إسناده موضوع: أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ (٢٨/٧)، وابن أبي الدنيا في «الجنة» (١٢)، وهو منكر.

(٣) رواه البزار (٣٥٠٨)، وإسناده ضعيف جدًا.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢١٤)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه البزار (١٨٩/٤)، وإسناده رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢١٢)، وفى «الشعب» (٥٢٠١) وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ (٢٨/٧) وإسناده ضعيف.

(٨) أخرجه الطبراني «الأوسط» (٤٤٣) وإسناده ضعيف.

قلت: وهو حديث غريب، ولأوله شاهد في «الصحيح»: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبَشِّرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبٍ» (١).

قال بعض العلماء: إِنَّمَا كَانَ بَيْتُهَا مِنْ قَصَبٍ اللَّؤْلُؤِ؟ لَأَنَّهَا حَازَتْ قَصَبَ السَّبَقِ فِي التَّصَدِيقِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَوَّلِ الْبَعْثَةِ، أَنَّهَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ؛ حَيْثُ قَالَتْ لَمَّا أَخْبَرَهَا بِمَا رَأَى، وَقَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقَ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلَ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ، وَتُعِينَ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ (٢).
وأما ذِكْرُ مَرِيَمَ وَأَسِيَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَفِيهِ إِشْعَارٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَزَوَّجُ بِهِمَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مِنْ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ «التَّحْرِيمِ»: ﴿ثِيَابَ وَأَبْكَارًا﴾ (التَّحْرِيمِ: ٥). ثُمَّ ذُكِرَتْ أَسِيَةُ وَمَرِيَمُ فِي آخِرِ السُّورَةِ.

يُرْوَى مِثْلُ هَذَا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وقال أبو بكر ابن أبي داود: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الطَّرِيقِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يَرَى ظُهُورُهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَيَبْطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا». فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَنْ هِيَ؟ فَقَالَ: «لِمَنْ طَيَّبَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (٣).
ورواه الترمذي عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديثه.

وروى الطبراني من حديث الوليد بن مسلم، حَدَّثَنَا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَامٍ، حَدَّثَنِي أَبُو مُعَانِقٍ الْأَشْعَرِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَيَبْاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (٤).

وروى الطبراني أيضًا، من حديث ابن وهب، حَدَّثَنِي حُيَّيٌّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَيَبْاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا». قَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (٥). قَالَ الْحَافِظُ الضَّيَّاءُ: هَذَا عِنْدِي إِسْنَادٌ حَسَنٌ.

قلت: وقد رواه الإمام أحمد، عن حسن، عن ابن لهيعة، حَدَّثَنِي حُيَّيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَاوِيُّ فذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فذَكَرَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٧)، ومسلم (٢٤٣٢) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦٠)، وأحمد (٢٥٢)، وأحمد (٢٣٣/٦).

(٣) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٧٥) وإسناده ضعيف، لكن المتن حسن.

(٤) أخرجه الطبراني (٣٤٦٧)، وأحمد (٣٤٣/٥)، وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه الطبراني كما في «المجمع» (٢٥٤/٢)، وقال الهيثمي: حسن الإسناد. وحسنه المنذري، وهو حسن.

وقد ورد في بعض الأحاديث أن القصر يكون من لؤلؤة واحدة، أبوابه ومصاريعه وسقفه. (١)
وفي حديث آخر (٢): أن بعض سقوف الجنة نور يتلألأ كالبرق اللامع، لولا أن الله ثبت
أبصارهم لأوشك أن يخطفها.

وقال البيهقي: حدثنا أبو الحسين ابن بشران، أنبأنا أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السمّك،
حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن، سمعت
محمد بن واسع يذكر عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «ألا
أحدثكم بغرف الجنة؟» قال: قلنا: بلى، يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا. قال: «إن في الجنة غرفاً
من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات
والشرف ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت». قال: قلت: يا رسول الله، ولمن هذه الغرف؟ قال: «لمن
أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام». قال: قلنا: يا رسول الله،
ومن يطيق ذلك؟ قال: «أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك: من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه،
فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل
شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل
والناس نيام؛ اليهود والنصارى والمجوس». (٣)

ثم قال البيهقي: وهذا الإسناد غير قوي، إلا أنه بالإسنادين الأولين يقوى بعضه بعضاً. والله
أعلم. قال: وروى بإسناد آخر عن جابر. (٤)

ثم أوردته من طريق علي بن حرب، عن حفص بن عمر عن عمرو بن قيس الملائي، عن
عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً، بنحوه. (٥)

وروى البيهقي، من حديث جسر بن فرقد، عن الحسين البصري، عن عمران بن حصين
وأبي هريرة قالوا: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ (التوبة: ٧٢).
قال: «قصر من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة
خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من
الحدود العيين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون ثوباً من الطعام، في كل بيت سبعون
وصيفاً ووصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع». (٦)

قلت: وهذا الحديث غريب، بل الأشبه أنه موضوع، وإذا كان الخبر ضعيفاً لم يمكن اتصّاله،
فإن جسرًا هذا ضعيف جداً، والله سبحانه أعلم.

(١) سيأتي ذكر ذلك.

(٢) ورد مرسلًا وإسناده ضعيف وسيأتي.

(٣) في «البعث» (٢٥٣) محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٥٣) وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٥٤) وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٥٥) وإسناده ضعيف.

وقال ابن وهب: حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليجاء للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحور العين، في كل غرفة سبعون باباً، يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة، سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر». ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية (السجدة: ١٧). (١)

وذكر القرطبي (٢) من طريق أبي هذبة؛ إبراهيم بن هذبة - وهو ذو نسخة مكذوبة - عن أنس بن مالك مرفوعاً: «إن في الجنة غرفاً ليس فيها معاليق من فوقها، ولا عماد من تحتها». قيل: يا رسول الله، وكيف يدخلها أهلها؟ قال: «يدخلونها أشباه الطير». قيل: يا رسول الله، لمن هي؟ قال: «أهل الأسقام والأوجاع والبلوى». (٣)

ذكر الخيام في الجنة

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢).

وثبت في «الصحيحين» - واللفظ لمسلم - من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً». (٤) وفي رواية للبخاري: «ثلاثون ميلاً»، وصحح «ستون ميلاً». (٥)

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا منصور، حدثنا يوسف بن الصباح، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: الخيمة من درة مجوفة، طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب، حوله سرادق، دوره خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (الرعد: ٢٣). (٦)

وقال ابن المبارك: حدثنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. (٧) وقال قتادة، عن خلد العصري، عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون باباً، كلها من در. (٨)

(١) مرسل إسناده ضعيف.

(٢) «التذكرة» (ص ٥١١).

(٣) أخرجه الشجري في «أماليه» (٣٦/٢)، وهو موضوع.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨)، والترمذي (٢٥٢٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٤٣)، من طريق أبي عمران أيضاً.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٣٣٢) وإسناده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (٩٤/٢٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٥٦).

(٨) أخرجه ابن المبارك «زوائد» (٢٥٠)، وابن أبي الدنيا في «الجنة» (٣٢٧) بسند حسن.

ذكر تربة الجنة

ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ -فِي حَدِيثِ الْمَرَاجِ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَائِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تَرَابُهَا الْمِسْكُ»^(١).
وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا الْجَرِيرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ ابْنَ صَائِدٍ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقَ»^(٢). هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، بِنَحْوِهِ.
وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ».
وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْيَهُودِ: «إِنِّي سَأَلْتُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ». فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: هِيَ خَبْزَةٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخَبْزَةُ مِنَ الدَّرْمَكِ»^(٣).
وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمَا، فِي بَنِيَانِ الْجَنَّةِ، أَنَّ مَلَأَتْهَا الْمِسْكُ، وَحَصْبَاءُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتَرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ^(٤). وَالْمَلَأُ فِي اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الطِّينِ الَّذِي يُجْعَلُ بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ بَيْنَ سَافِيِ الْبِنَاءِ، يَمْلَأُ بِهِ الْحَائِطُ، وَلَعَلَّ بَعْضَ بَقَاعِهَا مِسْكٌ، وَبَعْضُهَا زَعْفَرَانٌ، طَرِيقٌ طَرِيقٌ. وَهِيَ مَعَ هَذِهِ الْعِظْمَةِ وَالْأَتْسَاعِ كُلُّهَا كَذَلِكَ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ.
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٥).

وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَيْدُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٦). إِسْنَادُهُ عَلَى شَرِّطِ الشَّيْخَيْنِ. وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ حَمِيدٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ عَامِرَ بْنَ سَعْدٍ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ -قَالَ سُلَيْمَانُ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا أَقَلَّ ظَفَرٍ مِنَ الْجَنَّةِ بَرَزَ إِلَى الدُّنْيَا لَتَزَخَّرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٧).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٤/٥)، وَابْنُ خَالٍ (١٦٣٦) (٢٣٤٨) (٣٣٤٢)، وَمُسْلِمٌ (١٦٣) (٢٦٣).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٢٨).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٦١/٣) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٢٧)، وَغَيْرُهُ، وَالحَدِيثُ حَسَنٌ.

(٤) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٩٢) (٢٧٩٦)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٧٥٧)، وَأَحْمَدُ (١٢٤٣٦).

(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨١٦٧)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرِّطِهِمَا.

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «وَصَفِ الْجَنَّةِ» (٥٧)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

ذكر أنهار الجنة وأشجارها وثمارها

قال الله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (الكهف: ٣١). وقال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: ٨). وقال تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: ١٥). وقال تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد: ٣٥).

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنْبَأَنَا الْجَرِيرِيُّ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَبِي بَهْزٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقُّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ» (١).

ورواه الترمذي، عن بُنْدَارٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ورواه ابن أبي الدنيا، عن أَبِي خَيْثَمَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، بِهِ.

وقال أبو بكر ابن مردويه: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ أَبِي قُدَامَةَ الْإِيَادِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍاءُ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَشَخُّبُ فِي جَنَّةٍ عَدَنٍ فِي جَوْبَةٍ، ثُمَّ تَصْدَعُ بَعْدَ أَنْهَارٍ» (٢).

وقال ابن مردويه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ حَكِيمٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنِي الْجَرِيرِيُّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أَخْدُوذُ فِي الْأَرْضِ، لَا وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، حَاقَتْهَا قِيَابُ اللَّوْثِ، وَطِينُهَا الْمُسْكُ الْأَذْفَرُ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَذْفَرُ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا خِلَاطَ لَهُ» (٣).

وقد رواه ابن أبي الدنيا، عن يَعْقُوبَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ بِهِ، مَوْقُوفًا.

وروى البيهقي، عن الحاكم وغيره، عن الأصم، عن الربيع بن سليمان، عن أسد بن موسى، عن ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ الْخَمْرَ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَتْرِكْهَا فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْسُوهُ اللَّهُ الْحَرِيرَ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَتْرِكْهُ فِي الدُّنْيَا. أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجَرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالٍ - أَوْ جِبَالٍ - الْمُسْكُ، وَلَوْ كَانَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ حَلِيَّةً عَدِلَتْ بِحَلِيَّةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا، لَكَانَ مَا يَحْلِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ حَلِيَّةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا» (٤).

(١) أخرجه أحمد (٥/٥) وإسناده ضعيف، لكن الحديث حسن.

(٢) أورده ابن كثير في «التفسير» (١٧٦/٤) بهذا الإسناد وفيه مجهول.

(٣) ذكره ابن كثير (١٧٦/٤)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٠٥/٦) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٦٦)، وإسناده ضعيف.

ورَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجَرُ مِنْ جِبِلِّ مِسْكٍ (١). قُلْتُ: وَهَذَا الْمَوْقُوفُ أَصَحُّ.

صفة الكوثر، وهو أشهر أنهار الجنة سقانا الله منه بيمته وكرمه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ١-٣).

وثبت في «صحيح مسلم» من حديث محمد بن فضيل وعلى بن مسهر، كلاهما عن المختار بن فلفل، عن أنس، أن رسول الله ﷺ حين أنزلت عليه هذه السورة قال: «اتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هُوَ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ» (٢).

وفى «الصحيحين» من حديث شيبان، عن قتادة، عن أنس، في حديث المعراج، قال النبي ﷺ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ» (٣).

ورواه أحمد، عن ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس به (٤). وفي رواية: «فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ» (٥).

ولهذا الحديث طرق كثيرة عن أنس وغيره من الصحابة، وألفاظ متعددة.

فقال أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» (٦).

ورواه مسلم، عن أبي كريب، عن ابن فضيل به.

وقال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْطَيْتِ الْكَوْثَرَ: فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّؤْلُؤِ، لَيْسَ مَشْقُوقًا، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى تَرْتِيهِ، فَإِذَا مِسْكَةٌ ذَفْرَةٌ، وَإِذَا حَصْبَاؤُهُ اللَّؤْلُؤُ» (٧).

وقال أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، أخبرنا إبراهيم بن سعد، حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ، تَرَابُهُ مِسْكٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، تَرْدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُرُزِ». قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة. فقال: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا» (٨).

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٦٧) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠) (٤٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٦٤).

(٤) سبق في «الحوض».

(٥) أخرجه أحمد (٢٣١-٢٣٢)، وابن حبان (٦٤٧٤) وهو حديث حسن.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه أحمد (٣/١٥٢)، وابن أبي الدنيا في «الجنة» (٧٥) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه أحمد (١٣٤٧٥) وإسناده حسن.

وقال الحاكم: أَنبَأَنَا الْأَصَمُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُنْقِذٍ، حَدَّثَنَا إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْمُخْتَارِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، عَنْ عَصْمَةَ بْنِ مَالِكِ الْخَطَمِيِّ، عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ طَيْرًا أَمْثَالَ الْبَخَاتِيِّ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «أَنْعَمُ مِنْهَا مَنْ يَأْكُلُهَا، وَأَنْتَ مِمَّنْ يَأْكُلُهَا يَا أَبَا بَكْرٍ». (١)

ثم رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ مُرْسَلًا. (٢)

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْخَزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ، يَعْنِي ابْنَ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ عَنْ الْكُوْثَرِ، فَقَالَ: «نَهْرٌ أُعْطَانِيهِ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَفِيهِ طَيْرٌ كَأَعْنَاقِ الْجَزْرِ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ نَاعِمَةٌ. فَقَالَ: «أَكُلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ». (٣) وكذلك رَوَاهُ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسِ بِهِ. (٤)

رواية ابن عمر: قال أحمد: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ، أَخْبَرَنَا وَرْقَاءُ، قَالَ: وَقَالَ عَطَاءٌ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكُوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللَّؤْلُؤِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ». (٥)

وقد رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيَّةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مُحَارِبِ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ مَرْفُوعًا: «الْكُوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ الذَّهَبُ، مَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ - وَفِي رِوَايَةٍ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ» - وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ».

وأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. (٦) رِوَايَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ الْبَخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا أَبُو بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي الْكُوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أُعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: إِنْ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أُعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. (٧)

وقد رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكُوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ ذَهَبٌ وَفُضَّةٌ، يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْدَّرِّ، مَاؤُهُ أَيْضٌ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ. (٨) وكذا رَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. (٩)

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَيْتِ» (٣١٩)، وَهُوَ مُتَكَرِّرٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَيْتِ» (٣٢٠) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢٠/٣) وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦٤٧٦)، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٦١)، وَابْنُ مَاجَةٍ (٤٣٣٤) وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٧) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٤٩٦٦).

(٨، ٩) أَخْرَجَهُمَا ابْنُ جُرَيْرٍ (٣٠/٣٢٠) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

رواية عائشة رضي الله عنها: قال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة رضي الله عنها. قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مَجُوفٌ، آتيته كعدد النجوم (١). ثم قال البخاري: وقد رواه زكرياء، وأبو الأحوص، ومطرف، عن أبي إسحاق (٢).

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. قال: الخير الكثير. وقال أنس بن مالك: نهر في الجنة. وقالت عائشة: هو نهر في الجنة ليس أحد يدخل إصبعه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر.

وروى ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة، قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فليجعل إصبعه في أذنيه (٣). وهذا منقطع. وقد رواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن رجل، عنها (٤) قال السهيلي: وقد رواه الدارقطني، من طريق مالك بن مغول، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ. ومعنى هذا: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، أي نظيره، وما يشبهه، لا أنه يسمعه بعينه، بل شبهت دويّه كدوي ما يسمع الإنسان إذا وضع إصبعه في أذنيه، والله أعلم أي شيء أرادت.

ذكر نهر البَيْدَخ في الجنة

قال أحمد: حدثنا بهز، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُعجبه الرؤيا الحسنة، فربما قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قال: فإذا رأى الرجل رؤيا سأل عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه. قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني دخلت الجنة، فسمعت وجة ارتجت لها الجنة، فنظرت فإذا قد جيء بفلان ابن فلان وفلان ابن فلان. حتى عدت اثني عشر رجلاً - وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك - قالت: فجيء بهم عليهم، ثياب طلس تشخب أوداجهم. قالت: فقل: اذهبوا بهم إلى نهر البَيْدَخ - أو قال: إلى نهر البَيْدَخ - قال: فغمسوا فيه، فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر.

قالت: ثم أتوا بكراسي من ذهب، فقعّدوا عليها، فأتي بصحفة - أو كلمة نحوها - فيها بُسرة، فأكلوا منها، فما يقلّبونها لشيء إلا أكلوا من فاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول الله، كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتى عدت الاثني عشر الذين عدتهم المرأة. فقال رسول الله ﷺ: «علّي بالمرأة». فقال: «قصي على هذا رؤياك». فقصّت، فقال: هو كما قالت يا رسول الله (٥).

(٢) ذكره البخاري عقب الحديث رقم (٤٩٦٥).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٣) فيه إعضال وضعيف شديد.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٣/١٥) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

نهر بارق على باب الجنة

قال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، عن الحارث بن فضيل الأنصاري، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق؛ نهر على باب الجنة، في قبة خضراء، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» (١).

ذكر ما في الدنيا من أنهار الجنة

في حديث الإسراء، في ذكر سدره المنتهى، قال: «فإذا خرج من أصلها نهران باطنان، ونهران ظاهران، فالباطنان في الجنة، والظاهران النيل والفرات عنصروهما» (٢).

وفي «مسند أحمد» (٣) و«صحيح مسلم»، واللفظ له، من حديث عبيد الله بن عمر، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان وجحان والفرات والنيل، كل من أنهار الجنة».

وروى الحافظ الضياء من طريق عثمان بن سعيد، عن سعيد بن سابق، عن مسلمة بن علقم الحنسي، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «أنزل الله من الجنة خمسة أنهار: سيحون، وهو نهر الهند، وجيحون، وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات، وهما نهران العراق، والنيل، وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، من أصناف معاشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ (المؤمنون: ١٨).

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل، فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وإننا على ذهاب به لقادرون﴾ (المؤمنون: ١٨). فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد حرم أهلها خير الدنيا والآخرة (٤). وهذا حديث غريب جداً، بل منكر، ومسلمة بن علي ضعيف الحديث عند الأئمة.

وقد وصف الله سبحانه عيون الجنة بكثرة الجريان، وأن أهل الجنة حيث شاءوا فجروها، أي استنبطوها، وفي أي الحال أحبوا تبعث لهم العيون بفنون المشارب والمياه، وقد قال ابن مسعود: ما في الجنة عين إلا تنبع من تحت جبل من مسك.

وروى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود، أنه قال: أنهار الجنة تفجر من جبل مسك (٥).

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٠)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦١٠)، ومسلم (١٦٤) (٢٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (٧٨٨٦)، ومسلم (٢٨٣٩).

(٤) أخرجه ابن عدي (٣١٥/٦) وهو منكر.

(٥) سبق تخريجه.

وقد جاء هذا في حديث مرفوع، رواه الحاكم في «مستدركه»، فقال: «أُنْبَأَنَا الْأَصَمُّ، أَنبَأَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْبَانَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَمْرِ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَتْرَكْهَا فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْسُوهُ اللَّهُ الْحَرِيرَ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَتْرَكْهُ فِي الدُّنْيَا، أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَصْجَرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالٍ - أَوْ جِبَالٍ - الْمُسْكُ، وَلَوْ كَانَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ حَلِيَّةً عُدَّتْ بِحَلِيَّةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا، لَكَانَ مَا يُحْلِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ حَلِيَّةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا» (١).

فصل: في أشجار الجنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء: ٥٧). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (الرحمن: ٤٨). وَالْأَفْنَانُ: الْأَغْصَانُ، وَقَالَ: ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾ (الرحمن: ٦٤). أَيْ مِنْ كَثْرَةِ رِيحِهِمَا، وَاشْتِبَاكَ أَشْجَارِهِمَا. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤). أَيْ قَرِيبٌ مِنَ التَّنَاولِ، وَهَمَّ عَلَى فَرْشِهِمْ. كَمَا قَالَ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الإنسان: ١٤). وَقَالَ: ﴿فُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ٢٣). وَقَالَ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٢٧-٣٣). وَقَالَ: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨). وَقَالَ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (الرحمن: ٥٢).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ الْقَزَّازُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا سَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ» (٢).

وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ الْكَنْدِيُّ الْأَشَجِّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ (٣). وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي حَمَزَةُ بْنُ الْعَبَّاسِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا سَفْيَانُ، عَنْ حَمَادٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: نَخَلُ الْجَنَّةِ جُدُوعُهَا مِنْ زُمُرَدٍ أَخْضَرَ، وَكَرْبُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرٌ، وَسَعْفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مَقَطَّعَاتُهُمْ وَحُلُلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ وَالذَّلَالِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزَّبَدِ، لَيْسَ فِيهِ عَجَمٌ (٤). وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي إِسْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ وَهْرَامٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الظِّلُّ الْمَمْدُودُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سَاقٍ، قَدَرُ مَا يَسِيرُ الرَّائِبُ الْمَجْدُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ فِي كُلِّ نَوَاحِيهَا. قَالَ: فَيَخْرُجُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ، أَهْلُ الْغُرَفِ وَغَيْرِهِمْ، فَيَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا، فَيَسْتَهْئِ بِبَعْضِهِمْ، وَيَذْكُرُ لَهُوَ الدُّنْيَا، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَتَحْرُكُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا (٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٤٨) وهو منكر.

(٣) قلت: العبارة التي في «السنن»: حسن غريب.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٥١) وهو حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٤٥) وإسناده ضعيف.

وَبُتِّ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ رِوَايَةِ وَهَيْبٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» (١). قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ النَّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ الزُّرْقِيَّ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ الْجَوَادُ الْمَضْمَرُ السَّرِيعُ مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» (٢).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصَدِّقِينَ﴾ (الواقعة: ٣٠). قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» (٣).

وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سَرِيحٌ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ. اقْرَءُوا إِنَّ شَيْئًا: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصَدِّقِينَ﴾» (٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَابُ قَوْسٍ أَوْ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ» (٥). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ فُلَيْحٍ.

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا» (٦).

طَرِيقٌ أُخَرَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ سَلِيمَ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَإِنْ وَرَقَهَا لِيَخْمُرَ الْجَنَّةَ» (٧).

طَرِيقٌ أُخَرَى: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ» (٨).

طَرِيقٌ أُخَرَى: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَمَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» (٩).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥١)، وأحمد (٢٣٤/٣).

(٤) أخرجه أحمد (١٠٢٥٩)، وإسناده حسن.

(٥) أخرجه أحمد (١٠٢٦٠)، وإسناده حسن.

(٦) أخرجه أحمد (٩٤٠٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٧) أخرجه أحمد (٩٢٤٣) وإسناده ضعيف والحديث صحيح.

(٨) أخرجه أحمد (٤٥٢/٢)، وإسناده على شرطهما.

(٩) أخرجه أحمد (١٠٠٦٥)، وإسناده على شرط مسلم.

شجرة الخلد

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج، قالا: حدثنا شعبة، سمعت أبا الضحاک يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة هي شجرة الخلد» (١).

شجرة طوبى

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي، أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنة، فقال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى». فذكر شيئاً لا أدري ما هو، قال: أي شجرة أرضنا تشبه؟ قال: «ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك». ثم قال النبي ﷺ: «أتيت الشام؟» قال: لا. قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد، وينفروش أغلاها». قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها، حتى تنكسر ترقوتها هرمًا». قال: فيها عنب؟ قال: «نعم». قال: فما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع يطير، ولا يفتر». قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيمًا؟». قال: «نعم». قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك، قال: اتخذي لنا منه دلوًا؟» قال: نعم. قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم، وعامة عشيرتك» (٢).

وقال حرملة، عن عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو، أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك. قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني». قال رجل: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» (٣).

سدرۃ المنتهى

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٧) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٨) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٩) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (٢٠) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (٢١) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣-١٨). وذكرنا في «التفسير» أنه غشيتها نور الرب، جلّ جلاله، وأنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، يعني كثرة، وأنه غشيتها فراش من ذهب، وغشيتها ألوان متعددة كما قال رسول الله ﷺ: «فَغَشَّيْهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرَى مَا هِيَ مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْعَتَهَا» (٤).

(١) صحيح دون (شجرة الخلد). أخرجه أحمد (٩٨٧٠) وإسناده ضعيف، ولكنه صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣/٤-١٨٤) وقد سبق.

(٣) أخرجه أحمد (٧١/٣)، وأبو يعلى (١٣٧٤) بسند ضعيف.

(٤) جزء من حديث المعراج (مسلم ١٦٢) وقد سبق.

وفي «الصحيحين»^(١) عنه ﷺ أنه قال في حديث المراج: «ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا نَبَقَهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرٍ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ أَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالْتَّيْلُ وَالْفُرَاتُ».

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَقَالَ: «يَسِيرُ فِي ظِلِّ الْفَتَنِ مِنْهَا الرَّكِيبُ مِائَةَ سَنَةٍ». أَوْ قَالَ: «يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ الْفَتَنِ مِنْهَا مِائَةَ رَاكِبٍ، فِيهَا فَرَّاشُ الذَّهَبِ، كَانَ ثَمَرُهَا الْقِلَالُ»^(٢).

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثني حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله تعالى لَيَنْفَعُنَا بِالْأَعْرَابِ وَمَسَائِلِهِمْ. قال: أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله، ذكر الله تعالى في الجنة شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها! فقال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر؛ فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله تعالى يَقُولُ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ (الواقعة: ٢٨)؟ خَضَدَ اللَّهُ تَعَالَى شَوْكَهُ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً، فَإِنَّهَا لَتَنْبُتُ ثَمَرًا تَفْتَقُ الثَّمَرَةَ مِنْهَا عَنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لُونًا مِنْ طَعَامٍ، مَا فِيهِ لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ»^(٣).

وقد روى هذا الحديث من وجه آخر بلفظ آخر؛ فقال أبو بكر ابن أبي داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنا حبيب بن عبيد، عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله، أَسْمَعُكَ تَذَكُّرَ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا أَعْلَمُ شَجَرَةً أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا -يعني الطلح- فقال رسول الله ﷺ: خَضَدَ شَوْكَهُ فَجَعَلَ اللَّهُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِنْهَا ثَمَرَةً مِثْلَ خُصْوَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ، فِيهَا سَبْعُونَ لُونًا مِنْ الطَّعَامِ، لَا يُشْبِهُ لَوْنُ آخَرَ^(٤). الملبود هو الذي قد تلبَّدَ صوفه بعضه على بعض.

فصل

روى الترمذی عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرَى بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ أَمَّتَكَ مِنْ السَّلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنْهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٥). ثم قال: حسن غريب، وفي الباب عن أبي أيوب.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذی (٢٥٤١)، والطبري (٣٢٥٠٧)، والطبراني (٢٣٤/٨٧/٢٤)، والحاكم (٤٦٩/٢)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (١٠٩) وهو مرسل إسناده جيد.

(٤) أخرجه ابن أبي داود (٧٠)، والطبراني (٣١٩/١٣٠/١٧)، وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه الترمذی (٣٤٦٢)، وإسناده ضعيف وله شواهد يصح بها راجع «الصحيحة» (١٠٥).

وقد روى ابن ماجه عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ مر عليه وهو يغرس غرساً، فقال: «ألا أدلك على غراس خير من هذا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة» (١).

وروى الترمذى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة في الجنة» (٢). ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

فصل: في ثمار الجنة

قال الله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨). وقال: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٌ﴾ (الرحمن: ٥٢). وقال: ﴿وَجْنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾ (الرحمن: ٥٤). أى: قريب من المتناول، كما قال: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ (الإنسان: ١٤). وقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٢٧-٣٣). أى: لا تنقطع أبداً في زمن من الأزمان، بل هي موجودة في كل أوان وزمان، كما قال تعالى: ﴿أَكَلُهَا دائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد: ٣٥). أى: لا يسقط ورق أشجارها، أى: ليست كال الدنيا التي تأتي ثمارها في بعض الأزمان دون بعض، ويسقط أوراق أشجارها في بعض الفصول، وتفقد ثمارها في وقت آخر، وتكتسى أشجارها الأوراق في وقت وتعرى في آخر، بل الثمر والظل دائم مستمر، سهل التناول، قريب المجتني، كما قال: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾. أى: لا تمتنع عن أرادها كيف شاء، وليس دونها حجاب ولا مانع، بل من أرادها فهي موجودة سهلة قريبة، حتى ولو كانت الثمرة في أعلى الشجرة فأرادها المؤمن؛ تدلت إليه حتى يأخذها، واقتربت منه، وتذللت لديه.

قال أبو إسحاق، عن البراء: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا﴾. أى: أدنيت حتى يتناولها المؤمن وهو نائم (٣). وقال تعالى: ﴿وَيُنَبِّئُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة: ٢٥). وقال تعالى: ﴿وَفَوَاحِشُهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (المرسلات: ٤٢). وقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (الدخان: ٥٥).

وقد سبق فيما أوردناه من الأحاديث أن تربة الجنة مسك وزعفران، وأن ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب، فإذا كانت التربة بهذه المثابة، والأصول الثابتة فيها من الذهب، فما الظن بما يتولد بينهما من الثمار الرائقة النضيجة الأنيفة، التي ليس فيها عجم، وليس في الدنيا منها إلا الأسماء، كما قال ابن عباس ؓ: ليس في الدنيا من الجنة إلا الأسماء. وإذا كان السدر الذي في الدنيا، وهو لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة، وهي النبق، وفيه شوك كثير، والطلح الذي لا يraud منه إلا الظل في الدنيا؛ يكونان في الجنة في غاية كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٧)، وصححه الألبانى «صحيح الجامع» (٢٦١٣).

(٢) أخرجه الترمذى (٣٤٦٤)، والنسائى «عمل» (٨٢٧)، وابن حبان (٨٢٦) (٨٢٧)، والحاكم (٥٠١/١)، والبخارى (١٢٦٥)، عن جابر، وصححه الألبانى في «الصحيحة» (٦٤).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٥٣٠)، وعنه ابن أبى الدنيا في «وصف الجنة» (١١٧) وإسناده ضعيف.

تَمَتَّقُ عَنْ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، الَّتِي لَا يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا - فَمَا الظَّنُّ بِثَمَارِ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةَ الثَّمَارِ، طَيِّبَةَ الرَّائِحَةِ، سَهْلَةَ التَّنَاولِ؛ كَالْتَفَاحِ وَالْمَشْمَشِ وَالْدُرَّاقِ وَالْتَخْلِ وَالْعَنَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ بَلْ مَا الظَّنُّ بِأَنْوَاعِ الرِّيَاحِينِ وَالْأَزَاهِيرِ؛ وَبِالْجَمَلَةِ: فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، نَسَأُلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ.

وفى «الصحيحين» من حديث مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس في حديث صلاة الكسوف، قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكت. فقال: «إِنِّي رَأَيْتُ - أَوْ: أَرَيْتُ - الْجَنَّةَ، فَتَنَّاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا». (١)

وفى «المسند» من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، فقال: «إِنَّهُ عَرَضَتْ عَلَى الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الزُّهْرَةِ وَالنُّضْرَةِ، فَتَنَّاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ لَاتِيَكُمْ بِهِ، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَوْ أَتَيْتَكُمْ بِهِ لَأَكَلْتُ مِنْهُ مِنْ بَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَنْقُصُونَهُ». (٢)

وفى «صحيح مسلم» من رواية أبي الزبير، عن جابر شاهد لذلك، وتقدم في «المسند» عن عتبة ابن عبد السلمي، أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الجنة: فيها عنب؟ قال: «نعم». قال: فما عظم العنقود؟ قال: «مَسِيرَةُ شَهْرِ الْغُرَابِ الْأَبْقَعِ بِطَيْرٍ، وَلَا يَفْتَرُ». (٣)

وقال الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ربحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ ثَمَرَةً مِنَ الْجَنَّةِ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى». قال الحافظ الضياء: عباد تكلّم فيه بعض العلماء. (٤)

وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا عتبة بن مكرم العمي، حدثنا ربعي بن إبراهيم ابن عليّ، حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَّمَهُ صُنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَزَوَّجَهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ؟ فَثَمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، غَيْرَ أَنَّهَا تَغْيَرُ، وَتِلْكَ لَا تَغْيَرُ». (٥)

فصل

قال الله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الواقعة: ٢٠، ٢١).

قال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهُيهِ، فَيَخِرُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا». (٦)

(١) أخرجه مالك (١٨٦/١)، وأحمد (٢٩٨/١)، والبخاري (٢٩) (٤٣١) (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧)، وأبو داود (١١٨٩)، والنسائي (١٤٦/٣)، والدارمي (١٥٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٢/٣-٣٥٣) وإسناده ضعيف.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الطبراني (١٤٤٩) وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه البزار (٣٠٢٩) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه الحسن بن عرفة (٢٢) وإسناده ضعيف جداً.

وفي الترمذی، وحسنه، عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «نهر أعطانيه ربي، عز وجل، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر» (١) وقد تقدم.

وفي «تفسير الثعلبي»، عن أبي الدرداء مرفوعاً: «إن في الجنة طيراً كأعناق البخت، تصطف بين يدي ولي الله، فيقول أحدها: يا ولي الله، رعبت في مروج تحت العرش، وشربت من عيون التسنيم، فكل مني. فلا يزال يفتخر بين يديه، حتى يخطر على قلبه أكل أحدها، فتخرب بين يديه على ألوان مختلفة، فيأكل منها ما أراد، فإذا شبع منها تجتمع عظام ذلك الطائر، الذي أكله، ثم يطير يرمي في الجنة حيث شاء». فقال عمر: يا نبي الله، إنها لناعمة. قال: «أكلها أنعم منها» (٢). غريب من رواية أبي الدرداء، والله أعلم.

ذكر طعام أهل الجنة، وأكلهم فيها وشربهم نساء الله من فضله

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٤). وقال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مریم: ٦٢). وقال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ (الرعد: ٣٥). وقال: ﴿وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٣) ولحم طير مما يشتهون ﴿(الواقعة: ٢٠، ٢١). وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: ٧١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٤) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً ﴿(الإنسان: ٦٥، ٦٦). وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرَ﴾ (٥) فوارير من فضة قدروها تقديراً ﴿(الإنسان: ١٥، ١٦).

أى: فى صفاء الزجاج، وهى من فضة، وهذا ما لا نظير له فى الدنيا، وهى مقدرة على قدر كفاية ولي الله فى مشربه، لا تزيد ولا تنقص، وهذا يدل على الاعتناء والشرف. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا رَزَّاقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِى رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة: ٢٥). أى: كلما جاءهم الخدم بشيء من ثمر الجنة وغيره حسبوه الذى أتوا به قبل ذلك، لمشابهته له فى الظاهر، وهو فى الحقيقة خلافه، فتشابهت الأشكال، واختلقت الحقائق والطعوم والروائح.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا سكين بن عبد العزيز، حدثنا الأشعث الضري، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ، وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ، وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ، وَإِنَّ لَهُ لثَلَاثُمِائَةَ خَادِمٍ، وَيُعْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ كُلُّ يَوْمٍ بِثَلَاثُمِائَةِ صَحْفَةٍ - وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: مِنْ ذَهَبٍ - هِيَ كُلُّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى، وَإِنَّهُ لَيَلِدُ أَوَّلُهُ كَمَا يَلِدُ آخِرُهُ، وَمِنَ الْأَشْرِيَةِ ثَلَاثُمِائَةَ إِنَاءٍ، وَفِي كُلِّ إِنَاءٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى، وَإِنَّهُ لَيَلِدُ أَوَّلُهُ كَمَا يَلِدُ آخِرُهُ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَوْ أَذْنَتُ لَى لَأَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَسَقَيْتَهُمْ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْئًا، وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَأَثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعُهَا قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ» (٣). تفرد به أحمد، وهو غريب، وفيه انقطاع، وله شاهد عن عبادة بن الصامت.

(١) سبق تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبه (١٢/١٣)، وابن عدى (٢٠٤١/٦).

(٣) أخرجه أحمد (٥٣٧/٢) وإسناده ضعيف.

قال الإمام أحمد: ثنا يعمر بن بشير، ثنا عبد الله بن المبارك، ثنا رشدين بن سعد، حدثني أبو هاني الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي أن فضالة بن عبيد وعبد بن الصامت حدثاه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَهَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَبْقَى رَجُلَانِ، فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى النَّارِ، فَيُلْتَفَتُ أَحَدُهُمَا، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ تَعَالَى: رُدُّوهُ فَيَرُدُّوهُ، فَيَقُولُ: لِمَ التَّفَتُّ؟ قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَدْخِلَنِي الْجَنَّةَ». قَالَ: «فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ: لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى لَوْ أَنِّي أَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي شَيْئًا». قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَهُ يُرَى السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ^(١). تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن ثمامة بن عتبة، عن زيد بن أرقم قال: أتى النبي ﷺ رجل من اليهود، فقال: يا أبا القاسم، أليس تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته. فقال رسول الله ﷺ: «بلى، والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع». قال: فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ قال: فقال النبي ﷺ: «حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ربح المسك، فإذا البطن قد ضمّر». (٢) ثم رواه أحمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن ثمامة، سمعت زيد بن أرقم، فذكره. (٣)

وقد رواه النسائي، عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن الأعمش، به، ورواه أبو جعفر الرازي، عن الأعمش، فذكره، وعنده: قال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى. فقال رسول الله ﷺ: «تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك، فيضمّر بطنه». (٤)

قال الحافظ الضياء: وهذا عندي على شرط مسلم؛ لأن ثمامة ثقة، وقد صرح بسماحه من زيد بن أرقم. (٥)

حديث آخر في ذلك عن جابر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، ولا يتمخضون، ولا يبرزون، طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك». (٦)

- (١) أخرجه أحمد (٣٣٠/٥)، وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد. ورواه في «زوائد الزهد» لابن المبارك (٤٠٩)، وعنه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن» (٥٨).
- (٢) أخرجه أحمد (٣٦٧/٤) وإسناده ضعيف، ولكنه يصح لطرقه وشواهد.
- (٣) أخرجه أحمد (٣٧١/٤)، وابن أبي شيبة (١٠٨/١٣)، وهناد في «الزهد» (٩٠)، والطبراني (٥٠٠٦).
- (٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٤٧٨)، بهذا الإسناد.
- (٥) قلت: كيف يكون على شرط مسلم، وأبو جعفر الرازي لم يخرج له مسلم غير أنه سيق الحفظ ضعيف، وثمامة لم يخرج له مسلم.
- (٦) أخرجه أحمد (٣١٦/٣)، ومسلم (٢٨٣٥)، وأبو يعلى (٢٢٧٠).

وقد رواه مسلمٌ من حديث أبي سفيانَ طلحةَ بنِ نافع، عن جابر، فذكره. قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ وَرَشَحٌ كَرَشَحِ الْمَسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ». (١)

وكذا أخرجه من حديث ابنِ جُرَيْجٍ، عن أبي الزبير، عن جابر، فذكره، وقال: «طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرِيحِ الْمَسْكِ، وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ». (٢)

طريقٌ ثالثةٌ عن جابر: قال أحمدٌ: حدثنا الحكمُ بنُ نافعٍ حدثنا إسماعيلُ بنُ عياشٍ (٣)، عن صفوانِ بنِ عمرو، عن ماعزِ التَّمِيمِيِّ، عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسولُ الله ﷺ: «أَيُّ كُلِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قال: «نَعَمْ، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَحَّمُونَ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً وَرَشْحًا كَرَشَحِ الْمَسْكِ، وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ». (٤)

طريقٌ رابعةٌ عن جابر: قال البراءُ: حدثنا القاسمُ بنُ محمدٍ بنِ يحيى المروزي، حدثنا عبدُ الله ابنُ عثمان بنِ جبلة، وهو يُعرفُ بعبدان، حدثنا أبو حمزة السَّكْرِيُّ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ، يَكُونُ طَعَامُهُمْ وَشَرَابُهُمْ جُشَاءً كَرَشَحِ الْمَسْكِ» (٥). ثُمَّ قال البراءُ: ويروى هذا عن الأعمش، عن أبي سفيان، ولم يصحَّ سَماعُهُ منه، وسَماعُهُ من أبي صالحٍ صحيحٌ.

أحاديثُ أُخْرُشَتِي: قال الحسنُ بنُ عرفة: حدثنا خَلَفُ بنُ خليفة، عن حُمَيْدِ الأَعْرَجِ، عن عبدِ الله بنِ الحارث عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: قال لى رسولُ الله ﷺ: «إِنَّكَ لَتَنْتَظِرُنِي إِلَى الطَّيْرِ فَتَشْتَهِيهِ، فَيَخْرِبُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشُوبًا». (٦)

وقال الإمامُ أحمدٌ: حدثنا عبدُ الملك بنُ عمرو، عن فُلَيْحٍ، عن هلال بنِ عليٍّ، عن عطاء بنِ يسار، عن أبي هريرة، أن رسولَ الله ﷺ قال يوماً وهو يُحدِّثُ، وعنده رجلٌ من أهلِ البادية: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ سَبَّحَائِهِ: أَلَسْتَ فِيْمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ». قال: «فَبَدَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوَهُ وَاسْتَحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ». قَالَ: «فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: دُونَكَ يَا بَنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». قال: فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ مَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِهِ. قال: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (٧). ورواه البخاري من حديث أبي عامرٍ العَقْدِيِّ عبدِ الملك بنِ عمرو، به.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٥١١٧)، ومسلم (٢٨٣٥)، والدارمي (٢٨٢٨).

(٣) في معظم النسخ يوجد إسماعيل بن عياش بين الحكم وبين صفوان.

(٤) أخرجه أحمد (١٤٨١٥)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد (١٤٩٢٢) وإسناده صحيح.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه أحمد (٥١١/٢)، والبخاري (٢٣٤٨) (٧٥١٩).

ذكر أول طعام يأكله أهل الجنة بعد دخولهم الجنة

روى الإمام أحمد عن إسماعيل ابن علية، عن حميد. وأخرجه البخاري من حديثه، عن أنس، أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ - لما قدم المدينة - عن أشياء، منها: وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقال: «زيادة كبد حوت»^(١).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من رواية أبي أسماء، عن ثوبان، أن يهوديًا سأل رسول الله ﷺ قال: فما تحفّتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد الحوت». قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحروهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها». قال: فما شربهم عليه؟ قال: «من عين تسمى سلسيلاً». قال: صدقت.

وفي «الصحيحين» من حديث عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزل لأهل الجنة». فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى». قال: تكون الأرض خبزة واحدة يوم القيامة. ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: «بلى». قال: إدامهم بالأم ونون. قال: «وما هذا؟» قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبد سبعون ألفًا^(٣).

وقال الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾^(٤) ختامه مسك. قال: الرحيق الخمر، مختوم يجدون عاقبتها ريح المسك^(٥).

وقال سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾^(٦) (المطففين: ٢٧). قال: التسنيم أشرف شراب أهل الجنة، يشربه المقربون صرقًا، ويمزج لأصحاب اليمين^(٧).

قلت: وقد وصف الله خمر الجنة بصفات جميلة حسنة ليست في خمر الدنيا القذرة، فذكر أنها أنهار جارية، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾^(٨) (محمد: ١٥). فهي أنهار جارية مستمدة من عيون تنبع من تحت جبال المسك، وليست معتصرة بأرجل الرجال الأراذل في أسوأ الأحوال، وذكر أنها لذة للشاربين، وليست كخمر الدنيا من كراهة الطعم، وسوء الفعل في العقل، ومغص البطن، وصداع الرأس، فقد نزه الله أهل الجنة عن ذلك كله، ونزه خمرها أن يكون فيه شيء من

(١) أخرجه أحمد (١٨٩/٣)، والبخاري (٣٣٢٩) (٣٩٣٨) (٤٤٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٢/١٣)، وهناد في «الزهد» (٦٤)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٩٤)، وابن أبي الدنيا في «الجنة» (١٣٧) وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٢) وإسناده صحيح.

ذلك كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (الصفوات: ٤٥-٤٧). ﴿بَيَّضَاءَ﴾ أى: حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ، ﴿لَذَّةٌ﴾: طَيِّبَةُ الطَّعْمِ، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: الْعَوْلُ: وَجَعُ الْبَطْنِ، ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أى: لَا تُذْهَبُ عَقُولُهُمْ، وذلك أن المقصود من الخمر إنما هو اللذة المطربة، وهى الحالة المبهجة التى يحصل بها سرور النفس، وهذا حاصل كامل تام فى خمر الجنة، فأما ذهاب العقل بحيث يبقى شاربها كالحَيوانِ والمجنون، فهذا نقص إنما ينشأ عن خمر الدنيا، فأما خمر الجنة فلا تحدث لشاربها شيئاً من هذا، وإنما تحدث السرور والابتهاج، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أى: تَنْزَفُ عَقُولُهُمْ، فَتَذْهَبُ بِالْكُلِّيَّةِ بسبب شربها. وقال فى الآية الأخرى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (٦٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٦٨) لَا يُصْغَوْنَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ (الواقعة: ١٧-١٩). أى: لَا تُورِثُ لَهُمْ صُدَاعًا فى رؤوسهم، وَلَا تَنْزَفُ عَقُولَهُمْ. وقال فى الآية الأخرى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مُخْتَلَمٍ (٦٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٦٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٦٧) عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ٢٥-٢٨).

وقد ذكرنا فى «التفسير» عن عبد الله بن مسعود: إن الجماعة من أهل الجنة لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى شَرَابِهِمْ كَمَا يَجْتَمِعُ أَهْلُ الدُّنْيَا، فَمَرُّ بِهِمُ السَّحَابَةُ، فَتَقُولُ: مَا تَرِيدُونَ أَنْ أُمْطِرْكُمْ فَلَا يَشَاءُونَ شَيْئًا إِلَّا أُمْطِرَتْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أُمْطِرْنَا كَوَاعِبَ أَثَرَانَا. فَتُمْطِرُهُمْ كَوَاعِبَ أَثَرَانَا. (١) وتقدم أنهم يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ شَجَرَةٍ طُوبَى، فَيَذْكُرُونَ لَهُوَ الدُّنْيَا، وَهُوَ الطَّرَبُ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا مِنْ الْجَنَّةِ، فَتَحْرُكُ تِلْكَ الشَّجَرَةُ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا، وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: إِنَّ الْجَمَاعَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَجْتَازُونَ، وَهُمْ رُكْبَانٌ سَائِرُونَ صَفًّا وَاحِدًا، فَلَا يَمْرُونَ بِشَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ إِلَّا تَنَحَّتْ عَنْ طَرِيقِهِمْ، لثَلَا ثَلَمَ صَفَّهُمْ وَتَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَأَتَحَفَّتْهُمْ مِنْ ثَمَرِهَا. وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿رَأَيْتُ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠).

والأكوابُ هى الكيزانُ التى لا عُرَى لَهَا وَلَا خَرَاطِيمَ، وَالْأَبَارِيقُ بِخِلَافِهَا لَهَا عُرَى وَخَرَاطِيمُ، وَالْكَأْسُ هُوَ الْقَدَحُ فِيهِ الشَّرَابُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ (النبا: ٣٤). أى مَلَأَى مُتْرَعَةً، لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ (النبا: ٣٥). أى لَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ، عَلَى شَرَابِهِمْ، شَيْءٌ مِنَ اللَّغْوِ، وَهُوَ الْكَلَامُ السَّاقِطُ التَّافَهُ، وَلَا تَكْذِيبٌ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، كَمَا يَصْدُرُ مِنْ شَرْبَةِ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ (مريم: ٦٢). وَقَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: ٢٥-٢٦). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ (الغاشية: ١١).

وَبَيَّتْ فى «الصحيحين»، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا فى آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فى صَحَافِهَا؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فى الدُّنْيَا وَلَكُمْ فى الآخرة». (٢)

(١) سياتى فى وصف الخور.

(٢) أخرجه البخارى (٥٤٢٦) (٥٦٣٣)، ومسلم (٢٠٦٧)، وابن ماجه (٣٤١٤).

ذكر لباس أهل الجنة فيها وحليتهم وصفات ثيابهم

نسأل الله تعالى من فضله

قال الله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ (الإنسان: ٢١). وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (فاطر: ٣٣). وقال تعالى: ﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ (الكهف: ٣١).

وثبت في «الصحيحين»، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ». (١)
وقال الحسن البصري: الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء. (٢)

وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة، أن أبا أمامة حدثه، أن رسول الله ﷺ حدثهم، وذكر حلي أهل الجنة قال: «مُسَوَّرُونَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، مُكَلَّلُونَ بِاللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ دُرٍّ وَياقُوتٍ مُتَوَاصِلَةٍ، وَعَلَيْهِمْ تَاجُ الْمُلُوكِ، شَبَابٌ جُرْدٌ مُكْحَلُونَ». (٣)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ، فَبَدَأَ سِوَارَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ، كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ». (٤)

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أنبأنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ، لَا يَبَاسُ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ». (٥)

وأخرجه مسلم من حديث زهير بن حرب، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة إلى قوله: «لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ». (٦)

وقال أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن خلاص، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن نبي الله ﷺ قال: «لِلْمُؤْمِنِ زَوْجَتَانِ يَرَى مِنْهُمَا سَوْفَهُمَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهِمَا». (٧)

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، والحسن بن علي الفسوي قالوا: حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله، عن

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠)، والنسائي (٩٣/١)، وأبو عوانة (٢٤٤/١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٢٤)، بسند ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف: والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) إسناده ضعيف: وقد سبق.

(٥) أخرجه أحمد (٨٨٢٧) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٣٦).

(٧) أخرجه أحمد (٨٩٩٦) وإسناده صحيح.

النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ زِمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنُّ وُجُوهِهِمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمَرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى تَوْنٍ أَحْسَنَ كَوُكَبِ دُرَى فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يَرَى مَخُ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءَ لِحْوَمِهِمَا وَحُلَّيْهِمَا، كَمَا يَرَى الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ» (١).

قال الضياء: هذا عندى على شرط الصحيح.

وقال أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب، مولى لعثمان بن عفان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ سَوَّدَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمِثْلُهَا مَعَهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلُهَا مَعَهَا، وَلَنْصِيفُ امْرَأَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمِثْلُهَا مَعَهَا». قال: قلت: يا أبا هريرة، وما النصف؟ قال: الخمار. (٢)

قلت: الخزرج بن عثمان البصري تكلموا فيه، ولكن له شاهد في «الصحيح»، كما تقدّم في «صحيح البخاري»، عن أنس، عن النبي ﷺ وفيه: «وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي خِمَارَهَا - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٣).

وقال حرمله، عن ابن وهب، أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السّمح، حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَكَبَّرُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدَّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتَسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا الْمَزِيدُ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ مِنْ طُوبَى، فَيُنْفِذُهَا بِصَرِّهِ حَتَّى يَرَى مَخُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَإِنْ عَلَيْهِمُ التَّيْجَانُ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

ورواه أحمد، عن حسن، عن ابن لهيعة، عن دراج به بطوله. (٤)

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي السّمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ تلا قوله: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُونَهَا فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (فاطر: ٣٣). فقال: «إِنْ عَلَيْهِمُ التَّيْجَانُ، إِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (٥).

وقد روى الترمذي منه ذكر التيجان من حديث عمرو بن الحارث.

وقد روى الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن محمد بن أبي الوصّاح، عن العلاء بن عبد الله بن رافع، عن حنّان بن خارجة السلمي، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة؛ خَلَقًا تَخْلُقُ أَمْ نَسْجًا تُنْسَجُ؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مِمَّ تَضَحَّكُونَ؟ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا؟! ثُمَّ أَكَبَّ

(١) أخرجه الطبراني (١٠٣٢١)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٢٧٠)، وإسناده ضعيف، ولكن الحديث صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن حبان (٧٣٩٧)، وأحمد (١٦/٣، ٧٥)، وأبو يعلى (١٣٨٦)، والترمذي (٢٥٦٢) وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه الحاكم (٤٢٦/٢)، والبيهقي في «البعث» (٣٠١) وإسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ ثم قال: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» قال: ها هو ذا أنا يا رسول الله. قال: «لَا، بَلْ تَشْفُقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ». ثلاث مرات. (١)

ورواه أحمد أيضاً: عن أبي كامل، عن زياد بن عبد الله بن ثلاثة القاصّ أبي سهل، عن العلاء بن رافع، عن الفرزدق بن حنّان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، فذكر نحوه. (٢)
وفي حديث درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: «شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا». (٣)

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن إدريس الحنظلي، حدثنا أبو عتبة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود، سمعت أبا أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى طُوبَى، فَتَفْتَحُ لَهُ أَكْمَامُهَا عَنِ الْوَانِ الثِّيَابُ يَأْخُذُ مِنْ أَى ذَلِكَ شَاءَ إِنْ شَاءَ أَبْيَضَ وَإِنْ شَاءَ أَحْمَرَ، وَإِنْ شَاءَ أَصْفَرَ، وَإِنْ شَاءَ أَسْوَدَ، مِثْلَ شَقَائِقِ النِّعْمَانِ، وَأَرْقُ، وَأَحْسَنُ». (٤). غريب حسن.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد ربه بن باري الحنفي، عن خاله الزميل، أنّه سمع أباة قال: قلت لأبن عباس: ما حلل أهل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان، فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلّة، ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت (٥). وتقدم عن الثوري، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة جدوعها من زُمُرٍ أخضر، وكربها من ذهبٍ أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم. (٦)

صفة فرش أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (الرحمن: ٥٤).

فإذا كانت البطائن من إسترِق، فما الظن بالظّهائر. قاله ابن مسعود.

وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (الواقعة: ٣٤).

وروى أحمد والترمذي من حديث درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ ارْتَفَاعَهَا لِكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ». ثم قال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين. يعني عن عمرو بن الحارث، عن درّاج. (٧)

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤/٢-٢٢٥) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٦٨٩٠) وإسناده ضعيف.

(٣، ٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (١٤٧) بسند ضعيف.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه أحمد (٧٥/٣)، والترمذي (٢٥٤٠) (٣٢٩٤) وإسناده ضعيف.

قلت: وقد رواه حَرَمَلَةُ، عن ابن وهب. ثم قال الترمذی: وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: إن معناه الفُرْشُ في الدرجات، وبين الدرجات كما بين السماء والأرض.

قلت: ومما يقوى هذا ما رواه عبد الله بن وهب، عن عمرو، عن دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ قال: «مَا بَيْنَ الْفُرَاشَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١). وهذا أشبه أن يكون محفوظًا.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن كعب الأحبار، في قوله تعالى: ﴿وَفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ قال: مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٢). يعني أن الفُرْشَ في كلِّ مَحَلٍّ وموطنٍ مَوْجُودَةٌ مُهَيَّاةٌ لاحتِمَالِ الاحتياج إليها في ذلك الموضع، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾^(٣) فيها سرٌّ مَرْفُوعَةٌ^(٤) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ^(٥) وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ^(٦) وَزُرَابِي مَبْثُوثَةٌ^(٧) (الغاشية: ١٢-١٦). أي النَّمَارِقُ -وهي المخاد- مَصْفُوفَةٌ في كل مكان يَلِيقُ بها، لاحتِمَالِ الاحتياج إليها في ذلك المكان، وكذا الزُرَابِيُّ، وهي البُسُطُ الجيادُ المَفْتَحَرَةُ مَبْثُوثَةٌ ههنا وههنا، في أماكن المستنزهات من الجنة، كما قال تعالى: ﴿مَتَكِينِينَ عَلَى رُقُرُقٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الرحمن: ٧٦) والعَبْقَرِيُّ: هي عَتَاقُ البُسُطِ، أي جِيَادُهَا وَخِيَارُهَا وَحَسَانُهَا، وهي بُسُطُ الجنة لا الدنيا، وقد خُوطِبَ العربُ بما هو معروفٌ عندهم، وفي الجنة ما هو أَحْسَنُ وَأَجْمَلُ وَأَبْهَى وَأَسْنَى وَأَعْظَمُ مما في النَّفُوسِ، وأجلُّ من كلِّ صِنْفٍ ونوعٍ من أصنافِ المَلَادِّ وَأَجْناسِ الأشياءِ كُلِّهَا، وألذُّ في المناظرِ والنَّفُوسِ.

وَالنَّمَارِقُ: جمع نَمْرُقَةٍ بضم النون، وحكى كسرُها، وهي الوَسَائِدُ، وقيل: المَسَانِدُ. وقد يَعْمُهَا اللَّفْظُ، والزَّرَابِيُّ: البُسُطُ. والرَّقُرُقُ قِيلَ: رِيَاضُ الجنة وما يكونُ على شاطئِ الأنهارِ من النباتِ والأزهارِ. وقيل: ضَرَبٌ مِنَ الثِّيَابِ. والعَبْقَرِيُّ: جِيَادُ البُسُطِ، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

صفة الحور العين، وبنات آدم وشرفهنَّ

وفضلهنَّ عليهنَّ، وكم لكل واحدٍ منهنَّ

قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾^(٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(٩) (الرحمن: ٥٦-٥٧). وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾^(١٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(١١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ^(١٢) (الرحمن: ٧٠-٧٢). وقال تعالى: ﴿فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾^(١٣) (البقرة: ٢٥). أي من الحيض والنَّفَاسِ، والبول والغائط، والبُزَاقِ والمخاط، فلا يصدرُ منهنَّ أذى أبداً، وكذلك طَهَّرَتْ أَخْلَاقَهُنَّ وَأَلْفَاظَهُنَّ وَقُلُوبَهُنَّ.

وقال عبد الله بن المبارك: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ: ﴿فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾^(١٤) (البقرة: ٢٥). قال: «مِنَ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، وَالْبُزَاقِ»^(١٥).

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٠٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٩/٥) وإسناده ضعيف.

(٣) لا يصح.

وقال أبو الأحوص عند قوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾. قال: بلغنا في الرواية أن سحابة مطرت من العرش، فخلقن من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار، وسعة الخيمة أربعون ميلاً، وليس لها باب حتى إذا حلّ وليّ الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلّم وليّ الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تنظر إليها، فهن مقصورات عن أبصار المخلوقين.

وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون ﴿(الواقعة: ٢٢-٢٤). وقال في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (الصفات: ٤٩). قيل: إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن أنواع البيض. وقيل: المراد بالبيض: اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفة. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ (٣٥) فجعلناهن أبكاراً (٣٦) غرباً أتراباً (٣٧) لأصحاب اليمين ﴿(الواقعة: ٣٥-٣٨). أي: إنا أنشأناهن بعد الكبر والعجز والضعف في الدنيا، فصرن في الجنة شباباً أبكاراً. ﴿غرباً﴾: أي متحبات إلى أزواجهن. وقيل: المراد به الغنجة. وقيل: الشكلة. والآية تعم هذا كله وأضعافه. ﴿أتراباً﴾، أي في عمر واحد، لا يزدن ولا ينقصن بل هن في سن واحدة.

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدميّطي، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمّه، عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾. قال: «حورٌ بيض عِينٌ: ضيخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿كَأَمثال اللؤلؤ المكنون﴾. قال: «صفاءهن صفاء الدر الذي في الأصداق الذي لم تمسه الأيدي». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾. قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾. قال: «رقتهن كرقعة الجلد الذي يكون في داخل البيضة مما يلي القشرة، وهو الغرقى». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿غرباً أتراباً﴾. قال: «هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمضاً شُمطاً، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلن عذارى، غرباً: متعشقات محبات إلى أزواجهن، أتراباً: على ميلاد واحد». قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «يل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كمفضل الظهارة على البطانة». قلت: يا رسول الله، بماذا؟ قال: «يصلاتهن وصيامهن، وعبادتهن الله، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلى، مجاميرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقطنن تحن الخالدات، فلا تموت، وحن الناعمات فلا تئاس، وحن المقيمات فلا نطعن أبداً، ألا وحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنّا له، وكان لنا». قلت: يا رسول الله، المرأة منا تتزوج الزوجين، والثلاثة والأربعة، ثم تموت، فتدخل الجنة. ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: «يا أم سلمة، إنها تحير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول: يا رب، إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا، فزوجني به. يا أم سلمة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» (١).

(١) أخرجه الطبراني (٢٣/ ٣٦٧ / ٨٧٠) وهو منكر.

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسعدة بن يسع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «إن الجنة لا يدخلها عجوز». فذهب رسول الله ﷺ فصلّى، ثم رجع إلى عائشة، فقالت: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال: «إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخل الجنة حوله أبكاراً»^(١).

وتقدم في حديث الصور في صفة دخول المؤمنين الجنة، قال: «فدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة: سبعين مما ينشئ الله عز وجل، وثنتين من ولد آدم، لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب، مكلل بالؤلؤ، عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفیهما، ثم ينظر إلى يده من صدرها، من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبده لها امرأة، وكبدها له امرأة، فبينما هو عندها لا يملأ ولا تملأ، ولا يأتيها مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره، ولا يشتكى قبلها، إلا أنه لا منى ولا منية، فبينما هو كذلك إذ نودي: إننا قد عرفنا أنك لا تملأ ولا تمل، إلا أن لك أزواجاً غيرها. فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك»^(٢). ولهذا الحديث شواهد من وجوه كثيرة تقدمت، وسيأتي إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وتقدم الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث أشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «وإن له من الحور العين اثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض»^(٣).

وقال حرمله، عن ابن وهب، حدثنا عمرو، أن دراجاً أبا السّمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، اثنتان وسبعون زوجة، وتُنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية وصنعاء»^(٤).

وأسنده أحمد عن حسن، عن ابن لهيعة، عن دراج به. ورواه الترمذي عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رشدين، عن عمرو بن الحارث، فذكر بإسناده نحوه^(٥).

وقال محمد بن جعفر الفريابي: حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد ابن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة: ثنتين من الحور العين، وسبعين من أهل ميراثه

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥)، وأبو نعيم في «الجنة» (٣٩١)، وإسناده ضعيف.

(٢) سبق تخريجهما.

(٣) أخرجه أحمد (٧٦/٣)، والترمذي (٢٥٦٢) بسند ضعيف.

(٤) سنده ضعيف، وقد سبق.

(٥) سنده ضعيف، وقد سبق.

مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَيْسَ فِيْهِنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَلَهَا قُبُلٌ شَهْيٌ، وَلَهُ ذَكَرٌ لَا يَنْتَنِي^(١). وهذا حديثٌ غريبٌ جداً، والمحمولُ ما تقدّمَ خلافُه، وهو اثنتانِ مِنْ بناتِ آدمَ، وَسَبْعُونَ مِنَ الحُورِ الْعِينِ. فاللهُ أعلمُ.

وخالدُ بنُ يزيدَ بنُ أبي مالكٍ هذا تكلمَ فيه الإمامُ أحمدُ ويحيى بنُ معينٍ وغيرُهما، وضعّفوه، ومثله قد يغلط ولا يتقن.

وروى أحمدُ والترمذِيُّ وصحّحه، وابنُ ماجه، من حديثِ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ، عن خالدِ بنِ معدانٍ، عن المقدادِ بنِ معدِكرب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِلشَّهيدِ عِنْدَ اللَّهِ لَسِتَ خِصَالٌ؛ يُغْفَرُ لَهُ عِنْدَ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَحُلِّي حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَرْجُو ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ الْعِينِ، وَيُسْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»^(٢).

فأما الحديثُ الذي رواه مسلمٌ في «صحيحه»: حَدَّثَنِي عُمَرُو النَّاقِدُ، ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ الدُّورَقِيُّ جميعاً، عن ابنِ عُلَيَّةَ، واللفظُ ليعقوبَ، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عن محمدٍ قال: إِمَّا تَفَاخَرُوا، وَإِمَّا تَذَاكُرُوا: الرِّجَالُ أَكْثَرُ فِي الْجَنَّةِ أَمْ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ، وَالتَّتَى تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دَرَى فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يَرَى مِنْهُنَّ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّ»^(٣).

وفي «الصحيحين» من رواية همام، عن أبي هريرة نحوه^(٤)، فالمرادُ من هذا أن هاتين من بناتِ آدمَ، وله غيرُهما مِنَ الحُورِ الْعِينِ ما شاء الله، عز وجل، كما تقدّمَ تفصيل ذلك آنفاً. والله أعلمُ.

وهذه الأحاديثُ لا تعارض ما ثبت في «الصحيحين»: «وَأُطْلِعَتْ فِي النَّارِ فَرَأَتْ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءِ»^(٥). إذ قد يَكُنْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وأكثرُ أهلِ النارِ، أو قد يَكُنْ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ ثم يَخْرُجُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُمْ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَاتِ، فيَصِرْنَ إِلَى الْجَنَّةِ، حتّى يَكُنْ أَكْثَرُ أَهْلِهَا. والله أعلمُ.

وتقدّمَ ما رواه أحمدُ، من طريقِ خلاصٍ، عن أبي رافعٍ، عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «لِلْمُؤْمِنِ زَوْجَتَانِ، يَرَى مِنْهُنَّ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهِمَا»^(٦).

وفي حديثِ دَرَّاجٍ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد مرفوعاً: «إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَكَبَّرُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدَّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلَاةٍ عَلَيْهَا لَتَضْبِىءَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتَسْلِمُ عَلَيْهِ، فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا الْمَزِيدُ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَذْنَاهَا مِثْلُ النِّعْمَانِ مِنْ طُوبَى، فَيَنْفُذُهَا بَصَرَهُ، حَتَّى يَرَى مِنْ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ»^(٧). ورواه أحمدُ في «المُسْنَدِ».

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٧)، وابن عدى (١١/٣)، والبيهقى في «البعث» (٣٦٧)، وإسناده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه أحمد (١٣١/٤)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٠٤)، والطبراني (٦٢٩/٢٠) وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٤) (١٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٣٤) (١٧) وقد سبق.

(٥) أخرجه البخارى (٥١٩٨) (٦٥٤٦)، ومسلم (٢٧٣٦)، والترمذى (٢٦٠٣)، وأحمد (٤٢٩/٤).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ضعيف : سبق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن حميد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «لَعْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ زَوْجَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابٌ قَوْسٌ أَحَدُكُمْ، أَوْ مَوْضِعٌ قَدِهِ - يَعْنِي سَوْطُهُ - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَطْلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ مَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (١).

ورواه البخاري من حديث إسماعيل بن جعفر، وأبي إسحاق، كلاهما عن حميد، عن أنس، بمثله. وقد تقدّم بتمامه في أول صفة الجنة، وعند البخاري: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا سعيد بن زريق، عن عبد الملك الجوني، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتنن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض (٣).

وذكر ابن وهب، عن محمد بن كعب القرظي، أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر، فكيف المسورة؟! وإن أخلق ثوب تلبسه لخير من الدنيا وما فيها، وإن زوجها عليه مثل ما عليها من ثياب وحلى.

وقال أبو هريرة: إن في الجنة حوراء يقال لها: العينا. إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف، وهي تقول: أين الأمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر (٤). أوردهما القرطبي.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين، حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، حدثني الليث ابن بنت الليث بن أبي سليم، حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «خُلِقَ الْحَوْرُ الْعَيْنُ مِنَ الزُّعْفَرَانِ» (٥). وهذا حديث غريب.

وقد روي مثل هذا عن ابن عباس (٦) وغيره من الصحابة والتابعين من قولهم. وفي مراسيل عكرمة: «إن الحور العين ليدعون لأزواجهن وهم في الدنيا، يقلن: اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه إلينا بعزتك، يا أرحم الراحمين».

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث كثير بن مرة عن معاذ مرفوعاً: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوْشِكُ أَنْ يُضَارِقَكَ إِلَيْنَا» (٧).

(١) أخرجه أحمد (١٤١/٣) وإسناده صحيح على شرطهما.

(٢) البخاري (٢٧٩٦) عن أنس.

(٣) منكر.

(٤) إسناده حسن: أخرجه عبد الملك بن حبيب في «وصف الفردوس» (٢١٦).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٠) وإسناده فيه اضطراب وضعف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٥٤) وهو منكر.

(٧) أخرجه أحمد (٢٤٢/٥)، والترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤) وإسناده حسن.

ورواه ابن أبي الدنيا، عن داود بن عمرو الضبي، عن إسماعيل بن عياش، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ، فذكر الحديث. (١)

وفي «معجم الطبراني» من طريق موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط، عن سعيد بن عامر بن حذيم أنه تصدق بعشرة آلاف درهم في يوم، فعاتبه امرأته في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن حوراء أطلعت أصبعاً من أصابعها لوجد ريحها كل ذي روح». ثم قال: فأنا أدعهن لكن؟! لا والله، لأنتن أحق أن أدعكن لهن. (٢)

ومن حديث مالك بن دينار، عن شهر، عن سعيد بن عامر، مرفوعاً: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت على أهل الأرض لمألت الأرض ريح مسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر». (٣)

ما ورد من غناء الحور العين في الجنة

روى الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، عن الثعمان بن سعد، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم يسمع الخلائق بمثلهما يقلن: نحن الخالدات فلا نبديد، ونحن الناعمات، فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له». (٤)

قال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس، وحديث على غريب. وروى ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابن أنس بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور يفتن في الجنة: نحن الجوار الحسن، خلقنا لأزواج كرام». (٥)

وقال الطبراني: حدثنا أبو رفاع عمار بن وئيم بن موسى بن الفرات المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغتنن أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغتنن به: نحن الخيرات الحسن، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغتنن به: نحن الخالدات فلا تمتنه، نحن الأموات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نطعن». (٦)

وقال الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عتبة قال: قال رسول الله ﷺ: جبريل: «قف بي على الحور العين». فأوقفه عليهن، فقال: «من أنتن؟ قلن: نحن جوارى قوم حلوا فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدنوا». (٧)

(١) إسناده حسن: وهو في «وصف الجنة» (٣١٠)، وأخرجه الترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٥) من طريق إسماعيل بن عياش، به.

(٢) أخرجه الطبراني (٥٥/١) وهو مرسل إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني (٥٥١٢)، وإسناده ضعيف، وانظر «ضعيف الجامع» (٤٨٠٤).

(٤) أخرجه هناد (٩)، وابن المبارك (١٤٨٧)، وعبد الله في «زوائد الزهد» (١٣٤٣)، والترمذي (٢٥٥٠)، والبخاري (٧٠٣)، وأبو يعلى (٤٢٩)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٦٠)، والطبراني «أوسط» (٦٤٩٧)، وإسناده ضعيف وفيه اضطراب.

(٦) الطبراني في «الأوسط» (٤٩١٤)، والصغير (ص ٢٥٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤١٩/٧): رجاله رجال الصحيح.

(٧) مرسل: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٣٠١).

وقال القرطبي بعدما أورد الحديث المتقدم في غناء الحور العين: وقالت عائشة: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما صدقن. قالت عائشة: فغلبتهن^(١). والله أعلم.

هكذا ذكره في «التذكرة» ولم يعزه إلى كتاب. والله أعلم.

وروى ابن أبي الدنيا عن الزهري: إن في الجنة لشجراً حملاً للؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات يتغنين بالقرآن، يقلن: نحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن المقيمات فلا نطعن. فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً فأجبن الجوارى. فلا يدرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات تصفيق الشجر؟! وفي حديث خالد بن يزيد: في صدر إحداهن مكتوب: أنت حبي وأنا حبيك، انتهت نفسي عندك، فلا ترى عيناى مثلك^(٢). وعن يحيى بن أبي كثير قال: إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طال ما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نطعن، والخالدات فلا نموت. بأحسن أصوات^(٣).

ذكر جماع أهل الجنة لنسائهم من غير منى ولا أولاد إلا إن شاء أحدهم الولد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ﴾ (يس: ٥٥-٥٦).

قال ابن مسعود^(٤) وابن عباس^(٥)، وغير واحد: شغلهم افتضاض الأبكار. وقال تعالى: ﴿وَزَوْجَتَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان: ٥٤).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عمران - هو ابن داود القطان - عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «يُعْطَى الرَّجُلُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا مِنَ النِّسَاءِ». قلت: يا رسول الله، ويُطِيقُ ذلك؟ قال: «يُعْطَى قُوَّةٌ مِائَةً»^(٦) ورواه الترمذي من حديث أبي داود، وقال: صحيح غريب.

وروى الطبراني من حديث الحسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله أنصبل، وفي رواية: هل نفسي في الجنة إلى نسائنا؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضَى فِي الْغَدَاةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ»^(٧). قال الحافظ الضياء: هذا عندي على شرط الصحيح.

وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد، عن عبد الرحمن

(١) انظر «التذكرة» (ص ٥٢٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٦١) (٢٦٢) (٢٧٦)، والآخر حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٧٧)، وهناد (٨٩)، وابن المبارك (١٥٨٦) وهو حسن.

(٤) أخرجه الطيالسي (٢٠١٢)، والترمذي (٢٥٣٦)، وابن حبان (٧٤٠٠) وهو صحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٢) وإسناده صحيح.

ابن زياد، عن عُمارة بن راشد، عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ فقال: «نعم، بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع» (١).

ثم قال البزار: لا نعلم رواه عن عُمارة بن راشد سوى عبد الرحمن بن زياد، وقد كان عبد الرحمن هذا حسن العقل، ولكن وقع على شيوخ مجاهيل، فحدث عنهم بأحاديث منكير، فضعف حديثه، وهذا مما أنكر عليه.

وقال حرملة، عن ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن عبد الرحمن بن حُجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قيل له: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة» (٢).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم بن سليمان الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً». ثم قال: تفرد به معلى (٣).

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ سئل: أيجامع أهل الجنة؟ قال: «دحماً دحماً، ولكن لا مني ولا منية». ولما كان المنى يقطع لذة الجماع، والمنية تقطع لذة الحياة كانا منفين عن أهل الجنة (٤).

وقال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا صدقة، عن هاشم بن زيد، عن سليم أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ، وسئل: يتناكح أهل الجنة؟ قال: «نعم، بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع، دحماً دحماً» (٥).

فأما إذا أراد أحدهم، أن يولد له، كما كان في الدنيا، وأحب الأولاد، فقد قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي الصديق، عن أبي سعيد الخدري، أن نبي الله ﷺ قال: «إذا انتهى المؤمن الولد في الجنة كان حملته ووضعته وسنه في ساعة واحدة، كما يشتهي» (٦). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً، عن محمد بن بشار، عن معاذ بن هشام، به. وقال الترمذي: حسن غريب.

(١) أخرجه البزار (٣٥٢٤) وإسناده ضعيف وفيه نكارة.

(٢) أخرجه ابن حبيب في «وصف الفردوس» (١٩٦) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٤٩) وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٤٧٩)، وإسناده ضعيف جداً.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٢١) وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه أحمد (٩/٢)، والترمذي (٢٥٦٣)، وابن ماجه (٤٣٣٨) وهو منكر.

وقال الحافظ الضياء المقدسي: وهو عندى على شرط مسلم. والله أعلم.
وقد رواه الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن عيسى، عن سلام بن سليمان، «أنبأنا سلام الطويل، عن زيد العمى، عن أبي الصديق الناجي، به، وضعفه البيهقي بمرّة (١).
وقال سفيان الثوري عن أبان، عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال: قيل: يا رسول الله، أُولدُ لأهل الجنة؟ فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: «نعم، والذي نفسي بيده، ما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حملُهُ، ورِضَاعُهُ، وشَبَابُهُ» (٢). وهذا السياق يدلُّ على أن هذا أمر يقع لأهل الجنة، خلافاً لما حكاه البخاري والترمذي، عن إسحاق بن راهويه، أن ذلك محمولٌ على أنه لو أراد ذلك كان، ولكنه لا يريدُه.

وقيل عن جماعة من التابعين كطاوس، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وغيرهم أن الجنة لا تولد فيها. وهذا صحيح، وذلك أن جماعهم لا يقتضي ولداً كما هو الواقع في الدنيا، فإن الدنيا دار يراد فيها بقاء النسل لتعمّر، وأما الجنة فالمراد فيها بقاء اللذة، ولهذا لا يكون في جماعهم مني يقطع لذة جماعهم، ولكن إذا أحب أحدهم الولد يقع ذلك كما يريد، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ (النحل: ٣١). وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١).

ذكر أن أهل الجنة لا يموتون فيها لكمال حياتهم، بل كلما لهم في ازدياد،

من قوة الشباب، ونضرة الوجوه، وحسن الهيئة، وطيب العيش

ولهذا جاء في بعض الأحاديث أنهم لا ينامون لئلا يشتغلوا به عن الملاذ والمسرات والعيش الهنيء الطيب، ولئلا يشتغل بالنوم عن اللذات في الجنة من ذكر الرب، وحمده، والثناء عليه، سبحانه لا نحصى ثناء عليه، نسأل الله الدرجات العلى من الجنة.
قال الله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان: ٥٦-٥٧) وقال تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (٧٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف: ١٠٧-١٠٨). أى لا يختارون غيرها، بل هم أرغب شيء فيها، فلا يختارون بها بدلاً، ولا عنها تحولاً، وليس يعتريهم فيها ملل، ولا صجر، كما قد يسأم أهل الدنيا بعض أحوالهم اللذيذة، ومساكنهم الأنيقة، وأزواجهم الحسان، بل أهل الجنة كما قيل:

فحلّت سواد القلب لا أنا باغياً * سواها ولا عن حبها أتحوّل

وقد تقدّم حديث ذبح الموت بين الجنة والنار، وأنه ينادى مُناد: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ. (٣)

(٢، ١) سبق تخريجهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، وأحمد (٩/٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حمزة، حدثنا أبو إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة وأبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «فَيَنَادَى مَعَ ذَلِكَ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا». قال: «فَيَنَادَى بِهِذِهِ الْأَرْبَعُ». (١)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال: قال الثوري: فحدثني أبو إسحاق، أن الأغر حدثه عن أبي سعيد وأبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «يَنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا». قال: «فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَبْلُغُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣)». (٢). ورواه مسلم، عن إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق، بنحوه.

وقال البزار: حدثنا الفضل بن يعقوب، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، عن سفيان، هو الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قيل: يا رسول الله، هل ينام أهل الجنة؟ قال: «لَا، النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ». (٣) ثم قال البزار: لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَسْنَدَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، إِلَّا الثَّوْرِيَّ، وَلَا عَنْهُ سِوَى الْفَرِيَابِيِّ. كَذَا قَالَ.

وقد قال الحافظ أبو بكر ابن مردويه: حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري، حدثنا المقدم بن داود، حدثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة، حدثنا سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ». (٤)

ورواه الطبراني، من حديث مضعب بن إبراهيم، عن عمران بن الربيع الكوفي، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: سئل رسول الله ﷺ: أَيَنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ فقال: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ». (٥)

ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن جبلة بن أبي رواد، عن سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، فذكره. (٦)

ثم روى البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن عباس الدوري، عن يونس بن محمد، عن سعيد بن زريق، عن نفيح بن الحارث، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: النِّوْمُ مِمَّا يَقْرَأُ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنُنَا فِي الدُّنْيَا، أَنَنَامُ فِي الْجَنَّةِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَوْتَ شَرِيكَ النَّوْمِ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَوْتُ». قالوا: يا رسول الله، فما راحتهم؟ قال: «إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا لُغُوبٌ، كُلُّ أَمْرِهِمْ رَاحَةٌ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (فاطر: ٣٥). ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ. (٧)

(١) أخرجه أحمد (٨٢٥٨) وإسناده صحيح. (٢) أخرجه أحمد (٩٥/٣) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البزار (٣٥١٧) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٨١٦) وإسناده ضعيف لكن الحديث صحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٢٣) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٤٢).

(٧) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٤٤) وإسناده ضعيف جدًا.

ذكر إخلال الرضوان عليهم، وذلك أفضل ما لديهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ﴾ (محمد: ١٥). وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢).

وروى مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فيقول: أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: يَا رَبَّنَا، وَآيَ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١). وأخرجه في «الصحيحين» من حديث مالك، به.

وقال البزار: حدثنا سلمة بن شبيب والفضل بن يعقوب، قالا: حدثنا الفريابي، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: أَلَا أُعْطِيكُمْ؟ قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: «أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» - قَالُوا: يَا رَبَّنَا، هَلْ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمَّا أُعْطِينَا؟ قَالَ: رِضْوَانِي أَكْبَرُ» (٢). وهذا الحديث على شرط البخاري، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه.

ذكر نظر الرب تعالى إلى أهل الجنة وتسليمه عليهم

قال الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤). وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (يس: ٥٨).

وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في كتاب السنة من «سننه»: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العباداني، حدثنا الفضل الرقاشي، عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نَوْرٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ سَبْحَانَهُ، قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (يس: ٥٨). قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ، وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ» (٣).

وقد رواه البيهقي مطولاً من هذا الوجه، فقال: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد، حدثنا الكندي، حدثنا يعقوب بن إسماعيل أبو يوسف السلال، حدثنا أبو عاصم العباداني، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَرَفَعُوا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩)، والترمذي (٢٥٥٥).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٤٣٩)، وغيره وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٤) بسند ضعيف جداً.

رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلُونِي. قَالُوا: نَسْأَلُكَ الرِّضَا عَنَّْا. قَالَ: رِضَايَ أَحْلَكُم دَارِي، وَأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي، هَذَا أَوَانُهَا، فَسَلُونِي. قَالُوا: نَسْأَلُكَ الزِّيَادَةَ. قَالَ: فَيُؤْتُونَ بِنِجَانِبٍ مِنْ يَأْقُوتٍ أَحْمَرَ، أَرْزَمَتَهَا زُمَرْدُ أَخْضَرُ، وَيَأْقُوتٌ أَحْمَرُ، فَجَاءُوا عَلَيْهَا تَضَعُ حَوَافِرَهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَيَأْمُرُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَشْجَارٍ عَلَيْهَا الثَّمَارُ، فَتَتَحَفَّهُمْ مِنْ ثَمَارِهَا، فَتَجِيءُ حَوَارِ مِنْ الْحَوَارِ الْعَيْنِ، وَهِنَّ يَقْلُنَ: نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبَاسَ، وَنَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ كِرَامٍ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِكَثْبَانٍ مِنْ مِسْكَ أَذْفَرٍ أَبْيَضَ، فَتُثِيرُهُ عَلَيْهِمْ رِيحٌ يُقَالُ لَهَا: الْمُثِيرَةُ. حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِمْ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ قَصْبَةُ الْجَنَّةِ، فَتَقْبُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، قَدْ جَاءَ الْقَوْمُ. فَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِالصَّادِقِينَ، مَرْحَبًا بِالطَّائِعِينَ، مَرْحَبًا بِالْمُتَّقِينَ. قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَتَمَتَّعُونَ بِنُورِ الرَّحْمَنِ حَتَّى لَا يَبْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُوهُمْ إِلَى قُصُورِهِمْ بِالْتَّحَفِ. فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ أَبْصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَزَلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٢)». (١) ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَقَدْ مَضَى فِي هَذَا الْكِتَابِ، فِي كِتَابِ الرُّؤْيَا، مَا يُؤَكِّدُ مَا رُوِيَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُؤَيْنِيُّ فِي الرَّدِّ عَلَى السَّجْزِيِّ، أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى إِذَا كَشَفَ الْحِجَابَ، وَتَحَلَّى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ تَذَقُّتِ الْأَنْهَارِ، وَاصْطَفَقَتِ الْأَشْجَارُ، وَتَجَاوَبَتِ الْأَطْيَارُ وَالسَّرُورُ وَالْغُرَفَاتُ وَمَا فِيهَا بِالصَّرِيرِ وَالْتَعْظِيمِ وَالتَّسْبِيحَاتِ، وَالْأَعْيُنُ الْمُتَدَفِّقَاتُ بِالْخَرِيرِ، وَاسْتَرَسَلَتِ الرِّيحُ الْمُثِيرَةُ، وَبَثَّتْ فِي الدُّورِ وَالْقُصُورِ الْمَسْكَ الْأَذْفَرَ، وَالْكَافُورَ، وَغَرَدَتِ الطُّيُورُ، وَأَشْرَقَتِ الْحُورُ. وَالْفَضْلُ بْنُ عِيسَى ضَعِيفٌ (٢)، وَلَكِنْ رَوَى الضَّيَّاءُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا، مِثْلَهُ.

ذِكْرُ رُؤْيَا أَهْلِ الْجَنَّةِ رَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ،

فِي مِثْلِ أَيَّامِ الْجَمْعِ فِي مَجْتَمَعٍ لَهُمْ مُعَدَّ لَذَلِكَ هُنَاكَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٦) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (الْقِيَامَةُ: ٢٢-٢٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٦) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (الْمُطَفِّفِينَ: ١٥-٢٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يُونُس: ٢٦). فَذَكَرَ عَنِ الْفَجَّارِ أَنَّهُمْ مُحْجُوبُونَ، وَأَنَّ الْأَبْرَارَ إِلَيْهِ يَنْظُرُونَ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّاتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أُنْيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتَانِ مِنْ فِضَّةٍ أُنْيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (٣). أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ». وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «وَأَعْلَاهُم مَن يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ» (٤). وَلَهُ شَاهِدٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَرِيرِ بْنِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَعْثِ» (٤٤٨) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا.

(٢) أَشَدُّ ضَعْفًا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٤٤)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٢٨)، وَابْنُ مَاجَةٍ (١٨٦).

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

عبد الله مرفوعاً عند ذكر رؤية المؤمنين ربهم، عز وجل، يوم القيامة، كما يرون الشمس والقمر، قال: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق: ٣٩). (١)

وفى «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم عياناً». (٢) فأرشد هذا السياق على أن رؤيته، عز وجل، تقع لأهل الجنة في مثل أوقات العبادات، فكان المبرزين من المقربين الاختيار يرون الله، عز وجل، في مثل طرفي النهار، بكرة وعشيًا، وهذا مقام عال، فيروته سبحانه وهم على أرائكهم، وسررهم كما يرون القمر ليلة البدر، فيروته أيضًا غير رؤيتهم إياه في منازلهم في الجنة حيث يجتمع أهل الجنة في واد أفيع - أي متسع - من مسك أبيض، فيجلسون فيه على قدر منازلهم، فمنهم من يجلس على منابر من نور، ومنهم من يجلس على منابر من ذهب، وغير ذلك من أنواع الجواهر وغيرها، ثم تفاضل عليهم النعم والخلع، وتوضع على رؤوسهم التيجان، وبين أيديهم الموائد مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم يطيبون بأنواع الطيب، ويخصون بأنواع الكرامات والتحف مما لم يخطر على بال أحد منهم قبل ذلك، ثم يتجلى لهم الحق سبحانه وتعالى، ويخاطبهم واحدًا واحدًا، كما دللت على ذلك الآيات والأحاديث، كما سيأتي إيرادها قريبًا على رغم أنوف المعتزلة وغيرهم ممن ينكر رؤيته سبحانه في الدار الآخرة.

وقد حكى بعض العلماء خلافًا في النساء: هل يرين الله، عز وجل، في الجنة، كما يراه الرجال؟ فقيل: لا يروته، لأنهن مقصورات في الخيام، لا يبرزن منها. وقيل: لنقص عقولهن ودينهن ورغبتهن في الدنيا. وقيل: بل يروته سبحانه، لأنه لا مانع من رؤيته في الخيام والقصور وغيرها. والنساء إذا دخلن الجنة ذهب عنهن ما كان يعترين من النقص في الدنيا، وصرن أزواجًا مطهرة من كل أذى وطبن أخلاقًا وخلقا، فلا مانع لهن من رؤيتهن لربهن، عز وجل. والله سبحانه أعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٣٤) على الأرائك ينظرون ﴿المطففين: ٢٢-٢٣﴾، وقال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُكْنُونٍ﴾ (يس: ٥٦).

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم، عز وجل، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». (٣) وهذا عام في الرجال والنساء. والله أعلم.

وقال بعض العلماء قولاً ثالثاً، وهو أنهن يرين الله في مثل أوقات الأعياد، فإنه تعالى يتجلى لأهل الجنة في مثل أيام الأعياد تجلياً عاماً، فيرئنه في مثل هذه الحال في جملة أهل الجنة. وهذا القول يحتاج إلى دليل خاص. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٤) (٧٤٣٥)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٢٩).

(٢) هي عند البخاري (٧٤٣٥).

(٣) إحدى روايات البخاري الماضية.

وقد قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦). وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين تفسير هذه الزيادة بالنظر إلى وجه الله، عز وجل منهم أبو بكر الصديق، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه. ومن التابعين سعيد بن المسيب، ومجاهد، وعكرمة، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وغيرهم من السلف والخلف.

وقد روى حديث رؤية المؤمنين لربهم، عز وجل، في الدار الآخرة عن جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق - وقد تقدم حديثه مطولاً - وعلي بن أبي طالب، وقد روى حديثه يعقوب ابن سفيان، فقال: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن خالد، عن زيد بن علي عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَرَى أَهْلُ الْجَنَّةِ الرَّبَّ تَعَالَى فِي كُلِّ جُمُعَةٍ» (١). وذكر تمام الحديث، وفيه: «فَإِذَا كُشِفَ الْحِجَابُ كَانَتْهُمْ لَمْ يَرَوْا نِعْمَةً قَبْلَ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَدِينَا مَزِيدٌ﴾». ومنهم أبي بن كعب، وأنس بن مالك، وبريدة بن الحصيب، وجابر بن عبد الله، وجريز بن عبد الله، وحذيفة، وزيد بن ثابت، وسلمان الفارسي، وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن الصامت، وأبو أمامة صدى بن عجلان الباهلي، وعبد الله بن عباس، وابن عمر، وعمارة بن ربيعة، وعبد الله بن عمرو، وأبو موسى عبد الله بن قيس، وعبد الله بن مسعود، وعدى بن حاتم، وعمار بن ياسر، وأبو رزين العقيلي، وأبو هريرة، ورجل من الصحابة، وعائشة أم المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تقدم كثير منها، وسيأتي بقيتها مما يليق بهذا المقام إن شاء الله تعالى. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عقان، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. فقال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَىٰ مَنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يَرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمْوهُ. فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يَنْقُلْ مَوَازِينَنَا، وَيَبْيِضَ وُجُوهَنَا، وَيَدْخُلَنَا الْجَنَّةَ، وَيُزَحِّزَنَا عَنِ النَّارِ؟» قَالَ: «فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ». قَالَ: «قَالَ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُمْ إِلَيْهِ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلَا أَقْرَبَ لَأَعْيُنِهِمْ» (٢). وهكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة.

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا أبو بكر الهذلي، أخبرني أبو تميمة الهجيمي، قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة، ويقول: إن الله يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة، هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون، فيرون الحلى والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم، قد أنجزنا الله ما وعدنا. قالوا ذلك ثلاث مرات، فيقول: قد

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان كما في «حادي الأرواح» (ص ٣٠١) بهذا الإسناد وهو موضوع.

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٣/٤)، وإسناده صحيح.

بَقِيَ شَيْءٌ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. أَلَا إِنَّ الْحُسْنَىٰ الْجَنَّةَ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ^(١). هَكَذَا ذَكَرَهُ مَوْقُوفًا.

وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدِيثَ أَبِي غَيْمَةَ الْهَجَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَادِيًا يُنَادِي أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يَسْمَعُ أَوْلَهُمْ وَأَخْرَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةَ الْحُسْنَىٰ الْجَنَّةَ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَنِ»^(٢).

وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ مِنْ حَدِيثِ زَهِيرٍ عَمَّنْ سَمِعَ أَبَا الْعَالِيَةِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَنِي كَعْبٍ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ: «الْحُسْنَىٰ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ»^(٣).

وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ أَيْضًا عَنْ ابْنِ حَمِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَنِ، عَزَّ وَجَلَّ»^(٤).

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ: حَدَّثَنَا سَلَمُ بْنُ سَالِمٍ، عَنْ نُوحِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قَالَ: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا الْحُسْنَىٰ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ». سَلَّمَ وَشِيعُهُ نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ مُتَكَلِّمٌ فِيهِمَا^(٥). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِ الْجُمُعَةِ مِنْ «مُسْنَدِهِ»: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْأَزْهَرِ مُعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ بَنٍ عُمَيْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: أَتَىٰ جَبْرِيلُ بِمِرَاةٍ بِيضَاءَ فِيهَا وَكُنَّةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ؟». فَقَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ فَضَّلْتُ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَالْنَّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعٌ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ، إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ، وَهُوَ عِنْدَنَا يَوْمَ الْمَزِيدِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا جَبْرِيلُ، مَا يَوْمُ الْمَزِيدِ؟» قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْفَرْدَوْسِ وَادِيًا أَفْخَحَ فِيهِ كُتُبُ مَسْكِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَنْزَلَ اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَحَوْلِهِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَلَيْهَا مَقَاعِدُ لِلنَّبِيِّينَ، وَحَفَّ تِلْكَ الْمَنَابِرُ بِمَنَابِرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرِجَدِ، عَلَيْهَا الشُّهَدَاءُ وَالصَّادِقُونَ، فَجَلَسُوا مِنْ وَرَائِهِمْ عَلَىٰ تِلْكَ الْكُتُبِ، فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا رَبُّكُمْ قَدْ صَدَّقْتُكُمْ وَعَدَىٰ، فَسَلُّونِي أَعْطَاكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَسْأَلُكَ رِضْوَانَكَ. فَيَقُولُ: قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ، وَلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَمَنَيْتُمْ، وَلَدَىٰ مَزِيدٌ. فَهَمَّ يُحْبُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَمَّا يُعْطِيهِمْ فِيهِ رِيبَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي اسْتَوَىٰ فِيهِ رَبُّكُمْ عَلَى الْعَرْشِ، وَفِيهِ خَلَقَ آدَمَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ^(٦).

(١) أخرجه في «زيادات الزهد» (٤١٩) وإسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً: وقد سبق.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٦٤٨)، وإسناده ضعيف وله شواهد.

(٤) ابن جرير (١٧٦٤٦)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه الحسن بن عرفة كما في «حادى الأرواح» (ص ٣٣٠)، والدارقطنى فى «الرؤية» (٦٧)، واللالكاى (٧٧٩)، وإسناده ضعيف جداً.

(٦) أخرجه الشافعى فى «المسند» (٧٠-٧١)، وفى «الأم» (٢٣٩/١) وإسناده ضعيف جداً.

وقد رَوَاهُ الْبَزَارُ مِنْ حَدِيثِ جَهْضَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي طَبِيَّةٍ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ وَفِي يَدِهِ مِرَّةٌ بَيْضَاءُ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجَمْعَةُ يُعْرَضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونَ أَنْتَ الْأَوَّلُ، وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ». قَالَ: «مَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ، مَنْ دَعَا رَبَّهُ فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قِسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقِسْمٍ إِلَّا أَدْخَلَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرِّهِ هُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَادَهُ مِنْ أَعْظَمِ مِنْهُ». قَالَ: «قُلْتُ: مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ. قُلْتُ: وَمَا يَوْمُ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنْ رَبُّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفِيحٌ مِنْ مَسَكٍ أَبْيَضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَعَالَى مِنْ عَلِيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسَى بِمَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، وَجَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرُ بِكَرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكُتُبِ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ، عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَّقْتُمْ وَعَدَى، وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، هَذَا مَحَلُّ كِرَامَتِي، فَسَلُونِي. فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا فَيَقُولُ: رِضَائِي أَحْلُكُمْ دَارِي، وَأَنَا لَكُمْ كِرَامَتِي، فَسَلُونِي. فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ إِلَى مَقْدَارٍ مَنْصَرَفٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ تَعَالَى عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَيَصْعَدُ مَعَهُ الشَّهَدَاءُ وَالصَّدِيقُونَ - أَحْسَبُهُ قَالَ - وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ دَرَّةً بَيْضَاءَ لَا قَصَمَ فِيهَا وَلَا قَصَمٌ، أَوْ يَأْقُوتَةُ حُمْرَاءَ، أَوْ زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءَ، مِنْهَا غُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا، مَطْرُودَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا، مُتَدَلِّيةٌ فِيهَا ثَمَارُهَا، فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلْيَسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فِيهِ كِرَامَةً، وَيَزْدَادُوا نَظْرًا إِلَى وَجْهِهِ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ سَمِيَ يَوْمُ الْمَزِيدِ»^(١).

ثم قال البزار: لا نعلم أحداً رَوَاهُ عَنْ أَنَسٍ غَيْرَ عَثْمَانَ بْنِ عَمِيرٍ أَبِي الْيَقْظَانِ، وَعَثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ. هَكَذَا قَالَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ مِنْ طَرِيقِ زِيَادِ بْنِ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي مَسْلَمٍ، عَنْ أَنَسٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ مِثْلَ هَذَا السِّيَاقِ، أَوْ نَحْوَهُ.

وتقدم في رواية الشافعي، عن عبد الله بن عبيد بن عمير عنه، فقد اختلفت الرواة فيه، وكان بعضهم يدلُّه، لثلاثٍ يعلم أمره، وذلك لما يتوهم من ضعفه. والله أعلم.

وقد رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ»، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ فَرْوَخٍ، عَنْ الصَّعِقِ بْنِ حَزْنٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ^(٢)، فَهَذِهِ طَرُقٌ جَيِّدَةٌ عَنْ أَنَسٍ، وَهِيَ شَاهِدَةٌ لِرَوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَمِيرٍ.

وقد اعتنى بهذا الحديث الدارقطني، فأوردته من طرق. قال الحافظ الضياء: وقد روى من طريق جيد، وهي شاهدة لرواية عثمان بن عمير عن أنس، رَوَاهُ الطبراني، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ

(١) أخرجه البزار (٣٥١٩)، وهو منكر.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٢١٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٩٢/١)، وهو منكر - وللحديث طرق.

محمد بن عثمان بن كرامة، عن خالد بن مخلد القطواني، عن عبد السلام بن حفص، عن أبي عمران الجوني، عن أنس، فذكره.

وقد رَوَاهُ غيرُ أنسٍ من الصحابة، قال الزُّبَارُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْعُصْفَرِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَطِيبٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَذَكَرَ يَوْمَ الْمَزِيدِ. قَالَ: «فِيُوحَى اللَّهُ، عَزَّوَجَلَّ، إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ أَنْ يَرْفَعُوا الْحُجُبَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَيَكُونَ أَوَّلُ مَا يَسْمَعُونَ مِنْهُ: أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ وَلَمْ يَرَوْنِي، وَصَدَّقُوا رُسُلِي وَاتَّبَعُوا أَمْرِي، سَلَوْنِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: أَنْ رَضِينَا عَنْكَ، فَارْضَ عَنَّا. فَيَرْجِعُ فِي قَوْلِهِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنِّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمْ أَسْكُنْكُمْ جَنَّتِي، هَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ، فَسَلَوْنِي. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: أَرَبْنَا وَجْهَكَ يَا رَبِّ نَنْظُرُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحُجُبُ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ، فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ مَا لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى أَنْ لَا يَمُوتُوا لَا حَتَرَقُوا، ثُمَّ يَقَالُ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ. فَيَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَلَهُمْ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمٌ يَتَجَلَّى لَهُمْ فِيهِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ» (١).

ذكر سوق الجنة

قال الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْعَشْرِينَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سَوْقِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَوْ فِيهَا سَوْقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤَدَّنُ لَهُمْ فِي مَقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيُزَوَّرُونَ اللَّهُ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لَوْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرَجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ - وَمَا فِيهِمْ دَنَى - عَلَى كُثْبَانِ الْمَسْكِ وَالْكَافُورِ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِسًا».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، هَلْ تَمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «فَكَذَلِكَ لَا تَمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرُهُ رَبُّهُ مُحَاضِرُهُ حَتَّى يَقُولَ: يَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَذْكُرُهُ بَعْضُ عَدْرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: بَلَى، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَمَغْفِرُنِي بَلَعْتَ مِنْزِلَتَكَ هَذِهِ. قَالَ: فَيَبِينَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتُهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طَيْبًا لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا مِثْلَ رِيحِهِ قَطُّ». قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ رَبَّنَا، عَزَّوَجَلَّ: قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اسْتَهَيْتُمْ. قَالَ: فَيَجِدُونَ سَوْقًا، قَدْ حَفَّتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ». قَالَ: «فَيَحْمِلُ لَنَا مَا اسْتَهَيْنَا لَيْسَ بِبَاعٍ وَلَا يَشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السَّوْقِ يَلْقَى أَهْلَ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ: فَيُقْبِلُ ذُو الْبِزَةِ الْمَرْتَفَعَةِ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ - وَمَا فِيهِمْ دَنَى - فَيَرُوعُهُ مَا

(١) أخرجه الزُّبَارُ (٢٨٨١) وهو منكر.

يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ، فَمَا يَنْقُضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا. قَالَ: ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَتَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا، فَيَقْلُنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِحِينَا، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِّبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ. فَتَقُولُ: إِنَّا قَدْ جَالَسْنَا رَبَّنَا الْجَبَّارَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَبِحَقِّقْنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا. (١)

وهكذا رواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار. ورواه الترمذی، عن محمد بن إسماعيل، عن هشام بن عمار، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقد رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا، عن الحكم بن موسى، عن هقل بن زياد، عن الأوزاعي، قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة، فذكره. (٢)

وقال مسلم (٣): حدثنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتُهَبُّ عَلَيْهِمُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْتَوُ فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمُ الْمِسْكُ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا. فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا».

وهكذا رواه أحمد، عن عفان، عن حماد، وعنده: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا فِيهَا كُتُبَانُ الْمِسْكِ، فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْهَا هَبَّتِ الرِّيحُ». وذكر تمامه. (٤)

وروى أبو بكر ابن أبي سبرة، عن عمر بن عطاء بن راز، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أَرْضُ الْجَنَّةِ بَيْضَاءُ، عَرَصَتْهَا صُخُورُ الْكَافُورِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمِسْكُ مِثْلُ كُتُبَانِ الرَّمْلِ، فِيهَا أَنْهَارٌ مُطَرَّدَةٌ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَتَعَارَفُونَ، فَيُبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى رِيحَ الرَّحْمَةِ، فَتُهَبُّ عَلَيْهِمُ رِيحُ الْمِسْكِ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى زَوْجَتِهِ، وَقَدْ أَزْدَادَ حُسْنًا وَطَيِّبًا، فَتَقُولُ: لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي وَأَنَا بِكَ مُعْجِبَةٌ، وَأَنَا الْآنَ بِكَ أَشَدُّ إِعْجَابًا». (٥)

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو عيسى الترمذی قائلًا: حدثنا أحمد بن منيع وهناد، قالوا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن الثَّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ، عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلَا بَيْعٌ إِلَّا الصُّوَرُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةَ دَخَلَ فِيهَا» (٦). فإنه حديث غريب، كما ذكره الترمذی، ويحمل معناه على أن الرجال إنما يشتهون الدخول في مثل صور الرجال، وكذلك النساء، ويكون مفسراً بالحديث

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٥٨٥) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٥٦) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٣) (١٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢٨٤/٣-٢٨٥) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٨) وهو موضوع.

(٦) سبق تخريجه.

المتقدم، وهو الشكل، والهيئة، والبشرة، واللباس، كما ذكرنا في حديث أبي هريرة في سوق الجنة: «فَيُقْبَلُ ذُو الْبِرَّةِ الْمُرْتَضَعَةِ، فَيُلْقَى مِنْ دُونِهِ، فَيَرَوْهُ مَا عَلَيْهِ، مِنَ اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ، فَمَا يُنْقَضِي آخِرَ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا».

هذا إن كان قد حَفِظَ لَفْظَ الْحَدِيثِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ، فَإِنَّهُ قَدْ تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَارِثِ، وَهُوَ أَبُو شَيْبَةَ الْوَاسِطِيُّ، وَيُقَالُ: الْكُوفِيُّ. رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَخَالِهِ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ، وَالشَّعْبِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، وَهَشِيمٌ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، مِنْكَرِ الْحَدِيثِ. وَكَذَّبَهُ فِي رَوَايَتِهِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي أَحَادِيثَ رَفَعَهَا.

وكَذَلِكَ ضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، وَيَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، وَالْبُخَارِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ خَزِيمَةَ، وَابْنُ عَدِي وَغَيْرُهُمْ، وَقَدْ اسْتَفْصَيْتُ كَلَامَهُمْ فِيهِ مَفْصَلًا فِي «التَّكْمِيلِ». وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ.

وَمِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ مَا تَفَرَّدَ بِهِ، وَلَا سِيَّمَا هَذَا الْحَدِيثُ، فَإِنَّهُ مُنْكَرٌ جَدًّا، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ سَمِعَ شَيْئًا، وَلَمْ يَفْهَمْ جَدًّا، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ نَاقِصَةٍ، وَيَكُونُ أَصْلُ الْحَدِيثِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْعَشْرِينَ الدَّمَشَقِيِّ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِي سَوْقِ الْجَنَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى مِنْ وَجْهِ آخَرَ غَرِيبٍ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضْرَمِيُّ الْخَافِظُ، الْمَعْرُوفُ بِمُطِينٍ^(١): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ طَرِيفِ الْبَجَلِيِّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا جَابِرُ الْجَعْفِيُّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ تَسْوِفًا مَا يَبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى إِلَّا الصُّورُ، فَمَنْ أَحَبَّ صُورَةً مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ دَخَلَ فِيهَا»^(٢). جَابِرُ بْنُ يُزَيْدَ الْجَعْفِيُّ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ذِكْرُ رِيحِ الْجَنَّةِ وَطَيِّبِهِ وَانْتِشَارِهِ

حَتَّى إِنَّهُ يَشْمُ مِنْ سَنِينَ عَدِيدَةٍ وَمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿ (مُحَمَّد: ٤-٦). قَالَ بَعْضُهُمْ: أَيْ طَيِّبُهَا لَهُمْ، مِنَ الْعَرَفِ، وَهُوَ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرْحَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحُهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِينَ عَامًا»^(٣).

(١) انظر ترجمته في «السير» (٤٢/١٤).

(٢) موضوع.

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٢٧٤) وإسناده صحيح على شرطهما.

ورواه أحمد، عن غندر، عن شعبة، وقال: «سبعين عاماً» (١).

وقال أحمد: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: أراد فلان أن يدعى جنادة بن أبي أمية، فقال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرْحُ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً، أو مسيرة سبعين عاماً». قال: «وَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدٍ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٢).

وقال البخاري: حدثنا قيس بن حفص، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرْحُ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» (٣).

وهكذا رواه ابن ماجه، عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الحسن بن عمرو، به (٤). وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن محمد -يعني أبا إبراهيم المعقب- حدثنا مروان، وهو ابن معاوية الفزاري، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَرْحُ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» (٥).

رواه النسائي عن عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، عن مروان بن معاوية الفزاري، به. ورواه الطبراني، عن موسى بن خازم الأصبهاني، عن محمد بن بكير الحضرمي، عن مروان الفزاري، عن الحسن، عن مجاهد، عن جنادة، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لَمْ يَرْحُ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام» (٦). هذا لفظه. وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا مغلل بن نفيل، حدثنا عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرْحُ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام» (٧). وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: «سبعين خريفاً» (٨) وقال: حسن صحيح. وفي الباب عن أبي بكر (٩).

(١) أخرجه أحمد (٦٨٣٤) وإسناده صحيح على شرطهما.

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٩٢)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٦٦) (٦٩١٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٦٨٦).

(٥) أخرجه أحمد (٦٧٤٥) وإسناده صحيح.

(٦) إسناده ضعيف.

(٧) إسناده ضعيف: ولكن صح بشواهده.

(٨) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، وابن ماجه (٢٦٨٧) وإسناده ضعيف.

(٩) أخرجه الطيالسي (٨٧٩)، وأحمد (٢٠٣٧٧)، وأبو داود (٢٧٦٠)، والدارمي (٢٥٠٤)، والنسائي (٢٤/٨)، وهو صحيح.

وقال الحافظ الضياء: هو عندي على شرط الصحيح، يعنى حديث أبي هريرة. (١)
 وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة، عن الحسن أو غيره، عن أبي بكر، قال: سمعتُ
 رسول الله ﷺ يقول: «ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام». (٢)
 وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: «خمس مائة عام». (٣). وكذلك رواه حماد بن سلمة، عن
 يونس بن عبيد، عن الحسن. (٤)
 وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب «صفة الجنة»، من طريق الربيع بن بدر عليه - وهو
 ضعيف - عن هارون بن رثاب، عن مجاهد، عن أبي هريرة مرفوعاً: «رائحة الجنة توجد من
 مسيرة خمسمائة سنة». (٥)
 وقال مالك، عن مسلم بن أبي مريم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ أنه قال: نساء كاسيات
 عاريات، مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة
 خمسمائة عام. (٦)
 قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر: وقد رواه عبد الله بن نافع الصائغ، عن مالك، فرفعه
 إلى النبي ﷺ .
 وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أحمد بن محمد بن طريف، حدثنا
 أبي، حدثنا محمد بن كثير، حدثني جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن جابر، قال:
 قال رسول الله ﷺ: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم». (٧)
 وثبت في «الصحيحين» عن أنس، أن سعد بن معاذ، مرَّ بأنس بن النضر يوم أحد، فقال: أين
 يا سعد، وأهنا لريح الجنة، والله إنني لأجد ريحها دون أحد. فقاتل يومئذ حتى قُتل، ولم يعرف
 من كثرة الجراح، وما عرفه إلا أخته الربيع بنت النضر بئانه، ووجد به بضغ وثمانون من بين
 ضربة وطعنة ورمية وثلاثة. (٨)
 فقد وجد أنس ريح الجنة في الأرض وهي فوق السموات، اللهم إلا أن تكون قد اقتربت يومئذ
 من المؤمنين، والله أعلم.

(١) قلت: غير صحيح فقد علمت أن فيه ضعفاً.

(٢) أخرجه أحمد (٤٦/٥)، وعبد الرزاق (١٩٧/٢)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٤٤) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٧٤٤)، وابن حبان (٤٨٨١)، والحاكم (٤٤/١)، وابن حبان (٧٣٨٢)، وقال النسائي: هذا خطأ والصواب حديث ابن علي.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩٤) وهو ضعيف جداً.

(٦) أخرجه مالك (٩١٣/٢)، وعنه البيهقي (٣٠٨٣)، بهذا الإسناد موقوفاً. وأخرجه مسلم (٢١٢٨)، و(ص ٢١٩٢) (٥٢)، وابن حبان (٧٤٦١) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٧) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٦٤)، وهو موضوع.

(٨) أخرجه أحمد (١٩٤/٣)، والبخاري (٤٧٨٣)، ومسلم (١٩٠٣).

ذكر نور الجنة وبهاؤها وطيب فنائها وحسن منظرها في وقتي صباحها ومساءها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠). وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٧٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (طه: ١١٨-١١٩). وقال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٣). قال ابن أبي الدنيا: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد ربّه الحنفى، عن خاله الزميل بن سمالك، سمع أباه يحدث، أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره، فقال: يا بن عباس، ما أرض الجنة؟ قال: هي مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة. قلت: ما نورها؟ قال: أما رأيت الساعة التي تكون قبل طلوع الشمس؟ فذلك نورها، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير^(١). وذكر باقى الحديث، كما تقدم.

وتقدم فى سؤال ابن صياد عن تربة الجنة أنها درمكة بيضاء، مسك أدفر^(٢). وقال أحمد بن منصور الرمادى: حدثنا كثير بن هشام، حدثنا هشام بن زياد أبو المقدم، عن حبيب بن الشهيد، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الرزى إلى الله البياض، فليلبسه أحياناً، وكفونا فيه موتاكم». قال: ثم أمر برعاء الشاء فجمعوا، فقال: «من كان ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء». فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، إني اتخذت غنماً سوداً، فلا أراها تنمو. فقال: «عفري». (٣) أى بيضى، معناه: اخلطى فيها بيضاً.

وقال أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن الفرّج الحمصى، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير الحمصى، حدثنا محمد بن مهاجر، عن الضحّاك المعافى، عن سليمان بن موسى، حدثنا كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نوريتلاً، وريحانة تهتر، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرّة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أيد، فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، فى محلّة عالية بهية». قالوا: يا رسول الله، نعم، نحن المشمرون لها. فقال: «قولوا: إن شاء الله». فقال القوم: إن شاء الله. ثم قال البزار: لا نعلم له طريقاً إلا هذا^(٤).

وقد رواه ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، بنحوه. ورواه أبو بكر بن أبى داود، عن عمرو بن عثمان، عن أبيه، عن محمد بن مهاجر به، ورواه ابن أبي الدنيا من طريق ابن مهاجر.

(١) إسناده ضعيف: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الجنة» (١٤٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) إسناده ضعيف، وأخرجه ابن عدى (١٠٧/٧).

(٤) أخرجه البزار (٢٥٩١)، وإسناده ضعيف.

وتقدّم في الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي سبرة، عن عمر بن عطاء بن وراز، عن سالم أبي العيث، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أرض الجنة بيضاء، عرضها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثران الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة، فتتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً»^(١). وذكر الحديث. وروى الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ -وقد تقدّم- «لو أن ما يقلّ ظفراً مما هي الجنة بدا لتزخرّف له ما بين خوافق السموات والأرض»^(٢).

ذكر الأمر بطلب الجنة وترغيب الله عباده فيها وأمرهم بالمبادرة إليها

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: ٢٥). وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية (الحديد: ٢١). وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ١١١). وقال: ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (المطففين: ٢٥-٢٦).

وقد روى البخاري وغيره من حديث سعيد بن ميناء، عن جابر، أن ملائكة جاءوا إلى رسول الله ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: هو نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان. فقالوا: اضربوا له مثلاً. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، واتخذ فيها مادبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المادبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المادبة. قالوا: فأولوها له يعقلها. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان. فقالوا: الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس^(٣).

وروى الترمذي هذا الحديث، ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «إني رأيتُ في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً. فقال: اسمع سمعت اذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمّتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً، ثم صنع مادبة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، قال الله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل مما فيها»^(٤). وروى الترمذي عن ابن مسعود نحوه، وصححه أيضاً^(٥).

(١) سبق تخريجهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٠)، بإسناد مرسل ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٦١)، وحسنه الألباني.

وقال حمادُ بنُ سلمة، عن ثابتٍ عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ سَيِّدًا بَنَى دَارًا، وَاتَّخَذَ مَادُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَادِبَةِ، وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، أَلَا وَإِنَّ السَّيِّدَ اللَّهَ، وَالدَّارَ الْإِسْلَامَ، وَالْمَادِبَةَ الْجَنَّةَ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدًا ﷺ». (١)

وقال أبو يعلى: حَدَّثَنَا أَبُو خَبِثَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ يُونُسَ، هُوَ ابْنُ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتْ النَّارُ: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ فَلَانًا قَدْ اسْتَجَارَ مِنِّي فَأَجِرْهُ. وَلَا سَأَلَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتْ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ فَلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ». (٢) إسناده على شرط مسلم.

ورَوَى الترمذی، والنسائی، وابن ماجه، عن هناد، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ. وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ». (٣)

وقال الحسن بن سفيان: حَدَّثَنَا الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا مَسْأَلَةَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَاسْتَعِيدُوا بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّهُمَا شَافِعَتَانِ مُشَفَّعَتَانِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَكْثَرَ مَسْأَلَةَ الْجَنَّةَ قَالَتْ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِي سَأَلَنِيكَ فَأَسْكِنْهُ إِيَّايَ. وَتَقُولُ النَّارُ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِي اسْتَعَاذَ بِكَ مِنِّي فَأَعِذْهُ مِنِّي». (٤)

وقال البزار: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدَةَ الْعُصْفَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا سَالِمَانُ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ». (٥) ورواه أبو داود من حديث محمد بن المنكدر.

وفى الترمذی عن أبي هريرة مرفوعاً: «مَنْ خَافَ ادُّلُجَ، وَمَنْ ادُّلِجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ». (٦)

وقال أبو بكرٍ الشافعي، عن كُليب بن حزن: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «اطْلُبُوا الْجَنَّةَ جُهْدَكُمْ، وَاهْرُبُوا مِنَ النَّارِ جُهْدَكُمْ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا، وَإِنَّ الْآخِرَةَ الْيَوْمَ مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مُحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَلَا تَلْهَيْكُمْ عَنِ الْآخِرَةِ». (٧)

(١) إسناده من حماد صحيح على شرط مسلم. وقوله: «السيد الله» له شواهد كثيرة يصح بها.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦١٦٤)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٨/٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٣١٠)، والحاكم (٥٣٤/١)، من طريق إسرائيل. أخرجه هناد في «الزهد» (١٧٣)، والترمذی (٢٥٧٢)، والنسائی (٢٧٩/٨)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، والطبراني (١٣١١)، وابن حبان (١٠٣٤)، وهو صحيح.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٠)، وإسناده ضعيف.

(٥) ضعيف: أخرجه ابن عدى (١١٠٧/٣)، وأخرجه أبو داود (١٦٧٢)، وضعفه الألباني في «الضعيف» (٣٦٨).

(٦) أخرجه الترمذی (٢٤٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذی» (١٩٩٣).

(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/٢٠٠/٤٤٩)، وفى «الأوسط» (٣٦٤٣)، وهو منكر.

وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا أيوب بن شبيب الصنعاني، قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حديث عبد الله بن بحير: سمعت عبد الرحمن بن يزيد، سمعت عبد الله بن عمر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنسوا العظيمنتين». قلنا: وما العظيمنتان يا رسول الله؟ قال: «الجنة والنار».(١)

وقال كلثوم بن عياض القشيري، على منبر دمشق أيام هشام بن عبد الملك: من أثر الله أثره الله، فرحم الله عبداً استعان بنعمته على طاعته، ولم يستعن بنعمته على معصيته، فإنه لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد فيها صنفاً من النعمة لم يكن يعرفه، ولا يأتي على صاحب العذاب ساعة إلا وهو يستنكر لشيء من العذاب لم يكن يعرفه. كان هذا الرجل متولياً على دمشق أيام هشام ابن عبد الملك، ثم بعثه إلى غزو بلاد المغرب، فقتل هناك، رحمه الله(٢). أورده ابن عساكر.

ذكر أن الجنة حقت بالمكاره. وهي الأعمال الشاقة على الأنفس من فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والصبر على المكروهات. كقوله:

(إسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة). وأن النار حقت بالشهوات

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «حقت الجنة بالمكاره، وحقت النار بالشهوات»(٣). وهكذا رواه مسلم والترمذي، من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت - زاد مسلم: وحُميد - كلاهما عن أنس، به، وقال الترمذي: صحيح غريب.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن يحيى بن النضر، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «حقت الجنة بالمكاره، وحقت النار بالشهوات».(٤) تفرد به أحمد، وإسناده جيد حسن لما له من الشواهد.

وقال أحمد: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لا خلق الله الجنة والنار أرسلاً جبريل، قال: انظر إليها، وإلى ما أعددت فيها لأهلها. فجاء فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع إليه، فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها، فحُجبت بالمكاره، قال: أرجع إليها، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها». قال: «فرجع إليها، فإذا هي قد حُجبت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها

(١) ضعيف ومنكر: أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب النسخة المسندة» (٣٦٣٩)، والبخاري في «الكبير» (٤١٧/١)، وابن أبي الدنيا في «الرقعة والبكاء» (١٠٢)، وفي «وصف النار» (٢)، من طريق أيوب بن شبيب أبو يزيد الصنعاني حدثنا على بن رباح، به. وانظر تخريجه في «التخويف من النار» (٩٩).

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (١٦٧/٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣/٣)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٨٩٤٤)، وإسناده حسن.

أَحَدٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّتْ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا^(١). تفرَّد به أحمد، وإسناده صحيح.

وقال أحمد: حدثنا حسين، حدثنا المسعودي، عن داود بن يزيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «أَكْثَرُ مَا يُلْجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الْأَجْوَهَانِ: الضَّرَجُ وَالْفَمُّ، وَأَكْثَرُ مَا يُلْجُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٢).

فصل

النارُ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، ودخلها كله مَضَرَّاتٌ وَعُقُوبَاتٌ وَحَسَرَاتٌ، والجنة حُفَّتْ وَحُجِّتْ بِالْمَكَارِهِ، ودخلها أنواعُ الْمَسَرَّاتِ مما لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ مِنْ أَصْنَافِ اللَّذَاتِ، كما أوردناه في الآياتِ المحكماتِ، والأحاديثِ الثابتاتِ. فَمِنْ نَعِيمِهِمُ الْمُقِيمِ، وَلَذَّتْهُمْ الْمُسْتَمِرَّةُ الطَّرَبُ الَّذِي لَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ بِمِثْلِهِ، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (الروم: ١٥). قال الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير: هو السماعُ في الجنة^(٣).

وقد ذكرنا ما رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِمَجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ، يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعْ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا»^(٤). وذكر الحديث. قال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس.

قلت: وكذا روى من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وابن عمر، وأبي أمامة. حديث أبي هريرة: قال جعفر الفريابي: حدثنا سعيد بن حفص، حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا طَوَّلَ الْجَنَّةَ، حَافَتَاهُ الْعَذَارَى قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٌ، يُغْنَيْنِ بِأَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى مَا يَرَوْنَ فِي الْجَنَّةِ لَذَّةً مِثْلَهَا. قلنا: يا أبا هريرة، وما ذاك الغناء؟ قال: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ التَّسْبِيحُ، والتحميد، والتقدیس، وثناءً على الربِّ، عزَّ وجلَّ^(٥).

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق مسلمة بن علفي، عن زيد بن واقد، عن رجل، عن

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، وإسناده حسن، وهو صحيح. وأخرجه الترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٣/٧ - ٤)، وأبو يعلى (٥٩٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٩٠٩٦)، وإسناده ضعيف - وله طرق يتقوى بها.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه (١٢٢/١٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٣٤) زوائد، وهناد (٤)، والترمذي (٤/٦٩٦)، وغيرهم وهو صحيح.

(٤) إسناده ضعيف: وقد سبق.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٨٣)، وإسناده ضعيف.

أبى هريرة مرفوعاً: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً جُذُوعُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَفُرُوعُهَا مِنْ زَبَرْجَدٍ وَلُؤْلُؤُ، فَتَهْبُّ لَهَا رِيحٌ، فَتَصْطَفِقُ، فَمَا يَسْمَعُ السَّامِعُونَ بِصَوْتِ شَيْءٍ قَطُّ أَلَدَ مِنْهُ» (١).

وقد تقدّم عن ابن عباس أنها تُحرّكها الرياحُ، فتتحركُ بصوت كلِّ لهُو كان في الدنيا. حديث أبي سعيد: قال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن سعيد، ثنا علي بن عاصم، ثنا سعيد ابن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: حدثت أن في الجنة آجاً من قصب من ذهب، حملها اللؤلؤ، فإذا اشتتهى أهل الجنة أن يسمعوها صوتاً حسناً بعث الله عز وجل، على تلك الآجاء ريحاً، فتأتيهم بكل صوت يشتهونه (٢).

حديث أنس: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا بن أبي ذئب، عن عبد الله بن رافع، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَوْرَاءَ لَيُغْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَقْلَنَ: نَحْنُ الْحَوْرَاءُ الْحَسَنُ، خَلَقْنَا لِأَزْوَاجِ كِرَامٍ» (٣).

حديث ابن أبي أوفى وهو حديث غريب: قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر - من أصله - حدثنا موسى بن هارون، حدثنا حامد بن يحيى البلخي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا الوليد بن أبي ثور، حدثني سعد الطائي، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُزَوَّجُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ بَكْرٍ، وَثَمَانِيَةُ آلَافٍ أَيْمٍ، وَمِائَةُ حَوْرَاءَ، فَيَجْتَمِعْنَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَيَقْلَنَ بِأَصْوَاتِ حَسَنٍ لَمْ تَسْمَعْ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبَاسُ، وَنَحْنُ الرَّاغِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعُنُ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ» (٤).

حديث ابن عمر: قال الطبراني: حدثنا أبو ربيعة عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر ابن أبي كثير، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنَيْنِ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغْنَيْنِ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ. وَإِنَّ مِمَّا يُغْنَيْنِ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتُّنَّ، نَحْنُ الْأَمْنَاتُ فَلَا نَحْفَتُنَّ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعُنَّ» (٥).

حديث أبي أمامة: قال جعفر الفرّابي: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَرَجُلِيهِ ثِنْتَانِ مِنَ الْحَوْرَاءِ يُغْنِيَانِهِ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ سَمِعَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَلَيْسَ بِمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ» (٦).

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٣٠)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٦٧)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٦٠)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الجنة» (٤٣١) وهو منكر.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٩١٧)، وفي «الصغير» (٢٥٩/١)، وإسناده ضعيف لكن الحديث صحيح.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٤٧٨)، والبيهقي في «البعث» (٣٧٩)، وإسناده تالف.

وقال ابن وهب: حدثني سعيد بن أبي أيوب، قال: قال رجل من قريش لابن شهاب: هل في الجنة سماع، فإنه حبيب إلي السماع؟ فقال: إي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجراً حملهُ اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات يتغنين بالقرآن، ويقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت. فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فأجبن الجوّارى، فلا يُدرى أصوات الجوّارى أحسن أم أصوات الشجر. (١)

قال ابن وهب: وحدّثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد: أن الحور يُغنين أزواجهن، يقلن: نحن الحيرات الحسنان، أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن. في صدر إحداهن مكتوب: أنت حبي وأنا حيك، انتهت نفسي عندك، لم تر عيناى مثلك. (٢)

وقال ابن المبارك: حدّثنا الأوزاعي، حدّثنا يحيى بن أبي كثير: أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طالما انتظرناكم، نحن الراضيات فلا نسخط. فذكره كما تقدّم، وفيه: وتقول: أنت حبي وأنا حيك، ليس دونك مقصد، ولا وراءك معدل. (٣)

وهذه الآثار كلها رواها ابن أبي الدنيا وغيره، وفيها نظر.

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثنا إبراهيم بن سعيد، حدّثنا علي بن عاصم، حدّثنا سعيد بن أبي سعيد الحارثي، قال: حدّثت أن في الجنة أجماً من قصب من ذهب، حملها اللؤلؤ، فإذا انتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتاً حسناً بعث الله على تلك الأجام ريحاً، فتأتيهم بكل صوت يشتهونه (٤). وقد تقدّم هذا عن أبي سعيد الخدري، وهو وهم. والله أعلم.

نوع آخر من السماع أعلى من الذي قبله

ذكر حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، وحجاج الأسود، عن شهر بن حوشب قال: إن الله عز وجل، يقول للملائكة: إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا، ويدعونه من أجلى، فاسمعوا عبادى، فياخذون بأصوات من تهليل وتسييح وتكبير لم يسمعوا بمثلها قط. (٥)

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثني داود بن عمرو الضبي، حدّثنا عبد الله بن المبارك، عن مالك بن أنس، عن محمد بن المنكدر قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو، ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك. ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدى وتمجيدى، وأخبروهم أن لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون. (٦)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا فى «وصف الجنة» (٢٦١)، وإسناده لا بأس به.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا فى «وصف الجنة» (٢٦٢)، وإسناده لا بأس به.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا فى «وصف الجنة» (٢٦٨)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا فى «وصف الجنة» (٢٦٧)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا فى «وصف الجنة» (٣٤٤)، وإسناده ضعيف لشهر بن حوشب.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا فى «وصف الجنة» (٢٦٩)، وإسناده صحيح.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني دَهْمُ بْنُ الْفَضْلِ الْقُرَشِيُّ، حدثنا رَوَّادُ بْنُ الْجَرَّاحِ، عن الأوزاعي قال: بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فيأمره الله فيأخذ في السماء، فما يبقى ملكٌ مقربٌ في السموات إلا قطع عليه صلاته، فيمكثُ بذلك ما شاء الله أن يمكث، فيقول الله، عز وجل: وعزتي وجلالي، لو يعلم العباد قدرَ عظمتي ما عبدوا غيري. (١)

وحدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبد الله بن أبي بكر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك ابن دينار في قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ (ص: ٢٥). قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع، فوضع في الجنة، ثم نودي: يا داود، ممجّدي بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجّدي به في دار الدنيا. قال: فيستقر صوت داود نعيم أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾. (٢)

نوع آخر أعلى مما عداه

وهو سماعهم كلام الرب، عز وجل، إذا خاطبهم في المجامع التي يجتمعون فيها بين يديه سبحانه، فيخاطب كل واحد منهم، ويذكرهم بأعماله التي سلفت منه في الدنيا، وكذلك إذا تجلّى لهم جهرة، فسلم عليهم، وقد ذكرنا ذلك عند قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾ (يس: ٥٨). وقد سبق حديث جابر في ذلك، وهو في (سنن ابن ماجه)، وغيره. (٣)

وقد ذكر أبو الشيخ الأصبهاني، من طريق صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار، جلّ جلاله، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم تقر أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم بأعين قريرة، وأعينهم إلى مثلها من الغد متطلعة. (٤)

وروى أبو نعيم، من حديث شبّان بن جسر بن فرقد السبخي، عن أبيه، عن الحسن، عن أبي بركة الأسلمي مرفوعاً: إن أهل الجنة ليغدّون في حلة، ويروحون في حلة أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى ربهم، عز وجل، وذلك لهم بمقادير، ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم، عز وجل. (٥)

ذكر خيل الجنة

قال الترمذي: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٢٦٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» (٣٤٣)، وإسناده حسن.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) إسناده ضعيف: لضعف صالح بن حيّان.

(٥) إسناده تالف جداً.

هل في الجنة من خيل؟ فقال: «إِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءٍ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ». قال: وسأله رجلٌ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه، قال: «إِنَّ يَدْخُلِكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَتْ عَيْنُكَ»^(١). ثم رَوَاهُ عَنْ سُوَيْدٍ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ عُلُقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، مَرْسَلًا قَالَ: وَهَذَا أَصَحُّ.

وقد رَوَى أَبُو نَعِيمٍ فِي «صِفَةِ الْجَنَّةِ» مِنْ طَرِيقِ عُلُقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالْفَرْدُوسُ أَعْلَاهَا سُمُوءًا، وَأَوْسَعُهَا مَحَلًّا، وَفِيهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهَا يُوضَعُ الْعَرْشُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حُبِّبٌ إِلَى الْخَيْلِ، فَهَلْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ قَالَ: «إِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْلًا، وَإِبِلًا هُمْفَافَةً، تَزْفُ بَيْنَ خِلَالِ وَرَقِ الْجَنَّةِ، يَتَزَاوَرُونَ عَلَيْهَا حَيْثُ شَاءُوا»^(٢).

وقال الترمذي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَمُرَةَ الْأَحْمَسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو معاوية، عن واصل ابن السائب، عن أبي سورة، عن أبي أيوب قال: أتى النبي ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، إني أحب الخيل، أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أَتَيْتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ، فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ»^(٣). ثم ضعَّفَ الترمذي هذا الإسنادَ من جهة أبي سورة ابن أخي أبي أيوب، فإنه قد ضعَّفه غير واحد، واستنكر البخاري حديثه هذا. والله أعلم.

وقال القرطبي: وذكر ابن وهب: حَدَّثَنَا ابْنُ زَيْدٍ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يُذَكِّرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي يَرْكَبُ فِي أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ خَدَمِهِ مِنَ الْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ، عَلَى خَيْلٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، لَهَا أَجْنِحَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» ثم قرأ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠). قلت: فيه انقطاع بين عبد الرحمن بن زيد - وهو ضعيف - وبين الحسن، ثم هو مرسل.

وروى أبو نعيم، عن أبي أيوب مرفوعاً: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَزَاوَرُونَ عَلَى نَجَاطِبٍ بَيْضَ كَأَنَّهَا الْيَاقُوتُ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلَّا الْخَيْلُ وَالْإِبِلُ»^(٥).

وقال عبد الله بن المبارك: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: فِي الْجَنَّةِ عَتَاقُ الْخَيْلِ وَكَرَامُ النَّجَاطِبِ، يَرْكَبُهَا أَهْلُهَا^(٦). وهذه الصيغة لا تدلُّ على حصر، كما دلَّ عليه رواية أبي نعيم في حديث أبي أيوب، ثم هو معارض بما رواه ابن ماجه في «سننه» عن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الشَّاةُ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ»^(٧). وهذا منكر أيضاً.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٤)، وهو منكر.

(٤) إسناده قالف، فيه أكثر من علة.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الجنة» (٤٢٠)، وهو موضوع.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٣١) وإسناده صحيح.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٣٠٦)، وصححه الألباني «الصحيحة» (١١٢٨).

وفى «مسند البزار» عن النبي ﷺ قال: «أَحْسِنُوا إِلَى الْمَعْرَى وَأَمِيطُوا عَنْهَا الْأَذَى، فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِ الْجَنَّةِ». (١)

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَا، حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جَاءَتْهُمْ خِيُولٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرٍ، لَهَا أَجْنَحَةٌ، لَا تَبُولُ وَلَا تَرُوثُ، فَقَعَدُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ طَارَتْ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ إِلَى شَاءِ اللَّهِ مِنْ سُلْطَانِهِ، فَتَجَلَّى لَهُمُ الْجِبَارُ تَعَالَى، فَإِذَا رَأَوْهُ خَرُوا لَهُ سُجَّدًا، فَيَقُولُ لَهُمُ الْجِبَارُ تَعَالَى: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِيَوْمٍ عَمَلٍ، إِنَّمَا هُوَ يَوْمٌ نَعِيمٍ وَكَرَامَةٍ. فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، فَيَمْطُرُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْبًا، فَيَمْرُونَ بِكُثْبَانِ الْمَسكِ، فَيَبِيعُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى تِلْكَ الْكُثْبَانِ رِيحًا، فَتَهَيِّجُهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَإِنَّهُمْ لَشُعْتُ غَيْرَ». (٢)

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ جَسْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَعْلَاهَا حَلَلٌ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ، لَا تَرُوثُ، وَلَا تَبُولُ، لَهَا أَجْنَحَةٌ، خَطُوهَا مَدُّ بَصَرِهَا، فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَتَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا، فَيَقُولُ الَّذِينَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ دَرَجَةً: يَا رَبِّ، بِمِ بَلَّغَ عِبَادُكَ هَذِهِ الْكَرَامَةَ كُلُّهَا؟ فَيَقَالَ لَهُمْ: كَانُوا يَصَلُّونَ اللَّيْلَ وَكُنْتُمْ تَنَامُونَ، وَكَانُوا يَصُومُونَ وَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَ، وَكَانُوا يَنْفِقُونَ وَكُنْتُمْ تَبْخُلُونَ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجِبُنُونَ». (٣)

ذكر تراور أهل الجنة بعضهم بعضاً وتذاكرهم أموراً

كانت بيئتهم في الدنيا من طاعات وزلات

قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٥-٢٨).

وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَأُنْكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (الآيات إلى قوله: ﴿أُذْكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ (الصافات: ٥٠-٦٢).

قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ شَيْبٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَشْتَاقُ الْإِخْوَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَسِيرُ سَرِيرٌ هَذَا إِلَى سَرِيرٍ هَذَا، حَتَّى يَجْتَمِعَا جَمِيعًا، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعَلَّمْ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ لَنَا؟ فَيَقُولُ صَاحِبُهُ: كُنَّا فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَدَعَوْنَا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، فَغَفَرَ لَنَا». (٤)

وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَأُنْكَ لِمَنِ

(١) صحيح: أخرجه البزار عن أبي هريرة انظر «الصحيحة» (١١٢٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٩)، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٤٩)، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٤٥)، وهو منكر.

المصدقين (٥٢) أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما» الآيات إلى قوله: ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصفات: ٥٠-٦١). وهذا القرين يشمل الإنسي والجنّي، يقول: كان يوسوس لي بالكفر والمعاصي واستبعاد أمر المعاد، فبرحمة الله ونعمته نجوت منه. ثم أمر أصحابه أن يطلعوا معه على النار، لينظر ما حال قرينه، ﴿فاطلع فراآه في سواء الجحيم﴾. أى: فى غمراتها يُعَذَّب، فحمد الله تعالى على نجاته مما قرينه فيه من العذاب.

ثم قال: ﴿تَاللّٰهِ إِنْ كُنْتُ لَتُرَدِّينَ (٥٣) وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِّينَ﴾ أى: معك فيما أنت فيه من العذاب. ثم ذكر الغبطة التى هو فيها، وشكر الله عليها، فقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٤) إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ أى: أما قد نجونا من الموت والعذاب بدخولنا الجنة؟ ﴿إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَذَا قُلُوبُ الْعَامِلِينَ﴾ يحتمل أن يكون من تمام مقالة المؤمن، ويحتمل أن يكون من كلام الله، عز وجل، حثا لعباده على مثل هذا الفوز، ولينافس المتنافسون فى الفوز عنده من النار، ودخول الجنة، لا موت فيها. ولهذا نظائر كثيرة، قد ذكرناها فى «التفسير».

وذكرنا فى أول «شرح البخارى» فى كتاب الإيمان حديث حارثة حين قال له رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟» فقال: «أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا». قال: «فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» قال: «عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَاسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّى بَارِئًا، وَإِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَإِلَى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: «عَبْدُ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ» (١).

وقال سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى والأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى (٢).

قلت: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن صاحب المرتبة السافلة لا يصلح له أن يتعدّها، لأنه ليس فيه أهلية لذلك.

الثانى: لئلا يرى من النعيم فوق ما هو فيه، فيحزن لذلك، وليس فى الجنة حزن، والله أعلم. وقد ورد ما قاله حميد بن هلال فى حديث مرفوع، وفيه زيادة على ما قال، فقال الطبرانى: حدثنا الحسين بن إسحاق، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا المسيب بن شريك، عن بشر بن نمير، عن القاسم، عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ: «يَتَزَاوَرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟» قال: «يَزُورُ الْأَعْلَى الْأَسْفَلَ، وَلَا يَزُورُ الْأَسْفَلَ الْأَعْلَى إِلَّا الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ مِنْهَا حَيْثُ شَاءُوا عَلَى النَّوْقِ مُحْتَقِبِينَ الْحَشَايَا» (٣).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثني حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، أنا ابن المبارك، أنا إسماعيل بن عياش، حدثني ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شقي بن مائع أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا وَالنُّجُبِ، وَأَنَّهُمْ يَوْتُونَ فِي

(١) أخرجه الطبرانى (٣٣٦٧)، والبخارى (٣٢)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن المبارك «زوائد» (٢٣٥)، وابن أبى الدنيا فى «الجنة» (١٩٤)، وأبو نعيم (٤٢٢)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٧٩٥٦)، وإسناده ضعيف جدًا.

الجنة يَخِيلُ مُسْرَجَةً مُلَجَمَةً، لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ، فَيَرْكَبُونَهَا حَتَّى يَنْتَهَوْا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَتَأْتِيهِمْ مِثْلُ السَّحَابَةِ، فِيهَا مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذَنٌ سَمِعَتْ، فَيَقُولُونَ: أَمْطَرُنَا عَلَيْنَا. فَمَا يَزَالُ الْمَطَرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ فَوْقَ أَمَانِيهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا غَيْرَ مُؤَذِيَةٍ، فَتَنْسِفُ كُتُبَانَا مِنْ مَسْكِ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ، فَيَأْخُذُ ذَلِكَ الْمَسْكُ فِي نَوَاصِي خِيُولِهِمْ، وَفِي مَعَارِفِهَا وَفِي رُءُوسِهِمْ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جَمْعٌ عَلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، فَيَتَعَلَقُ ذَلِكَ الْمَسْكُ فِي تِلْكَ الْجَمَامِ، وَفِي الْخَيْلِ، وَهَيْمًا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الشَّيَابِ، ثُمَّ يَنْقَلِبُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا الْمَرْأَةُ تُنَادِي بَعْضُ أَوْلَئِكَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَمَا لَكَ فِينَا حَاجَةٌ؟ فَيَقُولُ: مَا أَنْتَ؟ وَمَنْ أَنْتَ؟ فَتَقُولُ: أَنَا زَوْجَتُكَ وَحَبْلُكَ. فَيَقُولُ: مَا كُنْتَ عَلِمْتَ بِمَكَانِكَ. فَتَقُولُ أَوْ مَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ، عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧). فَيَقُولُ: بَلَى وَرَبِّي. فَلَعَلَّهُ يَشْتَغِلُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، لَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَعُودُ، مَا يَشْغَلُهُ عَنْهَا إِلَّا مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النُّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ^(١). وهذا حديثٌ مُرْسَلٌ غَرِيبٌ جَدًّا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال ابن المبارك: حَدَّثَنَا رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَنْعَمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْعِيسِ الْخَوَرِ، عَلَيْهَا رِحَالُ الْمَيْسِ، تَثِيرُ مَنَاسِمُهَا غِبَارَ الْمَسْكِ، خِطَامٌ - أَوْ زِمَامٌ - أَحَدُهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٢).

وروى ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصُوعَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨). قَالَ: هُمُ الشُّهَدَاءُ، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مُتَقَلِّدِينَ أَسْيَاقَهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ، فَأَتَاهُمُ مَلَائِكَةُ مِنَ الْمُحْشَرِّ بِنَجَائِبٍ مِنْ يَاقُوتٍ، أَرَزَمَتِهَا الدُّرُّ الْأَبْيَضُ، بِرِحَالِ الذَّهَبِ، أَعْتَتَهَا السُّنْدُسُ وَالْإِسْتَبْرَقُ، وَنَمَارِقُهَا مِنَ الْحَرِيرِ، تَمُدُّ خُطَاهَا مَدَّ أَبْصَارِ الرِّجَالِ، يَسِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى خِيُولٍ، يَقُولُونَ عِنْدَ طَوْلِ النَّزْهَةِ: انْطَلَقُوا بِنَا نَنْظُرَ كَيْفَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ؟ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ إِلَى عِيدٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ^(٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ يَزِيدَ الْمُوَصِّلِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ. / ح / وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمَعَاذِيِّ بْنِ عِمْرَانَ، حَدَّثَنِي إِدْرِيسُ بْنُ سِنَانَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ إِدْرِيسُ: ثُمَّ لَقِيْتُهُ فَحَدَّثَنِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، يَقَالُ لَهَا: طُوبَى. لَوْ سَخَّرَ الْجَوَادُ الرَّكَّابُ أَنْ يَسِيرَ فِي ظِلِّهَا لَسَارَ فِيهِ مِائَةٌ عَامٍ، وَرَقُّهَا بُرُودٌ خَضِرٌ، وَزَهْرُهَا رِيَاطٌ صَفَرٌ، وَأَقْنَؤُهَا سُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ، وَثَمَرُهَا حُلٌّ، وَصَمْغُهَا زَنْجَبِيلٌ وَعَسَلٌ، وَيَطْحَاؤُهَا يَاقُوتٌ أَحْمَرٌ وَزَمْرَدٌ أَخْضَرٌ، وَتَرَابُهَا مَسْكٌ، وَحَشَبُهَا زَعْفَرَانٌ مُوْنَعٌ، وَالْأَلْنَجُوجُ يَمْشُوحٌ مِنْ غَيْرِ وَقُودٍ، وَيتَفَجَّرُ مِنْ أَصْلِهَا السُّلْسَبِيلُ وَالرَّحِيقُ، وَظِلُّهَا مَجْلِسٌ مِنْ مَجَالِسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْلُضُونَهُ، وَمُتَحَدِّثٌ لَجْمِعِهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ

(١) ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٤٦)، مرسل إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً: رشدين ضعيف، وعبد الرحمن الأفریقی ضعيف، وفيه انقطاع.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤٠٨٥) «مطالب»، (٥٨٠٦) «إنحاف»، وإسناده ضعيف جداً.

يَوْمًا يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا إِذْ جَاءَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَقُودُونَ نَجَائِبَ مِنَ الْيَاقُوتِ قَدْ نَفَخَ فِيهَا الرُّوحُ، مَرْمُومَةً بِسَلْسَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، كَانَ وَجُوهُهَا الْمَصَابِيحُ نَضَارَةً وَحُسْنًا، وَبَرُّهَا خَزْ أَحْمَرُ وَمِرْعَزَى أَبْيَضُ مُخْتَلِطَانِ، لَمْ يَنْظُرِ النَّاطِرُونَ إِلَى مِثْلِهَا، عَلَيْهَا رَحَائِلُ الْوَاوَحَا مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، مُفَضَّضَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ، صَفَانِجُهَا مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ، مُلَبَّسَةٌ بِالْعَبْقَرَى وَالْأَرْجَوَانِ، فَأَنَاخُوا لَهُمْ تِلْكَ النُّجُبَ، ثُمَّ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَنُكُمْ السَّلَامَ، وَيَسْتَزِيرُكُمْ، لِيَنْظُرَ إِلَيْكُمْ وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، وَتُحْيِيَهُ، وَيُحْيِيَكُمْ، وَيَكَلِّمُكُمْ وَتُكَلِّمُونَهُ، وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَفَضْلٍ عَظِيمٍ. فَيَتَحَوَّلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا صَفًّا وَاحِدًا مُعْتَدِلًا، لَا يَفُوتُ شَيْءٌ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا تَقُوتُ أُذُنٌ نَاقَةً أُذُنَ صَاحِبَتِهَا، وَلَا يَمُرُّونَ بِشَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ إِلَّا اتَّحَفَتْهُمْ مِنْ ثَمَرِهَا، وَرَحِلَتْ لَهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ كَرَاهَةً أَنْ تَتَلَمَّ صَفَّهُمْ، أَوْ تَفْرُقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَرَفِيقِهِ، فَلَمَّا رَفَعُوا إِلَى الْجِبَارِ تَعَالَى أَسْفَرَ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَتَجَلَّى لَهُمْ فِي عَظَمَتِهِ الْعَظِيمِ، فَحَيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ، فَقَالُوا: رَبَّنَا أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَلَكَ حَقُّ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي أَنَا السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ، وَلِي حَقُّ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، مَرْحَبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ حَفِظُوا وَصِيَّتِي، وَرَعَوْا حَقِّي، وَخَافُونِي بِالْغَيْبِ، وَكَانُوا مِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ مُشْفِقِينَ. قَالُوا: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَعُلُوِّ مَكَانِكَ مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ، وَمَا أَدِينَا إِلَيْكَ كُلَّ حَقِّكَ، فَأَذِنْ لَنَا فِي السَّجُودِ لَكَ. فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: إِنِّي قَدْ وَضَعْتُ عَنْكُمْ مُؤَنَّةَ الْعِبَادَةِ، وَأَرَحْتُ لَكُمْ أَبْدَانَكُمْ، فَطَلَمَّا انْصَبْتُمْ لِي الْأَيْدَانَ، وَأَعْنَيْتُمْ لِي الْوُجُوهَ، فَالآنَ أَفْضِيْتُمْ إِلَيَّ رُوحِي وَرَحْمَتِي وَكَرَامَتِي، فَسَلُّونِي مَا شِئْتُمْ، وَتَمَنُّوا عَلَيَّ أُعْطِيَكُمْ أَمَانِيَكُمْ، فَإِنِّي لَنْ أَجْزِيَكُمْ الْيَوْمَ بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَلَكِنْ بِقَدْرِ رَحْمَتِي وَفَضْلِي وَطَوْلِي وَكَرَامَتِي وَعُلُوِّ مَكَانِي وَعَظَمَةِ شَأْنِي. فَمَا يَزَالُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْأَمَانِي وَالْعَطَايَا وَالْمَوَاهِبِ، حَتَّى إِنَّ الْمُقْصِرَ فِي أَمْنِيَّتِهِ لَيَتَمَنَّى مِثْلَ جَمِيعِ الدُّنْيَا مِنْذُ خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى يَوْمِ أَفْنَاهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: لَقَدْ قَصَّرْتُمْ فِي أَمَانِيَكُمْ، وَرَضِيْتُمْ بِدُونِ مَا يَحِقُّ لَكُمْ، فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَتَمَنَيْتُمْ، وَالْحَقُّ بِكُمْ ذُرِّيَّتَكُمْ، وَزِدَّتْكُمْ أَضْعَافًا مَا قَصَّرْتُ عَنْهُ أَمَانِيَكُمْ. (١) وَهَذَا مَرْسَلٌ ضَعِيفٌ غَرِيبٌ جَدًّا، وَفِيهِ أَلْفَاظٌ مُنْكَرَةٌ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِ كَلَامِ التَّابِعِينَ، أَوْ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ السَّلَفِ، فَوَهِمَ بَعْضُ الرُّوَاةِ فَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ذِكْرُ أَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

وهو رسولُ الله ﷺ قبل الأنبياء كلَّهم ثم أمته قبل الأم، كما ثبت ذلك في «صحيح مسلم» عن أنس، قال رسولُ الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ». وعنده أيضًا عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بَلَّكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». (٢)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدُ الله بنُ محمد، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن

(١) ابن أبي الدنيا (٥٤)، وهو معضل.

(٢) «صحيح مسلم» (١٩٦) (٣٣١) مطولاً.

السائب بن مالك، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْأَغْنِيَاءَ وَالنِّسَاءَ». (١)

وقال أبو بكر ابن أبي شيبة: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنَا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِي، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عَامِرِ الْعُقَيْلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَ عَلَى أَوَّلِ ثَلَاثَةٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمِيرٌ مُسْلِكٌ، وَذُو ثَرَوَةٍ مِنَ الْمَالِ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ مِنْ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ». (٢)

وكذا رواه أحمد، عن إسماعيل بن علية، عن هشام، وأخرجه الترمذي، من حديث علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، وقال: هذا حديث حسن.

وفي حديث غالب القطان، عن الحسن، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ جَاءَ قَوْمٌ وَأُضِيعَ سَيُوفُهُمْ عَلَى رِقَابِهِمْ تَقَطَّرَ دَمًا، فَازْدَحَمُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَفِيلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: الشُّهَدَاءُ، كَانُوا أَحْيَاءَ يَرْزُقُونَ. ثُمَّ نَادَى مُنَادٌ: لِيَقُمْ مَنْ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ، فَلِيَدْخُلِ الْجَنَّةَ. ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ فَلِيَدْخُلِ الْجَنَّةَ. قَالُوا: وَمَنِ الَّذِي أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ. ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ فَلِيَدْخُلِ الْجَنَّةَ. فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا، فَدَخَلُوا بِغَيْرِ حِسَابٍ». (٣)

وفي حديث حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ». (٤). وثبت في «الصحيحين» و«سنن النسائي»، واللفظ له، من طريق عبد الله بن طائوس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ الْأَخِيرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ». (٥). الحديث بطوله.

وفي «صحيح مسلم» عنه، عن النبي قال: «نَحْنُ الْأَخِيرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». (٦). وروى الحافظ الضيائي، من طريق عبد الله بن محمد بن عقیل، عن الزهري،

(١) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (١٧٣/٢)، وإسناده ضعيف لضعف شريك النخعي. والحديث أصله صحيح دون قوله: «الأغنياء» فهي من تفرد شريك وهو سيئ الحفظ.

(٢) إسناده ضعيف: وهو في «المصنف» (١٧٨١٨)، وأخرجه أحمد (٤٢٥/٢)، والطيالسي (٢٥٦٧)، وابن خزيمة (٢٢٤٩)، والحاكم (٣٨٧/١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٨٠)، والبيهقي (٨٢/٤)، من طريق هشام الدستوائي، بهذا الإسناد. وعامر بن عقبة العقيلي لا يعرف، كما قال الذهبي.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٠١٩)، وإسناده ضعيف.

(٤) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٥)، وفي «الأوسط» (٣٠٥٧)، وفي «الصغير» (١٠٣/١)، والبراز «كشف» (٣١١٤)، والحاكم (٥٠٢/١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٤٨٣) (٤٤٨٤)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٢٣).

(٥) «صحيح البخاري» (٨٩٦) (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥/١٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٦٥٣).

(٦) «صحيح مسلم» (٨٥٥/٢٠).

عن سعيد بن المسيّب، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَذْخَلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَ أُمَّتِي». (١)

«سنن أبي داود» من حديث أبي خالد الدالاني، عن أبي خالد مولى آل جعدة، عن أبي هريرة، قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي». فقال أبو بكر: يا رسول الله وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي» (٢). وتقدم في الصحيح: «أَدْخُلَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي سَائِرِ الْأَبْوَابِ» (٣). وقد تقدّم في الحديث الصحيح: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ» (٤). الحديث بطوله. وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد قال: «لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، مِنْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ فَإِذَا دَخَلُوا مِنْهُ أَغْلَقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ». (٥)

باب جامع لأحكام تتعلق بالجنة وأحاديث شتى وردت فيها

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الطور: ٢١). أَيْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ دَرَجَةَ الْأَوْلَادِ فِي الْجَنَّةِ إِلَى دَرَجَةِ الْآبَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِعَمَلِهِمْ، وَلَا يُنْقِصُ الْآبَاءُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَهُمْ فِي الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ لِيَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ هُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ.

قال الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: إِنْ اللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ لَيَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. هكذا رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم في «تفسيريهما»، عن الثوري موقوفًا. وكذا رواه ابن جرير، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفًا (٦)، ورواه البزار في «مُسْنَدِهِ» وابن مردويه في تفسيره، من حديث قيس بن الربيع، عن عمرو، عن سعيد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ. (٧) ورواية الثوري وشعبة أثبت. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وروى ابن أبي حاتم من حديث الليث، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: هُمْ ذُرِّيَّةُ الْمُؤْمِنِ يَمُوتُونَ عَلَى الْإِيمَانِ، فَإِنْ كَانَتْ مَنَازِلُ آبَائِهِمْ أَرْفَعَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ أَلْحَقُوا بِآبَائِهِمْ، وَلَمْ يُنْقِصُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي عَمِلُوا شَيْئًا. (٨)

(١) إسناده ضعيف: أخرجه ابن عدى (١٤٤٨/٤) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، به.

(٢) ضعيف: رواه أبو داود (٤٦٥٢)، وضعفه الألباني في «الضعيف منه» (١٠٠٨).

(٣) تقدم تخريجهما.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (١٧٩)، وابن جرير (١٥/٢٧)، وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه البزار (١٢٦٠)، وإسناده ضعيف وهو منكر.

(٧) إسناده صحيح.

(٨) إسناده صحيح.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي^(١)، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك. فيقول: يارب، قد عملت لي ولهم. فيؤمر بالحاقهم به». وقرأ ابن عباس: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان» الآية. (٢)

وقال العوفي، عن ابن عباس، في هذه الآية: والذين أدرك ذريتهم الإيمان، فعلوا بطاعتهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار تلحق بهم^(٣). وهذا التفسير هو أحد أقوال العلماء في معنى الذرية هنا، أهم الصغار فقط، أم يشمل الصغار والكبار أيضاً، لقوله: «ومن ذريته داود وسليمان» (الأنعام: ٨٤)، وقال: «ذرية من حملنا مع نوح» (الإسراء: ٣). وقال: «ذرية بعضها من بعض» (آل عمران: ٣٤). فأطلق الذرية على الكبار، كما أطلقها على الصغار، وتفسير العوفي، عن ابن عباس يشملهما، وهو اختيار الواحدى وغيره، وهذا كله إنما هو إلى الله عز وجل، فإن الخير في يديه، والخلق له والأمر له، وهذا القول محكي عن الشعبي، وأبي مجلز، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم النخعي، وقتادة، وأبي صالح، والربيع بن أنس. وهذا من فضل الله ورحمته على الأبناء بركة عمل الآباء.

فأما فضله على الآباء بركة دعاء الأبناء، فقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل، ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: بإستغفار ولدك لك». (٤) وهذا إسناد صحيح، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب^(٥)، ولكن له شاهد في «صحيح مسلم»، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (٦)

ذكر دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام». (٧) وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو. قال الترمذي: حسن صحيح.

- (١) في «الكبير» شيخ الطبراني هو محمد بن عبد الله الحضرمي، وفي «الصغير» فإن شيخه هو عبد الله بن يزيد بن أبان الدقيقي - كلاهما عن محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، ولم أعثر عليه من طريق حسين بن إسحاق التستري.
- (٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٢٤٨)، والصغير (٦٤٠). وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٨٤): موضوع.
- (٣) أخرجه ابن جرير (٣٢٣٤٣)، وإسناده ضعيف.
- (٤) أخرجه أحمد (٥٠٩/٢)، وإسناده حسن والحديث صحيح.
- (٥) مقصود المؤلف أصحاب الكتب الستة، وقد أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠).
- (٦) أخرجه أحمد (٣٧٢/٢)، ومسلم (١٦٣١)، وأبوداود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، والنسائي (٢٥١/٦)، والدارمي (٥٥٩) وغيرهم.
- (٧) أخرجه أحمد (٣٤٣/٢)، والترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢)، وإسناده حسن.

وله طُرُقٌ عن أبي هريرة، فمن ذلك ما رواه الثوري، عن محمد بن زيد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذَلِكَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ». الحديث بطوله. (١)

وقال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، هو ابن شريح، أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلي، يقول: سمعت عبد الله بن عمرو، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي إِلَى الْجَنَّةِ - بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» (٢). وكذا رواه مسلم من حديث أبي هانئ حميد بن هانئ، به.

وقال أحمد: حدثنا حسين، هو ابن محمد، حدثنا داود، هو ابن نافع، عن سلم بن بشير، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّقَى مُؤْمِنَانِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، مُؤْمِنٌ غَنَى، وَمُؤْمِنٌ فَقِيرٌ، كَانَا فِي الدُّنْيَا، فَأَدْخَلَ الْفَقِيرُ الْجَنَّةَ، وَحَبَسَ الْغَنَى، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُحْبَسَ، ثُمَّ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَقِيَ الْفَقِيرَ، فَقَالَ: يَا أَخِي، مَاذَا حَبَسَكَ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ احْتَبَسْتَ حَتَّى خَفْتُ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: أَيْ أَخِي، إِنِّي حَبَسْتُ بَعْدَكَ مَحْبَسًا فَظِلْعًا كَرِيهًا، وَمَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى سَالَ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ، كُلُّهَا أَكَلَتْ حَمَضًا، لَصَدَرَتْ عَنْهُ رَوَاءً». (٣)

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، أن رسول الله ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةٌ مِّنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مِّنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» (٤). وفي «صحيح البخاري»، من حديث سلم بن زريق، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين مثله. (٥)

ورواه عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن أبي رجاء عمران بن ملحان، عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَظَرْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَنَظَرْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». (٦)

وروى مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن أبي الأشهب، عن أبي رجاء، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ اَطَّلَعَ فِي النَّارِ، فَرَأَى أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، وَاطَّلَعَ فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَى أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ. (٧) وقال أحمد: ثنا عبد الله بن محمد، ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن السائب بن مالك، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اَطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْأَغْنِيَاءَ وَالنِّسَاءَ». (٨) وتقدم من حديث ابن أبي شيبه:

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٩/٧) من طريق الثوري.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٦٩/٢)، وأخرجه مسلم (٢٩٧٩).

(٣) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (٣٠٤/١)، وإسناده ضعيف؛ دويد هذا مجهول.

(٤) البخاري (٥١٩٦) (٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦) مطولاً.

(٥) البخاري (٣٢٤١) (٦٤٤٩).

(٦) إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٢٠٦١٠).

(٧) مسلم (٢٧٣٧). (٨) إسناده ضعيف: وقد تقدم تخريجه.

«عُرِضَ عَلَى أَوَّلِ ثَلَاثَةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ». إِلَى آخِرِهِ^(١). وَهُوَ فِي الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّاءِ وَالضَّرَاءِ... (*) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْجَنَّةِ.

فصل

والجنة والنار موجودتان الآن، فالجنة مُعَدَّةٌ لِلْمُتَّقِينَ، والنار مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ، كما نَطَقَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَتَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا عَقْتَادُ أَهْلِ السَّائَةِ وَالْجَمَاعَةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَهِيَ السَّائَةُ الْمُثَلَّى إِلَى قِيَامِ السَّائَةِ، خَلَاقًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَمْ يُخْلَقَا بَعْدُ، وَإِنَّمَا يَخْلُقَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الْأَحَادِيثِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَى صَحَّتِهَا، وَإِخْرَاجِهَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْإِسْلَامِ الْمُعْتَمَدَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ وَالْحَسَنَةِ، مِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ وَلَا رَدُّهُ، لَتَوَاتُرِهِ وَاسْتِهَارِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وَقَالَ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤). وَقَالَ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦). وَقَالَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أُعِدَّتْ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، دُخْرًا بَلَهَ مَا أُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ». (٢)

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٣)

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ» (٤). وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَرَوَيْنَا فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ». (٥)

وَتَقْدِمُ الْحَدِيثَ الْمُتَّفِقَ عَلَى صَحَّتِهِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِمِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». (٦)

وَذَكَرْنَا الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ قَالَ لَجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا» (٧). وَكَذَلِكَ قَالَ فِي النَّارِ.

(١) ٧، ٦، ٢، ١) تقدم تخريجها.

(٣) أخرجه مالك (٢٣٩/١)، وأحمد (٥٩٢٦)، والبخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)، والنسائي (١٠٧/٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٨٧) (١٢١).

(٥) أخرجه أحمد (١٥٧٧٨)، وإسناده صحيح.

(٦) بياض بالأصل.

وكذلك في الحديث الآخر: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي. فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» (١). وقال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلُ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ مِنْ بَرْدِهَا، وَجَمِيعُ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِهَا، فَإِذَا كَانَ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلَاةِ» (٢).

وفي «الصحيحين» من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة (٣) -وعند مسلم عن أبي سعيد (٤)- قال: قال رسول الله ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعَذَّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا لَكَ تَمْتَلِ وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا. لَفْظُ مُسْلِمٍ.

وفي «الصحيحين» عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، يَعِزَّتْكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسَكِّنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

وقد ثبت في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ليلة أسرى به. فأما ما وقع في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «وَأَنَّهُ تَعَالَى يُنْشِئُ لِلنَّارِ مِنْ بَشَاءٍ، فَيُلْقَى فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحَفَاطِ: هَذَا غَلَطٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَكَأَنَّهُ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ لَفْظٌ فِي لَفْظٍ، فَنَقَلَ هَذَا الْحَكَمَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ» (٥). قلت: فإن كان محفوظًا فيحتمل أنه تعالى يمتحنهم في العرصات، كما يمتحن غيرهم ممن لم تقم عليه الحجة في الدنيا، فمن عصي منهم أدخله النار، ومن استجاب أدخله الجنة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥). وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥).

فصل

وقد ذكرنا فيما سلف صفة أهل الجنة حال دخولهم إليها، وقُدومهم عليها، وأنهم يُحوَّلُ خَلْقُهُمْ إِلَى طُولِ سَتَيْنِ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ فِي سَنِّ أَبْنَاءِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وَأَنَّهُمْ يُعْرَبُونَ.

قال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثني القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثني رَوَّادُ ابْنِ الْجَرَّاحِ الْعَسْقَلَانِي، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ رِثَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ أَدَمَ، سَتَيْنِ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ، عَلَى حَسَنِ يُوسُفَ، وَعَلَى مِيلَادِ عِيسَى ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكْحَلُونَ» (٦).

(١-٥) سبق تخريجهم. (٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» (٢٢٠)، وإسناده ضعيف جدًا.

وروى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لسان أهل الجنة عربى. (١)
وقال عقيل، عن الزهرى قال: لسان أهل الجنة عربى. (٢)

وروى البيهقى من طريقين فيهما ضعف، عن أبى كريمة المقدم بن معديكرب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يموت سقيطاً ولا هرمًا، وإنما الناس فيما بين ذلك إلا بعث ابن ثلاثين سنة - وفى رواية: ثلاث وثلاثين سنة - فإن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم، وصورة يوسف، وقلب أيوب، مردًا مكحلين، أولى أفانين، ومن كان من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال». وفى رواية: «حتى يصير جلده أربعين باعًا، وحتى يصير ناب من أنيابه مثل أحد». (٣)

وثبت أنهم يأكلون ويشربون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، إنما يكون منصرف طعامهم أنهم يعرفون ويتجشئون كرائحة المسك، ونفسهم تسبح وتحميد وتكبير. وأول زمرة منهم تدخل الجنة منهم على صورة القمر، ثم الذين يلونهم فى البهاء كأضواء كوكب درى فى السماء، وأنهم يجامعون ولا يؤلّد لهم (٤)، إلا من شاء منهم، وأنهم لا يموتون ولا ينامون، لكمال حياتهم، وكثرة لذاتهم، وتوالى تعيمهم ومسراتهم، وكلما ازدادوا خلودًا ازدادوا حسنا وجمالًا وشبابًا وقوة، وازدادت لهم الجنة حسنا وبهاء وطيبًا وضياء، وكانوا أرغب شىء فيها وأحرص عليها، وكانت عندهم أعز وأغلى وألذ وأحلى، كما قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف: ١٠٨). وهذا عكس حال أهل الدنيا، ولو كان أحدهم فى اللذ عيش.

فصل

وأعلى الخلق فى الجنة منزلة رسول الله ﷺ وهو أول من يدخلها، وأمه أول الأمم دخولاً إليها، وأول من يدخلها من هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتقدم أن هذه الأمة يكونون فى الجنة أكثر الأمم، وأنهم يكونون ثلثي أهل الجنة أو شطرهم، كما تقدم: «أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، هذه الأمة ثمانون صفًا منها». (٥)

وفى «المسند» و«جامع الترمذى»، و«سنن ابن ماجه»، من حديث محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة مرفوعًا: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام» (٦). وإسناده على شرط مسلم. وقال الترمذى: حسن صحيح. وروى الطبرانى من حديث الثورى، عن محمد بن زيد، عن أبى حازم، عن أبى هريرة مرفوعًا مثله. (٧)

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الجنة» (٢١٨)، وهو موضوع.

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الجنة» (٢١٩)، بإسناد صحيح. عن ابن شهاب أنه قال: «لسان أهل الجنة عربى».

(٣) أخرجه البيهقى فى «البعث» (٤٢٢)، وإسناده ضعيف.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) صحيح: أخرجه الطبرانى (١٩/٤١٩/١٠١٢)، وصححه الألبانى - وقد سبق.

(٦) أخرجه أحمد (٨٥٢١) (٧٩٤٦)، وابن ماجه (٤١٢٢)، والترمذى (٢٣٥٣)، والنسائى «كبرى» (١١٣٤٨)، وابن حبان (٦٧٦)، وإسناده حسن - والحديث صحيح.

(٧) أخرجه الطبرانى، وأبو نعيم فى «الحلية» (٩٩/٧ - ١٠٠) عن أبى هريرة.

وروى الترمذی من طریق الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد مرفوعاً مثله، وحسنه (١)،
والذي رواه مسلم من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ
قال: «إن فقراء المهاجرين يسيقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً» (٢).
وللترمذی عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله، وصححه (٣)، وله عن أنس أيضاً نحوه، واستغربه (٤).
قلت: فإن كان الأول محفوظاً، فيكون باعتبار دخول أول الفقراء وآخر الأغنياء، وتكون
الأربعون خريفاً باعتبار دخول آخر الفقراء وأول الأغنياء. والله أعلم.
وقد روى الإمام أحمد، عن إسماعيل ابن علية، وأبو بكر ابن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون،
كلاهما عن هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر العقيلي، عن أبيه، عن أبي
هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة من امتي، وأول ثلاثة
يدخلون النار». وذكر الحديث كما تقدم قريباً (٥).
ورواه الترمذی من طريق ابن المبارك (٦)، عن يحيى بن أبي كثير، وقال: حسن. ولم يذكر
الثلاثة الذين هم من أهل النار (٧).

وثبت في «صحيح مسلم»، من حديث عياض بن حمار المجاشعي، عن النبي ﷺ قال: «أهل
الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم القلب يكل ذي قرى ومسلم، وعفيف
متعفف ذو عيال. وأهل النار خمسة، الضعيف الذي لا زير له، الذين هم فيكم تبعاً، لا يبعون أهلاً ولا
مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خائنه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن
أهلك ومالك». وذكر البخل والكذب، والشنظير الفحاش (٨).

وتقدمت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء،
واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء والأغنياء» (٩).

وتقدم الحديث الوارد من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعاً: «أول
من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله في السر والعلانية» (١٠).

وثبت في «الصحيحين» من حديث سفيان الثوري، وشعبة، عن معبد بن خالد، عن حارثة بن
وهب، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله
لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» (١١).

(١) أخرجه الترمذی (٢٣٥١)، وابن ماجه (٤١٢٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩/٢)، ومسلم (٢٩٧٩)، وابن حبان (٦٦٧)، والدارمي (٣٣٩/٢)، والنسائي «كبرى» (٥٨٧٦).

(٣) أخرجه الترمذی (٢٣٥٥)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذی (٢٣٥٢)، وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه الطيالسي (٢٥٦٧)، وأحمد (٩٤٩٢)، وابن خزيمة (٢٢٤٩)، وإسناده ضعيف.

(٦) ابن المبارك هو علي بن مبارك، وليس هو عبد الله.

(٧) أخرجه أحمد (٤٧٩/٢)، والترمذی (١٦٤٢)، وإسناده ضعيف.

(٨) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) (٦٣). (٩، ١٠) سبق تخريجهما.

(١١) أخرجه البخاري (٦٦٥٧)، ومسلم (٢٨٥٣) (٤٦)، وأبو يعلى (١٤٧٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا موسى بن علي بن رباح، سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ قال: «أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون» (١).

وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أبو هلال الراسبي، حدثنا عقبة بن أبي ثيب الراسبي، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع» (٢).

وكذا رواه ابن ماجه من حديث مسلم بن إبراهيم.

وقال القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حربويه، حدثنا محمد بن صالح، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة، ونسأؤكم من أهل الجنة العنود الودود الولود، التي إذا غضب زوجها أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، ثم تقول: لا أدوق غمضاً حتى ترضى» (٣). وروى النسائي بعضه، من حديث خلف بن خليفة، عن أبي هاشم يحيى بن دينار، به.

فصل

هذه الأمة أكثر أهل الجنة، وأعلام منازل، وأول من يدخل الجنة صدرها، كما قال تعالى في صفة المقرئين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) و﴿قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣-١٤). وقال في صفة أهل اليمين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٤) و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٣٩-٤٠).

وثبت في «الصحيحين»: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يكون قوم يحيون السمن أو السمانة، ينذرون ولا يفون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون» (٤). وخيار الصدر الأول الصحابة، كما قال ابن مسعود: من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، أبر هذه الأمة قلوباً، وأصدقها ألسنة، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة رسوله ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، واقتدوا بهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (٥). وتقدم أن هذه الأمة يدخل منهم إلى الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦).

(١) أخرجه أحمد (٧٠١٠)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني (١٢٧٨٧)، وإسناده ضعيف، وأخرجه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وله شاهد يصح به، راجع «الصحيحة» (١٧٤٠).

(٣) حسن: أخرجه النسائي «كبرى» (٩١٣٩)، والطبراني (١٢٤٦٨)، والبخاري (٢٣٣)، وغيرهم.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٢٨) (٢٦٥١) (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، وغيرهما عن عمران بن حصين مرفوعاً: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم... الحديث».

(٥) إسناده فيه انقطاع: أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٧٤٦)، عن ابن مسعود، وفيه انقطاع.

(٦) سبق تخريجه.

وفي «صحيح مسلم»: «مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا» (١) وفي رواية أحمد: «مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا» (٢). وهذا ذَكَرُ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ، وَإِشَارَةٌ إِلَى طَرَفِهِ وَالْفَاظِهِ.

وفي «الصحيحين» من رواية حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَرَضْتُ عَلَى الْأَمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أَمَتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ. فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أَمَتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ. فِيهِ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مُحَصَّنٍ (٣). وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا كُلُّهُ.

وقال هشامُ بْنُ عَمَارٍ خَطِيبُ دِمَشْقٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لَهُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فِي زِيَادِ الْأَلْهَانِي، سَمِعْتُ أَبَا أَمَامَةَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَمَتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابٍ، وَثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ» (٤).

وكذا رواه أبو بكرِ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ دُحَيْمٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرٍ، وَأَبِي الْيَمَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحْيٍ الْهُوزَنِي، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ (٥). وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ زَيْدِ الْبِكَالِيِّ، عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ. وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ». وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَنْمَارِيِّ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ فِيهِ: «ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ» (٦). وَقَدْ قَدَّمْنَا بَقِيَّةَ طَرَفِهِ بِالْفَاظِهَا. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

فصل: في بيان وجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان

موجودتان، خلافاً لمن زعم خلاف ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحديد: ٢١). وقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١). وقال تعالى في حق آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: ٤٦) الآية. وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧).

وفي «الصحيحين»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أُعِدَّتْ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ دُخْرًا، بَلَهُ كُلُّ مَا أُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧). (٧)

وفي «الصحيحين» من حديث مالك، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٨).

وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش». وذكر الحديث. (١)

ورؤينا في «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمت المؤمنين طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله، إلى جسده يوم يبعثه». (٢)

وتقدم الحديث المتفق على صحته، من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات». (٣)

وذكرنا الحديث المروي من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها». وكذلك قال في النار. (٤) وكذلك الحديث الآخر: «لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون». (٥)

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، وعند مسلم عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «تحتاج الجنة والنار». (٦) الحديث.

وفيهما عن ابن عمر مرفوعاً: «الحمى من فيح جهنم». (٧)

وفيهما عن أبي ذر مرفوعاً: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم». (٨)

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة: «إذا جاء شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» (٩). وقد ذكرنا في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ رأى الجنة والنار ليلته (١٠)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَىٰ (١١) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٢) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٣)﴾ (النجم: ١٣-١٥). وقال في صفة سدر المنتهى: «إنه يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان». وذكر أن الباطنين في الجنة. (١١)

وفي «الصحيحين»: «ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنات اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك». (١٢)

وفي «صحيح البخاري» (١٣) من حديث قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك».

وفي مناقب عمر أن النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة فرأيت جارية توضأ عند قصر، فقلت: لمن أنت؟ فقالت لعمر بن الخطاب. فأردت أن أدخله فذكرت غيرتك». فبكى عمر ﷺ، وقال: أو عليك أغار يا رسول الله؟! والحديث في «الصحيحين» عن جابر. (١٤)

وقال عليه السلام لبلال: «أدخلت الجنة فسمعت خشف نعليك أمامي، فأخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام». فقال: ما توضأت إلا وصليت ركعتين. (١٥) الحديث.

(١-١٣) سبق تخريجها.

(١٤) أخرجه أحمد (٣/٣٠٩)، والبخاري (٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤)، والحميدي (١٢٣٥)، وابن حبان (٦٨٨٦)، عن جابر.

(١٥) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨)، وأحمد (٨٤٠٣)، والنسائي (٨٢٣٦)، وابن خزيمة (١٢٠٨)، وابن حبان (٧٠٨٥)، عن أبي هريرة وليس عن جابر.

وأخبر عن الرميضاء أنه رآها في الجنة. أخرجاه عن جابر. (١)
 وأخبر في يوم صلاة الكسوف أنه عرضت عليه الجنة والنار - وفي رواية: دنت منه الجنة والنار -
 وأنه هم أن يأخذ من الجنة قطعا من عنب، وقال: «كأن أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا». (٢)
 وفي «الصحيحين» من طريق الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
 رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار. (٣)

وقال في الحديث الآخر: «ورأيت فيها صاحب المحجن» (٤). وقال: «دخلت امرأة النار في هرة
 حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فلقد رأيتها تخمشها» (٥).
 وأخبر عن الرجل الذي نحى غصن شوك عن طريق الناس، قال: «فلقد رأيت أنه يستظل به في
 الجنة» (٦). وهو في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة بلفظ آخر.

وفي «الصحيحين» عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر
 أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» (٧).

وفي «صحيح مسلم» من طريق المختار بن قنفل، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي
 نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا». قالوا: يا رسول الله، وما رأيت؟ قال:
 «رأيت الجنة والنار» (٨). وأخبر أن المتوضئ إذا قال بعد وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن
 محمدا عبده ورسوله. فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء. (٩)

وفي «صحيح البخاري» من حديث شعبة، عن عدي، عن البراء بن عازب قال: لما توفي
 إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال: «إن له مريضاً في الجنة» (١٠).

وقال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
 الشَّجَرَةَ﴾ (البقرة: ٣٥) والجمهور على أن هذه الجنة جنة المأوى، وذهب طائفة آخرون إلى أنها جنة

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٩) (٥٢٢٦) (٧٠٢٤)، ومسلم (٢٤٥٧)، عن جابر بلفظ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا... الحديث».

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٤/٣)، ومسلم مطولا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٢١) (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣١٨/٣)، ومسلم (٩٠٤) (١٠)، والطحاوي (٣٢٨/١)، وابن حبان (٢٨٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢)، وابن حبان (٥٤٦).

(٦) أخرجه مسلم (١٦١٤)، وأحمد (١٠٢٨٩)، وأبو يعلى (٦٤٨٥).

(٧) أخرجه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨).

(٨) صحيح: أخرجه مسلم (١٩١٤).

(٩) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤) (١١).

(١٠) أخرجه البخاري (١٣٨٢) (٣٢٥٥) (٦١٩٥).

فى الأرضِ خلقَها اللهُ له، ثم أخرجه منها، وقد تقدّم ذلك مبسوطاً فى هذا الكتابِ فى أوله فى قصة آدم.

وقال البيهقى: حدثنا الحاكم، حدثنا الأصم، حدثنا حميد بن عياش الرملى، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا سفيان، عن عبد الرحمن الأصمى، عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أولادُ المؤمنين فى جبلٍ فى الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردّهم إلى آبائهم يوم القيامة»^(١). وكذا رواه وكيع، عن سفيان، وهو الثورى، والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جداً، وقد أوردنا كثيراً منها بأسانيدِها ومُتونها فيما تقدّم.

فصل

وثبت فى «صحيح مسلم»، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «فُقراءُ المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»^(٢). وكذا روى الترمذى، من حديث جابر وصحّحه^(٣)، وأنسٍ واستغربه^(٤)، وللترمذى من حديث أبى هريرة وصحّحه، وأبى سعيد وحسنه: «ينصف يوم خمسمائة عام»^(٥). وقد تقدّم هذا كله.

قلت: فإن كان هذا محفوظاً كما صحّحه الترمذى، فيحتمل أن يكون ذلك باعتبار دخول أول الفقراء وآخر الأغنياء، وتكون الأربعون خريفاً باعتبار ما بين دخول آخر الفقراء وأول الأغنياء. والله أعلم.

وقد أشار إلى ذلك القرطبى فى «التذكرة» حيث قال: وقد يكون ذلك باختلاف أحوال الفقراء والأغنياء. يُشير إلى ما ذكرناه.

فصل

قال الزهرى: كلام أهل الجنة عربى^(٦). وقال سفيان الثورى: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة بالسرانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية^(٧).

فصل

فى المرأة تزوج فى الدنيا بأزواج ثم تدخل الجنة، فلمن تكون منهم؟ فذكر القرطبى فى «التذكرة» من طريق ابن وهب عن مالك: أن أسماء بنت أبى بكر شكت زوجها الزبير إلى أبيها،

(١) أخرجه البيهقى فى «البعث» (٢١١)، وإسناده ضعيف، وأخرجه أبو نعيم فى «أخبار أصبهان» (٢٦٣/٢)، والديلمى (١١٨/١/١)، وصحّحه الألبانى فى «الصحيحة» (١٤٦٧)، وراجع الصحيحة أيضاً (٦٠٣).

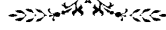
(٢-٥) سبق تخريجها.

(٦، ٧) سبق الكلام عليهما.

فَقَالَ: يَا بَنِيَّةُ، اصْبِرِي، فَإِنَّ الزَّيْرَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ زَوْجَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَكَرَ الْمَرْأَةَ تَزَوَّجَهَا فِي الْجَنَّةِ. ^(١) قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ^(٢)، وَحَدِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ^(٣)، أَنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا فِي الدُّنْيَا.

وَجَاءَ أَنَّهَا تَكُونُ لِأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ النَّجَّادُ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَاكِرٍ ^(٤)، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا سَنَانُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمِيدٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَرْأَةُ يَكُونُ لَهَا الزَّوْجَانِ فِي الدُّنْيَا فَأَيُّهُمَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ؟ فَقَالَ: «لأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا، كَانَ مَعَهَا فِي الدُّنْيَا». ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ حَبِيبَةَ، ذَهَبَ حُسْنُ الْخَلْقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ^(٥). وَقَدْ رَوَى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ نَحْوُ هَذَا ^(٦). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ الْكِتَابِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ



(١) أخرجه ابن عساکر (١٩٣/١٩) عن عكرمة، وفيه انقطاع، وراجع الصحيحة (ص ٢٧٦/٣).
 (٢) صححه الشيخ في «الصحيحة» (١٢٨١) بلفظ: «المرأة لآخر أزواجها». أخرجه البيهقي في «السنن» (٧/٦٩ - ٧٠)، وفيه ضعف.
 (٣) أخرجه البيهقي في «السنن» (٧/٦٩ - ٧٠) وفيه ضعف.
 (٤) في «التذكرة» (ص ٥٢٨)، حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر، وهو الصواب وله ترجمة في «السير» (١٩٧/١٣).
 (٥) إسناده ضعيف جداً.
 (٦) ضعيف : وقد سبق.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
147	حديث الصور بطوله	3	ترجمة الحافظ ابن كثير
155	ذكر النار التي تحشر الناس إلى أرض الشام	9	مقدمة المصنف
158	نفخة الصعق	9	رحمة الله بأمة محمد ﷺ
162	نفخة البعث	10	خبر الأئمة
163	ذكر أحاديث في البعث	13	أحاديث في قتال الترك
168	ذكر أسماء يوم القيامة		ظهور نار من أرض الحجاز أضاءت لها
	ذكر أن يوم القيامة، هو يوم النفخ في	20	أعناق الإبل ببصرى
169	الصور وأنه يوم الجمعة		ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبل بعد
	أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة	21	زماننا هذا
171	رسول الله ﷺ	23	باب ذكر الفتن جملة ثم مفصلة
173	ذكر بعث الناس حفاة عراة غرلاً	24	باب افتراق الأمم
178	ذكر شيء من أهوال يوم القيامة	30	ذكر شروء تحدث في آخر الزمان
185	فصل في صفة أرض المحشر	34	فصل: في ذكر المهدي
187	ذكر طول يوم القيامة، وما ورد في مقداره	40	ذكر أنواع من الفتن وقعت
191	ذكر المقام المحمود	52	فصل: في تعداد الآيات والأشراط الواقعة
197	ذكر ما ورد في الحوض النبوي	55	ذكر قتال الملحمة
217	ذكر أن لكل نبي حوضاً	61	ذكر خروج الدجال
220	فصل في مجيء الرب لفصل القضاء	64	الكلام على أحاديث الدجال
224	ذكر كلام الرب تعالى مع آدم، عليه السلام	100	ملخص سيرة الدجال، لعنه الله تعالى
225	كلام الرب تعالى مع نوح، عليه السلام	103	خبر عجيب ونبا غريب
	ذكر تشريف إبراهيم، عليه السلام،	106	نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان
226	يوم القيامة	113	ذكر خروج ياجوج وماجوج
226	ذكر موسى ﷺ وظهور شرفه يوم القيامة	116	ذكر تخريب الكعبة على يدي ذي السويقتين
	ذكر عيسى، عليه السلام، وكلام الرب	118	فصل في الكلام على المدينة
227	معه يوم القيامة	119	خروج الدابة
228	ذكر ما ورد في كلام الرب مع العلماء	123	ذكر طلوع الشمس من مغربها
228	ذكر أول كلامه، عز وجل، للمؤمنين	127	ذكر الدخان
229	فصل أنه لا يكلم الكفار	129	ذكر الصواعق
230	فصل في إبراز النيران والجنان	129	ذكر وقوع المطر الشديد
230	ذكر إبداء عنق من النار	130	باب ذكر أمور لا تقوم الساعة حتى تكون
231	ذكر الميزان	135	صفة أهل آخر الزمان
240	ذكر العرض على الله، عز وجل	137	ذكر حديث: «بعثت أنا والساعة كهاتين»
242	فصل أول ما يقضى بين الحيوانات	139	حديث في تقريب يوم القيامة
	فصل في أول ما يقضى فيه بين	142	ذكر دنو الساعة واقتربها
245	العباد: الدماء	145	ذكر زوال الدنيا وإقبال الآخرة

349	ذكر صفة الجنة ونعيمها	ذكر أول ما يُقضى بين الناس فيه
349	ذكر ما ورد في عدد أبواب الجنة	يوم القيامة
353	ذكر تعداد محال الجنة	الله تعالى يصالح عن عبده من ظلمه
355	ذكر ما يكون لأهل الجنة منزلة وأعلامهم	فصل يدعى الناس يوم القيامة بأبائهم
356	ذكر غرف الجنة	فصل في حال الناس عند أخذ الكتب
357	ذكر أعلى منزلة في الجنة	فصل في رحمة الله يوم القيامة
358	ذكر بنيان الجنة ومم قصورها	ذكر من يدخل الجنة بغير حساب
362	ذكر الخيام في الجنة	ذكر كيفية تفرق العباد عن موقف الحساب
363	ذكر تربة الجنة	فصل في ذكر الصراط
364	ذكر أنهار الجنة وأشجارها وثمارها	فصل في ورود الناس جميعهم جهنم
374	فصل في طير الجنة	فصل في كيفية الحشر
375	ذكر طعام أهل الجنة وأكلهم وشربهم	فصل في صفة من يدخل الجنة
380	ذكر لباس أهل الجنة فيها	كتاب صفة النار
382	صفة فرش أهل الجنة	ذكر جهنم وشدة سوادها
383	صفة الحور العين وبنات آدم وشرفهن عليهن	ذكر بعد قعر جهنم وضخامة أهلها
388	ما ورد من غناء الحور العين في الجنة	البحر يسجر يوم القيامة ويكون من جهنم
389	ذكر جماع أهل الجنة لنسائهم	ذكر أبواب جهنم خزنتها وزبانياتها
391	ذكر أن أهل الجنة لا يموتون فيها	ذكر سرادق النار
393	ذكر إحلال الرضوان عليهم	ذكر طعام أهل النار وشربهم
393	ذكر نظر الرب تعالى إلى أهل الجنة	ذكر أماكن في النار وردت بأسمائها الأحاديث
394	ذكر رؤية أهل الجنة ربهم، عز وجل	ذكر حياتها وعقاربها
399	ذكر سوق الجنة	فصل في دركات جهنم
401	ذكر ريح الجنة وطيبه	ذكر بكاء أهل النار فيها
404	ذكر نور الجنة وبهائها	أحاديث شتى في صفة النار وأهلها
405	ذكر الأمر بطلب الجنة وترغيب الله	أثر غريب وسباق عجيب
405	عباده فيها	الأحاديث الواردة في شفاعته رسول الله ﷺ
407	الجنة حفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات	١- الشفاعات الخاصة به من بين النبيين
411	ذكر خيل الجنة	٢،٣- شفاعته في أقوام تساوت
413	ذكر تزاور أهل الجنة	حسناتهم وسيناتهم
416	ذكر أول من يدخل الجنة	٤- شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة
418	باب جامع لأحكام تتعلق بالجنة	٥- الشفاعات في أقوام يدخلون الجنة
419	ذكر دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء	بغير حساب
421	فصل الجنة والنار موجودتان الآن	٦- شفاعته في عمه أبي طالب
422	فصل صفة أهل الجنة حال دخولهم إليها	٧- شفاعته لجميع المؤمنين قاطبة
423	فصل أعلى الخلق في الجنة منزلة	٨- شفاعته في أهل الكبائر من أمته
423	رسول الله ﷺ	ذكر شفاعات المؤمنين لأهلهم
425	فصل هذه الأمة أكثر أهل الجنة	شفاعة الأعمال الصالحة لصاحبها
425	وأعلامهم منازل	فصل في أصحاب الأعراف
426	فصل في بيان وجود الجنة والنار	ذكر آخر من يخرج من النار
426	وأنهما مخلوقتان موجودتان	فصل في آخر من يدخل الجنة
431	الفهرس	فصل في خلود الكافرين في النار